النُّورُ السَّافِرُ

عَنْ أَخْبَارِ ٱلْقَرْنِ ٱلْعَاشِرِ

للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس
الحسيني الحضرمي اليمني الهندي
(٩٧٨ - ١٠٣٨هـ)

حققه وضبط نصوصه وصنع فهارسه وقدم له وعلق عليه
الدكتور أحمد حالو
محمود الأرناؤوط أكرم البوشي

دار صادر
بيروت

الطبعَـة الأولى
2001



تأسست سنة ١٨٦٣

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

Al-Nūr al-Sāfir (10th century AH)
(*'Abd al-Qādir al-'Aydarūs*)
p. 664 - s. 17.5x25 cm

ISBN 9953-13-007-8

النُّورُ السَّافِرُ

عَنْ أَخْبَارِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ

الإهداء

إلى علاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر

تقديراً لجهوده العظيمة في إحياء تراث الأمة

المحققون



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فحينما شرعت بتحقيق كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي سنة (١٤٠٤هـ) بإشراف والدي وأستاذي المحدِّث المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله ، ونشرته دار ابن كثير بدمشق وبيروت، تبين لي أن هذا الكتاب « **النُّور السَّافِر عن أخبار القرن العاشر** » للعيدروس من أهم المصادر التي نقل عنها صاحب «الشذرات» في تأريخه لأحداث وتراجم القرن العاشر الهجري ، وكان لابد لي من العودة للطبعة المتوافرة منه في حينه[1] ، فشعرت إبَّانها بضرورة إخراج الكتاب في طبعة جديدة محقّقة لكثرة ما حصل من الخطأ في تلك الطبعة ، وهكذا بدأت رحلتي مع البحث عن أصل خطي للكتاب للاعتماد عليه في تحقيقه الكتاب وإخراجه إخراجاً جديداً يتفق مع ما تعارف عليه المشتغلون المتقنون في إحياء التراث العربي الإسلامي في هذا العصر .

---

(١) وهي التي اعتنى بها (محمد رشيد أفندي الصفّار) ونشرتها المكتبة العربية ببغداد لصاحبها (نعمان الأعظمي) سنة (١٣٥٣ ـ ١٩٣٤م) . انظر « ذخائر التراث العربي الإسلامي » للأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ص (٧٠٨) .

وأعادت طبعه بالاعتماد على الطبعة المذكورة ـ دار الكتب العلمية ببيروت بالاشتراك مع مكتبة عباس أحمد الباز بمكة المكرمة .

وحين زرت مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) وقفت على مصورة إحدى مخطوطاته الهامة[١] ، فطلبت تصوير نسخة منها في عداد قائمة من مصورات المخطوطات التي طلبت تصويرها من المركز المذكور ، وحين عدت إلى دمشق قمت بتظهير نسخة ورقية من المصورة المذكورة وعزمت على إخراج الكتاب للباحثين وطلبة العلم . ولما كانت أوقاتي مزدحمة بأعمال مختلفة ومهمات متعددة ، فقد ترجَّح عندي أمر الاستعانة ببعض الأصدقاء للإسراع في تحقيق الكتاب ، فعرضت فكرة المشاركة في تحقيقه على صديقي الفاضل الدكتور أحمد حالو مدرِّس الأدب العربي بجامعة دمشق في حينه[٢] ، وعلى صديقي الفاضل الأستاذ أكرم البوشي المتمرس في شؤون التحقيق ، فوافقا على المشاركة ، فقمت بوضع الخطة التي قام تحقيق الكتاب وإخراجه على أساسها ، وقام كل طرف منا بخدمة الكتاب بما يتصل باختصاصه ، وقد تمثلت خطواتنا في تحقيقه وإخراجه بالآتي :

١ـ مقابلة المطبوع القديم، وقد رمزنا له بحرف (ط) ، على مصورة الأصل الخطي المعتمد في التحقيق والذي آل بالتصوير إلى خزانة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي من معهد المخطوطات العربية بالكويت الذي حصل على مصورة عنه من مكتبة الأحقاف باليمن عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م) إبَّان إدارة صديقي الفاضل الأستاذ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة له ، وقد رمزنا لها بحرف (م) ، للتأكد من سلامة المطبوع والوقوف على حسنات المخطوط أو المطبوع إن وجدت ، فتبين لنا من خلال ذلك أن كلا الأصلين فيه من الحسنات والأخطاء ما ليس في الآخر ، الأمر الذي عاد على تحقيق الكتاب بالخير

---

(١) وتقع في (٢٤٤) ورقة كبيرة ، وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على عملنا في تحقيق الكتاب والخطوات التي اتبعت فيه .

(٢) وكان ذلك أثناء إحدى زياراته لي في مكتب ابن عساكر لتحقيق وتصحيح كتب التراث ، الذي أسسته بدمشق وأدرت العمل به بين عامي (١٤١١ـ١٤١٦هـ =١٩٩١ـ١٩٩٥م) رغبة مني في حثه على العمل بخدمة مصنفات الأسلاف من علماء الأمة .

والفائدة ، وانتهينا بذلك إلى إخراج نص مضبوط بشكل جيد إن شاء الله ، وأشرنا إلى الفروق الجوهرية بين الأصلين في الحواشي ، كما أشرنا إلى ما تم ترجيحه من كلا الأصلين أيضاً عقب المقابلة والمقارنة .

٢ـ تفصيل النصوص وترقيمها وضبط ما احتاج إلى الضبط بالحركات منها .

٣ـ تخريج الآيات والأحاديث الواردة في نصوص الكتاب .

٤ـ الإشارة إلى مصادر التراجم التي أوردها المؤلف في الكتاب ما أمكننا ذلك .

٥ـ التعريف ببعض الأعلام والأماكن الواردة في ثنايا النصوص وضمن سياق التراجم .

٦ـ التعليق على بعض المواطن من الكتاب مما رأينا بأن التعليق عليها أو التعقيب عليها أمر ضروري ، كتلك التي احتوت على مخالفات شرعية لا تتفق ومناهج المحقّقين من علماء الأمة .

٧ـ إعداد فهارس للكتاب تفتح مغاليقه للباحثين والقراء .

٨ـ التعريف بمؤلِّف الكتاب ، وذلك بالاكتفاء بترجمته المعدّة لـ « موسوعة أعلام الأمة في أربع مئة عام »[(١)] ، ومن أراد التوسع في ترجمته فليرجع إلى مصادرها ويقف على تفاصيل أخباره فيها، وإلى ترجمته المطولة لنفسه في هذا الكتاب[(٢)] .

وقد كشف لنا عملنا في تحقيق الكتاب عن أهميته البالغة لاحتوائه على مجموعة كبيرة من الأحداث والتراجم التي تكمل صورة القرن العاشر الهجري وتوضح مدى تأثر أهله بمناهج المتصوفة وعدم إنكارهم ما كانوا عليه من مخالفات لنصوص

---

(١) التي أقوم بإعدادها منذ عشر سنوات وتضم تراجم أعلام المسلمين في جميع أقطار العالم الإسلامي بجميع مناحي الحياة ، ويشاركني العمل في إعدادها بعض الأصدقاء من الأساتذة الأفاضل ، بغية وضع أنموذج عن تراجمها بين أيدي الدارسين من الزملاء المحققين وسواهم .

(٢) انظر ص (٤٤٤ـ٤٥٣) .

صريحة واضحة معروفة للمسلمين عامة وللعلماء المحققين منهم خاصة ![1].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب يحتوي على تراجم مطولة وهامة جداً ، وتراجم أقل أهمية ، وتراجم مختصرة إلى حد بعيد .

وقد تبين لنا بأن المؤلف فرغ من تأليف الكتاب سنة (١٠١٢هـ) .

ذلك ما قمنا به لتحقيق هذا الكتاب وإخراجه وتم بيانه بإختصار ، فإن أحسنا فذلك ما عملنا له مخلصين ، وإن سهونا وأخطأنا وغفلنا فذلك شأن البشر في كل زمان ومكان ، والمأمول من أهل العلم من المحققين لفت أنظارنا إلى ما قد يقع لهم من خطأ أو وهم صاحب عملنا في تحقيق الكتاب وإخراجه لنتداركه في طبعات الكتاب القادمة إن شاء الله تعالىٰ ، فقد كانت رحلتنا مع إخراج نصوصه وضبطها عسيرة إلى حد بعيد .

وخير ما أختم به كلامي ذكر ما جاء في كتاب الله العزيز على لسان سليمان عليه السلام قوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] والحمد لله ربِّ العالمين .

دمشق الشام في الرابع عشر من شهر ذي الحجَّة لعام ١٤٢٠هـ الموافق للعشرين من شهر آذار لعام ٢٠٠٠م .

خادم تراث الأسلاف

محمود الأرناؤوط

* * *

---

(١) ولا بد لنا من التنويه إلى أن العلاَّمة محمد بن أبي بكر بن أحمد الحُسيني الشّيلي ، المتوفى سنة (١٠٩٣هـ) قد صنّف تكملة لـ « تاريخ النور السافر » سمّاها « السنا الباهر في تكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر » ذكر فيه ما فات العيدروس ذكره من حوادث وتراجم القرن العاشر ، ولا زال مخطوطاً إلى الآن فيما نعلم ، ومنه نسخة خطية يحتفظ بها المتحف البريطاني بلندن ، وهو جدير بالتحقيق والنشر لأنه يكمل الفائدة المرجوة من هذا الكتاب . انظر « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني » للأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري ص(٩٦ و٩٧) طبع دار المختار بدمشق عام (١٤٠٠ـ١٩٨٠م) .

(٢) سورة النمل : الآية (١٩) .

ترجمة المؤلِّف(*)

هو عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس الحُسينيّ الحَضْرَميّ اليَمَنيّ الهنديّ .

ولد بمدينة أحمد آباد من الهند عشية يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٨)هـ ، وقرأ القرآن العظيم وطرفاً من العلم على عدد من العلماء ، وحفظ عدة متون ، وشارك في كثير من الفنون ، ولبس خرقة التصوف ، وتصدر لنشر العلوم ، وعُني باقتناء الكتب وبالغ في طلبها من أقطار مختلفة ، وأخذ عنه كثير من أعلام عصره ، ونال تقدير الملوك والرؤساء في معظم البلدان الإسلامية ، وكاتبه كثيرون منهم وأتحفوه بصلاتهم الجميلة وهباتهم الجزيلة ، وأخذ عنه غير واحد من الأعلام ، وكان مغرماً بالمتصوفة وتتبع أخبارهم ، مع حرص على الإنصاف لهم ولسواهم مما مرَّ وعبر من أعلام الزمان ، وصنف مصنَّفات كثيرة غير كتابه الهام « تاريخ النور السافر » تدل على بعد غوره ، وسَعَة اطلاعه ، وحُسن تدوينه ، وجمال عبارته ، منها :

١ـ إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة .

(*) ترجمته في : « خلاصة الأثر » (٢/ ٤٤٠) و « ملحق البدر الطالع » (٢/ ١٢٣) و « نزهة الخواطر » (٥/ ٢٤١) و« تاريخ الأدب العربي » (٩/ ٢٥٩) و « أعلام العرب في العلوم والفنون » (٣/ ٩٢) و « هدية العارفين » (١/ ٦٠٠) و « الأعلام » (٤/ ٣٩) و « علماء العرب في شبه القارة الهندية » ص(٤٣٥ـ٤٣٦) و« معجم المؤلفين » (٢/ ١٨٨) و « عيون المؤلفات » (١/ ٧٢) و« ذخائر التراث العربي الإسلامي » (٢/ ٧٠٨) و « معجم المفسِّرين » (١/ ٢٩٣) و« إتحاف القاري » ص(١٦٥) .

٢ـ أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح .

٣ـ الأنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف .

٤ـ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (أي إحياء علوم الدِّين للغزالي) وقد طبع في مصر سنة (١٣١١هـ) على هامش « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين » للمرتضى الزبيدي ، وبها أيضاً سنة (١٣٥٨)هـ على هامش « إحياء علوم الدِّين » للغزالي .

٥ـ الحدائق الخضرة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة .

٦ـ الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة .

٧ـ الدّر الثمين في بيان المهم من علوم الدين .

٨ـ الروض الفاخر فيمن اسمه (عبد القادر) من أهل القرنين التاسع والعاشر ، منه نسخة خطية في برلين .

٩ـ صدق الوفاء بحق الإخاء . وهو في سيرة أحمد بن محمد الحضرمي ، ومنه نسخة خطية في برلين .

١٠ـ عقد اللآل بفضل الآل .

١١ـ فتح الباري بختم صحيح البخاري .

١٢ـ المنتخب المصفى بأخبار مولد المصطفى .

١٣ـ المنهاج إلى معرفة المعراج .

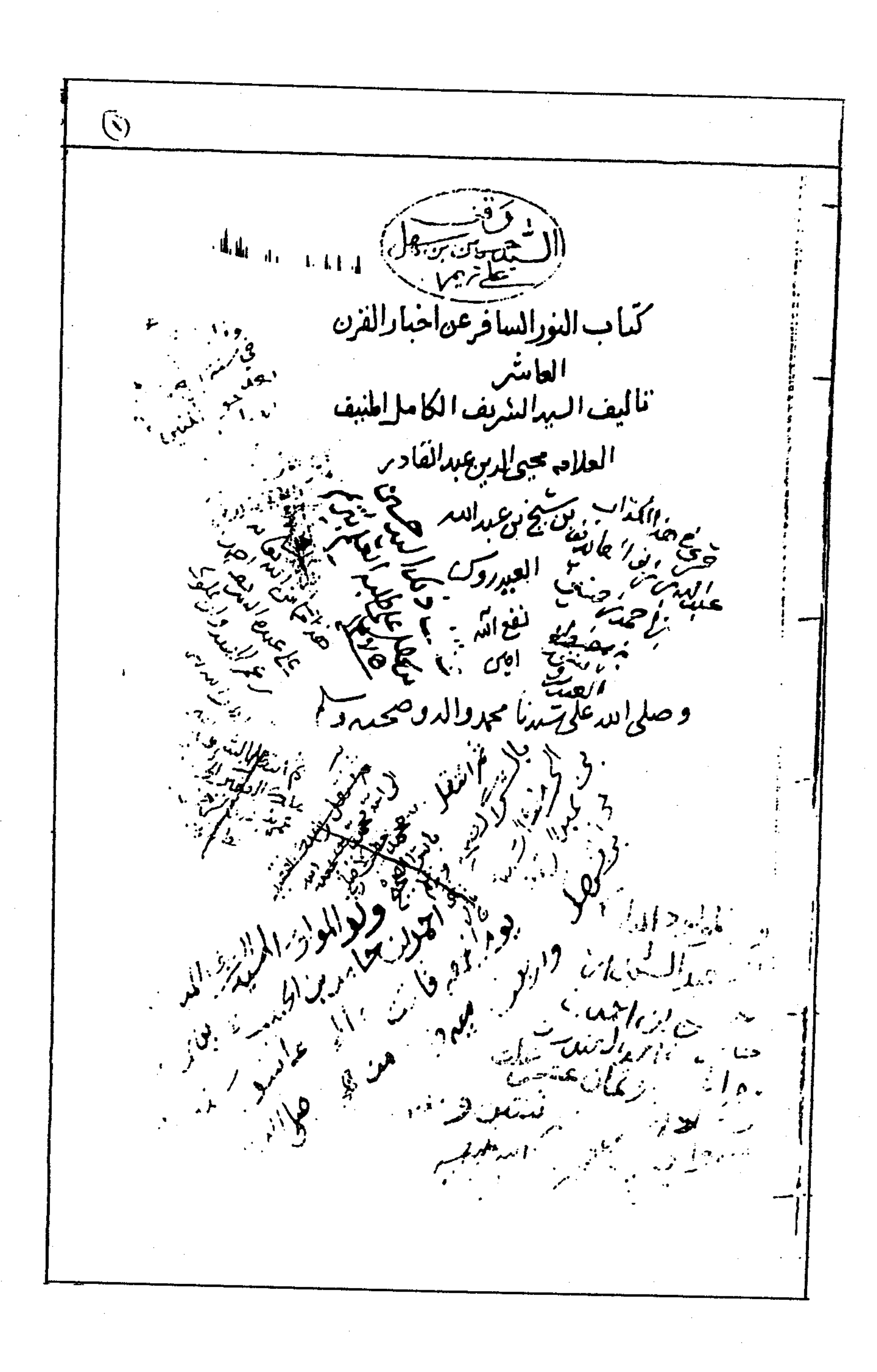
وله نظم وشعر حسن جمعه في « ديوان » سمّاه « الروض الأريض والفيض المستفيض » منه نسخة خطية في مكتبة الامبروزيانا ويقع في خمسين ورقة .

وأما كتابه « **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** » فهو واسطة العقد من مؤلفاته ، وسبب شهرته وانتشار ذكره ، وقد رتَّبه على السنوات من سنة واحد وتسعمئة إلى سنة ألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات والتحية ، وأورد فيه حوادث وتراجم كثيرة تخص تلك السنوات المباركات في

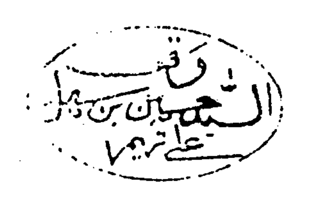
عدد كبير من أقطار الأمة الإسلامية ، واعتنى بذكر دقائق الأمور المتصلة بنفسه وبأسرته وأخبارها ، وقد نقل عنه كثير من أصحاب كتب التراجم ، وفي الطليعة منهم ابن العماد الحنبلي ، والشوكاني ، والزركلي ، وكحّالة ، وغيرهم .

توفي بمدينة أحمد آباد الهندية سنة (١٠٣٨) هـ ودفن فيها ، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه .

* * *


كتاب النور السافر عن اخبار القرن
العاشر
تاليف السيد الشريف الكامل المنيف
العلامة محيي الدين عبد القادر
بن شيخ بن عبد الله
العيدروس
نفع الله
امين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

صورة غلاف النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على
الظالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم
النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين فهذا انموذج لطيف
وعنوان شريف ذكرت فيه وفيات من ظفرت بتاريخ
وفاته ممن مات في هذا القرن الذي اوله سنة احدى
وتسعماية ختم بالحسنى من ساير العلماء والصلحا والقضاة والادبا
والملوك والاعيان مصريا كان او شاميا حجازيا كان او يمنيا
روميا او هنديا مشرقيا او مغربيا وضممت الى ذلك ذكر بعض
الحوادث والماجريات والحكايات العجيبة والملح الغريبة ولا
يعدم كل شخص من نادرة جرت له من الاخبار وشعر نظمه
من الاشعار على وجه الاختصار وما يحصل به من الاعتبار ولله
در من قال

اذا عرف الانسان اخبار من مضى تخيلته قد عاش حينا من الدهر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما كريما حليما فاغتنم طول العمر

ولم استوعب كلما وقع في هذا القرن من الحوادث لعدم
[illegible] عليها وانما ذكرت ما انتهى الي [illegible] منها و [illegible]
[illegible] مما ذكرته ولكن اذا [illegible]
[illegible] الابتراك [illegible] كتاب [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب

مفيدة يحتاج إلى

وذلك بفضل الله

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ووقع الفراغ من تأليف هذا التاريخ اللطيف في

ربيع الثاني سنة اثني عشر بعد الألف بأحمد آباد

ويكان في زبيد ولا حول ولا قوة إلا بالله

اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلاّ على الظّالمين .

والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمدٍ سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : هذا أنموذج لطيف ، وعنوان شريف ، ذكرت فيه وفيات من ظفرت بتاريخ وفاته ممن مات في هذا القرن ، الذي أوله سنة إحدى وتسعمائة ، ختم بالحُسنى ، من سائر العلماء ، والصلحاء ، والقضاة ، والأدباء ، والملوك ، والأعيان ؛ مصريّاً كان أو شامياً ، حجازياً كان أو يمنياً ، رومياً أو هندياً ، مشرقياً أو مغربياً . وضممت إلى ذلك ذكر بعض الحوادث والمجريات والحكايات العجيبة ، والمِلح الغريبة ، ولا يعدم كل شخص من نادرة جرت له من الأخبار ، وشعر نظمه من الأشعار ، على وجه الاختصار وما يحصل من الاعتبار .

ولله درّ من قال : [من الطويل]:

إذا عَرَفَ الإنسانُ أخبارَ مَن مَضى ... تخيّلتَه قَد عاشَ حيناً مِنَ الدَّهْرِ

فقد عاش كلَّ الدَّهرِ مَن كانَ عالماً ... كَرِيماً حَلِيماً فاغتنم أطولَ العُمرِ

هذا ولم أستوعب كل ما وقع في هذا القرن من الحوادث لعدم اطلاعي عليها ، وإنّما ذكرْتُ ما انتهى إليه علمي منها ، وربما أن الّذي تركته يكون أكثر

مما ذكرته ، ولكن إذا كانت الغايات لا تدرك ، فاليسير منها لا يترك ، وأرجو أن يكون هذا الكتابُ كتابَ حديثٍ وفقهٍ وتاريخٍ وأدبٍ ، وسمّيته :

« النُّور السافر عن أخبار القرن العاشر »

ولنذكر قبل الشروع في المقصود نبذة شريفة من أوصاف سيّد المرسلين وأفضل الأولين والآخرين ، تيمناً بذكره ، واستشعاراً لعظيم قدره ، عسى أن أسعد بشفاعته ، وأُحشر في زمرته ، لحبي إيّاه ، والتجائي إلى شريف علياه ، ﷺ ، وشرَّف ، وكرَّم ، ومجّد ، وعظّم .

اعلم أن الله سبحانه لما أراد إيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرته الأحدية[1] ، ثم سلخ منها العوالم كلها ، علوها وسفلها ، على ما اقتضاه كمال حكمته وسبق في إرادته وعلمه[2] ، ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته ، وبشّره بعموم دعوته ورسالته ، وبأنه نبي الأنبياء ، وواسطة جميع الأصفياء ، وأبوه آدم بين الرّوح والجسد . ثم انبجست منه عيون الأرواح ، فظهر ممداً لها في عالمها المتقدم على عالم الأشباح ، وكان هو الجنس العالي على جميع الأجناس ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ، فهو ـ وإن تأخر وجود جسمه ـ متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه ، إذ هو خزانة السرِّ الصَّمَداني ، ومحتد تفرّد الأمداد الرّحماني .

وصحَّ في « مسلم » : أنه ﷺ قال : « إنّ الله تعالى كَتَبَ مَقَادِيرَ الخلقِ[3] قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »[4] .

---

(١) في (ط) : « الأحمدية » .

(٢) في (ط) : « في علمه وإرادته » .

(٣) في « صحيح مسلم » : « الخلائق » .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٦٥٣) في القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ومن جملة ما كتب في الذِّكر وهو أمّ الكتاب : « أن محمداً خاتم النبيين » ، وصحَّ أيضاً : « إِني عند الله[1] لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته »[2] . أي طريحٌ[3] ملقى قبل نفخ الرّوح فيه .

وصحّ أيضاً : يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال : « وآدم بين الرّوح والجسد »[4] . ويروى : « كُتِبْتُ من الكتابةِ »[5] وخبرُ : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين »[6] . قال بعض الحُفَّاظ : لم نقف عليه بهذا اللفظ .

وحسّن الترمذي خبر : « يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد »[7] . ومعنى وجوب النبوة وكتابتها : ثبوتها

---

(١) في « م » و« ط » : « إني عبد الله » وهو خطأ والتصحيح من « كنز العمال » .

(٢) ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » رقم (٣١٩٦٠) و(٣٢١١٤) وعزاه لأحمد في « المسند » والطبراني والحاكم ولأبي نعيم في « حلية الأولياء » وللبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وانظر « ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه » لابن كثير ص (٢٣) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٣) في (ط) : « لطريح » .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٥٩) وابن أبي عاصم في « السنة » رقم (٤١٠) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٦٠٨) وهو حديث صحيح ، وانظر بقية تخريجه في « مجالس في سيرة النبي ﷺ » لابن رجب ص (١٩) طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٥) قال ابن رجب الحنبلي في « مجالس في سيرة النبي ﷺ » ص (٢٠) : قال الإمام أحمد بن حنبل في رواية مُهَنّا : وبعضهم يرويه : « متى كنت نبياً » من الكتابة ، فإن صحّت هذه الرواية ، حملت مع حديث العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج ، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب ، إما شرعاً كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] أو قدراً كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

(٦) ذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » رقم (٨٤٢) والسيوطي في « الدرر المنتثرة » ص(١٠٦) وقال فيه : لا أصل له بهذا اللفظ ، ولكن في « الترمذي » : « متى كنت نبياً؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » وانظر بقية كلام عنه هناك ، وانظر أيضاً ما قاله السخاوي في تعليقه على الحديث رقم (٨٣٧) فهو هام ونافع إن شاء الله تعالى .

(٧) رواه الترمذي رقم (٣٦١٣) في المناقب : باب ما جاء في فضل النبي ﷺ من حديث أبي=

وظهورها في الخارج نحو : كتب الله لأغلبن ، كُتب عليكم الصيام ، والمراد ظهورها للملائكة ، وروحه ، ﷺ ، في عالم الأرواح ، إعلاماً بعظيم شرفه[١] وتميزه على بقية الأنبياء ، وخصّ الإظهار بحالة كون آدم بين الرّوح والجسد ، لأنه أوان دخول الأرواح إلى عالم الأجساد والتمايز حينئذ أتمّ وأظهر ، فاختصّ ، ﷺ ، بزيادة إظهار شرفه حينئذ ليتميز على غيره تميزاً أعظم وأتمّ .

وأجاب الغزالي عن وصفه نفسه بالنّبوة قبل وجود ذاته وعن خبر : « أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً » ، بأن المرادَ بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد ، فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً ، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود . فقوله [ﷺ] : « كنت نبياً » أي في التقدير قبل تمام خلقه آدم [عليه السلام] ، إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذريته محمد ﷺ . وتحقيقه أن للدار في ذهن المهندس وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي ، وسابقاً عليه ، فالله تعالى يقدّر ثم يوجد على وفق تقدير بانيها . انتهى ملخصاً .

وذهب السبكي إلى ما هو أحسن وأبين ، وهو أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد ، فالإشارة : بـ « كنت نبياً » إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حباه الاطلاع عليها ، ثم إنه تعالى يؤتي كل حقيقة عهداً[٢] ما شاء في أي وقت شاء ، فحقيقته ﷺ قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام ، آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له ، وأفاضه عليها من ذلك الوقت ، فصار نبياً وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها . فنحو إيتائه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها مُعَجّل

= هريرة رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وانظر « جامع الأصول » (٨/ ٥٤٤) .

(١) في « ط » : « بعظيم شوقه » وهو خطأ .

(٢) مكانها في « ط » : « منها » والعهد هنا « الزمان » وانظر « لسان العرب » (عهد) .

لا تأخر فيه ، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطّاهرة إلى أن ظهر ﷺ ، ومن فَسَّر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى ، لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفْهَم منه أنه أمر ثابت له فيه ، وإلاّ لم يختص بأنه نبيّ ؛ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى .

وأخرج ابن سعد[1] عن الشعبي : متى استنبئت يا رسول الله؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق » ، وهو يدل على أن آدم عليه السلام لما صوّر طيناً استخرج منه ﷺ ، ونُبِّىءَ وأخذ[2] منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهره ليخرج أوان وجوده ، فهو أولهم خلقاً ، وخلق آدم السابق كان مواتاً لا روح فيه ، وهو ، ﷺ ، كان حياً حين استخرج ونُبِّىء وأُخذ منه الميثاق ، ولا ينافي هذا أنّ استخراج ذرية آدم إنّما كان بعد نفخ الروح فيه . لأنه ﷺ خُصّ من بين بني آدم بذلك الاستخراج الأول .

وفي « تفسير العماد ابن كثير »[3] عن علي وابن عباس رضي الله عنهم . في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران : ٨١] . أن الله لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأخذ العهد بذلك على قومه[4] .

وأخذ السبكي من الآية : أنه على تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم ، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلائق من آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته . فقوله : « وبعثت إلى الناس كافة »[5] يتناول

---

(١) في « الطبقات » (١/١٤٨) .

(٢) في « ط » : « ونبي أخذ » وهو خطأ .

(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (١/٣٨٦) طبعة دار المعرفة ، بيروت ، وقد نقل المؤلف عنه بتصرف .

(٤) تحرفت في « ط » إلى « قوله » .

(٥) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٣٣٥) باب رقم (١) ومسلم رقم (٥٢١) في =

من قبل زمانه أيضاً . وبه يتبين معنى : « كنت نبياً وآدم بين الرّوح والجسد »[1] . وحكمة كون الأنبياء في الآخرة تحت لوائه وصلاته بهم ليلة الإسراء .

وروى عبد الرزاق بسنده : أن النبي ﷺ قال : « إنّ الله خلقَ نورَ محمّد قبل الأشياء من نوره ، فجعل ذلك النُّور يدور في القدرة[2] حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوحٌ ولا قلمٌ » . الحديث بطوله[3] .

واختلفوا في أول المخلوقات بعد النُّور المحمدي . فقيل : العرش . لما صحّ من قوله ﷺ : « قدّر الله مقاديرَ الخَلْقِ قبل أنْ يخلقَ السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »[4] .

وصحّ : « أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : ربّي وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء » . لكن صحّ في حديث مرفوع : « أن الماء خُلِق قبل العرش » فعلم أن أول الأشياء على الإطلاق النّور المحمدي ، ثم الماء ، ثم العرش ، ثم القلم ، لما علمت من حديث : « أول ما خلق الله القلم » مع ما قبله الدالين على أن التقدير وقع بعد العرش ، والتقدير وقع عند خلق القلم ، فذكر الأولية فيه بالنسبة لما بعده .

وورد : لما خلق الله آدم جعل ذلك النّورَ في صلبه ، فكان يلمع في جبينه ، ولما توفي كان ولده شيث وصيّه ، فوصى ولده بما وصّاه به أبوه ، أن لا يوضع هذا النور إلا في المطهّرات من النساء ، ولم يزل العمل بهذه الوصية إلى أن

= المساجد : في فاتحته ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وانظر بقية تخريجه في « عمدة الأحكام » رقم (٤٢) .

(١) تقدم ص (١٩) .

(٢) في « ط » : « بالقدرة » .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢١٥٧) في القدر : باب (١٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١/ ١٢٩) لأحمد والترمذي والطبراني ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

وصل ذلك النّور إلى عبد الله مطهّراً من سِفَاح الجاهلية ، كما أخبر ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث .

وكانت ولادته ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول بعد الفيل بسنتين وشهرين ، وقيل : ليلة الجمعة السابع عشر من ربيع الأول [بعد الفيل][(١)] في زمن الملك أنوشروان[(٢)] ، وبُعِث إلى الأسود والأحمر والإنس والجن ، وكان له أربعون سنة . وقيل : ويوم . وكان بعد عشرين سنة من ملك أبرويز[(٣)] ، وأقام بعد البعثة في مكة ثلاث عشرة سنة على الأصح ، وقيل : خمس عشرة ، وقيل : عشراً .

ثم هاجر إلى المدينة ودخلها ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وأقام بها بالإجماع عشر سنين .

ففي السنة الأولى من المحرم : بنى مسجده ومسكنه[(٤)] ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وشرع الأذان[(٥)] .

وفي السنة الثانية منها : في صلاة العصر من نصف شعبان ، حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فدار ﷺ في ركوع الركعة الثانية ، ودارت الصفوف خلفه إلى الكعبة في مسجد بني سلمة ، فسمي مسجد القبلتين[(٦)] .

---

(١) ما بينهما سقط من (ط) .

(٢) هو أنوشروان بن قباذ بن فيروز ، انظر « المحبّر » ص (٣٦٢) و« المعارف » ص (٦٤٧) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٩١) وانظر الفهارس الخاصة به .

(٣) انظر « المحبّر » ص (٨) و« المعارف » ص (٦٤٩) و« تاريخ الطبري » (١/ ٣١٦) وانظر الفهارس الخاصة به .

(٤) في (ط) « وسكنه » .

(٥) انظر قصة الأذان وما يتصل بها في التعليق على « شذرات الذهب » (١/ ١٩٧) .

(٦) وذلك حين نزل قوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] وكان ذلك بعد وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة بستة عشر شهراً ، كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما ، من حديث البراء بن عازب =

وفي شعبان منها : فُرِض صوم رمضان[١] . وفيها : فرضت صدقة الفطر[٢] . وفي رمضان هذا كانت غزوة بدر[٣] . وفي شوال منها : بنى بعائشة رضي الله عنها . وفيها : تزويج فاطمة رضي الله عنها .

وفي السنة الثالثة منها : غزوة أُحُد يوم السبت السابع من شوال[٤] . ثم غزوة بدر الصّغرى[٥] في هلال ذي القعدة . وفيها : غزوة بني النّضير[٦] . وحُرمت الخمر[٧] . بعد غزوة أُحُد .

= رضي الله عنه . انظر « جامع الأصول » (٢/ ١٠ـ١٢) و« زاد المعاد » (٣/ ٦٦ـ٦٩) .

(١) انظر تفاصيل ذلك في التعليق على « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) .

(٢) انظر « جوامع السيرة النبوية » لابن حزم ص(٩٧) ، و« عيون الأثر » لابن سيد الناس (١/ ٣٧٣) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٢٧) وقال فيه ابن كثير : « وفُرِضَ صوم رمضان وفرضت لأجله زكاة الفطر قبيله بيوم » .

(٣) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤ـ١١٦) .

(٤) قال ابن العماد الحنبلي : والصواب أنها في الرابعة « شذرات الذهب » (١/ ١٢٠) وانظر التعليق عليه .

(٥) انظر « تاريخ خليفة بن خياط » (٦٧) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٠) وما بعدها فقد ذكر فيه من استُشهد في هذه الموقعة .

(٦) وتسمى (بدر الثالثة) وتسمى (بدر الموعد) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم (١٨٤) و« الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا » للكلاعي (٢/ ١٥٥) .

(٧) وذلك حين نزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤ـ١٠٠) . والأحاديث في تحريم الخمر كثيرة منها قوله ﷺ الذي رواه مسلم رقم (٢٠٠٣) وأبو داود رقم (٣٦٣٩) والترمذي رقم (١٨٦٢) والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٩٧) وابن ماجه رقم (٣٣٩٠) وأحمد في « المسند » (٢/ ١٦ و٢٩ و٣١ و١٠٥ و١٣٤ و١٣٧) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » ولقوله ﷺ الذي رواه أبو داود رقم (٣٦٨١) والترمذي رقم (١٨٦٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

قال ابن القيم : « فأما تحريم بيع الخمر ، فيدخل فيه تحريم بيع كل مسكر ، مائعاً كان أو جامداً ، عصيراً ، أو مطبوخاً ، فيدخل فيه عصير العنب ، وخمر الزبيب ، والتمر ، والذرة ، والشعير ، والعسل ، والحنطة ، واللقمة الملعونة ، لقمة الفسق والقلب ، التي =

وفي السنة الرابعة منها : غزوة الخندق ، وتُسمّى الأحزاب[1] وحاصروا المدينة خمسة عشر يوماً ، ثم هزمهم الله تعالى وحده . وفيها : قُصِرَت الصلاة ونزل التيمم .

وفي السنة الخامسة منها : غزوة ذات الرِّقَاع أول المحرم[2] . وفيها :

= تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن ، فإن هذا كله خمرٌ بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده ، ولا إجمال في متنه ، إذ صح عنه قوله : « كل مسكر خمر » وصح عن أصحابه رضي الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده : أن الخمر ما خامر العقل ، فدخول هذه الأنواع تحت اسم الخمر ، كدخول جميع أنواع الذهب والفضة ، والبُرِّ بالبُرِّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح إلا مثلاً بمثل » فكما لا يجوز إخراج صنف من هذه الأصناف عن تناول اسمه له ، فهكذا لا يجوز إخراج صنف من أصناف المسكر عن اسم الخمر ، فإنه يتضمن محذورين :

أحدهما : أن يخرج من كلامه ما قصد دخوله فيه .

والثاني : أن يشرع لذلك النوع الذي أخرج حكمٌ غير حكمه ، فيكون تغييراً لألفاظ الشارع ومعانيه ، فإنه إذا سمَّى ذلك النوع بغير الاسم الذي سمَّاه به الشارع ، أزال عنه حكم ذلك المسمَّى ، وأعطاه حكماً آخر .

ولما علم النبي ﷺ أن من أمته من يُبتلى بهذا ، كما قال : « ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » قضى قضيةً كليةً عامةً لا يتطرق إليها إجمال ، ولا احتمال ، بل هي شافية كافية ، فقال : « كل مسكر خمر » « زاد المعاد » (٥/ ٧٤٧ ، ٧٤٨) .

(١) وذكر بعضهم أنها كانت في السنة الخامسة ، انظر على سبيل المثال « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦٤ـ٥٨١) ولكن الصحيح ما ذكره المؤلف ، وذكره غيرُ واحدٍ من المؤرخين لما ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « عُرضت على النبي ﷺ يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني - يعني للقتال - وعُرضت عليه يوم الخندق ، وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني » .

قلت : وكانت غزوة أحد في السنة الثالثة بإجماع المؤرخين وأهل السيرة ، وعلى ذلك ، ونزولاً على ما تقدم من النص الحديثي ، فإن الخندق كانت في الرابعة .

(٢) وعن بعضهم في السنة الرابعة ، انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/ ٢٠٤) : وإنما قيل لها غزوة الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويُقال ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يُقال لها : ذات الرقاع .

قال السهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٢٤١ـ٢٤٢) بعد أن ذكر كلام ابن هشام =

صلى صلاة الخوف[1] ، وفيها : غزوة دومة الجندل[2] وغزوة بني قريظة .

وفي السنة السادسة منها : غزوة الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وغزوة بني المصطلق .

وفي السنة السابعة منها : غزوة خيبر .

وفي السنة الثامنة منها : غزوة مؤتة ، وذات السلاسل ، وفتح مكة في رمضان ، وغزوة حنين والطائف .

وفي السنة التاسعة منها : غزوة تبوك ، وتتابعت الوفود ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وفي السنة العاشرة منها : حجَّة الوداع[3] ، ووفاة إبراهيم[4] .

= المتقدم : « وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه » .

(١) وعند بعضهم أنها في الرابعة ، انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٠٤) .

(٢) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل وهو الحجارة ، انظر « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٧ـ٤٨٩) و« المغانم المطابة في معالم طابة » (١٣٩ـ١٤٢) .

(٣) إنّما سميت حجَّةَ الوداع لأنَّ الرسول ﷺ خطب فيها خطباً كثيرة ، كأنه ودَّع المسلمين بها ، ومات بعدها بفترة وجيزة ، ولم يحج ﷺ بعدما فُرض الحج سواها ، انظر تفاصيل ذلك في « السيرة النبوية » (٤/ ٦٠١ـ٦٠٦) و« جوامع السيرة » ص(٢٦٠) وما بعدها و« جامع الأصول » (٣/ ٤٥٨ـ٤٧٨) .

(٤) وذكر بعضهم بأنّ الشمسَ كُسِفَتْ يوم موته . انظر على سبيل المثال « شذرات الذهب » (١/ ١٣٠) وهو وهمٌ ممن ذكره بهذا المعنى ، لقوله ﷺ « إنَّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله ، يخوف الله بهما عباده ، وإنّهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته ، فإذا رأيتم منها شيئاً ، فصلوا وادعوا الله حتى ينكشف ما بكم » وهو عند البخاري رقم =

وتوفي ﷺ ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ومدة مرضه الذي توفي منه اثنا عشر يوماً ، وقيل : أربعة عشر يوماً . وكان عمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثلاثاً وستين سنة .

ومن أعظم معجزاته ﷺ القرآن كلام الله ، المتلو آناء الليل والنهار ، وقد أعجز الجن والإنس لا يقدرون على أن يأتوا بسورة مثله ، بل ولا بآية . وكل معجزات الأنبياء عليهم السلام انقطعت بموتهم إلاّ معجزته ﷺ . وانشق القمر كما نطق به القرآن ، وصحَّ من طرق . وكلّمه الضّب ، كما رواه الحاكم في « صحيحه » .

وأخبر أن خزائن كسرى تنفقها أمتي في سبيل الله ، وأن مُلك كسرى والروم يفتح ، فكان كذلك ، وأن المسلمين يقاتلون قوماً صغار الأعين عراض الوجوه ، ذلف الأنوف أي (فُطسها) . وأن الشام واليمن يفتحان . وأن أمته تفتح مصر : أرض يُذْكَرُ فيها القيراط . وأن أويس القرني يقدم في إمداد اليمن ، وكان به برص فبرىء إلا قدر درهم . وهاجت ريح شديدة فقال : « هذه الريح لموت منافق » .

قال جابر فقدمنا فوجدنا عظيماً من المنافقين قد مات . وأكل من شاة لقمة ، ثم قال : « هذه تخبرني بأنها أُخذت بغير إذن أهلها » . فإذا هو كما قال . وتحرك الجبل ، فقال : « اسكن فإنّما عليك نبي أو صدِّيق أو شهيدان » ، فسكن ، وكان هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، عليه[1] .

= (١٠٤١) و(١٠٥٧) و(٣٢٠٤) وعند مسلم رقم (٩١١) واللفظ له .

(١) جاء الحديث بهذا اللفظ في « كنز العمال » رقم (٣٣٠٩٦) وعزاه للطبراني من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه . وأوله : « اسكنْ حراء . . . » ورقم (٣٣٠٩٨) وعزاه لمسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولابن عساكر من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، والمشهور على ألسنة الناس ، وعند أهل العلم قوله ﷺ : « اسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) .

وفي « صحيح مسلم » : « أنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ مُلك أمتي ما زوي لي منها » .

وفي « البخاري » : نبع الماء من بين أصابعه بالحديبية فتوضؤوا وشربوا وهم خمس عشرة مائة ، ومرة أخرى وهم ثلاثمائة ، ومرة وهم ما بين السبعين إلى الثمانين . وحديث المزادتين . قال عمر : إنَّ شربنا منهما ونحن نحو الأربعين فلم تنقصا . وسبّح في كفِّه الحصىٰ . وكذلك الطعام كان يسمع تسبيحه وهو يؤكل . وسلّم عليه الحجر[1] . وشهد الذئب بنبوته . ومر في سفره ببعير يستقى عليه الماء فلما رآه جرجر[2] أي صوّت ، فقال : إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف . ومرّ ببعير آخر في حائط ، فلما رآه حنّ وذرفت عيناه ، فقال لصاحبه : إنك تجيعه . وشكى له بعيران عجز صاحبهما عن شدتهما . وجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عنده وهو نائم فسلمت عليه . وأمر شجرتين فاجتمعتا حتى قضى حاجته خلفهما ثم أمرهما فتفرقتا . ودعا عذقاً فنزل من جذعه حتى سقط في الأرض فجعل ينقز[3] في الأرض حتى أتاه ، ثم قال له : ارجع ، فرجع مكانه . وأمر بنحر ست بدنات فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ . وأُصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحُد حتى وقعت على وجنته فردها ﷺ بيده ، فكانت أصح عينيه وأحدَّهما ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وتفل في عين علي رضي الله عنه يوم خيبر ، وكان أرمد فبرىء من ساعته ، وأتاه وهو شاك فدعا له فما اشتكى وجعه ذلك . وكُسِرت رِجل عبد الله بن عتيك فمسحها ﷺ بيده فبرئت من وقته .

وأخبر أنه يقتلُ أُميةَ بن خلف فكان كما قال . وأخبر بمصارع المشركين ببدر : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، فلم يعدُ واحدٌ منهم مصرعه الّذي

---

(١) في « م » : « الطير » .

(٢) في « م » : « خرخر » . وصوابه من : « ط » . وجرجر ، معناه : ضجَّ وصَاحَ ، والجرجرةُ : صوت البعير عند الضجر ، اللسان (جرجر) .

(٣) نَقَزَ يَنْقُز ويَنْقِز : وثبَ صُعُداً ، اللسان (نقز) .

سماه . وأن طوائف من أمته يركبون البحر غزاة في سبيل الله كالملوك على الأسرّة ، وأن أمَّ حرام خالة أنس بن مالك منهم فكان كذلك . وأخبر أن عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى فَقُتِلَ صابراً . وقال للحسن رضي الله عنه : إن ابني هذا سيِّد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فسلَّم الأمر لمعاوية . وأخبر بقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة مقتله[1] وبمن قتله وهو بصنعاء من اليمن فجاء كما قال . وأخبر بمثل هذا عن كسرى فكان كذلك . وقال لرجل يدعي الإسلام وهو في القتال معه : إنّه من أهل النار ، فصدَّق الله تعالى قوله بأن نحر نفسه . وشُكي إليه قحط المطر وهو على المنبر ، فدعا الله وما في السَّماءِ قزعة ـ أي قطعة ـ سحاب فثار سحاب أمثال الجبال ، فمطروا إلى الجمعة الأخرى ، فشكي إليه كثرة المطر ، فدعا الله فرفعه في الحال . وأطعم أهل الخندق وهم ألفٌ من صاع شعير . وأطعم جماعة من تمر يسير لم يملأ كفيه . وأطعم في منزل أبي طلحة ثمانين رجلاً من أقراص شعير جعلها أنس تحت إبطه حتى شبعوا وبقي كما هو .

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزودَ أربعمائة راكب من تمر قليل ، فزودهم وبقي كأنه لم ينتقص . وأطعم الجيش من مزود أبي هريرة رضي الله عنه حتى شبعوا ثم ردَّ ما بقي منه وكان وضعه في يده ودعا له فأكل منه مدة حياة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فلما قتل عثمانُ ذهب وحمل منه نحو ثمانين وسقاً في سبيلِ الله . وأطعم في بنائه بزينب بنت جحش رضي الله عنها من قصعةٍ أهدتها له أم سُلَيْم خَلْقاً كثيراً ، ثم رُفِعتْ وهي كما هي . صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ولبعض فضلاء العصر قصيدة عظيمة في مدح النبي ﷺ ، أحببت أن آتي بها هنا بكمالها لينقطع بها ما أردناه في المقدمة من الكلام ، ولتكون لهذا التاريخ مسكَ الختامِ وهي : [من الكامل]:

---

(١) في « م » : « مطلحه » وهو خطأ وصوابه من « ط » .

إنِّي أرى في النَّوم أنّي في الكرى | واصَلْته يا ربِّ حقِّقْ ما جَرَى

لم يسرِ لي إلاّ خيالُ خيالِهم | ماذا على طيْفِ الأحبّة لو سَرَى

ولقد جرى كالنَّهر سائلُ مدمعي | أتُرى دَرَى ذاك الرَّقيبُ بما جَرَى[1]

أوقفت دمعَ العين [يجري في الهوى][2] | أنا لا أسائل هل درى أو ما درى

يا صاح قُمْ ودعِ التّواني واصطبح[3] | من بنت قشر بالجواهر تُشترى

هي قَهوةٌ بنِّيّةٌ قشريّةٌ | في طَيبةٍ تُجلى وفي أمِّ القُرى[4]

فاشربْ شرابَ الصَّالحين ولا تقُلْ | أدِرِ الزُّجاجةَ فالنَّسيمُ قدِ انبرى

فالصُّبحُ قد وافَتْ طلائعُ جيشه | والنَّجم قد صرف العِنان عن السُّرَى[5]

لا عيشَ إلاّ والشَّبيبةُ غَضَّةٌ | منها يكادُ الماءُ أنْ يتقَطّرا[6]

لله مجلسنا الأنيسُ وقد بدَتْ | فيه الغزال تصيدُ آسادَ الشَّرى[7]

سَفَرتْ فكانَتْ والبُدورُ طوالعٌ | منها ومن شمس الظّهيرَةِ أنْورا

خَطَرتْ فقامَ الغصنُ يلثمُ إثرها | ورَنَتْ فظلّ الظّبيُ منها أحْورا

ولقد نظرْتُ إلى الرِّياضِ ووجهِهَا | فرأيْتُ طلعتَها البهيّةَ أنضرا

---

(١) صدره في « م » : « ولقد جرىٰ دمعي دماً في وجنتي » .

(٢) ما بينهما غير مقروء في « م » .

(٣) في « م » : « العذول لقهوة » وقد أثبتت بخط مغاير .

(٤) طيبة ، بالفتح ، ثم سكون ، اسم لمدينة رسول الله ﷺ ، يقال لها طيبة وطابة من الطِّيب وهي الرائحة الحسنة ، وقيل : لطيبها لساكنيها ولأمنهم ودعتهم فيها ، وقيل من طيب العيش بها من طاب العيشُ إذا وافق ، وقال صِرْمة الأنصاري :

فلما أتانا أظهر اللهُ دينه | وأصبح مسروراً بطيبة راضيا

(معجم البلدان) (٤/ ٥٣) . وأمُّ القرى : من أسماء مكة وسميت أم القرى لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب ، وقيل لأنها توسطت الأرض ، وقيل لأن مجمعَ القرى إليها ، وقيل سميت أمّ القرى لأنها تُقصدُ من كلِّ أرض وقرية . (معجم البلدان) (١/ ٢٥٤) .

(٥) السُّرَى : سيرُ الليل عامَّته ، اللسان (سرا) .

(٦) في « م » : « يتفطرا » وهو تصحيف وأثبتنا لفظ « ط » .

(٧) الشَّرى : موضع بعينه تأوي إليه الأسْدُ ، اللسان (شري) .

أنْدى على الأكبادِ من قطْر النّدى — إن قَطَّـرَتْ ذاك اللُّمـيْ لـي قَطَّـرَا

وعَبَـابُهـا[1] أشهـى إلَـيّ مـنَ المُنـى — وألـذّ فـي الأجْفـان مـن سنـة الكـرى

ولقـد حَمَـتْ عنّـي سُـلافَـةَ[2] ريقهـا — ظنّـاً بـأنّـي لا أحـبُّ المُسْكـرا

مَـنْ قـال إنّ سـلافَ فيـك محـرَّمٌ — يـا مُنْيَتـي مـا قـالَ إلاّ مُنْكـرا

رامَـت تصيـد حُشـاشتـي قلـت لهـا — فالصَّيد كلُّ الصَّيْدِ في جوفِ الفَرا[3]

شهرت سيُوف لحاظها تبغي[4] الحشا — فسعَـى إليهـا بـالـدِّمـاءِ مُشْهِـرا

صـدّت وألـوت عـن محـبٍّ صـادقٍ — مـا كـان صـدّك لـي حـديثـاً يُفْتـرى

ولقـد سـرَتْ لـي مـن حِمـاهـا نسْمـةٌ — فنَشقْتُهـا ودرى الفـؤاد بمـا درى

ويـلاهُ مـا أذكـى عبيـر تُـرابهـا — قـد فـاقَ كـلَّ الطِّيـب حتّـى العَنْبـرا

يـا دارهـا مـا أنـت إلاَّ جنّـة — يـا ريقهـا مـا أنـتَ إلاّ كـوثـرا

يـا لفْظَهـا يـا ثَغْـرهـا يـا نَحْـرهـا — مـا أنـت يـا ذا العقـد إلاّ جَـوْهـرا

سـاومـتُ مبْسمَهَـا بِـدرٍّ[5] مـدامعـي — أن يشتـري دُرّاً فهـذا المُشتـرى

لكـنْ رأيـتُ الـدَّهـرَ غيـرَ مُسـاعـدٍ — ورأيـتُ منـه مـا لِعقلـي أبْهَـرا

---

(١) العَبَابُ ـ كما في (ط) ـ من العَبِّ : شربُ الماء من غير مصٍ ، وقيل أن يشرب الماء ولا يتنفس ، وفي (م) : « عِيابها » بالياء ، جمع عَيْبَةٍ : موضع سر الرجل ، والعرب تكني بهذه الكلمة عن الصدور والقلوب ، اللسان (عيب) وما ورد في (ط) هو المناسب لسياق النص .

(٢) السُّلافة : أول كلِّ شيء عُصر ، والسُّلافة من الخمر : أخلصُها وأفضلُها ، وذلك إذا تحلَّبَ من العنب بلا عصر ولا مَرْث ، اللسان (سلف) .

(٣) هو مثل قاله النّبي ﷺ حين استأذن أبو سفيان عليه ، فحُجب قليلاً ثم أُذن له ، فلما دخل عليه قال : « ما كدت تأذن لي حتىٰ تأذن لحجارة الجلهتين » فقال ﷺ هذا القول يتألفه علىٰ الإسلام ، والجلهة : ناحية الوادي ، « البيان والتبيين » (٢/١٦) وانظر « الحيوان » (١/٣٣٥) . و« مجمع الأمثال » ٢/١٣٦

(٤) في « ط » « تنعي » وهو خطأ .

(٥) في « ط » : « بدراً » وهو خطأ والصواب ما جاء في « م » والسَّوْم : عرض السلعة على البيع ، وساومْتُ : غاليت ، اللسان (سوم) .

صبراً لهـذا الـدّهـر في تصريفـه ... صبـراً على مـا في فـؤادي أسْعَـرا

إنّـي لأصبـرُ والخطُـوبُ جليلـةٌ ... وعلـى العظـائـم كلِّهـا لـنْ يصبـرا

وإذا عَـرَتْنـي فـي الأمـور ملمّـةٌ ... أو كـرْبـةٌ مـالـي سـوى خيـرِ الـورى

طـه أجـلّ الأنبيـاء إمـامهـم ... مَـنْ فـاقَ كـلَّ المسلمين بلا مِـرَا[١]

الحـامـدُ المحمـودُ أكـرم مُـرسـلٍ ... وهـو المشفّـع إذ يـروم المَحْشـرا

ولَـهُ الشّفـاعـة فـي الخَـلائـق كلّهـمْ ... فصـل القضـا وأجـلّ منـه وأكبـرا

ولـه الـوسيلـة وهـي أعلـى رتبـةٍ ... ولـه اللّـوا أعظِـم بـذلـك مَفْخَـرا

كـلّ الخـلائـق تحـت ظـلٍّ لـوائـه ... أكـرِم بعسكـره المكـرَّمِ عسْكـرا

لِلْعـرضِ بـاتُـوا والـوجـوه منيـرةٌ ... كُـلاً تـراه مُهَلِّـلاً ومُكبِّـرا

إنْ مسّهم ظماً[٢] فحوضُ المصطفى ... يـرِدون منـه فـي القيـامـة كـوْثَـرا

يـا أُمّـةَ المُختـارِ شـرِّفتُـمْ بِـهِ ... وعَلَـوتُـمُ أممـاً وكنْتُـمْ أخْيَـرا

فـالحمـد لله الّـذي قـد خصّنـا ... بنبيِّـه وحبيبـه خيـر الـورى

هـو أحمـدٌ ومحمّـدٌ ولـه لِـوا ... ءُ الحمْدِ محمود المقام وقدْ سَرَى

نحـو السمـاواتِ العُلَـى لَيْلاً علـى ... ظهْـر البُـراق فنـالَ مـا لـم يُحْصـرا

ولقـد رأى ربَّ العبـادِ بعينـه ... تـالله مـا هـذا حـديـثٌ يُفْتـرى

مـن حيـثُ لا جهـةٌ ولا أيـن وقـد ... جـاء الحـديـثُ بصدْقِ ذلـك مُخبـرا

أوْحـى إليـه اللهُ مـا أوحـى وقـدْ ... وافـى لمضجعـه وقـد حمَـد السّـرى

الله أكبـر يـا لَهـا مـن رُتْبـةٍ ... مـا نـالهـا أحـدٌ سـواه إذا تـرى

الله أكبـر يـا لَهـا مـن مِـزَة[٣] ... قد خَصَّها المولى الحبيبَ الأكبَرا

فليهْنِـهِ[٤] مـا قـد رأى مـنْ ربِّـه ... وليَهننـا مـن فضلـه مـا قـد نَـرى

---

(١) مِرا ، أصله المِراء : المماراة والجدل .

(٢) في « م » و « ط » « ظماء » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٣) مِزَة : من المِزّ : الفضل ، ويقال : هذا شيءٌ له مِزٌّ على هذا أي فضل ، اللسان (مزز) .

(٤) في « ط » : « فليهنأ » وهو مما لا يستقيم به الوزن ، وصوابه في « م » .

اللهُ أكــرمــه بــوحــي مُنْـزَلٍ ... فـأتاه جبريـلُ الأمينُ على حِرَا[1]

فـدعـا إلـى سُبُـلِ النّجاةِ مبشِّراً ... وعـن الغـوايـة قـد نهـانـا مُنْـذرا

خَتَمَـتْ شـريعتـه الشـرائـع كُلَّهـا ... إذْ كـان فـي أمِّ الكتـاب مصـدَّرا

كـم مُعجِـزاتٍ مُحْكـم آيـاتهـا ... كـم بينـاتٍ بـاهـراتٍ للـورى

مُـزَّمِّـلٌ مُـدَّثـرٌ أسمـاؤه ... أكْـرِمْ بـه مُـزَّمِّـلاً مُـدَّثِّـرا

إنّـي إذا مـارسـتُ مـدْحَ المصطفـى ... فـأنـا الخطيبُ وقـد عَلَـوْتُ المِنْبـرا

وإذا نَظَمـتُ قـلائـداً فـي مَـدحِـهِ ... تـالله مـا نظَّمْـتُ إلاَّ جـوهـرا

أو مـا رأيْـتَ المسْـكَ وهـو مضـرّجٌ ... لمّـا أتيـتَ بمـا يفـوقُ العَنْبـرا

ها قد وجدتُ حَلاوةً في مَطْعمي[2] ... ذوقـوا فمـي تجـدوا حـلاهُ سكّـرا

وكـذاك فـي شمِّـي وجـدت طـلاوةً ... عـرفـاً تـأرُّجُـهُ يفـوقُ العَبْهـرا[3]

وكـذاك فـي سمْعـي وجـدْتُ لـذاذةً ... لمّـا سمعـتُ حـديثـه مستبشـرا

وكـذاك فـي بصـري رأيـتُ بصيـرةً ... لمّـا نقـابُ الحُجْـب عنّـي أسْفـرا

وكـذاك فـي لمسي شَهـدْتُ تفـاوتـاً ... مـذ لامسـت كفّـايَ هـاتيـك الثّـرى

هـذي الظّـواهِـرُ والبـواطـنُ مثلهـا ... إن شـاء ربِّـي قـطّ لا يستكثـرا

فـي جنـب مـدحتـه وفضـل جنـابـه ... ذا هيّـن والله يعطـي أكثـرا

ولسوفَ يُعطي في القيامة مثل ما ... أعطـاه فـي الـدُّنيـا ومـا لـم يُحْصـرا

يـا ربِّ بـالمختـار طـه جُـدْ لنـا ... بالعَفْو منك وهَبْ لنا خير القِرى[4]

فبـهِ تـوسّلنـا إليـك ومَـن يكُـنْ ... طَـه وسيلتـه فقـد نـال الكَـرا[5]

---

(١) حِرَا ، أراد حِرَاء : بالكسر ، والتخفيف ، والمدِّ : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال ، وهو معروف ، وكان النبي ﷺ ، قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل ، معجم البلدان (٢/ ٢٣٣) .

(٢) في (ط) : « مطمعي » وهو خطأ .

(٣) العبهر : الياسمين والنرجس .

(٤) في (ط) : « القوى » بالواو ، وهو خطأ لاختلاف الروي . والقِرى : الضِّيافة .

(٥) أراد : الكَرَامَةَ ، فحذف ، وذلك جائز للضرورة ، ونحوه قول لبيد : « دَرَسَ المَنَا بِمتالعٍ =

يـا سَيِّـد الشُّفعـاء دينُـك ملَّتـي وعليـه أرجـو أن أُوسـد فـي الثّـرى

وأجيـب عنـه بفضـل ربِّـي ثـانيـاً وعليـه أرجـو أنْ أقـومَ وأُحْشَـرا

يـا سيِّـدي فـاشْفَـعْ لعبـدٍ مُـذْنـبٍ ركـبَ الـذُّنـوب مفـرِّطـاً ومُقَصِّـرا

وأطـال فـي ليـلِ الجهـالـة رَكْضَـه[1] حتّـى إذا صُبْـحُ الحقيقـةِ أسْفَـرا

أضحـى ولا عمَـلٌ لـديـه ولا لـه أمـلٌ يـرجِّيـه إذا خَطْـبٌ عَـرَا

إلاّ تمسُّكـه بحبِّـك سيِّـدي فهـو النّجـاة لـه إذا فُصِمَـتْ عُـرَى

فعليـك صلّـى اللهُ مـا وَدْقٌ هَمَـى وعليـك صلّـى الله مـا بـرقٌ شَرَى[2]

وعليـك سلّـم كلّمـا حـجّ الـورى أو أَمّـك الـزّوار مـن أمّ القـرى

وكـذاك آلـك والصحـابـة كلّهـم ما أَمّكَ العافون أو ركبٌ سرى[3]

أو يمَّـمَ السَّـارون نحْـوَكَ طُلَّبـاً سَهِرُوا وقد وافوك يلتمسوا الكِرى[4]

وفدوا وقد حطّوا بِسُوحِكَ رحْلهمْ فَقَبِلْتَ زوْرتَهـم وفـازُوا بـالقِرى[5]

يـا ربِّ صـلِّ علـى الحبيـب وآلـه والصَّحـبِ مـا صُبْحُ السَّعـادةِ أَسفرا

وكـذا السّـلام عليـه ثـمّ عليهـم كـرّره مـا أحلـى ثنـاه مكـرّرا

لا سيَّمـا الصِّـدِّيـقُ ثـانـي اثنيـن مَـنْ بالصِّدْقِ والتَّصديق قد بهر الورى

وكـذلـكَ الفـاروق مـن أردى العِـدى والـدِّيـنُ نـالَ بعـزِّه أوجَ الـذُّرى

وكـذاكَ ذو النُّـوريْـن عثمـانُ الَّـذي يتنـوّرُ المحـرابُ منـه إذا قَـرَا

= فأبانِ » أراد : المنازل وانظر (ضرائر الشعر) ص(١٤٢) .

(١) في (ط) « ركْضَةً » .

(٢) الوَدْقُ : المطر شديدُه وهيّنه . وهمى : صبَّ . وشري البرقُ واستشرَى إذا تتابع لمعانه ، اللسان (ودق) و(همي) و(شري) .

(٣) العافون : الأضياف وطلاب المعروف ، وقيل : هم الذين يَعْفونك أي يأتونك يطلبون ما عندك ، اللسان (عفا) .

(٤) يلتمسوا ، الأصل : يلتمسون ، حذف علامة الرفع للضرورة الشعرية ، ونحوه قول أيمن بن خُريم : « وإذا يغصبوا الناسَ أموالهم » وانظر « ضرائر الشعر » ص(١١٠) ، والكِرى : الأجر والثواب .

(٥) السُّوح : جمع ساحة .

وكذا أبو السِّبطين صِنْو[1] المصطفى بعْـلُ البَتـول ومـن يسمّـى حَيْـدَرا
وكـذاكَ كـلُّ الآلِ والأَصحـاب والـ ـأزواج أكـرمْ بـالقـرابـةِ مَعْشَـرا
وكـذاكَ تـابعهـم وتـابـعُ تـابـعٍ بـالخيـر يقفـو الأثْـرَ حتّـى المحْشرا
يـا ربِّ واختـمْ لـي بخيـر إنَّنـي مُتَـوَسِّـلٌ بـالمصطفـى خيـرِ الـوَرَى

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من التاريخ فنقول[2] وبالله التوفيق :

* * *

---

(١) في (ط) : « صِنْوا » وهو خطأ ، وصوابه من (م) .
(٢) في (ط) : « فنول » وهو خطأ .

سنة إحدى وتسعمائة

● توفي الشيخ عبد الرحمن بن علي بن صالح ، أبو زيد ، المكودي[1] نسباً ، الفاسي ، المكي ، شارح « الأجرومية » .

● وفيها : عند غروب الشمس يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة توفي **سلطان الديار المصرية الملك قايتباي[2] الجركسي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري** ، وصلي عليه يوم الاثنين ، وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلفه مثله في الجراكسة ، بل قيل : إنّه لم يمكثْ أحدٌ في المملكة قدر مدته ، فكانت قريب ثلاثين سنة ، وصلي عليه في المساجد[3] الثلاثة ، وختم له فيها بعدة ربعات . أحد ملوك الديار المصرية ، والحادي والأربعون من ملوك الترك البهية ، بقية الملوك العظام ، وخاتمة النظام ، ولد تقريباً سنة بضع وعشرين وثمانمائة ، وقدم مع تاجره محمد بن رستم في سنة تسع وثلاثين ، فاشتراه الأشرف برسباي ، ثم صار إلى الملك الظاهر فأعتقه ، ولم يزل عنده يترقى من مرتبة (إلى مرتبة)[4] إلى أن صار الملك ، وذلك في سنة اثنتين وسبعين . وكان بعض أولياء الله تعالى قد أشار إلى ملكه قبل أن يفضي إليه الملك بزمان ، فقال له في واقعة : قم أنت أيها الملك الأشرف قايتباي . وحكي مثل ذلك عن

---

(١) ترجمته وأخباره في « الضوء اللامع » (٢/ ٩٧) و« بغية الوعاة » (٢/ ٨٣) و« نيل الابتهاج » ص(١٦٨ـ١٦٩) و« الكواكب السائرة » (١/ ٢٥٤) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٩) و« معجم المؤلفين » (٣/ ١٥٦) و« الأعلام » (٣/ ٣١٨) .

(٢) ترجمته وأخباره في « الضوء اللامع » (٣/ ٢٠١ـ٢١١) و« بغية الوعاة » (٢/ ١٢٢) و« الكواكب السائرة » (١/ ٢٩٧ـ٣٠٠) و« شذرات الذهب » (١٠/ ١٢ـ١٤) و« الأعلام » (٥/ ١٨٨) .

(٣) في (ط) : « المسجد » وصوابه من (م) .

(٤) ما بينهما سقط من (ط) .

آخر ، بل أرسل إليه مع بعض خاصته بالبشارة بذلك ، فخشي صاحب الترجمة أن يناله بسوء من المتولي إذ ذاك بسبب هذا الإيعاد[1] ، واستبعد وقوع هذا الأمر غاية الاستبعاد .

ورأى بعضهم كأن شجرة رمان ليس بها سوى حبة واحدة ، وأن صاحب الترجمة بادر قطعها ، فتأوله الرائي بأخذه للملك وأعلمه بذلك ، فأمره بإخفاء هذا المنام لذلك أيضاً . ولما استقر في المملكة أخذ في الحل والعقد والعزل والعهد ، ولم يكن في زمنه منازع ولا مدافع . وطالت أيام دولته السعيدة ، وسار في الناس السيرة الحميدة ، واجتهد في بناء المشاعر العظام بحيث وقع له من ذلك ما لم يتفق لغيره من ملوك الإسلام ، كعمارة مسجد الخيف بمنى ، وحفر بنمرة صهريجاً ذرعه عشرون ذراعاً ، وعمّر بركة خليص ، وأجرى العين الطيبة إليها ، بل أصلح المسجد الذي هناك بحيث عم الانتفاع بكله للقاطن والسالك ، وعمّر عين عرفة بعد انقطاعها أزيد من قرن ، وعمَّر سقاية سيدنا العباس ، وأصلح بئر زمزم والمقام ، وجهز في سنة تسع وسبعين للمسجد منبراً عظيماً ونصبه[2] في ذي القعدة ، وكان يرسل للكعبة الشريفة بكسوة فائقة جداً في كل سنة ، وأنشأ بجانب المسجد الحرام عند باب السلام مدرسة عظيمة ، بها صوفية وتدريس ، وفقراء ، وخزانة للربعات وكتب العلم ، وبجانبها رباط للفقراء والطلبة مع إجراء القوت لهم في كل يوم ، وسبيل عظيم للخاص والعام ، ومكتب للأيتام ، وكذا أنشأ بالمدينة النبوية مدرسة بديعة بهية ، بل بنىٰ المسجد الشريف بعد الحريق ، وجدد المنبر والحجرة والمصلى النبوي إلى غيرها من المحراب العثماني والمنارة الرئيسية بدءاً على عود ، بل رتب لأهل السنة من أهلها ، والقادمين عليها ، من كبير وصغير ، وغني وفقير ، ورضيع وفطيم ، وخادم وخديم ما يكفيه من البر ، ومن الدشيشة[3]

---

(١) في (ط) : « الإبعاد » بالباء ، وهو خطأ ، وصوابه من (م) .

(٢) أراد : وضعه وأقامه . والنَّصُّ : رفعك الشيء وإظهاره اللسان (نصص) .

(٣) الدَّشيشة : لغة في الجَشِيشة ، وقيل : لُكْنة . والجشيشُ والجشيشةُ : الحبُّ حين يُدق =

والخبز ما تيسر ، وعمل أيضاً ببيت المقدس مدرسة كبيرة ، بها شيخ وصوفية ودرسة[1] ، وغير ذلك مما يطول ذكره .

قال السخاوي : وبالجملة : فلم يجتمع لملك ممن أدركناه ما اجتمع له ، ولا حوى من الحِذق والذَّكاء والمحاسن مجمل ما اشتمل عليه ولا مفصله . وربما مدحه الشعراء ولا يلتفت إلى ذلك ، ويقول : لو اشتغل بالمديح النبوي كان أعظم من هذه المسالك . وترجمته تحتمل مجلدات .

قال : وله تهجد وتعبد ، وأوراد وأذكار ، وتعفف وبكاء من خشية الله تعالى ، وميل لذوي الهيئات الحسنة والصفات ، وتلاوة ومطالعة في كتب العلم والرقائق[2] وسير الخلفاء والملوك ، بحيث يسأل القضاة وغيرهم الأسئلة الجيدة ، وربما أفادهم في بعض الأحيان ، والاعتراف من نفسه بالتقصير والاعتقاد فيمن يثبت عنده صلاحه من الصلحاء والعلماء .

قال : وتكرر توجهه[3] لبيت المقدس ، والخليل ، وثغور دمياط واسكندرية ، ورشيد ، وأزال كثيراً من الظلامات الحادثات ، وزار من هناك من السادات . بل حج في طائفة قليلة سنة أربع وثمانين ، ووهب وتصدَّق ، وأظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ما عُدَّ من حسناته .

قال : وبلغني عن بعض الصالحين أنه أخبر برؤية النبي ﷺ في المنام تلك الأيام ، وأخبر بأنه من الفرقة الناجية . قال : وقد حجّ قبل ترقيه في زمن الظاهر ، وذلك في سنة سبع وأربعين ، وكذا أنفق أموالاً عظيمة في غزو[4]

= ويُطْحنُ ، وقيل : حينَ يُطبخ ويُلْقى عليه اللحم أو التمر ، فهذا الجشيش ، ويُقال لها دَشِيشة ، وانظر « اللسان » (دشش ، جشش) .

(١) الدُّرَسَةُ : الرياضة والمدارسة وتعهد الشيء ، « اللسان » (درس) وأراد تهذيب النفس وتطويعها للخير .

(٢) في (ط) : « والدقائق » وهو خطأ .

(٣) في (ط) : « وجهه » .

(٤) في (ط) « غزوة » وهو خطأ .

الكفار ، ورباط الثغور ، وحفظ الأمصار . رحمه الله تعالى .

● وفيها : قُدِمَ إلى مدينة زَبيد ، بكتاب « فتح الباري شرح البخاري » للحافظ شهاب الدين ابن حجر[١] من البلد الحرام ، وهو أول دخول اليمن . وكان السلطان عامر أرسل لاشترائه فاشتراه بمال جزيل ، ثم قدم به الرسول إلى مدينة زبيد ، ثم توجه به إلى باب السلطان ، فواجهه به في مدينة « تعز » . وهذا الكتاب من آيات الله الكبرى .

● وفيها : حصل طوفان عظيم من ناحية بحر الهند غرق منه في بندر الديو[٢] عشرة مراكب ، وفي الباحة أربعة مراكب ، وتلف فيها من الأموال ما لا ينحصر ، وتغيرت أربعة مراكب ، وانكسرت أدقالهم[٣] . ورموا من حملهم أكثر من النصف . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

---

(١) قلت : واسمه الكامل : « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » وهو من خيرة الشروح لحديث رسول الله ﷺ ، حتى قيل فيه : « لا هجرة بعد الفتح » أي لا شرح لصحيح البخاري بعد شرح الحافظ ابن حجر ، وقد طبع عدة طبعات : أفضلها التي رقمها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وأشرف على تصحيحها وتدقيقها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ونشرتها المكتبة السَّلفية بالقاهرة لصاحبها الأستاذ محب الدين الخطيب ، ثم أعادت طبعها مصورة دار المعرفة ببيروت ، وتقع في ثلاثة عشر مجلداً إضافة إلى مجلد لمقدمته الجليلة القدر ، وهو المعتمد في التخريج لأحاديث « صحيح البخاري » ولكنه بأمس الحاجة إلى إعادة إخراجه في طبعة جديدة محققة ومخرَّجة ومفهرسة .

(٢) الديو (Diu) : جزيرة صغيرة طولها سبعة أميال ، تقع قرابة شاطىء الهند عند جيجرات ، استولى عليها البرتغاليون سنة ١٥٣٥ م (٩٤٢ هـ) عن « غاية الأماني » (٢/ ٦٢٣ حاشية المحقق) .

(٣) الأدقال جمع الدَّقل ، وهو خشبة طويلة تشدُّ في وسط السفينة يُمَدُّ عليها الشِّراع . (اللسان) (دقل) .

سنة اثنتين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد وقت العصر الثامن والعشرين من شهر شعبان : **توفي الشيخ العلامة الرُّحلة الحافظ ، أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي**[1] **الأصل ، القاهري ، الشافعي** ، بالمدينة الشريفة ، حال مجاورته الأخيرة بها ، وعمره إحدى وسبعون سنة ، وصُلي عليه بعد صلاة الصبح يوم الاثنين ثاني تاريخه بالرَّوضة الشريفة ، ووقف بنعشه تجاه الحجرة الشريفة ، ودفن بالبقيع بجوار مشهد الإمام مالك ، وكانت جنازته حافلة ، ولم يخلفه بعد مثله في مجموع فنونه . وكانت ولادته في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وحفظ القرآن العظيم وهو صغير وجوَّده ، ثم حفظ « المنهاج الأصلي » ، و « ألفية ابن مالك » ، و « النخبة » ، و « ألفية العراقي » ، و « شرح النخبة » ، وغالب « الشاطبية » ، و « مقدمة الشاوي » في العروض ، وكلما انتهى حفظه لكتاب عرضه على شيوخ عصره .

وبرع في الفقه والعربية والقراءات[2] وغيرها ، وشارك في الفرائض والحساب والميقات وأصول الفقه والتفسير وغيرها ، وأما مقروءاته ومسموعاته فكثيرة جداً لا تكاد تنحصر . وأخذ عن جماعة لا يحصون ، حتى بلغت عدة من أخذ عنه زيادة على أربعمائة نفس . وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإملاء .

---

(١) ترجمته لنفسه في كتابه « الضوء اللامع » (٨/ ٢ـ٣٢) وهي ترجمة مطولة ، وله ترجمة في « نظم العقيان » (١٥٢ـ١٥٣) ، و « الكواكب السائرة » (١/ ٥٣) ، و « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٣ـ٢٥) ، و « البدر الطالع » (٢/ ١٨٤ـ١٨٧) و « معجم المؤلفين » (١٠/ ١٥٠) ، و « الأعلام » (٦/ ١٩٤) .

(٢) في (ط) : « القراءة » .

وسمع الكثير من الحديث على شيخه إمام الأئمة الشهاب بن حجر ، وأقبل عليه بكليته إقبالاً يزيد على الوصف حتى حمل عنه علماً جمّاً ، واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه ، وأعانه على ذلك قرب منزله منه ، وكان لا يفوته مما يقرأ عليه إلاّ النادر . وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه ، وسمع عليه جلَّ كتبه « كالألفيّة » و « شرحِها » مراراً ، و « علوم الحديث » إلاّ اليسير من أوائله لابن الصلاح ، وأكثر تصانيفه في الرجال وغيرها « كالتقريب » ، وثلاثة أرباع أصله ، و « اللسان » بتمامه ، و « مشتبه النسبة » ، و « تخريج الزاهر » ، و « تلخيص مسند الفردوس » ، و « المقدمة » ، و « أماليه الحلبية » ، و « الدمشقية » ، وغالب « فتح الباري » ، و « تخريج المصابيح » ، و « ابن الحاجب الأصل » ، و « تعليق التعليق » ، و « مقدمة الإصابة » ، وجملة يطول تعدادها . وفي بعضه ما سمعه أكثر من مرة ، ولم يفارقه إلى أن مات . وأذن له في الإقراء والإفادة والتصنيف ، وتدرب به في معرفة العالي والنازل ، والكشف عن التراجم والمتون ، وسائر الاصطلاح ، وغير ذلك .

وجاب البلاد وجال ، وجدّ في الرحلة ، وارتحل إلى حلب ودمشق ، وبيت المقدس ، والخليل ، ونابلس ، والرملة ، وحماه ، وبعلبك ، وحمص . بحيث أن الذي سمع عنهم يكونون قريب مائة نفر ، بل زاد عدد من أخذ عنه من الأعلى والدُّون والمساوي على ألف ومائتين ، والأماكن التي تحمل فيها من البلاد والقرى على الثمانين .

واجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف ، وهي تتنوع أنواعاً تنيف على العشر حسبما ذكره مستوفى في ترجمته من « تاريخه »[1] . وأعلى ما عنده من المروي ما بينه وبين الرسول ﷺ بالسند المتماسك[2] ؛ فيه

(١) انظر « الضوء اللامع » (٢-٣٢) .

(٢) في (ط) « المتماسكة » .

عشرة أنفس وأكثر منه . وأصح ما بين شيوخه وبين النبي ﷺ فيه العدد المذكور . واتصلت له الكتب الستة ، وكذا حديث كلٍّ من الشافعي ، وأحمد ، والدارمي بثمانية وسائط ، وفي بعض الكتب الستة كأبي داود من طريق آخر ، وأبواب في النسائي ما هو سبعة ـ بتقديم المهملة ـ واتصل له حديث مالك وأبي حنيفة بتسعة ـ بتقديم المثناة ـ .

وحجّ بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه ، ولقي جماعة من العلماء ، فأخذ عنهم كأبي الفتح الأغر ، والبرهان الزمزمي ، والتقيّ ابن فهد ، وأبي السعادات ابن ظهيرة ، وخلائق . ثم زار المدينة الشريفة ، ورجع إلى القاهرة ملازماً للسماع والقراءة والتخريج ، والاستفادة من الشيوخ والأقران من غير فتور عن ذلك ، ولم يزل يجتهد في السماع ويرحل إلى الأقطار حتى وصل إلى ما وصل إليه .

وخصَّه بعض شيوخه على عقد مجلس الإملاء ، فامتثل إشارته فأملى حتى أكمل تسعة وخمسين مجلساً ، ثم توجه إلى الحج في سنة سبعين فحج وجاور ، وحدث هناك بأشياء من تصانيفه وغيرها ، وأقرأ ألفية الحديث تقسيماً ، وغالب شرحها لناظمها ، والنخبة وشرحها ، وأملى مجالس بالمسجد الحرام .

ولما رجع إلى القاهرة شرع في إملاء تكملة تخريج شيخه للأذكار ، ثم إملاء تخريج أربعين النووي ، ثم غيرها ، بحيث بلغت مجالس الإملاء ستماية مجلس فأكثر . وكذا حج في سنة خمس وثمانين ، وجاور سنة ست ، ثم سنة سبع ، وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة النبوية ، ثم في سنة اثنتين وتسعين ، وجاور سنة ثلاث ، ثم سنة أربع ، ثم في سنة ست وتسعين ، وجاور إلى أثناء سنة ثمان فتوجه إلى المدينة النبوية ، فأقام بها شهراً ، وصام رمضان بها ، ثم عاد في شوالها إلى مكة ، ومكث بها ما شاء الله ، ثم رجع إلى المدينة وجاور بها إلى أن مات . وحمل الناس

من أهلهما والقادمين عليهما عنه الكثير جداً رواية ودراية ، وحصلوا من تصانيفه ، مع ملازمة الناس في منزله للقراءة دراية ورواية في تصانيفه وغيرها بحيث خُتم عليه ما يفوق الوصف من ذلك ، وأخذ عنه من الخلائق ما لا يحصى كثرة .

وشرع في التصنيف والتخريج قبيل الخمسين ، وهلم جرّاً[1] . وتصانيفه إليها النهاية في الشهادة له لمزيد علوه وفخره . ومن تصانيفه « فتح[2] المغيث بشرح ألفية الحديث »[3] ، وهو مع اختصاره في مجلد ضخم وسبك المتن فيه على وجه بديع لا يعلم في هذا الفن أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبَّره ، وتوضيح لها[4] حاذى به المتن بدون الإفصاح . « والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة »[5] ، وهو كتاب جليل لم يسبق إلى مثله ، مفيد في بابه جداً . و « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع »[6] وهو في غاية الحسن . و« الضوء اللامع لأهل القرن التاسع »[7] . يكون ست مجلدات . و « عمدة المحتج في حكم الشطرنج » . و « المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي » . و « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » في مجلد ضخم[8] ، وربما يكتب في

---

(١) هَلُمَّ : كلمةٌ يراد بها الدُّعاء إلى الشيء كـ (تعال) فتكون لازمة ، وقد تستعمل متعدية نحو (هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ) أي : أحضِروهُمْ ، وهي من أسماء الأفعال . والجرُّ مصدر ، ومعناه : الجذب ، ونصب جرّاً على المصدر أو الحال .

(٢) في (ط) « فسح » وهو خطأ وصوابه من (م) .

(٣) انظر حاشية الشذرات رقم (١) ١٠/ ٢٤ .

(٤) في (م) و (ط) « توضح له » وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه .

(٥) انظر : حاشية الشذرات رقم (٣) ١٠/ ٢٤ .

(٦) انظر حاشية الشذرات رقم (٥) ١٠/ ٢٤ .

(٧) انظر حاشية الشذرات رقم (٢) ١٠/ ٢٤ .

(٨) حققه (إبراهيم باجس عبد المجيد) ونشرته دار ابن حزم ببيروت في ثلاث مجلدات سنة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

مجلدين ، و « التاريخ المحيط » وهو في نحو ثلاثمائة ورقة على حروف المعجم ، لا يعلم من سبقه إليه . و « تلخيص تاريخ اليمن » . و « منتقى من تاريخ مكة » للفاسي . و « الفوائد الجلية في الأسماء النبوية » . و « الفخر العلوي في المولد النبوي » . و « ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف » . و « الإيناس بمناقب العباس » . و « رجحان الكفة في بيان أهل الصفة » و « الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل » . و « القول المتين في تحسين الظن بالمخلوقين » ، وغير ذلك[1] .

وقرَّظ[2] أشياء من تصانيفه غير واحد من أئمة المذهب ، كالحافظ ابن حجر ، والجلال المحلِّي ، والعلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والتقي الحصني ، والعيني ، والكافياجي ، وتناقلها الناس إلى كثير من البلدان والقرى ، وكتب الأكابر بعضها بخطوطهم حتى قال بعضهم : إن لم تكن التصانيف هكذا وإلا فلا .

● فائدة :

وكان شيخه شيخ الإسلام ابن حجر يُحبه ويُثني عليه ، وينوِّه بذكره ،

---

(١) ومن مؤلفاته الهامة أيضاً كتابه « الذيل التام على دول الإسلام » الذي ذيَّل فيه على « دول الإسلام » للذهبي ، وبدأ به بحوادث وتراجم سنة (٧٤٥) وانتهى به إلى سنة (٩٠١) هـ ، وهي السنة التي سبقت سنة وفاته ، وقد قام بتحقيقه (حسن إسماعيل مَرْوَة) وراجعه وقدَّم له (محمود الأرناؤوط) ونشرته في ثلاث مجلدات مكتبة دار العروبة بالكويت ، ودار ابن العماد ببيروت بين عامي (١٤١٣ ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٢ ـ ١٩٩٨ م) وقامت مؤسسة الرسالة بإصدار طبعة أخرى ناقصة منه بعنوان « وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام » سنة (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م) اعتمد في إخراج معظمها على المجلد الأول من الطبعة الأولى الصادرة عن دار العروبة ودار ابن العماد ، وسقط منها مقدار مجلد كامل ، وتولى العمل بها (د . بشار عواد معروف) وبعض من يعمل معه ، ولتمام الفائدة راجع مقدمات الأجزاء الأول والثاني والثالث التي كتبها (محمود الأرناؤوط) للطبعة الأولى منه .

(٢) في (ط) « قرض » والمثبت من (م) وفي اللسان (قرظ) أن التقارض في الخير والشر ، وأن التقارظ في المدح والخير خاصة ، وهو الموافق لسياق النص .

ويعترف بعلو فخره ، ويُرجحه على سائر جماعته المنسوبين إلى الحديث وصناعته ، وكان من دعواته له قوله : « والله المسؤول أن يعينه على الوصول إلى الحصول حتى يتعجب السابق من اللاحق » .

ومما وصفه به بعض الحفَّاظ بعد كلام تقدم : « وهو والله بقيةُ من رأيت من المشايخ ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية وسائر بلاد الإسلام عيال عليه ، والله ما أعلم في الوجود له نظيراً » .

وقال غيره : « هو الآن من الأفراد في علم الحديث الذي اشتهر فيه فضله ، وليس بعد شيخ الإسلام ابن حجر فيه مثله » .

وقال غيره : « واسطةُ عقدها ، من انعقد[1] الإجماع على أنه أمسى كالجوهر الفرد ، وأصبح في وجه الدهر كالغرة ، حتى صارت الغرر مع جواهره كالذرة . بل جواد جوده شهد له جريانه بالسبق في ميدان الفرسان ، وحكم له بأنه هو الفرع الذي فاق أصله البديع بالمعاني فلا حاجة للبيان . أضاء هذا الشمس فاختفت منه كواكب الدراري ، كيف لا ، وقد جاده الفيض بفتح الباري . فهو نخبة العصر والدهر ، وعين القلادة في طبقة الجود لأنه عين السخاء وزيادة ، فبدايته إليها النهاية ، ومنهاجه أوضح الطُّرق[2] إلى الغاية ، وهو الخادم للسنّة الشريفة ، والحاوي لمحاسن الاصطلاح والنكت المنيفة ، فبهجته زهت بروضها ، وروضته زهت ببهجتها » .

وقال آخر : « هو الذي انعقد على تفرُّدِهِ بالحديث النَّبوي الإجماعُ ، وأنه في كثرة اطلاعه وتحقيقه لفنونه[3] بلغ ما لا يستطاع . ودُوِّنت تصانيفه واشتهرت ، وثبتت سيادته في هذا الفن النفيس وتقررت . ولم يخالف أحدٌ من العقلاء في جلالته ، ووفور ثقته وديانته وأمانته . بل صرحوا بأجمعهم بأنه هو

---

(١) في (ط) « العقد » وصوابه من (م) .

(٢) في (م) و(ط) « طرق » .

(٣) في (ط) « لفتوته » وصوابه من (م) .

المرجوع إليه في التعديل والتجريح ، والتحسين والتصحيح بعد شيخه شيخ مشايخ الإسلام ابن حجر حامل راية العلوم والأثر » .

وقال آخر : « لقد أجاد النقل من كلامي الله ورسوله القديم والحديث ، وسارت بفضله الركبان وبالغت في السير الحثيث » .

ومدحه آخر بهذه الأبيات وهي : [من الكامل]:

يا سيِّداً أضحَى فريدَ زمانِهِ	ودليلُ ما قد قلْتُهُ الإجماعُ
عندي حديثٌ مسندٌ ومُسَلْسَلٌ	يرويه ذو الإتقان لا الوضَّاعُ[1]
ما في الزَّمانِ سِواكَ يُلْفى عالماً	صحَّتْ بذاك إجازةٌ وَسماعُ
الخيرُ فيكَ تواترَتْ أخبارُهُ	وهو الصَّحيحُ وليس فيه نِزاعُ
يا مَنْ إذا ما قد أتاه ممرّضٌ	يشكو يزولُ الضُّرُّ والأوجاعُ[2]

ورئي بعد موته على هيئة حسنة ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : حاسبني وغفر لي وحشرني مع العلماء .

وترجمته في تاريخه ثلاثة كراريس على القطع الكامل .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله عقب تلك الترجمة : « إنَّ شيخنا صاحب الترجمة حقيق بما ذكره لنفسه من الأوصاف الحسنة ، ولقد والله العظيم لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله ، ويعلم ذلك كل من اطلع على مؤلفاته أو شاهده ، وهو عارف فقيه منصف في تراجمه ، ورحم الله جدي حيث قال في ترجمته : إنه انفرد بفنه ، فطار اسمه في الآفاق ، وكثرت مصنفاته فيه وفي غيره ، طار صيته شرقاً وغرباً ، شاماً ويمناً ، ولا أعلم الآن من يعرف علوم الحديث مثله ، ولا أكثر تصنيفاً ولا أحسن ، ولذلك أخذها عنه علماء الآفاق من المشايخ والطلبة والرفاق ، وله اليد الطولى في المعرفة بالعلل ، وأسماء الرجال ، وأحوال الرواة ، والجرح والتعديل ، وإليه يُشار في ذلك . ولهذا

---

(١) عجز البيت في (م) و (ط) « نرويه بالإتقان لا الوضاع » .

(٢) في (م) و(ط) « يشكو زوالَ . . . » وهو مما لا يستقيم به المعنى ويصيبه الإقواءُ أيضاً .

قال بعض العلماء : لم يأتِ بعد الحافظ الذهبي أحدٌ سلك هذه المسالك ، ولقد مات فنُّ الحديثِ من بعده ، وأسفَ النَّاسُ على فقدِهِ ، ولم يُخْلقْ بعده مثله » انتهى .

وولي تدريسَ الحديثِ في مواضع متعددة ، وعُرِضَ عليه قضاءُ مصر فلم يقبله ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : في شهر ذي القعدة توفي **الفقيه الصالح جمال الدين محمد المقبول**[1] **بن أبي بكر الزيلعي** ، صاحب قرية اللُّحيَّة[2] ، نفع الله به .

● وفيها : أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتقييد رئيس الإسماعيلية سليمان بن حسن بمدينة تعز ، وأودعه دار الأدب ، وكان يتحدث بما لا يعنيه من المغيبات المستقبلات ، وكان عالم الإسماعيلية . وأمر بإحضار كتبه وإتلافها ، فأتلفت[3] ، والحمد لله .

* * *

---

(١) لم نعثر على ترجمة له فيما بين أيدينا من المصادر .

(٢) اللحية ـ تصغير لحية الرجل ـ موضع في شمال اليمن . انظر « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » ٢/٥٦٩ ، ٦٤٤ .

(٣) الخبر بتمامه في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٠) .

سنة ثلاث بعد التسعمائة

● وفي ربيع الأول توفي الفقيه[1] **العالم العارف بالله الجليل الرَّبَّاني محمد بن أحمد باجرفيل الدّوعاني** رحمه الله بغيل أبي وزير من أعمال الشِّحر[2] . و« جرفيل » بجيم ثم راء ثم فاء . وكان مولده في يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة عشرين بعد الثمانمائة . غلب عليه التَّصوفُ ، فخاضَ غمارَه وحقق أسرارَه ، وصارَ من كبار مشايخ الطريقة ، وأعلام رجال أئمة الحقيقة ، يُقْتَدى بآثارِه ، ويُهْتَدى بأنوارِه .

وحكي عنه أنه قال : لم أصحب مع كثرة من صحبته من العارفين بالله مثال الشيخ علي بن أبي بكر ، فلازمته أربعة أشهر على أن يقول لي : أنت منا أهل البيت ، كما قال ذلك النبي ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه[3] . فلم يجبني إلى ذلك ، فلما ألححت عليه وتحقق صدق ودي ومحبتي لأهلِ البيت . فقال : يا فقيهُ إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ ، لا يجيبُكَ إلى مقصودِكَ هذا إلاَّ الشيخُ أبو بكر بن عبد الله ، فإنّه القطبُ الوارثُ للقطبية من صغره بعد موتِ أبيه الشَّيخِ عبدِ الله بن أبي بكر ، ونحن نكتبُ لك إليه أَنْ يجيبك إلى مرادك . قال : والشيخ أبو بكر يومئذ باليمن ، فكتب الشيخُ علي إليه ، وكتبت أنا أيضاً إليه . فأتانا منه بحمد الله الجواب بالقصد والمراد .

---

(١) لم ترد في (ط) .

(٢) في (ط) « الشحن » وهو خطأ وصوابه في (م) . والشِّحْرُ بكسر أوله وسكون ثانيه الشَّط ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعُمَان « معجم البلدان » (٣/ ٣٢٧) .

(٣) قطعة من حديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١١٧) وعزاه لأبي يعلى ، وقال : وفيه النضر بن حميد الكندي وهو متروك . وانظر « مجمع الزوائد » (٩/ ١١٨) .

قال العلامة بحرَق : ولقد كنتُ أستشكلُ أشياءَ تصدرُ من الشيخ[1] أبي بكر العيدروسي ، قدَّسَ اللهُ روحَه ، تقصر عنه عقول أمثالنا القاصرة ، ولكني كنتُ بتوفيق الله أعرضها على أرباب البصائر ، فما منهم إلاّ ويأمرني بالتسليم . ويشهد عندي بعلو مقام سيدي ، وأنَّه على هدى من ربه العليم . منها : أنِّي عرضْتُ على الفقيه محمد بن أحمد باجرفيل تصرفات مالية يباشر سيدي في قبضها وصرفها ، في ظاهر الأمر في غير مصارفها . فقال لي : أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد ، والتصرفات كلها ، وأشهد أنه أفضلُ أهلِ الأرضِ ظاهراً وباطناً . فقلت له : أما الباطن ، فبصائرنا عنه قاصرة ، وأَما الظاهر فما وجهه ؟ فقال : وجهه أنَّ أهلَ البيتِ أفضل من سائر النَّاس ، وآل باعلوي اليوم أفضل من سائر أهل البيت باتباعهم السُّنة ولما اشتهر لهم من العبادة والزهادة والكرم وحسن الأخلاق ، والشيخ أبو بكر أفضل آل با علوي بالاتفاق ، فهو أفضل أهل زمانه .

● وفيها : **في يوم السبت خامس عشر شوال توفي الفقيه المنور المتفق على جلالة قدره علماً وعملاً وورعاً ، جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بابن علي بافضل السعدي ـ نسبة إلى سعد العشيرة ـ الحضرمي[2] ، ثم العدني ـ رحمه الله ـ بعدن** ، وحزن الناس عليه ، وكثر تأسفهم على فقده رحمه الله .

وكان مولده في حضرموت بتريم سنة أربعين وثمانمائة ، ثم ارتحل في طلب العلم إلى عدن ، وأخذ عن الإمامين الفاضلين محمد بن مسعود باشكيل ، ومحمد بن أحمد باحميش ، وجدّ في الطلب ودأب حتَّى برعَ في العلوم وانتصب للتدريس والفتوى ، وصار من أعلام الدين والتقوى . وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً محققاً ورعاً زاهداً مجتهداً عابداً ، مقبلاً على شأنه تاركاً

---

(١) في (ط) « من سيد الشيخ » .
(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٨ـ٢٩) .

لما لا يعنيه ، ذا مقامات وأحوال وكرامات . وكان حسن التعليم ، لين الجانب ، متواضعاً ، صبوراً ، مثابراً على السنّة ، معظماً لأهل العلم .

وكان هو وصاحبه العلامة عفيف الدين عبد الله بن أحمد با مَخْرَمة[1] عمدة الفتوى بعدن ، وكان بينهما من التوادد والتناصف ما هو مشهور ، حتى كأنهما روحان في جسد .

وكان يعظم الشيخ أبا بكر العيدروسي . قال العلامة بحرَق : كان سيدي الشَّيخ أبو بكر ـ قدَّسَ اللهُ روحَهُ ـ إذا قدم من بعض أسفاره من الجبالِ إلى عدن قدم قبله قاصداً يُعْلِمُ أكابرَ النَّاس بقدومه يوم كذا ويأمرهم بالخروج لملاقاتِه ، فقلت للفقيه محمد بن أحمد بافضل : لأي شيء يفعل الشيخ هذا ؟ فقال : ليوصل النَّاسَ إلى رحمةِ الله ، ويوصل رحمةَ اللهِ إليهم بالنظر إليه ، والحضور بين يديه ولو لحظة واحدة . ثم يخرج يتلقاه مع النَّاس .

وكان كثيرَ السَّعي في حوائج المسلمين عند الملوك وغيرهم . وكان محبباً للناس ، مُعْتَقَداً عند الخاص والعام ، معظَّماً عند الملوك والأمراء ، لا تكاد تُرَدُّ له شفاعة . وكان الشيخ عامر بن عبد الوهاب كثير التعظيم له .

وبالجملة : فمناقبه وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر . وأفرد له ولده الفقيه عبد الله ترجمة .

وهذه القصيدة المسماة « بالوابل الصيِّب والنرجس الطيِّب » ، نظم سيدنا ومولانا الشريف الولي الصالح سراج الدين عمر بن عبد الرحمن با علوي المقبور بتعز في السيد الإمام شيخ الإسلام أوحد العلماء الأعلام جمال الدنيا والدين محمد بن أحمد أبي الفضل ، رحمهما الله تعالى ، ونفع بهما وبعلومهما ، وأعاد علينا من أسرارهما ومعارفهما ، آمين ، آمين ، وهي هذه القصيدة : [من الطويل]:

إلـى اللهِ أشكـو حـرَّ نيـرانِ فُـرْقَـةٍ   لها في فؤادي مثل طَعْنِ الذّوابلِ

---

(١) في (ط) « با محزمة » وهو تصحيف .

واسـألـه جمعـاً بـوصْـلٍ محجّـبٍ ... عـن الجـاهليـن الغـافليـن الأسـافـلِ
عسى بعد هذا البُعْدِ يجمعُ شَملَنا ... بـه ربّنـا معطـي منـى كـلّ آمـلِ
سقـى الله أوقـاتـاً لنـا فـي ربـوعِهِـمْ ... إذا خَطَرَتْ[1] بالبال هاجَتْ بَلابلي
وزاد اشتيـاقـي للحبيـب وقُـرْبـه ... وأنشـدُ لا أخشـى مَـلامَ العَـواذلِ[2]
سلامٌ على شخص به « عَدَنٌ » زَهتْ ... « أبا فضل » المشهور زيْن الشّمائلِ
جمـالٌ لـديـنِ الله خـادمُ شَـرْعِـهِ ... دليـلُ طـريـقِ الله بَـدْرُ المَحـافـلِ
نـواويُّ هـذا الـوقـتِ شمس زَمـانـه ... بهـيُّ المحيَّـا جَـامِـعٌ للفضـائـلِ
حبيـبٌ محـبٌّ للمسـاكيـنِ مؤنِـسٌ ... ومقمعـــةٌ للظّـــالميـــن الأراذلِ
فعَـنْ مُنْكَـرٍ نَـاهٍ وبـالعُـرْف آمـرٌ ... لكـلٍّ ولا يخشـى عُتَـاةَ[3] القبـائـلِ
حليـمٌ سليـمٌ دائـمُ البشْـرِ والـرِّضـا ... صَبـورٌ وَقـورٌ عنـدَ وقْـعِ النّـوازلِ
لـه منظـرٌ بـالقلـب يعلـقُ فهمُـهُ ... ولو كان فَدْماً[4] أبكَماً غيرَ عَاقلِ
وتـدريسُـه فـي كـلِّ فـنٍّ مُـؤَسَّـسٍ ... بتعليلـه يـا صـاحبـي والـدّلائـلِ
ويـرفُـقُ بـالقـاري البليـد كـأنّـهُ ... لـه أمُّ ثـدي مشفقـاً بـالمسـائـلِ
فيهنـا جـرام الشَّـوكِ مسكَنـه بـه ... وتـدريسـه يـا ليـت ثـمَّ مَنازلـي
لأنظـره فـي كـلِّ يـومٍ وليلـةٍ ... وأسـألـه عَـن كـلِّ حـقٍّ وبـاطـلِ
فنظـرتُـه تُسلـي الهمـومَ جميعهـا ... ولفظتُـه غيـثٌ لمُصْـغٍ بقـائـلِ
حَبـا الله ذاك الـوجـه نـوراً وبهجـةً ... جمـالاً وعقـلاً ظـاهـراً غيـرَ خـاملِ
كبحر خِضَمٍّ[5] في العلوم قد امتلا ... وفاضَ على الجنبات فوق السّواحل

---

(١) في (ط) « أخطرت » .

(٢) في (م) « وأنشد ولا أخشى . . » .

(٣) في (ط) « عناة » ، والعتاة جمع العاتي : الجبار الشديد الدُّخول في الفساد المُتَمَرِّدُ الذي لا يقبل موعظة ، اللسان (عتا) .

(٤) الفَدْم من الناس : العَييُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم ، وجمعه فِدَام ، « اللسان » (فدم) .

(٥) في (م) « كبحر خصيم » ولا معنى له . والخِضَمُّ : البحر لكثرة مائه وخيره ، والخِضَمُّ=

فـإن شئـتَ تفسيـراً لـه اسـأل فـإنّـه كمَعْـدِنِ تِبْـر مـا لـه مـن معـادلِ
وإن شئتَ في علم الحديث لقيته ككنز له خاف عن السّهوِ عاطلِ
وإن شئتَ في فقه الإمام ابنِ شافع تـراه كَلَيْـث فـي المعـارك جـايِـلِ
نَعَـم أو كبُستـان حـوَى كـلَّ طيِّـب وفيـه بيـوتٌ عـاليـاتُ المنـازلِ
وإنْ شئْتَ في علمِ التَّصوُّفِ والصَّفَا تـراهُ إمـامـاً عـارفـاً غيـرَ جـاهـلِ
أديبـاً لبيبـاً قـانعـاً[1] متـواضعـاً عـنِ الـذّكـرِ للـرَّحمـن ليس بغـافـلِ
وإن شئتَ في علم اللُّغاتِ ونحوها وتصريفها أيضاً وكلِّ الوسائلِ[2]
كعلـمِ المعـانـي والبيـان وغيـرهـا تـراه لهـا أهـلاً شفـى كـلَّ سـائـلِ
فيا مَن يريدُ العلمَ فارحلْ ولا تقفْ إلـى عـالـم بـالعلـمِ لله عـامـلِ
هو الشيخُ والأستاذ والنورُ والهُدَى وخيرُ مُجيبٍ عَن جميعِ المسائلِ
إمامي وأستاذي وشيخي وسيِّدِي ومحبوب قلبي صادقاً غيرَ هازلِ
فيـا لائمـي خـلِّ المـلامَ فـإنَّنـي حَبَبْـتُ وحيـداً مـا لَـهُ مـنْ مُمـاثِـلِ
تفكّـر بقلـبٍ مُنْصـفٍ هَـلْ تَـرى لـه شبيهـاً فـإن لـم تَلْقَـهُ لا تُجـادلِ
غزيزُ الحَيا كلَّ الحِجَا حازَ والصَّفا مليح الحَلا شيخُ الشُّيوخِ الأفاضلِ
إذا مـا أتـت منـه إلينـا رسـائـلٌ فللّـه ربِّـي درُّهـا مِـن رَسـائِـلِ
تُفـرِّجُ أحـزانـاً وتَكْشـفُ كُـرْبَـةً وتَجْـذِبُ أحـوالاً حـوالي المناهِلِ
إمـامٌ لـه خُلُـقٌ حميـدٌ وسِيـرةٌ سَمَتْ فاقَ بالأوصافِ كلَّ الأماثلِ[3]
زكـيٌّ تقـيٌّ مخلـصٌ صـادقٌ صَفـا مِنَ الغشِّ والبغضا وكلّ الدغائلِ[4]
وكم من محامدَ ليس تُحصي قصيدتي له يا أخي زادت على قول قائلِ

= أيضاً : الجمع الكثير . اللسان (خضم) .

(١) في (م) « تابعاً » .

(٢) في (م) « الرسايل » .

(٣) الأماثلُ : الأفاضل ؛ يُقال : فلان أمثلُ من فلان أي أفضل . اللسان (مثل) .

(٤) الدغائل ، من الدَّغل ، بالتحريك : الفساد .

وأستَغْفِـر اللهَ العظيـمَ مِـنَ الخطـا ... ومِن جُمَحِ الأهوا وكل الرذائلِ[1]
وتمَّـتْ بحمـد الله ربِّـي وعَـوْنـه ... وصلّى إلهي في الضُّحى والأصائلِ
وسَلَّـم تسليمـاً كثيـراً ودائمـاً ... على المصطفى المختار للحُسن كاملِ

وله تصانيف نافعة منها : « مختصر الأنوار » المسمى « نور الأبصار » ، وهو في غاية الحسن ، وكأنما عناه المتنبي بقوله : [من الطويل]:

فجـاءتْ بنـا إنسـان عيـن زَمـانِـهِ ... وخَلّـتْ بَيـاضـاً خَلْفَهـا ومـآقِيـا[2]

وشرح تراجم البخاري ، واختصر قواعد الزركشي وشرحه ، وكتاب « العدة والسلاح لمتولي عقود النكاح » ، وهو مشهور انتفع به الناس . وشرح « المدخل » وشرح « البرماوية » ، وغير ذلك من الكتب النافعة في فنون متعددة .

ومن شعره : [من البسيط]:

إنَّ العيـادةَ يـومـاً بيـن يـوميـن ... واجلس قليلاً كلحظ العينِ بالعينِ
لا تُبـرمـنَّ مـريضـاً فـي مُسـاءَلـة ... يكفيـك مـن ذاك تسـآل بحـرفيْـنِ

● وفيها : في ليلة الإثنين سلخ ذي القعدة الحرام ، توفي **الشريف الفقيه الصوفي الأديب الحافظ المحدث البارع في أشتات العلوم بدر الدين الحسين بن الصديق بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل**[3] ، قدس الله أرواحهم ، ببندر عدن ودفن بها . وكان مولده في ربيع الثاني سنة خمس وثمانمائة بأبيات حسين ، ونشأ بنواحيها ، واشتغل بها في الفقه على الفقيهين أبي بكر بن قعيص

---

(1) جُمَح : الفعل منه جَمَح : ركب هواه ، وفي اللسان (جمح) « الجَمُوحُ من الرجال : الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه » . والأهوا ، أراد : الأهواء ، فحذف لضرورة الشعر ، ومفرد الأهواء : الهوى ، وأراد هوى النفس وشهواتها .

(2) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي : ٤/ ٤٢٤ .

(3) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٩ـ٣٠) و« غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » (٢/ ٦٢٤) و« البدر الطالع » (٣/ ١٤٤ـ١٤٥) .

وأبي القاسم بن عمر بن مطير[1] وغيرهما ، وفي النحو على أولهما وغيره . ثم انتقل إلى بلاد المراوغة[2] ، واشتغل بها على الفقيه إبراهيم بن أبي القاسم جعمان وغيره . ثم دخل زبيد في سنة ثمان وستين ، فاشتغل بها في الفقه على عمر الفتى وغيره ، وفي الأدب على ابن الزين الشرجي . ثم حج سنة اثنتين وسبعين وجاور التي تليها ، وحضر مجالس البرهان والمحيوي[3] قاضيها ، وأذن له البرهان وغيره . وزار النبي ﷺ ، وسمع بها[4] من أبي الفرج المراغي ، ثم عاد لبلاده ، وأخذ عن يحيى العامري ، وبحث عليه « المنهاج » .

ذكره السخاوي في « ضوئه »[5] قال : ولازمني في المجاورة الثالثة بمكة ، فقرأ عليَّ أشياء من تصانيفي بعد أن كتبها بخطه ، وكذا سمع من لفظي وعليَّ أشياء . قال : وهو فاضل بارع في فنون ، ناظم مفيد ، حسن القراءة والضبط ، لطيف العشرة ، متودد قانع عفيف ، أقرأ الطلبة بناحيته ، وقرأ الحديث على العامة سيما « القول البديع » ونحوه . مدحني بقصيدة أنشدنيها بحضرة الجماعة ، وكتبت له إجازة حافلة ، ورأيت النجم ابن فهد كتب عنه من نظمه كثيراً وترجمه . انتهى .

وذكره العلامة بحرَق في كتابه « موهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » وقال : إنّي قلْتُ مرة له : إنَّ أحوالَ سيدي الشيخ أبي بكر أشكلت علينا . فقال : دعها تحت حجابها مستورة بسحابها ، فلو أشرقت شمسه لأحرقت الوجودَ كلَّه ، أما ترانا نقف على أبوابه ، ونكتفي بتقبيل أعتابه ؟ قال : وهكذا كان رحمه الله يقبِّلُ العتبةَ وينصرف .

---

(١) في « شذرات الذهب » : « أبي بكر بن قصيص ، وأبي القاسم بن مطير » .
(٢) المراوغة : قرية باليمن . انظر « غاية الأماني » (٢/ ٦٠٥) .
(٣) في (ط) « المجيوي » وصوابه في (م) .
(٤) الضمير عائد على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .
(٥) انظر « الضوء اللامع » (٣/ ١٤٤) .

ورأيت كأنه ورد عليه مرة حال ، فأخذ بيدي وهو كالذاهل فقال لي : تريد أن أريك القطب ؟ فقلت : نعم . فمشى حتى أتينا إلى سيِّدي الشّيخ أبي بكر فقال : هذا هو القطب ، وانصرف . ولم يلبث أن امتدح سيدي الشيخ بقصيدته التي أوَّلها : [من مجزوء الرجز]

من الحسان الخرَّدِ / قد صادني غرير / يرمي بقوس حاجب

وأنشده إياها ، فلما بلغ المنشد قوله :

يا عيدروس الأوليا / يا حايز الكمال / القطب أنت الأكمل

كان الشريف الحسين ينظر إليَّ ثمَّ يشيرُ بيده إلى سيدي الشيخ ، ويقول : القطب أنت الأكمل ، القطب أنت الأكمل . يكررها ليحقق ما كان قاله لي في المنام في حالة ذهوله .

ومن شعره : [من المجتث]:

يــا سيِّــدي يــا إلهــي	إنْ لــم تكــن لــي فَمَــنْ لــي
أنــت العليــمُ بحــالــي	فــارحــمْ بعــزِّك ذُلِّــي

ومنه : [من السريع]:

أمــا لهــذا الهــمِّ مِــن مُنْتَهــى	أمــا لهــذا الحُــزْنِ مِــن آخــر
أمــا لهــذا الضِّيــق مِــن فــارج	أمـا لِنـابِ الخَطْـب مِـن كـاشِـرِ[١]
أمــا لهــذا العُسْــر مــن دافــع	بـاليُسرِ عـن هـذا الشَّجي العـاثِـرِ
بلــى بلــى مهــلاً فكــن واثقــاً	بـالـواحـد الفَـرْد العلي القـادِرِ[٢]

---

(١) في « شذرات الذهب » : « كاسر » وقوله : « كاشر » أي كاشف من قولهم : كشر عن أسنانه : أي أبدى وكشف ، اللسان (كشر) .

(٢) الأبيات في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٠) .

ومنه هذه الوسيلة العظيمة وهي : [من الرمل]:

يا رسولَ اللهِ غوثاً[1] ومَدَد ... أنتم الوالد والعبدُ وَلَدْ
يا رسولَ الله في جاهك ما ... يبلغُ القاصدُ أقصى ما قَصَدْ
يا رسولَ الله ما لي عتدٌ ... غيرُ حبِّيك ويا نعمَ العَتَدْ[2]
يا رسولَ اللهِ قَوِّم أوَدي ... فلكم قوّمتَ بالدِّينِ أوَدْ
يا رسولَ اللهِ هل من نظرةٍ ... تُصْلحُ القلبَ سريعاً والجَسَدْ
يا رسولَ اللهِ هل من جَذْبةٍ ... تجذبُ العبدَ إلى النهج الجدَدْ
يا رسولَ اللهِ هل من عَطْفة ... تعطفُ العبد إلى طُرقِ الرّشَدْ
يا رسولَ اللهِ هل من نَفْحة ... مِنك تأتي ومنَ الفَرْدِ الصّمَدْ
يا رسولَ اللهِ كُنْ لي شافعاً ... أَنت والله شفيعٌ لا تُرَدْ
يا رسولَ اللهِ هل تَسْمعُني ... إي وربي تسمع القول وَقَدْ[3]
أنا بالله وبالوجه الذي ... قال ذو العرش له اسْجُد فَسَجَدْ
سَيِّد الرُّسل خِتام الأنبيا ... صاحب السّجدة والْفَول الأسدْ
أصل مبدا الكونِ بل غايته ... حجّة الله على كلِّ أحدْ
رحمة الله التي عمّ بها ... كلّ مَخْلوق على مرِّ الأبَدْ
صفوة اللهِ من الخَلْقِ معاً ... فهو الجوهَر والخَلْقُ زَبَدْ
الّذي قد خَصّه الله بما ... يعجز العدّ فلا يحصى عَدَدْ
كلُّ ما في الأنبيا من شَرَف ... ضمّ فيه بعد أن كان بَدَدْ
ولقَدْ زِيد عليهم شَرَفاً ... واختصاصات بمعناها انْفَرَدْ
مَنْ ليومِ الجَمْعِ إلا أحمد ... يوم لا والد يغني عن وَلَدْ
ينقذُ النّاسَ بسجدات له ... من هُمومٍ وكُروبٍ وشدَدْ

---

(١) في (ط) « عوناً » ثم إنه أسقط الواو بين الكلمتين « عوناً مدد » ولا يستقيم به الوزن .
(٢) العَتَدُ : اي ما يَصْلُحُ لكل ما يقع من الأمور .
(٣) للمؤلف تعليق على هذا البيت سيأتي في آخر هذه القصيدة .

يـا مُجَلِّـي الكُـربِ السُّود أغِـثْ | مـا رآكَ الكَـربُ إلاّ وشَـرَدْ
يـا مليـحَ الـوَجْـهِ يـا خَيْـرَ الـوَرَى | أنـت بَعْـدَ اللهِ نِعْـمَ المُعْتَمَـدْ
يـا عظيـم الجـاهِ والفضْـلِ ويـا | أكـرمَ الخَلْـق إليـكَ المُسْتَنَـدْ
مـدحتـي نحـوك قـد أهـدَيتهـا | فـأجـرنـي بقبـولٍ ومَـدَدْ
واسـألِ الـرّحمـنَ لـي مـن فضْلـهِ | العَفْـوَ والغُفـران والـرزق الـرَغَـدْ
ربِّ جَنبنـا بجـاهِ المُصْطَفـى | كـلّ كـدٍّ وبـلاءٍ ونكَـد
واقـضِ حـاجـاتـي وأصْلِـحْ عمَلـي | واختُـمِ العُمْـرَ بخيـرٍ إنْ نَفَـدْ
وكـذاك الآل والأصحـاب مـن | قَـدْ دَنَـا مِنهـم إلينـا وابتعَـدْ
وصـلاةُ اللهِ مـعْ تسليمِـهِ | لـرسـولِ اللهِ مِـنْ غيـرِ أمَـدْ
وكـذاك الآلُ والأصحـابُ مـن | قـام للـدِّيـن بنصـرٍ واجْتَهَـدْ
ببقـاء الله تَبْقَـى وعلـى الـ | ـآلِ والصَّحْـبِ فَهُـمْ آلُ الـرَّشَـدْ
بِبقـاءِ اللهِ تبقَـى دائمـاً | وعلـى الآلِ فَهُـمْ آل الـرَّشَـدْ

قلت : ولعله يشير بقوله :

يـا رسـولَ الله هـل تَسْمعنـي | إي وربِّـي تسمـعُ القـول وَقَـدْ

إلى أنّه ﷺ تبلغه صلاة المصلين عليه ، ومدح المادحين لجنابه العلي ، للأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ : « ما مِنْ أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إلاَّ ردَّ الله عليَّ روحي حتّى أردَّ عليه السّلام » . وكقوله ﷺ : « إنّ الله وكّلَ بقبري مَلَكاً أعطاه أسماء الخلائقِ فَلا يُصلي عليَّ أحدٌ إلى يومِ القيامة إلاَّ بلغني باسمه واسم أبيه : هذا فلان بن فلان قد صلى عليك »[1] .

وقد يتشرف بعض الأولياء فيسمع الجواب من النبي ﷺ كما وقع للناظم ـ

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١٦٢) وعزاه للبزار وقال : وفيه ابن الحميري ، واسمه عمران ، قال البخاري لا يتابع على حديثه ، وقال صاحب « الميزان » : لا يعرف ، ونُعيم بن ضمضم ضعّفه بعضهم ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

رحمه الله ـ من أنه لما زار النبي ﷺ ووقف على القبر الشريف وأنشد قصيدة يقول فيها : [من مخلع البسيط]:

إنْ قيلَ زُرتُم بما رَجعْتم ... يا سيِّدَ الرّسْلِ ما نقولُ

فسمع الجواب من الحجرة الشريفة :

قُولوا رَجَعنا بكلِّ فَضْلٍ ... واجْتمع الفرْعُ والأصولُ

● وفيها : في يوم السبت حادي عشرين المحرم توفي **الإمام العلامة مفتي مدينة عدن ومدرسها وخاتمة العلماء بها ، صاحب الفتاوى المفيدة ، والتصانيف العديدة الفقيه عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم با مخرمة الحِمْيري الشيباني الهجراني الحضرمي العدني الشافعي**[1] بعدن ، ودفن قريباً من قبر شيخه أبي شكيل داخل قبة الشيخ جوهر في القبر الذي دفن فيه شيخ مشايخ الإسلام مفتي اليمن القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن الطبري . وكان مولده ليلة الأربعاء ثاني عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بالهجرين ، وحفظ القرآن بها ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى عدن ، وتفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل ومحمد بن أحمد باحميش ، واجتهد في الطلب ودأب ، وواكب على الاشتغال ليلاً ونهاراً .

وكان فقيراً لا يملك شيئاً ، وقاسى في أيام طلبه من الجوع والمكابدة ما هو مشهور عنه .

وبرع في سائر العلوم ، وحقق الفنون ، وساد الأقران ، وسارت بفضله الركبان ، ووقع على تقدمه الإجماع ، وابتهجت بذكره النواظر والأسماع وصار عمدة يرجع إلى قوله وفتواه في زمان مشايخه ، فلما رأى شيخه أبو شكيل ما آل إليه أمره اغتبط به وأحبه ، وخطبه لنكاح ابنته ، وزوجه إياها ، ورزق منها أولاداً فضلاء نجباء ، سيأتي ذكر بعضهم .

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٥/ ٨ـ٩) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٣٠) .

وكان عالماً بالفقه ، والأصلَين ، والفرائض ، والحساب ، والتفسير ، والحديث ، والنحو ، والتصريف ، واللغة ، وعلم المعاني ، والبيان ، والهيئة ، والفلك ، وغيرها من العلوم المشهورة ، والفنون المذكورة ، وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل فن بالجميع .

وكان مهاباً حتى أن العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبسين كان يقول : إني لا أخاف ولا أهاب أحداً من العلماء إلا الفقيه عبد الله با مخرمة ، فإني أكاد أرعد من هيبته . وكان الملوك في زمانه يخضعون له ويخافونه .

وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، لا يراعي أحداً في دين الله ، ولا يخاف في الله لومة لائم .

وكان صاحبه الإمام الولي جمال الدين محمد بن أحمد با فضل كثير التعظيم له ، وبلغني أن الفقيه رحمه الله سئل أي أعلم أنت أم الفقيه محمد؟ فقال : أنا أعلم منه وهو أورع مني ـ أو قال : أدين مني .

وكان الشيخ علي بن طاهر ـ أول ملوك اليمن من بني طاهر ـ كثير التعظيم له ، والاغتباط به ، والامتثال لأمره ، والانقياد له ، والتأدب معه ، ولم يزل به حتى ولاَّه القضاء بعدن على كره منه بعد أن شرط عليه شروطاً وفى له بها ، فباشر الوظيفة بنزاهة تامة ، وصدع بالحق ، وإقامة العدل ، واجتهاد في إيصال الحقوق ، وإغلاظ للظلمة من الأمراء والوزراء وغيرهم ، وقمعهم عن الظلم ، وتحكيم الشرع فيهم . فمكث على ذلك نحو سنتين أو سنة ونصف ، ثم هرب من البلد على حين غفلة من أهلها ، وركب البحر إلى الشِّحر ، ثم إلى بلده الهجرين فراراً من القضاء ، وحذراً من فتنته ، فعفاه السلطان منه ، وعوَّل عليه في الرجوع مكرماً من غير قضاء ، فرجع .

ذكره السخاوي في «تاريخه» . قال : وكان برع في الفقه وأصوله ، والعربية ، والحديث ، والتفسير . وكان من شيوخه في الفقه با حميش ، وفي غيره با شكيل محمد بن مسعود قاضي عدن ، وغيرهم كأبي هرمز الحضرمي ،

وهو من أصلح شيوخه . قلت : ولبس منه خرقة التصوف . قال : ودرس وأفتى وكلفه علي بن ظاهر قضاء عدن ، فدام قريب أربعة أشهر ، ثم ترك وتوجه لنفع الطلبة خاصة ، مع علو همة وشرف نفس .

وعمل على « جامع المختصرات » نكتاً في مجلدة ، وكذا على « ألفية النحو » في كراريس مفيدة ، وشرح « الملحة » للحريري شرحاً حسناً ، ولخص « شرح ابن الهايم » على هايميته ، إلى غير ذلك ، مثل الرسائل في علم الهندسة وغيرها ، وفتاواه جيدة[1] وعبارته محكمة . انتهى كلام السخاوي .

وله كتاب « الفتاوى » ، وهو كتاب جليل عظيم الفائدة .

وممن تخرج به من الأئمة الأعيان : الفقيه العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن فضل المعروف بابن الحاج ، والإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر با قضام ، والفقيه العلامة عثمان بن محمد العمودي ، والقاضي الإمام البارع محمد بن عمر بحرق .

ورأيت بخط الفقيه عبد الله [بن الحاج][2] فضل ـ رحمه الله ـ في آخر جواب له على مسألة اختلف فيها فقهاء عصره ما لفظه : وقد أفتى بذلك سيدنا وشيخنا الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد مخرمة رحمه الله ، وأخذه من مقتضى كلام الأصحاب ، وهو أحق من أن يقلد . انتهى .

وبالجملة : فإنه كان بقية العلماء العاملين ، ليس له نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله ، رحمه الله تعالى . وكان بعض الأولياء يقول في حقه : إنه من الأربعة الأوتاد الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد ، ويغيث بهم الحاضر والباد . وكان رحمه الله يقول : عمري سبعون سنة . فكان كذلك .

---

(١) في (ط) : « مجيدة » .
(٢) [ ] زيادة في (ط) .

ومن أولاده الفقيه الصوفي عمر ، وكان تصوف بعد أن برع في العلم ، وكان شيخه في التصوف الشيخ عبد الرحمن با هرمز ، وله معه حكاية طويلة .

ومن شعره : [من مجزوء الكامل]:

أعــطِ المعيّــة حقَهــا واحْفَــظْ لــه حُسْــنَ الأدبْ
واعْلَــم بــأنّــكَ عَبْــده فــي كــلِّ حــالٍ وهــو ربّ

ونظمه كثير جداً ، فهو مشتمل على كثير من إشارات الصوفية واصطلاحاتهم ، ومسائلهم الدقيقة ، وعليه حلاوة ، وفيه طلاوة ، ولأجل هذا يحفظه أهل تلك الجهة كثيراً ويتمثلون به ، ويستعملونه غالباً في مغانيهم ، ويعتنون به أشد العناية حتى العوام ، وهو سلس الألفاظ ، قريب المعاني ، يفهمه كلُّ أحد بحسب حاله في المحبة المجازية ، ونحو ذلك . وهو مع ذلك مشتمل على كثير من الأمثال المتداولة بينهم ، ومنه هذه الوسيلة العظيمة ، التي اشتملت على ذكر كثير من أولياء الله ، رضي الله عنهم ، وهي : [من الكامل]:

يـا ربِّ بـالشَّيْخِ الجُنَيْـدِ وخـالـه وشقيـقِ والشّبلـي وشهـرةِ حـالِـهِ
وحبيـبِ العَجَمـيْ وداودِ فَتـى طـيٍّ وبصـريٍّ وطِيـبِ وِصـالِـهِ
وبِتُسْتَـريِّ الـدَّارِ سَهْـلٍ ومـا سَرَى بِسـراهُ فـي الأسـرارِ مـن سِلْسـالِـهِ
وبـزهْـدِ إبـراهيـمَ صَفـوة أدْهـمٍ وفضيـلِ الضّـافـي علـى أفضَـالِـهِ
وبشـاه[1] كِـرمـان وبـابـن خفيفهـم متحمّـلِ الأثقـالِ مـن أثقـالِـهِ
وبِبُشْـرِ بُشْـر طَيّـبِ الاسـم الّـذي بحفـاه لـم يحتـجْ لخَصْـفِ نِعَـالِـهِ
والـوَاسطـيّ جمـال أربـاب الصفـا جـالـي صفـا أسـرارهـم بصقـالِـهِ
وجليـل جيـلان الـذي قـد تُـوّجـت تِيجـانُ فخـرٍ مـن عظيـم جَـلالِـهِ
مولاي عبد القادر المنعوت في الـ ـملكـوت بـالبـازي لبُعْـدِ حَـلالِـهِ

---

(١) في (ط) : « وبشارة » وهو خطأ صوابه في (م) ، وهو شاه الكِرماني توفي قبل الثلاثمائة ، ترجمته في « طبقات الصوفية » للسلمي ، ص (١٩٢) .

والشاذلي المدعو أبو الحسن الّذي خَفَقَتْ قلوبُ القُرب من إقبالِهِ[1]

وسفيره المرسي وعيبةِ[2] سِرِّه ومنيل من والاه خير نوالِهِ

وأئمة الإسلام أعلام الهُدى وحماة علمِ الشّرع كافِ كمالِهِ

سفيانه[3] الثوريّ وابن عيينة وأبو حنيفة من جلا بجمالِهِ

ظلمَ الجهالةِ والمملك مالك والشافعيّ وحزبه ورجالِهِ

وبأحمد المحمود صفوة حَنْبلٍ إذ ذاك لم يُنْسَجْ على مِنْوالِهِ

وبفخر شيراز أبي إسحاقها وصلاحه المصيون عن إخلالِهِ

وبسرِّه المسرور في تنبيهه وبها مهذَّبه وزهو جمالِهِ

وبحجّةِ الإسلامِ مرشد أهله سُبُلَ الصّواب بصائبات مَقالِهِ

ببسيطه ووسيطه ووجيزه وبما حكى الإحياءُ من أحوالِهِ[4]

وضيا جواهره وما أبداه في مِنهاجه من عين عذب زُلالِهِ[5]

يا الله يا ربّاهُ يا غَوْثاهُ يا مَن لا يصون السّؤل عن سؤّالِهِ

فَرِّجْ عليَّ وأجْلِ عن قلبي الصّدا إني مؤمل طلقِ عقدِ عقالِهِ

وأزِحْ غُيومَ الغَمِّ عنه ونحِّه وأرحه يا مولاي من أغْلالِهِ

وأذِقْهُ بردَ الأنسِ مما يختشي وأنِلْهُ ما يرجوه من آمالِهِ

واجْعَلْ صلاتَك والسّلام يحفُّها أبداً على خيرِ الأنام وآلِهِ

سرّ الوجود محمّد وأميره ومنيره بمقالِهِ وفعالِهِ

---

(١) في (م) و(ط) : « خفقت قبول . . » .

(٢) عيبة الرجل : موضع سِرِّه ، على المثل . وفي الحديث : الأنصار كَرِشي وعيبتي ، أي خاصتي وموضع سري ، اللسان (عيب) .

(٣) في (ط) : « سفيانها » وما أثبتناه عن (م) .

(٤) (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) و(إحياء علوم الدين) بعضٌ من مؤلفات الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) رحمه الله تعالى .

(٥) جواهره ومنهاجه ، أراد : (جواهر القرآن) و(منهاج العابدين) من مؤلفات الإمام الغزالي رحمه الله تعالى .

ومنه أيضاً هذه الوسيلة التي نظم بها أكثر مشايخ الرسالة نفع الله بهم .

وهي : [من الكامل]:

يا مَنْ لقلبٍ بالصّبابة ممتلي ... وأضالع بلَظَى القَطيعة تَصْطلي
من ذا لما بي كاشفاً إلاّكَ يا ... مَن قد مددت له أكفّ توسُّلي
يا الله يا مَن لا إله نؤمه ... إلاّ هو انظرني بعينِ تَفَضُّلِ
يا حيُّ يا قيومُ ثَبِّتْني وكُن ... باللُّطْفِ والتّدبير لي أبداً ولي
يا مَن هو الله العظيم ومَنْ له الـ ... ـعَرْش العظيم ومَنْ عليه تَوكلي
أنْعِمْ عليَّ فأنت أكرمُ مُنْعِم ... واغْفِرْ ذُنوبي واعف واكف وجمِّلِ
وتوفّني لكَ مُسْلماً ومُسلِّماً ... مع أولياك بحقِّ حقّك يا علي
وبآية الكرسيّ أعظم آية ... وبسرِّ آياتِ الكتابِ المنزَلِ
وبحقّ خَيْرِ العالمينَ محمّد ... هادي الأنامِ وغوثِ كلِّ مؤمّلِ
وبحقِّ إسرافيلَ بل ورفيقه ... جبريلَ قيدوم[1] الفريق الأوّلِ
وبحقِّ ميكائيلَ خازنِ رِزْقنا ... وبقابضِ الأرواح غير مُمهلِ
وبحرمة الصِّدّيق والفاروقِ بَلْ ... وبحقِّ عثمان وسيِّدنا علي
وبحقِّ فاطمة البتول وإبنها ... حسن وبالثاني حسين أفضلِ[2]
وبجعفرِ الطيّار بَل وبحمزةٍ ... وبجَمْعِ أصحاب النبيِّ الكُمّلِ
والتّابعينَ لهم بإحسان ومَنْ ... والاكَ من أهل المحلِّ المُعْتلي
بيقين زيْنِ العابدين وباقرِ ... وبجعفر ذي الصِّدق والفخر الجَلي
وبكظم موسى والملقّب بالرِّضى ... زاكي الأصولِ عليِّ المتبتِّلِ
بالياسَ والخضرِ النّقيبِ ومن مضى ... ممّن تصوّف في مدى الزّمن الخَلي
بالشّيخ سَهْلِ التُّسْتَري إمامنا ... وأخيه معروفٍ فأبلغْ مأملي[3]

---

(١) قيدوم ، أراد : قُدَّام نقيض وراء ، وهي أيضاً (القَيْدم والقَيْدُوم) اللسان (قدم) .

(٢) في (ط) : « حسين الأفضل » وما أثبتناه عن (م) .

(٣) في (ط) « .. أبلغني مأملي » وهو مما لا يستقيم به الوزن .

بِسَرِيٍّ بـالشَّيـخِ الجُنَيْـدِ بحـارثٍ ... بشقيـقٍ البلخيْ بـذي النُّونِ الـولـي

وبـإبـنِ أدهـمَ ثـمَّ بـالطـائـيْ وبـالـ ... ـحـافـي الفقيـر الـزَّاهـد المتنَصِّـلِ

بفضـائـلِ الشَّيـخِ الفضيـلِ وبـابنـه ... وبحـال طَيْفـور الّـذي منـه ملـي

بـأبـي سليمـان وإبـن مبـاركٍ ... وبحـاتـمِ والـواسطـيِّ الفَيْصَـلِ

وبأحمد بن أبي الحواري ثمّ منـ ... ـصور بنِ عمّار الدّليل المُوصلِ

بـأبـي تـرابٍ وابـن مسـروق وبـالـ ... ـشّبلـيِّ وابـن معـاذٍ يحيـى الأنْبَلِ

بـرويـم وابـن خفيـفٍ والحـدّاد والـ ... ـقَصّـابِ ثـمّ نُجيـدِ المتبـذلِ[1]

وبـإبـن خَضْـرويْـه وبـالنُّـوريِّ والـدَّ ... قـاقِ والمكِّـيِّ عمـرو الأعـدلِ

وبـإبـن عـاصـم واحمـدٍ وسعيـدِ الـ ... ـحيري وبابن الفضل كن يا ربّ لي

وبـإبـن الاعـرابـيِّ وابـن نصيـره ... والـرَّقِّـي إبـراهيـمِ المتبهِّـلِ

بمحمّـدِ الـرَّقِّـي وشيـخِ زمـانـهِ ... أستـاذنـا السيّـار والمتـأوّلِ

بـالـرازيِ الأواب عبـد الله وابـ ... ـنِ نجيدِ والبوشنجي المتجمّلِ[2]

وبشيخنـا ابـن خفيـف بـل بعلـيِّ الـ ... ـحُضْري[3] تجاوز وامْح ذنبي واقبَلِ

---

(١) في (م) : « برويم وابن خفيق. . . » وفي (ط) : « برويم وابن جنيتي. . . » وهو تحريف في الاسم الثاني منهما ، وصوابه (ابن خفيف) كما أثبتناه ، وهو من رجالاتهم : « صحب رويماً والجريري وأبا عمرو الدمشقي ، ولقي الحسين بن منصور ، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق. . مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة » « طبقات الصوفية » (١٣٢) . وكذلك وقع التحريف في اسم « نجيد » فهو في (م) « بجير » وفي (ط) « نحير » وصوابه كما أثبتناه ، وهو من رجالاتهم ، قال السلمي « أبو عمرو إسماعيل بن نُجيد. . لقي الجنيد ، وكان من أكبر مشايخ وقته. . . مات سنة ست وستين وثلاثمائة » « طبقات الصوفية » (٤٥٤) .

(٢) في (ط) : « . . والبوشيخي المتجمّلِ » وما أثبتناه عن (م) وهو أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي ، أحد رجالاتهم ، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة « طبقات الصوفية » (٤٥٨) .

(٣) في (م) « الخضري. . . » وهو تحريف ، وفي (ط) « يعلى ـ الخضري. . . » وهو تحريف أيضاً وصوابه كما أثبتناه ، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحُصْري. . . وهو أستاذ=

وبشيخ نَصْرَ اباذ عالمها وبنـ ـدار وشيخ في طَمَسْتَان ابتلي[1]

بنزيل دِينَوَرِ أبي العباس وابـ ـن عطا من روذبار[2] المنجلي

وإمامنا الدَّقَّاقِ والسُّلَمِيِّ والـ ـقَصّابِ ثمّ الصَّيرفيِّ الأمْثَلِ

بالعابد الخشّاب ثم دريدي وبإبن جهضم هضم كلّ معطّلِ

بالأسود الثّاوي بدينور ومنـ ـصور الّذي في الغرب[3] كان بمنزلِ

بأبي سعيدِ[4] إمام مَالِين ومَنْ قد ساحَ منهم أو أقام بمحفَلِ

وبزين الاسلام القشيري الّذي قد ذاق في التوحيد أعذب مَنْهَلِ

يا مَنْ يغيث المستغيث بغَوْثِهِ هذا التوسّل بعد بذل تَحيُّلي

فبحقِّ من سمَّيْتُ في قولي أَقِلْ وأنلنيَ المأمولَ منكَ وعجِّلِ

وتولّني وتولَّ من واليته واحلل بأعدائي سَقَامَكَ[5] واخذُلِ

واقْمَعْ ودمِّر من أراد بنا أذى واعكس رَجاه وخُذه أخذَ مُنكِّلِ

ومتى دعوتك يا إلهي راغباً أو راهباً من عاجل ومؤجَّلِ

قل هاك يا عبدي فها أنا واقف بفناء جُودك سائلاً بتذلّلِ

= العراقيين ، وبه تأدب من تأدب منهم ، صحب أبا بكر الشبلي وغيره من المشايخ . مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة » « طبقات الصوفية » (٤٨٩) .

(١) في (م) « . . . نضر اباد » وفي (ط) « مضر أباد » وهو تحريف في الحالين ، وصوابه (نَصر اباذ) كما أثبتناه ، ومعناه بالفارسية عمارة نصر : محلة بنيسابور ، ينسب إليه جماعة من العلماء ، « معجم البلدان » (٥/ ٢٨٧) وكذلك وقع التحريف في (ط) في قوله (طمسنان) أثبتاها بالنون قبل الأخير ، وهي تاء ، كما أثبتناها ، مدينة بفارس نسب إليها قوم من الرواة ، « معجم البلدان » (٤/ ٤١) .

(٢) في (ط) : روذباد ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) : « في العذب . . » .

(٤) كذا في (م) و (ط) : « بأبي سعيد . . . » ولا يصح الوزن إلا به ، وهو (أبو سعد أحمد بن محمد الماليني الصوفي) « معجم البلدان » (٥/ ٤٤) وفيه « مالين في موضعين أحدهما كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة يقال لجميعها مالين . . وإليها ينسب أبو سعد . . . » .

(٥) في (ط) : « انتقامك » وفي (م) : « . . إسقامك » .

حاشاك أن تغني الملوكُ وفودها ... وتـردّنـي يـا مـن عليـه معـوَّلـي
أبـداً وصـلّ علـى النّبـيِّ محمّـدٍ ... زيـن الـوجـوه ونـور كـلِّ مهلِّـلِ
وعلـى صحـابتـه الكِـرام وآلـهِ ... أهـل الفضـائـلِ والفَخـارِ الأكمَـلِ

وإنما ذكرت هاتين القصيدتين تيمناً بذكر من فيهما من أولياء الله تعالى الذين تنزل الرحمة عند ذكرهم ، لئلا يخلو هذا الكتاب عن شيء من نفس هذا السيد العظيم ، والولي الكبير ، عارف زمانه ، ذي القدم الراسخة في التصوف ، أعادَ اللهُ علينا من بركاته في الدارين آمين . وما وقفت على تاريخ وفاته ، فلهذا لم أترجم له بالاستقلال ، وإلا فهو جدير بذلك .

● وفيها : **توفي الفقيه الصالح العلامة جمال الدين محمد بن إبراهيم المَكْدِش**[1] **بفتح الميم ، وسكون الكاف ، وكسر الدال المهملة ، وآخره شين معجمة .** فقيه اللامية ومفتيها ببلدة سامر . وكان له بها مشهد عظيم رحمه الله .

قلت : وبنو المكدش هؤلاء أخيار صالحون ، شهر منهم جماعة بالولاية التامة ، وظهور الكرامات ، وقريتهم يقال لها : الأنَفَة ، وهي بفتح الهمزة بعد الألف واللام وفتح النون والفاء أيضاً وآخره تاء تأنيث بجهة وادي سهام وهي مجللة[2] مقصودة للزيارة والتبرك ، ونسبهم في الغنيميين ، وهم قبيلة من قبائل عك[3] بن عدنان ، ومسكنهم فيما بين الوادي سهام والوادي سردد .

ومن مشاهيرهم يوسف بن أبي بكر المَكْدِش ، كان من كبار الأولياء ، وله كرامات خارقة . ذكره الشرجي في الطبقات[4] ، وأثنى عليه ، وذكر شيئاً من أحواله ، وتاريخ وفاته لم أطلع عليه ، غير أنه كان معاصراً لصاحبَي عواجة

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣١) .
(٢) في « طبقات الخواص » للشرجي (٢٩٤) (وهي مجلة محترمة بالفقهاء) .
(٣) في (م) : « معد » وما أثبتناه عن (ط) و « طبقات الخواص » (٢٧ و ٢٩٥) .
(٤) « طبقات الخواص » (٣٦٩) .

الشيخ الحكمي ، والفقيه البجلي ، وهما كانا على رأس الستمائة . ومنهم محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن يوسف المكدش ، وكان من كبار الصالحين . ذكره الشرجي أيضاً في طبقاته[1] ، وحكى بعض كراماته ، وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وسبعمائة .

● وفيها : في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر المحرم توفي **الشريف محمد بن بركات**[2] صاحب مكة بوادي الأبيار خارجاً عن مكة ، وحُمِل إليها ودفن بها يوم الأربعاء في حوشه رحمه الله .

● وفيها : في ذي القعدة توفي الفقيه **محمد بن عبد الرحمن بن محمد باصهي بشبام** .

● وفيها : في سحر ليلة الأربعاء السادس عشر من جمادى الأولى توفي **الفقيه المفتي القاضي الشيخ العلامة جمال الدين مفتي المسلمين محمد بن حسين بن محمد بن حسين القماط الزبيدي**[3] بمدينة زَبيد ، ودفن ضحى يومها ، وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله ، وكان مولده ببلدة زَبيد في شهر صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، ونشأ بها واشتغل فيها بالعلم ، ولازم القاضي العلامة الطيب الناشري صاحب « الإيضاح » ، والعلامة عمراً الفتى ، والفقيه كمال الدين موسى الضجاعي ، وغيرهم من علماء عصره . وبرع في الفقه ، ودرَّس ، وأفتى ، وكان لا يمل الأشغال ، والاشتغال ، وحصل بيده كتباً جمة ، وولي قضاء عدن سنة ثلاث وثمانين ، ولم يزل قاضياً بها إلى سنة تسع وتسعين ، فعزل بالقاضي العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد ، ورجع إلى وطنه زبيد ، وأقام بها على التدريس والفتوى ونشر العلم ، وتخرج به جماعة من الفضلاء ، وانتفع الناس بعلمه ،

---

(١) المصدر نفسه (٢٩٤) .

(٢) أخباره في « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » (٦٠٩ ، ٦١١) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٢) .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي . وكان كثير الاستحضار للفروع ، جيد الاستنباط ، ولم يكن له يد في غير الفقه رحمه الله .

● وفيها : في يوم الإثنين الثاني من شهر ربيع الآخر توفي **الفقيه الصالح المعمر جمال الدين محمد النور بن عمر الجبرتي**(١) ، من بقية أصحاب الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ، عن خمس وثمانين سنة ودفن ضحى يومها قريباً من ضريح شيخه رحمه الله .

● وفيها : في عشية يوم الخميس الثالث من جمادى الأولى توفي **الفقيه العلامة المتقن المتفنن رضي الدين الصديق**(٢) **بن محمد الحكمي الشهير بالوزيغي**(٣) بمدينة زبيد ، ودفن ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب بتربة القضاة الناشريين بعناية القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الآخرة توفي **الشيخ شمس الدين علي بن عبد الله الزَّجاجي الصوفي** بزَبيد ، ودفن بعد العصر رحمه الله .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٢) .

(٢) في (ط) رضي الدين بن الصديق ، وما أثبتناه عن (م) و « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٢) .

(٣) في (م) : « الشهير بالوريفي » وفي (ط) : « الشهير بالوزيفي » وما أثبتناه عن « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٢) ، وثمة ترجمته .

سنة أربع بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الأحد الرابع من شهر محرم : **توفي العلاَّمة الكبير المعمّر شيخ الإسلام نجم الدين يوسف المقري بن يحيى الجبائي إلى رحمة الله** تعالى بمدينة زبيد ، ودفن بعد صلاة المغرب من ليلة الإثنين إلى جنب سيدي الشيخ أحمد الصياد ملاصقاً له داخل المشهد من جانب اليمن بوصية منه ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وصلي عليه بجامع زبيد رحمه الله ونفع به .

وجباء : ناحية مشهورة غربي مدينة تعز .

كان إماماً عالماً محققاً مطلعاً ، قوي الإدراك ، جيد الفطنة ، حسن الاستنباط ، وتفقه بعلماء قطره ، ثم ارتحل إلى عدن ، وأخذ عن إمامها القاضي العلامة محمد بن سعيد كبن ، وبرع وتميز وساد الأقران وصار واحد الزمان ، وولي قضاء الأقضية في قطر اليمن ، وارتحل إليه الطلبة من كل جهة من جهات اليمن ، وانتفعوا به كثيراً ، وسادوا وتميزوا ، منهم : الإمام العلامة موسى بن زين العابدين الرداد ، والقاضي العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد وغيرهما . وكان له رحمه الله ثروة عظيمة ، وأتباع ورئاسة تشبه رئاسة الملوك ، وكان عمدة وقته في الفتاوى ، ومن وقف على كلامه ، ورأى ما فيه من عظم البلاغة ، وحسن استنباطه ، واقتداره على تحرير المواضع المشكلة وحلها وتقريرها على أحسن الوجوه ، علم جلالة الرجل وعلو مقامه . ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي بزبيد رحمه الله تعالى .

● وفيها : **في منتصف ربيع الأول قتل سلطان الديار المصرية الملك الناصر بن قايتباي**[1] رحمه الله .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٣) و « متعة الأذهان » (٧٢) .

● وفي عشية يوم الأربعاء من شهر ربيع الأول توفيت **السيدة الصالحة أسماء بنت الفقيه العلامة كمال الدين موسى الضجاعي** بمدينة زبيد ، وكانت صالحة عابدة ، قارئة القرآن ، تقرأ التفسير وكتب الحديث ، وتسمع النساء وتعظهن وتؤدبهن ، وكان لقولها وقع في القلوب ، وربما كتبت الشفاعات إلى السلطان والقاضي والأمير ، فتقبل شفاعتها ولا ترد . وصلي عليها بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر ، ودفنت بجوار والدها صبح الخميس ثاني [يوم][1] موتها رحمها الله ، ولم يخلف بعدها مثلها في الدين والصلاح في بنات جنسها .

● وفيها : في ليلة السبت السادس والعشرين من الشهر المذكور توفي **الفقيه العلامة الخطيب كمال الدين موسى بن عبد المنعم الضجاعي**[2] ، إلى رحمة الله تعالى بعد طول مرضه ، ودفن إلى جانب قبر جده الصالح الفقيه علي بن قاسم الحكمي[3] رحمه الله تعالى .

● وفيها : في ليلة الأربعاء سلخ الشهر المذكور توفي **الفقيه العلامة كمال الدين موسى بن أحمد الداولي المعروف بالمكشكش**[4] قرب مدينة تعز ، وقد خرج به منها مريضاً إلى مدينة زبيد فرد إلى مدينة تعز ، وغسل وكفن وصلي عليه بها ، ثم دفن بمقبرتها الاجيناد قريباً من قبر الفقيه نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي ، رحم الله غربته وأسكنه جنته .

● وفيها : حصل برق عظيم ، أصاب رجلاً يحرث على ثورين له خارج مدينة زبيد قريباً من تربة الفقيه أبي بكر الحداد بمجنة باب القُرْتُب[5] فأحرق

---

(١) زيادة من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٣٦) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٣٦) .

(٤) ترجمته في « طبقات الخواص » (٢٠٧) .

(٥) في (ط) (القربت) تحريف، وصوابه في (م) و« طبقات الخواص » (٢٨) وقد نص على=

الثورين بآلتهما ، وسلم الرجل بعد أن أصابه منه لفح كاد أن يهلكه ، فسبحان القادر على كل شيء!

* * *

= ضبطها ، قال : « بضم القاف وسكون الراء وبعدها مثناة من فوق مضمومة وباء موحدة : قرية من أقدم قرى الوادي زبيد » .

سنة خمس بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر صفر سنة خمس توفي **القاضي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إسحاق** ، ناظر مدينة عدن . وكان ثقة مأموناً لم تعلم له خيانة . تولي نظر الثغر المحروس في الدولة المجاهدية الطاهرية ، ثم المنصورية ، ثم الظاهرة ، ولم يتهم بخيانة رحمه الله .

● وفيها : ظهرت على الشمس هالة عظيمة من ضحوة النهار إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم اضمحلت .

● وفيها : في سحر ليلة السبت الثاني من شهر ربيع الآخر توفي **القاضي شرف الدين أبو القاسم بن محمد الحداد** مستوفي مدينة زبيد وناظرها ، ونعم الرجل كان ديناً وأمانة وعفة وصيانة ، وصلي عليه في جامع زبيد ، ودفن ضحى يومها بمشهد سيدي الشيخ أحمد الصياد مجاوراً له داخل المشهد ، وحضر دفنه جميع أهل البلد ، ولم يتخلف منهم إلا من حبسه عذر .

● وفيها : في يوم الإثنين الثاني عشر من جمادى الأولى توفي **قاضي تعز الفقيه العلامة سراج الدين أبو بكر بن علي بن عمران** ، وصلي عليه بجامع زبيد يوم الثلاثاء(١) الثالث عشر منه .

● وفيها : طلع من مشرق نجد نجم ذو ذؤابة ، وكان طلوعه من برج الحمل وذؤابته في اليمن وسيره في الشام ، فسبحان القادر على ما يشاء!

● وفيها : انقض كوكب عظيم من المشرق في المغرب وأضاءت له الدنيا ، ووقف ساعة ، ثم أضاء السماء ، فأضاء المكان الذي أصابه منها

---

(١) في (م) و (ط) (الجمعة) وهو خطأ .

إضاءة عظيمة ، ثم سقط في جهة المغرب ، وبقي ساعة ظاهراً في الموضع الذي أصابه ساعة طويلة ثم اضمحل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : دفع مطر وادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله ، وسال بخلق ودواب ، وأخرب قرية مزارع ، وجاء بشيء من هدم البيوت لا يعلم من أين هو ، فسبحان العليم الحكيم! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : وقع مطر بمدينة زبيد وما حواليها ، وكان جمع من الرعاة في البادية خارج باب الشبارق[1] فلما وقع عليهم المطر لجأوا إلى المعقد الكبير الذي هو غربي دار الطويلع قبالة بستان حائط لبيق ، واكتنُّوا عندهم جماعةً من الناس الذين كانوا بالحائط وغيرهم ، فبينا هم كذلك إذ رأوا الغنم تجول بعضها في بعض وتتساقط ميتة ، حتى سقط منها نحو ستة رؤوس ، ثم سكنت بعد ذلك ، فنظروا فإذا ثعبان عظيم تحت أرجلها ميتاً ، وقد وطئت إحداهن بظلفها رأسه فقتلته ، ودفع الله شره ، فسبحان القادر على ما يشاء!

● وفيها : في ضحى يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر شوال ، توفي **الشيخ الصالح شيخ الشيوخ جمال الدين محمد المعروف بابن إسماعيل الصوفي** ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن في قبر والده داخل قبة جده الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي[2] ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وكثر الأسف عليه رحمه الله ونفع به .

* * *

---

(١) في (ط) (الشيارق) وهو تصحيف ، وصوابه في (م) وفي « طبقات الخواص » (٣٢) وفيه : أنه من القرى العليا لوادي زبيد .
(٢) ترجمته في « طبقات الخواص » (١٠١ـ١٠٨) .

سنة ست بعد التسعمائة

● وفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من المحرم سنة ست توفي **قاضي الشريعة بزبيد الإمام العلاَّمة جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري**[1] رحمه الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بجامع زبيد ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وكان المذكور من عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، وهو خاتمة القضاة الناشريين بزبيد رحمه الله ونفع به .

● وفيها : في يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى ، توفي **شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان بن أبي شريف المري**[2] بالمهملة ، **المقدسي الشافعي بالقدس** ، وكان مولده في يوم السبت خامس ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

أخذ العلم عن جماعة منهم : شيخ الإسلام ابن حجر ، والعلامة ابن الهايم ومن في طبقتهم . ومن محفوظاته : « الشاطبية » ، و « المنهاج الفرعي » و « ألفية الحديث » ، و « مختصر ابن الحاجب » في النحو ، وعرض هذه الكتب على الشيوخ فأجازوه . وجوَّد القرآن العظيم بعد حفظه ، وأخذ عن بعضهم علم الحديث والأصول والعروض والقافية والمنطق وغيرها ، وتفقه بابن شرف وجماعة ، وأخذ عن بعضهم خرقة التصوف سندها إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وأَذِنَ له غير واحد في الإقراء ، وحج وجاور في سنة ثلاث وخمسين . وسمع على الشرف أبي الفتح المراغي ، والتقي بن فهد ، والبرهان الزمزمي ، وأبي البقاء بن الضياء بمكة ، وعلي المطري وغيره بالمدينة .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٣) . وليس فيه « مسعود بن رضوان » من أجداد المترجم له .

ترجم له البقاعي ، ووصفه بالذهن الثاقب ، والحافظة الضابطة ، والقريحة الوقادة ، والفكر القويم ، والنظر المستقيم ، وسرعة الفهم ، وكمال المروءة ، مع عقل وافر ، وأدب ظاهر ، وخفة روح ، ومجد على سمته يلوح ، وأنه شديد الانقباض عن الناس غير أصحابه .

قال السخاوي : ودرَّس وأفتى وحدث ونظم ونثر ، وذكر من تصانيفه حاشية على « شرح جمع الجوامع » للمحلي ، وأخرى على « تفسير البيضاوي » ، وشرحاً على « الإرشاد » لابن المقري ، و « فصول ابن الهمام » ، و « مختصر الشفاء » وغير ذلك . قال : وبالجملة ؛ فهو علامة متين التحقيق حسن الفكر والتأمل ، وكتابه أمتن من تقريره ، ورويته أحسن من بديهته ، مع صيانة وديانة ، وقلة كلام وعدم ذكره للناس ، ولكنه ينسب لمزيد بأو ، وإمساك مع الثروة ، وتجدد الربح من التجارة ، والكمالُ لله . وعاش[1] صاحب الترجمة بعد السخاوي أربع سنين . وذكره مؤرخ دمشق ، وذكر بعض أوصافه الحسنة باختصار وقال : إنه خلف دنيا طائلة رحمه الله تعالى .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ، ومات بسببه خلائق لا يحصون ، وكثر الوباء ، واستمر الدعاء لذلك في الصلاة والخطب ، ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة ، واشتد في آخر شعبان ورمضان فبلغ الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفساً ، وكان غالبه في النساء والأطفال ، وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][2] .

● وفيها : قدم قاصد صاحب مصر السلطان جان بلاط[3] بهدية عظيمة إلى

---

(١) في (م) و (ط) : « وعاشر » وهو تحريف وصوابه كما أثبتناه .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) في (م) و(ط) (حنبلاط) وهو تحريف ، والتصحيح من « شذرات الذهب » (١٠/ ٤١) و« الكواكب السائرة » (١/ ١٧١) وثمة ترجمته .

السلطان عامر بن عبد الوهاب من جملتها فانوس بلور قدر قامة الإنسان ، وصندوقان من بلور ، وسيوف عظيمة ، وأشياء نفيسة . ويقال : إنه رأى في منامه منامات صالحة للسلطان المذكور ، فكتب إليه بذلك .

● وفيها : في سحر ليلة الثلاثاء من رمضان توفي **الشيخ أبو بكر المزجاجي** ، ودفن ضحى يومها رحمه الله .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر شوال توفي **الشيخ الصالح وجيه الدين بن عبد الرحمن بن محيي الدين الجبرتي**[1] ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة توفي **نجم الصعدي بقية فقراء الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي** .

* * *

---

(١) ثمة ترجمة للمشايخ بني الجبرتي في « طبقات الخواص » (٤٢٢) .

سنة سبع بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع : توفي **الفقيه العلامة الصالح محمد بن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن الحاج بافضل الحضرمي** بالشِّحر .

وفيها : لأربع خلت من شهر ربيع الثاني توفي **الشيخ الإمام العلامة الولي الصالح الورع الزاهد بقية السلف وعمدة الخلف القاضي الفقيه عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبسين**[1] **الشافعي** بالشِّحر ، ودفن في تربة الشيخ فضل ، وحزن الناس بفقده وتأسفوا عليه كثيراً .

نشأ من صغره في الطاعة والعبادة ، وظهرت عليه من حينئذ لوائح السعادة ، واشتغل بالعلم ، فبرع وسلك طريق التدقيق ، فلحق من قبله وفات من بعده ، وتصدر في الشِّحْرِ للفتوى والتدريس . وتخرج به الطلبة وانتفعوا به كثيراً . وكان سيداً شريفَ النفس كريماً سخياً مفضالاً وصولاً للطلبة كثير الإحسان إليهم ، وكان يجتهد في جمعهم وترغيبهم للطلب ، ويسعى لهم في الرزق باذلاً لهم نفسه . حسن التعليم ، لين الجانب في غاية التواضع ، وكان متقشفاً في ملبسه ، طارحاً للتكلف ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ينكر على الملوك والأمراء [فمن دونهم][2] ساعياً في قضاء حوائج المسلمين ، ولا يتأخر بردٍّ من ردِّه ، ولا يكون ذلك منفراً له عن العود إلى الشفاعة مرة أخرى .

ومن فضائله المشهورة ومناقبه المذكورة سعيه في إخراج وقف الجامع الّذي على المدرس والمدرسة وغيرهم من يد الدولة بعد أن استولوا عليه مدة ، وكاد أن ينطمس ويندرس . ومن ذلك أنه كان السَّببَ في وصول الفقيه العلامة

---

(١) في (ط) : (عسين) وصوابه في (م) .
(٢) زيادة من (ط) .

عفيف الدين عبد الله بن الحاج فضل إلى الشِّحْرِ ، وترتيبه مدرساً في الجامع ، وانتفاع الناس به .

وبالجملة : ففضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر . وكان رحمه الله يعلم الصبيان القرآن ، وحفظ القرآن عليه خلق كثير ، وكان ينسخ المصاحف ويجتهد في ضبطها وتصحيح رسمها ، وكتب نحو خمسين مصحفاً .

وحكي أنه كان لا يأكل إلاّ من كسب يده ، وكان حسن الخط ، وأهل تلك الجهة يضربون بخطه المثل ، وكان مع هذا كله متولياً القضاء بالشِّحْر ، وكان من قضاة العدل المشكورين ، وأئمة الفضل المشهورين . واشتهر بذلك ذكره ، وطار صيته ، وضربت به الأمثال ، ولم يكن يأخذ لنفسه من معلوم القضاء شيئاً ، بل كان يخص بعض المحتاجين من الفقهاء والدرسة . ولم يزل في جميع مدة ولايته القضاء وغيرها مستمراً على جميع ما ذكرناه عنه من التعليم ، ونسخ المصاحف ، والسعي في حوائج المسلمين ، والشفاعات لهم إلى الملوك فمن دونهم ، والقيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعدم المداهنة ، والمراعاة في الأحكام ، والإغلاظ للظلمة ، وعدم الاحتفال بأهل الدنيا وأرباب الجاهات والمناصب ، والتقشف في الملبس حتى أنه كان يعصر المداد بعمامته ، وقد لا يكون له إلا ثوب واحد يتزر ببعضه ويجعل بعضه على عاتقه ، ويمشي كذلك في الأسواق وغيرها غير مكترث بأحد ولا مستحي من أحد .

وقضيته مع السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري صاحب الشِّحْرِ مشهورة ، وذلك أن السلطان المذكور اشترى حصاناً من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد ردَّه ، وادعى فيه عيباً ، وامتنع من تسليم الثمن للبائع ، فاشتكى عليه إلى القاضي المذكور ، فكتب إليه أن احضر إلى الشَّرع الشَّريف ، ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حاباه بكلمة واحدة . ولله دره! ولقد أبقى فخراً وغنم أجراً ، وامتطى ذروة [السِّماك][1] ، ورقي

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

فوق أوج الأفلاك . شعر [من الكامل]:

هيهات أن يأتي الزَّمانُ بمثله   إنَّ الزَّمانَ بمثله لا يَسمَحُ

وكان آية في العلم والفقه ، ويكفي في ذلك أنه اختلف هو والفقيه الإمام محمد بن عمر بحرق في مسألة في الفقه ، وطال النزاع بينهما حتى اشتهر بين الناس ، فجاء صاحب الترجمة إلى الفقيه بحرق ومعه كتاب الروضة للنووي ، فأوقفه على المسألة ، فرجع إلى قوله . ثم إن الفقيه بحرق صعد المنبر وخطب وقال : ألا إنَّ المسألة التي اختلفت فيها أنا والقاضي ابن عبسين وجدت الحق فيها معه . ولا يخفى ما في هذه الحكاية من المنقبة العظيمة له الّتي تشهد بغزارة علمه وكثرة اطلاعه ، وفيها ما يدل على تواضع الفقيه بحرق وإنصافه من نفسه ، واعترافه بالحق ورجوعه إليه ، وهذا عزيز إلاَّ على من وفقه اللهُ تعالى وعصمه من الهوى ورزقه الإخلاص في العلم . ولله درُّهما وهكذا فلتكن العزائم ، وهذه والله هي المناقب ، ولمثلها فليعمل العاملون ، وفيها فليتنافس المتنافسون .

● وفيها : في أوائل شهر رجب توفي القاضي **عفيف الدِّين عبد الله بن أبي الفضل ظهيرة** بمكة المشرفة رحمه الله تعالى .

● وفي ليلة الاثنين توفي العلامة **جمال الدين أبو المكارم بن الرافعي بن ظهيرة** بمكة المشرفة أيضاً رحمه الله .

● وفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين منه توفي **الفقيه المقرىء الصالح المعمر جمال الدِّين محمد بن أبي بكر بن بدير**[1] عن تسعين سنة ، ممتعاً بسمعه وبصره وعقله ، وكانت إليه النهاية في علم القراءات السبع رحمه الله تعالى .

● وفي ليلة الأربعاء الثامن عشر من شهر شوال توفي **الفقيه العلامة جمال**

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥١) .

الدِّين **محمد بن علي الطَّيب**[1] إمام مقام الحنفية بجامع زبيد ، وصلي عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الصبح ، ودفن إلى جنب أبيه وأخيه بمقبرة باب سهام رحمه الله تعالى .

● وفي آخر يوم الخميس التاسع عشر من الشهر المذكور : توفي **الفقيه العلامة أبو بكر بن عبد الله قعيس**[2] ، **الشافعي** ، وصلي عليه بالجامع بزبيد بعد صلاة الصبح ، ودفن بتربة الشيخ أحمد المزجاجي رحمه الله ونفع به .

● وفي صبح يوم الجمعة الخامس من شهر ذي الحجة الحرام توفي **الفقيه النبيه الصالح المعمر عفيف الدين عبد العليم بن أبي القاسم بن عثمان إقبال القرتبي**[3] الحنفي بمدينة زبيد ، وصلي عليه بالجامع بعد صلاة الجمعة ، ودفن بمجنة باب القرتب غربي مشهد الفقيه أبي بكر الحداد نفع الله بهما ، وكان له مشهد عظيم . ومولده في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة رحمه الله ونفع به .

● وفي الشهر المذكور كتب الشريف بركات[4] إلى واليه بجزيرة القُنْفُدة[5] يأمره بتغريق القاضي أبي السعود[6] وأن لا يراجعه في ذلك ، فأخرجه من الجزيرة في السُّنْبُوق[7] وغرَّقه في البحر يوم الأربعاء[8] الثاني من شهر ذي

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥١) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٨) وهو فيه : (فعيس) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٠) .

(٤) هو الشريف بركات بن محمد والي مكة ، انظر خبره ونزاعه مع أخوته أحمد وهزاع حول ولاية مكة في « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » (٢/ ٦٢٦ـ٦٢٨ ، ٦٣٢) .

(٥) القُنْفُدة ، بإهمال الدال : قرية بسواحل مكة (تاج العروس) (قنفد) وانظر (قنفذ) وفيه : « وهي الآن قرية عامرة على البحر » وصوبه الزَّبيدي قال « والمشهور بإهمال الدال » .

(٦) هو أبو السعود إبراهيم بن ظهيرة ، وسبب فتك الشريف بركات بن محمد به أنه أعان أخاه أحمد الجازاني على ولاية مكة ، قاله في « غاية الأماني » (٢/ ٦٢٨) .

(٧) السُّنْبُوق : زورق صغير « المعجم الوسيط » (١/ ٤٧٠) .

(٨) في (ط) (الأحد) وما أثبتناه عن (م) .

الحجة الحرام ، وأولاده وعياله ينظرون إليه رحمة الله عليه .

● وفي سحر ليلة الثلاثاء سلخ السنة المذكورة توفي **الفقيه القاضي العلامة الصالح مفتي المسلمين أحمد بن العلامة الولي المقرب جمال الدين محمد الطاهر بن أحمد جعمان**[1] قاضي مدينة حَيْس[2] إلى رحمة الله في بيته من مدينة زبيد ، وغسل وكفن بها ، وصلي عليه بجامعها ، وحملت جنازته على أعناق الرجال إلى حلدر العرق ظاهر مدينة زبيد ، وحمل في محمل على جمل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، ودفن بها آخر ذلك اليوم إلى قبر أبيه وجده ـ نفع الله بهم ـ بوصية منه رحمه الله تعالى . وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلف بعده مثله في بني جعمان في العلم والمعرفة رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٠) وترجمة والده أحمد بن عمر بن جعمان في « طبقات الخواص » (٨٨) وفيه « وبنو جعمان هؤلاء بيت علم وصلاح ، شهرتهم تغني عن التعريف بحالهم » .

(٢) في (ط) (جبس) وصوابه في (م) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٠) وهي « بلد وكورة من نواحي زبيد باليمن ، بينها وبين زبيد نحو يوم للمُجِدِّ . . » « معجم البلدان » (٢/ ٣٣٢) .

سنة ثمان بعد التسعمائة

● وفي ليلة الاثنين سنة ثمان توفي **الحافظ العلامة عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر الفخر أبو عمرو[1] الدِّيَمِي[2] بالمهملة المكسورة ثم تحتانية مفتوحة بعدها ميم ثم ياء ـ نسبة إلى ديمة ، وهي بلد والده ـ القاهري الأزهري الشافعي** . ولد في المحرم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، فحفظ القرآن العظيم ، ثم حفظ « العمدة » ، و « ألفية الحديث » ، و « الألفية في النحو » ، و « منهاج الفقه والأصل » ، وجوَّد القرآن على بعضهم ، وأخذ الفقه عن جماعة . وكذا في العربية عند بعضهم ، ولازم الشهاب الهيتمي وأكثر معه من مطالعة « شرح مسلم » للنووي ، فعلق بذهنه الكثير منه ، وصار يستعير منه ما كان عنده من « الإكمال » لابن ماكولا [فيدرس][3] فيه بحيث يأتي على الورقة منه سرداً ، وقرأ نصف البخاري على الشمس محمد بن عمر البرزنجيهي الأزهري خادم المؤيدية وقال : إنه انتفع بصحبتهما ، وذهب إلى النور الشلواني نزيل الأقمر فجلس معه يسيراً ، وسمع منه ، وأول ما سمع العشرة الأولى من عشاريات الزين على العز بن أبي التائب .

ثم أكثر من القراءة في حدود سنة تسع وأربعين وما بعدها على عدة من المسندين ، ولازم الرشيدي والصالحي حتى كاد يستوفي مسموعهما ، وزاد حتى قرأ على ثانيهما « المسند » لأحمد بتمامه وقرأ أيضاً على آخرين ، وكذا قرأ على الشيخ الإمام ابن حجر العسقلاني « مسند الشهاب » وغالب النسائي الصغير ، وسمع عليه أشياء . وحجَّ في سنة ثلاث وخمسين صحبة الركب

---

(١) في (ط) (عمر) وما أثبتناه عن (م) ومصادر ترجمته .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (٥/ ١٤٠) و « الكواكب السائرة » (١/ ٢٥٩) .

(٣) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

الرجبي ، فزار في جملته[1] أولاً في المدينة وأخذ بها يسيراً من المحب المطري ، وأبي الفرج الكازروني وغيرهم ، وقرأ وهو هناك الصحيح بتمامه في الروضة الشريفة في أربعة أيام ، وسمع « الشفا » من لفظ البدر البغدادي قاضي الحنابلة ، ثم أخذ عليه اليسير أيضاً ، وعن أبي الفتح المراغي والزين الأميوطي وكان أخذ عنه أيضاً بالقاهرة ، وعلى التقي بن فهد ، والبرهان الزمزمي[2] ورجع إلى القاهرة ، وأقام بها على عادته .

وكان قد اشتهر بين الناس بحفظ الرجال ، وعينه شيخه العبادي لإسماع الحديث بالمقام الأحمدي بطنتدا ، فتوجه إليه مرة بعد أخرى ، فانتشر صيته بمعرفة الرجال فصار يجتمع عنده جماعة للقراءة عليه ، وأكثر بعضهم التنويه بذكره فعرف به جماعة من الأمراء .

وبالجملة : فكان مستحضراً لجملة من مشاهير الرجال ، وكذا المتون مع كثير من الغريب والمبهم . وهو أحد التسعة الذين أوصى إليهم شيخ الإسلام ابن حجر ، ووصفهم بكونهم أهل الحديث . هذا ملخص ما ذكره السخاوي في ترجمته .

قال الشيخ جار الله بن فهد المكي : أقول : وبعد المؤلف انفرد بالرواية ، وازدحم عليه الطلبة ، وصار له ذكر عند الخاصة والعامة مع عدم معرفته بتخريج الإسناد، لكن الناس انتفعوا بتقريره ، واستمر كذلك إلى أن لقي الله عز وجل ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : **في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الثانية توفي الشيخ الكبير والولي الشهير العارف بالله تعالى برهان الدين أبو الطيب إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصرائي الأصل[3] ، القاهري الحنفي الشافعي المواهبي نسبة**

---

(١) في (ط) (وقرأ في رحلته) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) (الزمزي) وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١/ ١١٤) و« الطبقات السنية » (١/ ٢٤١) و« شذرات=

لتلمذة[1] لأبي المواهب بن رغدان ، ودفن في صبح يوم الجمعة قبل صلاة الظهر بزاويته بالقاهرة .

قرأ طرفاً من العلم على شيوخ عصره كالسخاوي وغيره ، وصحب الشيخ الكامل محمداً أبا الفتوح الشهير بابن المغربي ، وأخذ عنه التصوف ، ثم أخذ بإذنه من الولي الكبير محمد أبي المواهب التونسي فعادت عليه بركات عوارفه ، وانهلت على أرض قلبه أمطار زوارفه[2] ، وفتح الله له على يديه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ذكره السخاوي باختصار .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وقد جاور صاحب الترجمة بمكة سنة أربع وتسعمائة وأقام بها ثلاث سنين ، وألف بها شرحاً على الحكم لابن عطاء الله سماه « أحكام الحكم لشرح الحكم » ، وشرح رسالته المسماة « أصول مقدمات الأصول » ، وشرح كلمات علي بن محمد وفا المعروف يا مولانا يا واحد يا أحد سماه « شرح التمويل في بيان مشاهد يا مولانا يا واحد يا أحد » ، وشرح الرسالة السنوسية في أصول الدين ، وله ديوان نظم ، وعدة رسائل ، وسبعة أحزاب ، ومؤلفات في الزيارة النبوية وغير ذلك . أخذ الناس عنه في التصوف .

وحكي عنه أنه قال : أفادني أستاذي أبو المواهب : [أن من أدل دليل على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وَقَرَ في صدره »[3] . أي فبذلك الشيء الذي وَقَرَ في صدره يستحق الخلافة . ثم انتقل فانتقلت تلك الوراثة إلى عمر ، ثم إلى عثمان ، ثم إلى علي ، ثم إلى الحسن رضي الله عنهم أجمعين][4] وبذلك كمال خلافتهم ظاهراً وباطناً .

= الذهب » (١٠/ ٥٢) .

(١) في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٢) : (نسبة لتلميذه) .

(٢) في (ط) (وارفه) ، وصوابه في (م) .

(٣) ذكره المرتضى الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » (١/ ٣٢٤) .

(٤) ما بين حاصرتين جاء نصه في (م) على النحو الآتي : (أن أول الأقطاب سيّدنا الحسن بن=

● وفيها : احترق من مدينة عدن جانب عظيم من نصف الليل إلى قرب الفجر ، وتلفت فيه بيوت كثيرة من بيوت التجار كأبي الليل ، وأحمد بن عبد السلام ، وأحمد الدملولي(١) والحوايجي(٢) ، وإسماعيل بن عبد الأول الناشري ، وجانب من السوق الكبير إلى بيت أبي شكيل ، وجانب من حافة اليهود ، وحافة الحبوش بأسرها ، وأحدقت النار بالمدرسة السفيانية ، وتلفت فيها أموال جليلة . ويقال : إنّه بلغ عدد البيوت المحترقة تسعمائة بيت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد ونواحيها زلازل ، وتواترت ليلاً ونهاراً ، وأشفق الناس منها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفي منتصف ليلة الأربعاء التاسع عشر من رجب منها توفي **الفقيه العلامة [الصالح](٣) سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن يحيى الجهمي** صاحب قرية المصباح من أصاب ببلده ، وكان معتمد أهل أصاب ، ومرجعهم وحاكمهم وعالمهم . قرأ على الفقيه أبي بكر البليما ، والفقيه محمد بن أحمد مفضل الواسطي ، والقاضي جمال الدين محمد بن حسن القماط ، والفقيه موسى بن زين العابدين الرداد ، وانتفع به كثيراً رحمه الله .

● وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شعبان توفي **الإمام محمد بن ناصر** صاحب صنعاء رحمه الله .

● وفي ليلة الأربعاء الثالث من شهر شوال توفي **الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عمر البليما** ، وكان عارفاً بعلم اللغة والعربية بزَبيد ، ودفن صبيحتها عند أخواله بني الناشري رحمه الله .

= علي وأن أول من تلقى ذلك فاطمة الزهراء مدة حياتها ثم انتقلت فانتقلت إلى السيد الكبير أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ثم إلى علي ، ثم الحسن رضي الله عنهم أجمعين) .

(١) في (ط) : (الدهلوي) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : (الحوامحي) وما أثبتناه عن (م) .

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد ونواحيها وبمدينة عدن والجبال مرض يعرف بشمندله[1] وهو ريح يأخذ المفاصل والأعضاء ، ويمنع من الحركة ثلاثة أيام ، يكون معه حمى ثم تزول وهو سليم ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

* * *

(١) في حاشية (م) بخط مغاير : « والله أعلم أنه الذي يُقال له النديغو بلغة حضرموت » .

سنة تسع بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع : كان يتراءى للناس في ما بين حائط دار الشجرة ومسجد الحمّا رجل طويل يزيد طوله على منارة جامع الملاح ، أسود اللون ذو وفرة ، الخطوة الواحدة منه مقدار ثلاثين ذراعاً ، وكان يراه بعض الناس دون بعض ، وربما رؤي بطريق النخل ما بين مسجد الزيد ودار الشجرة .

● وفيها : في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر رمضان توفي **الفقيه العلامة الصالح عفيف الدين عبد المجيد بن عبد العليم إقبال المعروف بالقرتبي**(١) بمدينة زبيد ، وهو يومئذ رأس المفتين بها على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، ودفن صبح يوم الثلاثاء ثاني يوم موته بمجنة باب القرتب إلى جانب والده قريباً من مشهد الفقيه أبي بكر الحداد رحمهم الله تعالى .

● وفيها : استمر دعاء الخطيب على المنبر ، وارتفع تضرعه في كشف ما حل بالناس من الحبوب المعروفة بالنار الفارسي ، وكان قد كثر ببلاد اليمن وزاد ، وذهب عن الناس وعاد ، واستمر معهم من أوائل سنة ست وتسعمائة فما بعدها ، وحرجت منه الصدور ، وضاقت النفوس .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦١) وفيه : (القربتي) .

سنة عشر بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد سلخ المحرم سنة عشر توفي السلطان العادل المشهور بأفعال الخير وإقامة الشرع عبد الله بن جعفر الكثيري[1] بالشِّحر ، وكانت سيرته في رعيته سيرة حسنة محمودة رحمه الله .

● وفيها : حصل بمدينة زَبيد زلزلة عظيمة ، وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع زلزالاً عظيماً شديداً أوقع بعض بيوتها ، وخرج أهل البيوت إلى الساحل ولم يرجعوا إلى منازلهم إلا صباحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : انقضّ كوكب عظيم وقت العشاء من اليمن في الشام عرض مدينة زَبيد ، وتشظّى منه شظايا عظيمة ، ثم حصلت بعده هزة عظيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : وُجِد كنز ذهب بقرية هقده ما بين مدينتي عدن ، سوزع ، كان بها مسجد قد خرب ، فأراد رجل تجديد عمارته ، فوجد الحفارون في الأساس كنزَ ذهبٍ شخوصاً مضروباً عليها بسكة لا تشبه سكة الإسلام ، الوزن لكل شخص منها ربع أوقية كل أربعة منه أوقية ذهب . وكان قبل ذلك وجد أيضاً بمدينة عدن كنز آخر في أساس مسجد لكنه دون هذا .

● وفيها : كانت الواقعة المشهورة بين السلطان عامر بن عبد الوهاب والأمير محمد بن الحسين البهّال صاحب صعدة على باب صنعاء ، فانهزم فيها البهّال وعساكره هزيمة عظيمة ما سمع بمثلها قط ، وأسر فيها إمام الزيدية محمد بن علي الوشلي إمام أهل البدعة ورئيسهم في جمع عظيم ، وقُتل منهم

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٦٦) .

جمعٌ لا يُحصى ، ونهبهم الناس ، وكانوا يأتون بهم وبخيلهم واحداً واثنين ، وأخذ السلطان عامر مدينة صنعاء .

● وفي يوم الجمعة رابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام توفي **إمام الزيدية محمد بن علي الوشلي**[١] أسيراً بمدينة صنعاء إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بجامعها ودفن بها رحمه الله .

● وفي ضحى يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور توفي **الفقيه الصالح تقي الدين عبد السلام بن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري**[٢] إلى رحمة الله تعالى بمدينة زبيد ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب قبر والده رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٧١) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥١) .

سنة إحدى عشرة بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة وقت العصر تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة توفي **الشيخ العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي[1] بكر بن [محمد بن أبي بكر][2] بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ الهمام الخضيري السيوطي[3] المصري الشافعي** ، وصلي عليه بجامع الأفاريقي تحت القلعة ، ودفن بشرقي باب القرافة ، ومرض ثلاثة أيام . والخضيري : نسبة إلى محلة الخضيرية ببغداد ، ووجد بخطه رحمه الله أنه سمع ممن يثق به أنه سمع والده يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من المشرق ، فلا يبعد أن النسبة إلى المحلة المذكورة . وأمه أم ولد تركية .

وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة ، وكان يلقب بابن الكتب ؛ لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتي به ، فأجاءها المخاض وهي بين الكتب ، فوضعته . وسماه والده بعد الأسبوع عبد الرحمن ، ولقبه جلال الدين ، وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني لما عرض عليه وقال له : ما كنيتك؟ قال : لا كنية لي . فقال : أبو الفضل ، وكتبه بخطه . وتوفي والده ليلة الاثنين

---

(١) في (ط) (أبو) وصوابه في (م) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) ترجمته في « الضوء اللامع » (٤/ ٦٥ـ٧٠) و « الكواكب السائرة » (١/ ٢٢٦ـ٢٣١) و « شذرات الذهب » (١٠/ ٧٤ـ٧٩) و « متعة الأذهان » الورقة (٤٤) و « مفاكهة الخلان » (١/ ٢٩٤) و « البدر الطالع » (١/ ٣٢٨ـ٣٣٥) و « جامع كرامات الأولياء » (٢/ ٦٢) و « الأعلام » (٣/ ٣٠١ـ٣٠٢) و « معجم المؤلفين » (٥/ ١٢٨ـ١٣١) .

خامس صفر سنة خمس وستين وثمانمائة ، وجعل الشيخ كمال الدين بن الهمام وصياً عليه ، فلحظه بنظره ورعايته[1] . وختم القرآن وسِنّه دون ثماني سنين ، ثم حفظ « عمدة الأحكام » ، و « منهاج النووي » ، و « ألفية ابن مالك » ، و « منهاج البيضاوي » وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره ، وأحضره والده وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة ، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي ، ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي ، ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ . وحج سنة تسع وستين وثمانمائة ، وشرب من ماء زمزم لأمور منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر . ووصلت مصنفاته نحو الستمائة مصنف سوى ما رجع عنه وغسله . وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة ، ثم أنه زهد في جميع ذلك ، وانقطع إلى الله بالروضة . وكانت له كرامات ، وعظم غالبها بعد وفاته .

وحكى الشيخ العلاّمة زكريا بن الشيخ العلاّمة محمد المحلي الشافعي : أنه عرض له مهم في بعض أوقاته قال : فسألته أن يكتب إلى بعض تلامذته بالوصية عليَّ فامتنع ، وأطلعني على ورقة بخطه وفيها أنه اجتمع بالنبي ﷺ في اليقظة مرات تزيد على سبعين مرة ، وقال له كلاماً حاصله : أن من كان بهذه المثابة لا يحتاج إلى مدد وإعانة من أحد . رحمه الله .

وحكي عنه أنّه قال : رأيت في المنام كأني بين يدي النبي ﷺ ، فذكرت له كتاباً شرعت في تأليفه في الحديث وهو « جمع الجوامع » ، فقلت له : أقرأ عليكم شيئاً منه؟ فقال لي : هات يا شيخ الحديث . قال : هذه البشرى عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها .

ومن تصانيفه : « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » ، اثني عشر مجلداً ، و « تناسق الدّرر في تناسب السور » ، و « حاشية على البيضاوي » إلى

---

(١) في (م) و(ط) (ودعايته) وهو تحريف .

« الإسراء » ، و « الأزهار الفائحة على الفاتحة » ، و « المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة » ، و « إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة » ، و « الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج » ، و « كشف الغطا في شرح الموطا » ، و « تنوير الحوالك على موطأ مالك » ، و « البدور السافرة عن أمور الآخرة » ، و « نتيجة الفكر في الجهر بالذكر » ، و « تزيين الآرائك في إرساله ﷺ إلى الملائك » ، و « مسالك الحنفا في إسلام والدي المصطفى » ، و « نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين » ، و « ذم القضاء ، وذم زيارة الأمراء » ، و « التنفيس عن ترك الإفتاء والتدريس » ، و « الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان » ، و « طي اللسان عن ذم الطيلسان » ، و « التضلع في معنى التقنع » ، و « عين الإصابة في ما استدركته عائشة على الصحابة » ، و « الاحتفال بالأطفال » ، و « ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين » ، و « الأوج في خبر عوج » ، و « الوديك في الديك » ، و « الطرثوث في فوائد البرغوث » ، وله « مختصر نهاية ابن الأثير »(١) ، و « الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع » ، و « مختصر الخادم » ، و « مختصر الأحكام السلطانية » ، و « شرح الروض » لابن المقري ، و « شرح التنبيه » مختصر ، و « البهجة المرضية في شرح الألفية » ممزوج ، و « المسائل الوفية في نكت الحاجبتين والألفية » ، على منوال التحرير للشيخ ولي الدين العراقي على الكتب الثلاثة في الفقه جامع لكل ما يرد [عليه](٢) على عبارتها ، وما ناقضوه في غيرها من مصنفاتهم مع ما أمكن من الجواب(٣) .

ومن تصانيفه : « السيف الصقيل في نكت شرح الألفية لابن عقيل » ، و « الفتح القريب على مغني اللبيب » ، و « جمع الجوامع » في العربية وشرحه « همع الهوامع » ، و « المرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية » ، و « شرح

---

(١) في حاشية (م) بخط مغاير : (سماه الدر النثير مختصر نهاية ابن الأثير) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) في (م) : (الجوانب) وما أثبتناه عن (ط) .

الشاطبية » ممزوج ، و « نظم جمع الجوامع في الأصول » و « شرحه » ، و « الطب النبوي » ، و « طبقات الحفاظ » ، و « طبقات الشافعية » ، و « طبقات النحاة » ، و « أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب » ، و « الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة » ، و « الإكليل في استنباط التنزيل » ، و « فتح الإله في التفضيل بين الطواف والصلاة » ، و « البارع في إقطاع الشارع » ، و « كشف الصبابة في مسألة الاستنابة » ، و « حسن المقصد في عمل المولد » ، و « تنشيف الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، و « فجر الدياجي في الأحاجي » ، و « نزهة الجلساء في أشعار النساء » ، و « شرح الصدور بشرح أحوال القبور » ، وله تعليق لطيف على البخاري ، وله غير ذلك ، لكن كثيراً من مؤلفاته هذه المذكورة صغير ، وبعضها في كراس وكراسين .

ومن شعره مضمناً لمصراع من البردة وهو مما كتب به إلى الحافظ السخاوي متحاملاً عليه ومعرضاً به : [من البسيط]:

قُـلْ للسّخـاويِّ إنْ تَعْـروك مُشكلـة ... علمـي كبحْـر مـنَ الأمـواج مُلتطـمِ
والحافظُ الدّيَمي غيْثُ الزمان فخُذ ... « غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدّيمِ »

قال بعض الفضلاء : والحقُّ أنَّ كلاًّ من الثلاثة كان فرداً في فنه مع المشاركة في [فنٍّ] غيره ؛ فالسخاوي تفرّد بمعرفة علل الحديث ، والدِّيَمي بأسماء الرجال ، والسيوطي بحفظ المتن ، والله أعلم . وكان بينه وبين الحافظ السخاوي منافرة كما يكون بين الأكابر .

[لطيفة][1] : ذكر الجلال السيوطي في « المقامة السندسية » له عند الكلام على إحياء أبوي النبي ﷺ ، فقال : وهل يُسْتَبْعَد على من أنجى اللهُ به الثقلين أن ينجي به الأبوين؟ فإن استبعد هو ذلك ، فليست الشدة عندي بأرجح من

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

الرخاء ، وإن استكثر ذلك ، فإنّه لبخيل حيث شحّ لأجمل الأمرين وهو السخاء . [شعر] : [من البسيط]:

شحَّ السّخاويُّ بالإنجاء يذْكره ... عن والديْ سيِّد الأبناء والأمم[1]

إن عزّ أن يبلغَ البحرَ الخضمَّ روى ... يا ليته[2] يستقي من وابلِ الدِّيمِ

وله أيضاً فيما يسن قبوله من الأشياء : [من الطويل]:

عن المُصطفى سبْعٌ يسنّ قبولها ... إذا ما بها قد أتحف المرءَ خُلاّنُ

فحلوٌ وألبانٌ ودهنٌ وسَادةٌ ... ورزقٌ لمحتاجٍ وطِيبٌ وريْحانُ

وله أيضاً في من كان يفتي من الصحابة زمن النبي ﷺ : [من الطويل]:

وقَدْ كان في عصْرِ النبيِّ جماعةٌ ... يقومون بالإفتاء قَوْمةَ قانتِ

فأربعةٌ أهل الخِلافةِ منهم ... مُعَاذٌ أُبيٌّ وابنُ عوف بن ثابتِ

وأسيوط : مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد في مستوى ، كثيرة الخيرات ، أعجوبة المتنزهات ، وعجائب عماراتها وسورها مما لا يذكر . ولما صورت الدنيا للرشيد لم يستحسن غير كورة أسيوط لكثرة ما بها من الخيرات والمتنزهات ، ومن عجائبها أن بها يكش[3] ألف فدان ينشر ماؤها في جميعها لاستواء سطح أرضها ، ويسير الماء في أقطارها . قاله القزويني .

● **وفيها : في يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة توفي عالم المدينة الإمام القدوة والمفنن ، الحجة الشريف ذو التصانيف الشهيرة نور الدين[4] أبو الحسن**

---

(١) في (ط) : « شيخ . . . » ولا يناسب المعنى ، وصوابه في (م) وفيه أيضاً في (م) : « . . . الأنبياء . . » وبه يكسر الوزن وصوابه في (ط) .

(٢) في (ط) : بالتِّيه ، والمثبت من (م) .

(٣) كذا الأصل ، والعبارة غير واضحة ، وهي في (م) و (ط) غير واضحة المعنى ، وذكرها ياقوت على نحو آخر ، قال « وبها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها . . . » « معجم البلدان » (١/ ١٩٤) .

(٤) ترجمته في « الضوء اللامع » (٥/ ٢٤٥ـ٢٤٨) و « شذرات الذهب » (١٠/ ٧٣) و « البدر الطالع » (١/ ٤٧٠ـ٤٧١) و « معجم المؤلفين » (٧/ ١٢٩ـ١٣٠) .

علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي الروح عيسى بن أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي الطاهر بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد [بن حسن بن محمد][١] بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن [المُثنَّى بن الحسن][٢] الأكبر بن علي بن أبي طالب الحسني ، ويعرف بالسَّمْهودي ، نزيل المدينة الشريفة وعالمها ومفتيها ومدرّسها ومؤرخها .

ترجمه الحافظان : العز بن فهد ، والشمس السخاوي ، وساق أولهما نسبه كما ذكرته ، وقالا ما مختصره : إنّه ولد في صفر سنة أربع وأربعين وثمانمائة بسمهود[٣] ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، و « المنهاج الفرعي » ، وكتباً . ولازم والده حتى قرأ عليه المنهاج بحثاً مع شرحه للجلال المحلي ، و« شرح البهجة » نصفه سماعاً ، و« جمع الجوامع » ، وغالب « ألفية ابن مالك » ، وسمع عليه بعض كتب الحديث ، وقدم القاهرة معه [وبمفرده][٤] غير مرة ، أولها سنة ثلاث وخمسين ولازم أولاً الشمس الجوجري في الفقه وأصول العربية ، وعلى الجلال المحلي بعض شرحيه على « المنهاج » و« جمع الجوامع » ، مع سماع دروسه من الروضة بالمؤيدية ، وأكثر من ملازمة الشرف المناوي ، وقسم عليه « المنهاج » مرتين ، و« التنبيه » و « الحاوي » ، و « البهجة » وجانباً من شرحهما ، وشرح « جمع الجوامع » كلاهما لشيخه الولي العراقي وغيرهما من مؤلفاته ، وجملة في فنون ، وألبسه خرقة التصوف .

---

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) ذكره ياقوت بالطاء مكان الدال ، قال : « سَمْهُوط : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطىء غربي النيل بالصعيد دون فِرْشُوط » « معجم البلدان » (٣/ ٢٥٥) .

(٤) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

وقرأ على النجم بن قاضي عجلون تصحيحه « للمنهاج » وعلى الشمس البامي « تقاسم المنهاج » وغيره ، وعلى الشيخ زكريا في الفقه والفرائض ، وعلى الشمس الشرواني في] « شرح عقائد النسفي » ، وغالب « شرح الطوالع » للأصبهاني ، وسمع عليه الإلهيات ، وقطعة من « الكشاف » ، ومن المختصر ، والمطول ، وللعضدي ، و « شرح المنهاج الأصلي » للغزي وغير ذلك .

وحضر عند العلم البلقيني ، وكذا الكمال إمام الكاملية[1] وألبسه الخرقة ، ولقنه الذكر . وقرأ « عمدة الأحكام » بحثاً على السعد الديري[2] وأذن له في التدريس هو والبامي والجوجري ، وفيه في الإفتاء الشهاب الشارمساحي[3] بعد امتحانه بمسائل ، وفيه أيضاً زكريا والمحلي والمناوي ، وعظم اختصاصه بالأخيرين وتزايد مع المناوي ، وقرره في عدة وظائف ، وعرض عليه النيابة فأباها مع قضاة بلده ، وأمر نوابها . وكان يتوجه لزيارة أهله أحياناً .

قال السخاوي : وسمع مني مصنفي « الابتهاج » وغيره ، وكان على خير كثير ، وقطن بالمدينة من سنة ثلاث وسبعين ، ولازم فيها الشهاب الأبشيطي ، وحضر درسه في « المنهاج » ، وجانباً من « تفسير البيضاوي » و « شرح البهجة » للعراقي ، و « التوضيح »[4] لابن هشام ، بل قرأ عليه تصانيفه[5] ،

---

(١) في (ط) : (الكمالية) .

(٢) في (م) : (الدري) وصوابه في (ط) و « شذرات الذهب » (١٠/ ٧٣) .

(٣) في (ط) : « السارحي » والمثبت من (م) .

(٤) في (م) و(ط) : « التوشيح » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وأراد « التوضيح على ألفية ابن مالك » وهو من تصانيف ابن هشام المشهورة ، ويعرف بـ « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » مطبوع في مصر بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وشرحه الشيخ خالد الأزهري باسم « التصريح على التوضيح » . وانظر « المنهج الأحمَد » للعليمي (٥/ ١١٥) و « المدارس النحوية » للدكتور شوقي ضيف (٣٤٧) .

(٥) الضمير في هذه الكلمة عائد إلى (الشهاب الأبشيطي) وعليه قرأ المترجم له تصانيفه والكتب=

وأذن له في التدريس ، وأكثر من السماع هناك على أبي الفرج المراغي ، وقرأ على عبد الله بن صالح ، وألبسه خرقة التصوف بلباسه من عمر العراقي[1] . وكان سمع بمكة على كمالية بنت النجم المرجاني ، وشقيقها الكمال أبي الفضل ، والنجم عمر بن فهد في آخرين ، وبالقاهرة على جماعة سوى من تقدم .

وأجاز له جماعة ، والتمس من النجم عمر بن فهد تخريج مشيخة له ففعلها وعظمه في خطبتها ، ومات قبل إكمالها ، فتممها ولده العز عبد العزيز وبيضها له وحدث بما فيها . وانتفع به جماعة من الطلبة في الحرمين . وألف عدة تآليف منها : « جواهر العقدين في فضل الشرفين »[2] و« اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى »[3] احترق قبل إكماله ، و « مختصر خلاصة الوفا لما يجب لحضرة المصطفى » في تنظيف الحجرة من الحريق ، وغيرها في مسائل واقعة فيها ، وحاشية على « الإيضاح في مناسك الحج » للإمام النووي وسماها « الإفصاح » ، وكذا على « الروضة » أيضاً سماها « أمنية المعتنين[4] بروضة الطالبين » ، وصل فيها إلى باب الربا ، وجمع فتاويه في مجلد وهي مفيدة جداً . وحصل كتباً نفيسة احترقت جميعها وهو بمكة في سنة ست وثمانين . وسافر في موسمها إلى القاهرة فلقي سلطانها الأشرف قايتباي ، فأحسن إليه

= الأخرى المشار إليها ، وهو الذي أذن له بالتدريس أيضاً .

(١) في (ط) : (العرابي) وهو تحريف ، وصوابه في (م) وكان ذكره في هذه الترجمة أكثر من مرة .

(٢) في (ط) : (الشريفين) وهو تحريف ، وصوابه في (م) وأراد بالشرفين : العلم والنسب ، ذكره العلامة الزركلي ، قال : « رأيت نسخة منه في مغنيسا (الرقم ٢٨٤) كتبت سنة ٩٣٠ ومنه نسخ كثيرة متفرقة » وأورد صورة من مخطوطة هذا الكتاب من مخطوطات « أياصوفيا كتبخانة سي » الرقم ٣١٧١ باستامبول ، « الأعلام » (٤/٣٠٧) .

(٣) ذكره العلامة الزركلي باسم « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » وقال : مطبوع في مجلدين ، « الأعلام » (٤/٣٠٧) .

(٤) في (ط) : (المقتنين) وما أثبتناه عن (م) .

بمرتب على الذخيرة وغيره ، وأوقف كتباً بالمدينة وجعله ناظرها . وزار بيت المقدس ، وعاد إلى المدينة مستوطناً ، وتزوج بها عدة زوجات ثم اقتصر على السراري ، وملك الدور وعمرها .

قال السخاوي : قلّ أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه ، واستقر في النظر على المجمع[1] لمدرسة الأشرف وما به من الكتب في مصارف المدرسة المزهرية مع الصرف من الصدقات كالقضاة . وتقرر في التدريس مع ما رتبه له ملك الروم . وانقاد له الأمير داود بن عمر في صدقاته حين حج وبعدها وكذا ابن جبر[2] لما تقرر عندهم من علمه وتدينه مع التكسب بالبيع والشراء والمعاملة .

وبالجملة : فهو فاضل مفنن ، متميز في الأصلَين والفقه ، مديم العلم والجمع والتأليف ، متوجه للعبادة بالمباحثة والمناظرة ، قوي الجلادة ، طلق العبارة مع قوة يقين[3] ، وربما أداه البحث إلى مخاشنة[4] مع المبحوث معه . وعلى كل حال فهو فريد في مجموعه .

ومن شعره : [من البسيط]:

تحكّـم الحـبُّ منّـي كيـف أكتمُـه؟ أمْ كيف أخفي الهوى والدمعُ يظهره؟
أهْـوى لقـاه ويَهْـوى سيِّـدي تلفـي « ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركُهُ »

● وفيها : في عشية الجمعة عاشر جمادى الآخرة توفي **الفقيه أحمد بن العلامة الفقيه عبد الله بن أحمد با مخرمة**[5] ، وكانت ولادته بعدن وقت طلوع الفجر يوم الأربعاء أول يوم من صفر سنة ست وستين وثمانمائة ، وأخذ عن والده ، وبرع في الفقه وغيره من العلوم ولا سيما في الفرائض والحساب وإنه لم يكن له فيهما نظير حتى أن والده مع تمكنه في هذين الفنين كان يقول : هو

---

(١) في (ط) : (الجمع) .
(٢) في (ط) : « ابن خير » وما أثبتناه عن (م) .
(٣) في (ط) : « تفنن » وما أثبتناه عن (م) وهو الأقرب للصواب .
(٤) في (ط) : « محاسنة » تحريف وصوابه في (م) .
(٥) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٧١) .

أمهر مني فيهما . وكان يحفظ « جامع المختصرات » في الفقه . وممن أخذ عنه من الأئمة الأعيان الفقيه العلامة محمد بن عمر با قضام ، وانتفع به كثيراً .

● وفيها : حصلت بمدينة زبيد وسائر جهاتها ريح شديدة ، واقتلعت أشجاراً كثيرة وكسرتها ، وهدمت بعض البيوت بزبيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفي سحر ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي **الشيخ الصالح نجم الدين طلحة العباس الهتار** بمدينة زبيد ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم بقبة جده الشيخ طلحة بن عيسى الهتار ، وكان له مشهد عظيم حضره الأمير والقاضي وغيرهم ، رحمه الله ونفع به .

● وفي يوم الثلاثاء من شهر رجب توفي **الشيخ الصالح عفيف الدين عثمان بن أبي القاسم بن أبي الأفلح** بقرية الزريبة[1] ، ودفنَ بها ، رحمه الله تعالى .

● وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ذي القعدة الحرام توفي **الفقيه الصالح إبراهيم بن محمد بن علي الحداد صاحب الذراع**[2] من بلاد صهبان ببلده ، وكان رجلاً مباركاً مشهوراً بإطعام الطعام وفعل الخير ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : دفع وادي زبيد بسيل عظيم لم يُعهد مثله يقال : إنّه ارتفع في الهواء مقدار خمسة أبواع ، وأخرج جملة من الأراضي التراكي ، وسال ببيوت وزروع وطعام كثير وبني آدم ، وعسر الانتفاع به ، وأخرب المعقم الظاهري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

---

(١) في (م) : « الرزبية » وفي (ط) : « الزبيد » وكلاهما تحريف ، وصوابه في « طبقات الخواص » (٢٠) قال : « الزريبة : من القرى العليا من وادي زبيد » .

(٢) في (ط) : « الدراع » وهو تصحيف ، وصوابه في (م) و « طبقات الخواص » (١٩ ، ٢٣) وهي قرية بجهة صُهْبان .

سنة اثنتي عشرة بعد التسعمائة

● وفي ليلة السبت الخامس من صفر سنة اثنتي عشرة توفي **الشيخ الصديق بن محمد المزجاجي**[1] صاحب الظاهرة بمدينة زَبيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر . ودفن إلى جنب والده بتربة بني المزجاجي ، وكان له مشهد عظيم ، وحضر يوم ثالث موته للقراءة جمع عظيم رحمه الله .

● وفي يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب منها توفي **الفقيه إسماعيل بن علي العجل الحنفي** ، رحمه الله بمدينة زَبيد .

● وفيها : في عشية الثلاثاء العشرين من شهر شوال توفي **الفقيه العلامة مفتي مدينة تعز الشرف بن وهيب**[2] عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

* * *

---

(١) في (ط) : « الزجاجي » وهو تحريف ، وصوابه في (م) . وبنو المزجاجي : « جماعة كثيرون . . . وهم من الأشاعرة ، القبيلة المشهورة ، وانتقل جدُّ هؤلاء إلى قرية المزجاجة ، فنسب إليها » . « طبقات الخواص » (٣٠) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٨٣) .

سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة

وفي سنة ثلاث عشرة : توفي الفقيه الأجل نجم الدين طلحة بن محمد بن يحيى الجهمي صاحب المصباح ببلده من أُصاب[1] ، ودفن هنالك بجوار جده الفقيه الصالح يحيى بن أحمد الجهمي ، وكثر عليه الأسف ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : غلب الإفرنج على مدينة هرموز[2] وأخذوها .

● وفي يوم الأربعاء العشرين من شهر ذي القعدة توفي السيد الشريف الإمام شهاب الدين أحمد بن الناصر بمدينة تعز ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع ذي عدينة ، ودفن بمقابرها الاجتياد ، وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) أُصاب : بضم الهمزة : اسم جبل يحاذي زَبيد باليمن « معجم البلدان » (٥/ ٣٧٨) و « تاج العروس » (وصب) وانظر « طبقات الخواص » (٢) و « معجم المدن والقبائل اليمنية » ص (٤٦٥) .

(٢) انظر « شذرات الذهب » (١٠/ ٨٦) وهرموز : فرضة كرمان ، ذكره ياقوت قال : وهرمز : مدينة في البحر . . . ومن الناس من يسميها هُرْموز بزيادة الواو « معجم البلدان » (٥/ ٤٠٢) و « تقويم البلدان » ص (٢٣) .

سنة أربع عشرة بعد التسعمائة

● وفي ليلة الإثنين رابع عشر المحرم سنة أربع عشرة توفي **الشيخ عبد الرحمن بن عمر با هرمز الشبامي** بهينن بلاد من أرض حضرموت . وهُرْمُز : بضم الهاء والميم وسكون الراء وآخره زاي . وهو شيخ الفقيه الصوفي عمر بن عبد الله با مخرمة ، وكان كبير الشأن ، وله أحوال غريبة وكرامات خارقة . رحمه الله تعالى آمين .

وحُكي أنّه ـ نفع الله به ـ كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال فيغنين بين يديه ويرقصن ، فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات . وكان الفقيه عمر با مخرمة على طريقة الفقهاء ، فسمع بذلك ، فقصد الإنكار على الشيخ ، ومنعه من ذلك . فسافر من بلده [إليه][1] بهذه النية ، فلما وصل إلى أثناء الطريق بدا له أن يرجع ، فرجع إلى بلده . ثم سمع عنه أيضاً أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة الشرع ، فما أمكنه الصبر عن ذلك ، فسار إليه ثانياً ودخل عليه ، فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له : عمر (عاد وقتك ما جاء) فرجع كذلك إلى بلده . وامتثل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سبق له من الفتح على يديه . ثم سار إليه ثالثاً ، فلما دخل عليه أمر الشيخ ـ نفع الله به ـ بعضَ النساء الحسانِ ممن كانت ترقص عنده أن تعتنقه ، فما هو إلا أن فعل به ذلك خرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق تلمذ للشيخ ، وحكمه في ذلك الوقت ، وفتح الله عليه ببركة الشيخ ، وصار من كبار العارفين المربين . وقيل : إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له : صلِّ ركعتين إلى الشرق ، فامتثل ، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه .

---

(١) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

وروي عن الفقيه عمر ـ نفع الله به ـ أنه قال : وقفت بين يدي سيدي وشيخي عبد الرحمن بن عمر با هرمز رضي الله عنه وأسعفني بطلبتي ، وأجابني إلى مسألتي عشية يوم الاثنين ثاني شهر رجب سنة تسعمائة وثلاث عشرة . ووقفت بين يديه ليلة قبل ذلك وقلت له : يا سيدي حكمني وألبسني الخرقة فقال : أنت الحاكم المحكم [أنت الحاكم المحكم][١] . قلت : فألبسني الخرقة على قاعدة الصوفية ، فقال : ما هي قاعدتي أو كلاماً هذا معناه . قلت : أنا أحب ذلك . قال : أنا خرقتك وأنت نائب عني ، قلت : فلا تغفل عني في أموري ، فقال : والله إني معك في صائب وغير صائب ، وإني لك مثل روحك ، ونحن على ساق واحدة . ومرة قال لي : أنت أنا ، وقد أشار إلى ذلك الفقيه بقوله على لسان حال شيخه ، وأنت أنا والطريقة واحدة والتمذهاب[٢] .

ثم قال الفقيه : قلت له : لقني شيئاً من الأذكار . قال : قل في كل [صباح وفي كلِّ][٣] مساء : سبحان الله وبحمده مائة مرة ؛ فإنه لا يكتب عليك ذنب . وقل في كل مساء : يا لطيف مائة مرة ، ثم قل : يا حفيظ مائة مرة ، ثم قل : يا كريم مائة مرة ، ثم قل : يا كريم تكرّم علينا بكرمك ثلاث مرات ، ثم قل : يا لطيف لاطفنا بلطفك ثلاث مرات ، ثم قل : يا حفيظ احفظنا بحفظك ثلاث مرات . قلت : إن لي ورداً من آية الكرسي أقرأها كل يوم ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة . قال : هذا كثير . قلت : هو سهل عليَّ . قال : كثير . قلت : هو سهل عليَّ . قال : ابق عليه وقرأها . وقال : اقرأها هكذا . وإذا صمتَ وداع رمضان ، فاجعل قراءتها سراً بالقلب فقط . قلت : لي ورد من اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم فقط وهو ألف مرة . قال : ابق عليه وإن زدت فهو خير لك

---

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .
(٢) لعله أراد التمذهب .
(٣) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

وأبشر ، فإنهم معطوك أكثر مما توهم ما غير ما يجيبك إلا في العرض من غير تأمل . قلت : فلا تغفل عني ، فإنّي مخلط ، كثير[1] التخليط . قال : والله لو تلبس المعتب إن غير عليك عندنا شيء ، وأنا شيخك فعليك بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ . وأنا شيخك فيهما وفي علوم [تفاض على القلوب الطاهرة عند تصفيتها بتزكيتها ، قلت : وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وبقوله ﷺ « من عمل بما علم ورّثه الله [عِلْمَ] ما لم يعلم »[2] . وبقوله ﷺ « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر »[3] . محدثون : ملهمون . انتهى ، رجعنا إلى القصة][4]

وقد أشار الفقيه إلى ذلك أيضاً حيث قال مشيراً إلى شيخه :

احملوني فتىٰ يا هلي مخلط ولعاب

ثم قال على لسان حال شيخه :

إن لو تلبس المعتب وتسهى وتنساب

لا ولا الرد يا أبا مخرمة عنك ينجاب

أنت منا ونحن منك فيما خطأ أو صاب

ثم قال له شيخه : اجعل على نفسك ورداً من قراءة القرآن إما غيباً وإما نظراً في المصحف . قلت له : أدخل أربعينية . قال : لا وإنما أربعينيتك أن تحفظ لسانك وعينك وأذنك من المحرمات أربعين يوماً ، وأما الأربعينية المعروفة فلا تدخلها . انتهى .

---

(١) في (م) : (أكثر) وما أثبتناه عن (ط) .

(٢) ذكره ملا علي القاري في « الأسرار المرفوعة » ص (٣١٣) ولم ينسبه لأحد .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) ومسلم رقم (٢٣٩٨) .

(٤) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وبديله ثمة : (تستفاد منهما) وما أثبتناه عن (م) فقط .

● تنبيه :

قلت : ربما أنه يشكل ما صدر منهم في مثل ذلك على بعض الأغبياء ميل أكثر الناس بالطبع إلى الفسق والفجور ، وينظرون إلى هنات وقعت من بعض من ينسب إلى العلم ، أو ما وقع لبعض أهل الله تعالى ، كأحمد الغزالي ، والشيخ [القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس والشيخ][1] . العارف علي وفاء ، والشيخ [أحمد بن الحسين العيدروس والشيخ][2] العارف عبد الرحمن با هرمز ، وتلميذه الفقيه عمر با مخرمة ، [والسيد الأستاذ حاتم بن أحمد الأهدل][3] والشيخ جبرائيل الهتار وغيرهم نفع الله بهم ، فيظنون أن الأمر سواء وليس كذلك ، فما كان يقع من ذلك للناس فهو شقوة في حقهم ، وأكثرهم لا يكترث بما يصدر منه من العصيان ولا يندم على ذلك . وما كان يقع ممن ينسب إلى العلم فهو دعوة ، لأن المقام لا يعطي ذلك وهو أيضاً لا يرتضي بهذه الحالة ، وإنما تكون وقعت منه هفوة كعقوق الوالدين ، أو التكبر على خلق الله تعالى ، والنظر إليهم بعين الاحتقار والعياذ بالله ، فعوقب بمثل ذلك . وما كان نسب من ذلك إلى بعض أهل الله ، فهو إنما هو لصيانتهم أهل العصيان ، وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالى كما هو معلوم ، وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه إلى مراتب الأولياء ، وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية ، فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف ، فأراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم ، والله أعلم .

● ولا بد ما نذكر نبذة تتعلق بقطر حضرموت وحده ، ووجه تسميته ، وأقوال العلماء في ذلك ، وما اختص به من العجائب والفضائل خصوصاً بلدة

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .
(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .
(٣) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

تريم تيمناً بذكرها وتتميماً للفائدة إذ كثير ممن ذكر في هذا التاريخ مات بهذه البلدة المباركة ، وبعضهم مات بغيرها مثل : شبام ودوعان من بلاد حضرموت .

فنقول : حَضْرَمَوت ، بفتح الحاء والميم وسكون المعجمة ، بلد باليمن .

قيل : إن صالحاً لما هلك قومه جاء بمن معه من المؤمنين ، فلما وصل إليه مات ، فقيل : حضرموت .

وذكر المبرد أنه لقب عامر جد اليمانية كان لا يحضر حرباً إلاّ كثر فيه القتلى ، فقال عنه من رآه : حضر موت بتحريك الضاد ، ثم كثر ذلك فسُكِّن . كذا ذكره الحافظ السيوطي في حاشيته على صحيح مسلم .

وقال الإمام أبو بكر بن عبد الرحمن بن شراحيل الشبامي الحضرمي في كتابه « مفتاح السنّة » : حضرموت بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن ، تجمع أودية كثيرة ، وهو بضم ميمها . وقد اختص بهذا الاسم وادي ابن راشد طوله نحو مرحلتين أو ثلاث إلى قبر هود عليه السلام ، ويطلق على بلاد كثيرة ، وساحلها العين وبروم إلى الشِّحر ونواحيها ، ويحدها[1] من جردان ونواحيها إلى تريم إلى قبر هود عليه السلام وما وراء ذلك بلاد مهرة ، والأحقاف بلاد عاد ـ جمع حقف ـ هو كثيب الرمل . ذكره الواحدي في « البسيط » في تفسير الأحقاف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الأحقاف ، واد بين عمان ومهرة . وفي سيرة ابن هشام : بلاد عاد بين حضرموت وعمان . وقيل : الأحقاف رملة الشِّحر ، وليس بشيء إلا أن يراد بالرملة ما وراء جبل الشِّحر الذي عند ظفار الحبوضي ، فثم رملة متصلة بطرف عمان [والإحساء][2] والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

---

(١) في (ط) : « ونجدها » .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

وقال القزويني في « عجائب البلدان » : حضرموت : ناحية باليمن مشتملة على مدينتين يقال لأحدهما شبام ، وللأخرى تريم ، وهي بقرب البحر وشرقي عدن [وأنهار][١] وأنها بلاد قديمة .

حكى رجل من أهل حضرموت قال : وجدنا بها فخاراً فيه سنبلة حنطة [وامتلأ][٢] الظرف[٣] منها وزنها كانت مناً وكل حبة منها كبيض دجاجة ، وكان في ذلك الوقت شيخ له خمسمائة سنة ، وله ولد له أربعمائة سنة ، وولد ولد له ثلاثمائة سنة ، فذهبنا إلى ابن الابن قلنا إنّه أقرب إلى الفهم والعقل ، فوجدناه مبلداً لا يعرف الخير والشر ، فقلنا : إذا كان هذا حال ولد الولد فكيف حال الأب والجد؟! فذهبنا إلى صاحب أربعمائة [سنة][٤] فوجدناه أقرب إلى الفهم من ولده ، فذهبنا إلى صاحب خمسمائة سنة ، فوجدناه سليم العقل والفهم فسألناه عن حال ولد ولده ، فقال : إنه كانت له زوجة سيئة الخلق لا توافقه في شيء أصلاً ، فأثّر فيه ضيق خُلُقها ودوام الغم بمقاساتها ، وأما ولدي فكانت له زوجة توافقه مرة وتخالفه أخرى . وهذا هو أقرب إلى الفهم منه . وأما أنا فلي زوجة موافقة في جميع الأمور مساعدة ، فلذلك سلم فهمي وعقلي . فسألناه عن السنبلة ، فقال : هذا زرع قوم من الأمم الماضية ، كانت ملوكهم عادلة ، وعلماؤهم أمناء ، وأغنياؤهم أسخياء ، وعوامهم منصفة .

وذكر القزويني أيضاً : أنَّ بها القصر المشيد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، بناه رجل يقال له : صد بن عاد ؛ وذلك أنه لما رأى ما نزل بقوم عاد من الريح العقيم بنى قصراً لا يكون للريح عليه سلطان من شدة إحكامه ، وانتقل إليه هو وأهله ، وكان له من القوة ما كان يأخذ الشجرة بيده فيقلعها بعروقها من الأرض ، ويأكل من الطعام مأكول عشرين رجلاً من قومه ، وكان

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .
(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .
(٣) في (ط) : « الطرف » .
(٤) وردت في (م) فقط .

مغرماً بالنساء ، تزوج أكثر من سبعمائة عذراء ، وولد له من كل واحدة ذكر وأنثى ، فلما كثر أولاده طغى وبغى ، وكان يقعد في أعالي قصره مع نسائه لا يمر به أحد إلا قتله كائناً من كان حتى كثر قتلاه ، فأهلكه الله تعالى مع قومه بصيحة من السماء وبقي القصر خراباً لا يجسر أحد على] دخوله لأنه ظهر فيه شجاع عظيم وكان يسمع من داخله أنين كأنين المرضى . وقد أخبر الله تعالى عنهم وعن أمثالهم بقوله : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥] والبئر المعطلة كانت بعدن .

ثم ذكر : أن بحضرموت قبر هود النبي عليه السلام ، قال كعب الأحبار : كنت في مسجد رسول الله ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فإذا رجل قد رمقه الناس لطوله ، فقال : أيكم ابن عم محمد ﷺ ؟ قالوا : أي ابن عمه؟ قال : ذلك الذي آمن به صغيراً ، فأتوا(١) إلى علي رضي الله عنه . قال علي : ممن الرجل ؟ قال : من اليمن من بلاد حضرموت ، فقال : أتعرف موضع الأراك والسدرة الحمراء التي يقطر من أوراقها ماء في حمرة الدم؟ فقال الرجل : كأنك سألتني عن قبر هود عليه السلام . فقال علي : عنه سألتك حدثني ، فقال : مضيت في أيام شبابي في عدة من شباب الحي ، نريد قبره ، فسرنا إلى جبل شامخ فيه كهوف ومعنا رجل عارف بقبره ، حتى دخلنا كهفاً ، فإذا نحن بحجرين عظيمين قد أطبق أحدهما على الآخر ، وبينهما فرجة يدخلها رجل نحيف ، وكنت أنا أنحفهم ، فدخلت بين الحجرين ، فسرت حتى وصلت إلى فضاء واسع ، فإذا أنا بسرير عليه ميت ، وعليه أكفان كأنها الهوى ، فمسست بدنه فكان صلباً ، وإذا هو كبير العينين مقرون الحاجبين واسع الجبهة أسيل الخد طويل اللحية ، وإذا عند رأسه حجر على شكل لوح مكتوب عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] . أنا هود بن الجلود بن عاد ، رسول الله إلى بني

---

(١) في (م) : « فأوموا » .

عاد بن عوص بن سام بن نوح ، جئتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني ، فأخذهم الله بالريح العقيم ، فلم يبق منهم أحد ، وسيجيء بعدي صالح بن كالوج »[١] فكذبه قومه ، فأخذتهم الصيحة . فقال له علي رضي الله عنه : صدقت ، هكذا قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ثم ذكر القزويني : أن بها ـ أي بحضرموت ـ بئر برهوت[٢] وهي التي قال النبي ﷺ : « أن فيها أرواح الكفار والمنافقين » . وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاة وواد مظلم .

وعن علي رضي الله عنه : أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت ، فيه بئر ماؤه أسود منتن ، تأوي إليه أرواح الكفار .

وذكر الأصمعي عن رجل حضرمي قال : إنا نجد من ناحية برهوت رائحة منتنة فظيعة [جداً][٣] ، فيأتينا الخبر أن عظيماً من عظماء الكفار مات .

وحكى رجل أنه بات ليلة بوادي برهوت فقال : كنت أسمع طول الليل : يا دومة ، يا دومة . فذكرت ذلك لبعض أهل العلم ، فقال : إن الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومة . انتهى .

وقال ابن الوردي في كتابه « خريدة العجائب » : حضرموت وهي شرقي اليمن ، وبها بلاد أصحاب الرس ، وكانت لهم مدينة تسمى « الرس » سميت بذلك باسم نهرها . ومن أرض حضرموت المشهورة سبأ التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، وكانت مدينة [عظيمة وكان بها طوائف من أهل اليمن وعمان وتسمى مدينة][٤] مأرب وهو اسم تلك البلاد ، وبهذه المدينة كان السد الذي أرسل عليه سيل العرم . انتهى .

---

(١) في (ط) : « كابوح » وصوابه في (م) .

(٢) ذكره في « عجائب المخلوقات » (٢/ ١١٨) .

(٣) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

(٤) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

وقال القزويني : سبأ : مدينة كانت بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كانت مدينة حصينة كثيرة [الأهل طيبة الهوى عذبة الماء كثيرة][1] الأشجار لذيذة الثمار كثيرة أنواع الحيوان . وهي التي ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز بقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ : ١٥] . ما كان يوجد بها ذباب ولا بعوض ولا شيء من الهوام كالحية والعقرب ونحوها ، وقد اجتمعت في ذلك الموضع مياه كثيرة من السيول فتمشي بين جبلين ، فبنوا بين الجبلين سداً من الصخر والقار ، ونزل الماء العظيم خارج السد ، وجعلت في السد مشاعب أعلى وأوسط وأسفل ليأخذوا من الماء كلما احتاجوا إليه ، فحرث داخل السد ودام سقيها ، فعمرها الناس وبنوا وغرسوا وزرعوا ، فصارت أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ، كما قال تعالى : ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ : ١٥] ، وكان أهلها إخوة وبني عم حِمْير وكهلان ، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبياً ، فكذبوهم ، فسلّط الله تعالى الجرذ على بلدهم . انتهى .

وقال في موضع آخر : مأرب : كورة بين حضرموت وصنعاء لم يبق بها العامر إلا ثلاث قرى يسمونها الدروب ، كل قرية منسوبة إلى قبيلة من اليمن ، وهم يزرعونها على الماء الذي جاء من ناحية السد ، يسقون أرضهم سقية واحدة ، ويزرعون عليه ثلاث مرات في كل عام ، ويكون بين زرع الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين ، وكان بها سيل العرم الذي جرى ذكره في سبأ ، فغرقت البلاد حتى لم يبق إلا ما كان على رؤوس الجبال ، وذهبت الحدائق والجنان والضياع والدور ، وجاء السيل بالرمل فطمّها ، وهي على ذلك إلى اليوم كما أخبر الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ : ١٩] . والعرم : المسناة ، بنتها ملوك اليمن بالصخر والقار حاجزاً بين

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

السيول والضياع ، ففجرته فأرة فيكون أظهر في الأعجوبة .

قال ابن الوردي : وكان من حديثه أن امرأة كانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت ، فأحرقت كل ما وقعت عليه ، فأخبرت زوجها بذلك ، وكان يسمى عمرو بن عامر ، فذهب إلى سد مأرب ، فوجد الجرذ وهو الفأر يقلب برجليه حجر لا يقلبه إلا خمسون رجلاً ، فراعه ما رأى وعلم أنه لا بد من كائنة تنزل بتلك القرية ، فرجع فباع جميع ما كان له بمأرب وخرج هو وزوجته وولده منها ، وأرسل الله تعالى الجرذ على ذلك السد الذي يحول بينهم وبين الماء فأغرقهم ، وهو سيل العرم فهدم السد ، وخرج إلى تلك الأرض فأغرقها كلها ، وهو السد الذي بناه لقمان الأكبر بن عاد ، بناه بالصخر والرصاص فرسخ في فرسخ ليحول بينهم وبين الماء ، وجعل فيه أبواباً ليأخذوا من مائه ما يحتاجون إليه . انتهى .

وذكر القزويني في « عجائب البلدان » ما يقرب من ذلك قال : إن سيادة اليمن كانت [لولد حِميَر ولولد كهلان][(١)] ، وكان كبيرهم عمران بن عامر ، وكان جواداً عاقلاً ، وكان له ولأقاربه من الحدائق ما لم يكن لأحد من ولد قحطان ، وكانت عندهم كاهنة اسمها « طريفة » قالت لعمران : والظلمة والضياء والأرض والسماء ليقبلن إليكم الماء كالبحر إذا طما فيدع أرضكم خلاء ، يسفي عليها الصبا ، فقالوا لها : فجعتينا بأموالنا فبيِّني لنا مقالتك ، فقالت : انطلقوا إلى رأس الوادي لترون الجرذ العادي يجر كل صخرة صبحاء بأنياب حداد وأظفار شداد . فانطلق عمران في نفر من قومه حتى أشرفوا على السد ، فإذا هم بجرذ أحمر يقلع الحجر الذي لا يستقله رجال ويدفعه بمخاليب رجليه إلى ما يلي البحر ليفتح السد ، فلما رأى عمران ذلك علم صدق قول الكاهنة وقال لأهله : اكتموا هذا القول من بني عمكم حمير لعلنا نبيع حدائقنا منهم ونرحل عن هذه الأرض ، ثم قال لابن أخيه حارثة : إذا كان الغد واجتمع

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

الناس أقول لك قولاً خالفني ، وإذا شتمتك ردها عليَّ ، وإذا ضربتك فاضربني مثله ، فقال : يا عم كيف ذلك ؟ فقال عمران : لا تخالف ، فإن مصلحتنا في هذا .

فلما كان الغد واجتمع عند عمران أشراف قومه وعظماء حمير ووجوه رعيته ، أمر حارثة أمراً فعصاه ، فضربه بمخصرة كانت بيده ، فوثب عليه حارثة فلطمه ، فأظهر عمران الغضب وأمر بقتل ابن أخيه ، فوقع في حقه الشفاعات ، فلما أمسك عن قتله حلف أن لا يقيم في أرض امتُهن بها ، وقال وجوه قومه : ولا نقيم بعدك يوماً ، فعرضوا ضياعهم على البيع ، فاشتراها بنوحمير بأغلى الأثمان ، فارتحل عن أرض اليمن ، فجاء السيل بعد رحيلهم بمدة يسيرة ، فخربت البلاد كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ : ١٦] . فتفرقوا في البلاد ، ويضرب بهم المثل يقال : « تفرقوا أيادي سبأ »[١] . وكانوا عشرة أبطن : ستة تيامنوا ، وهم : كندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير ، وأربعة تشاموا ، وهم : عامرة وجذام ولخم وغسان . وكانت هذه الواقعة بين مبعث عيسى ونبينا ﷺ . انتهى .

وذكر صاحب كتاب « المستبصر » في الكلام على سد مأرب : أن أهل شداد وعاد سدّت بين منفذ جبلين بالحجر والرصاص ، وصعدوا في ارتفاعه إلى أن حاذى الحائط ذروة الجبلين ، فصارت السيول تقلب فيه الماء ليستجمع إلى أن رجع مسدوداً ، وكانوا يسقون منه أراضيهم وأنعامهم ، ويقال : إنهم كانوا يسقون منه إلى قرب الشام بساتين ذات أعناب ونخيل وزرع وقرى متصلة بعضها ببعض ، وبقي الإقليم عامراً إلى أن أخربه الله ، وكان الموجب لذلك ما ذكره الداري ، قال : خرجت قافلة من الشام وإذا بفأرٍ قفز من الأرض وركب ظهر جمل من بعض الجمال التي في القافلة ، ولا زال ينتقل من جمل

---

(١) مثلٌ مشهور . ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (١/ ٢٧٥) .

إلى جمل ويعبر منزلاً بعد منزل إلى أن وصل مدينة مأرب ، فقفز الفأر من الجمل ودخل السد وصار يعمل فيه عمله .

ويقال : إن النعمان بن المنذر خرج يوماً في طلب الصيد ، فحصل في طرد الصيد ، فوجد الفأر بأنياب حديد يحفر السد ، فلما رجع إلى أبيه المنذر قص عليه حكاية الفأر وصفة أنيابه أنها من حديد يحفر بها السد . فقال المنذر : صحّ يا بني ما وجدناه في الكتب أن ما يخرب سد مأرب إلا فأر أنيابه من حديد ، وأريد منك إذا دخلنا يوم الأحد إلى الدير والكنائس والناس فيه مجتمعون قم إليَّ وشاكلني في أمر منَ الأمور وطوِّل ، وها أنا أشاقك عليك ، فإذا رأيت الأمر قد طال قم الطمني براحة كفك على خدي . قال النعمان : وكيف يمكن ذلك؟ قال : يا بني افعل ما أمرتك به لأن لي فيه رأياً ، ولك فيه مصلحة ، ففعل الولد ما أمره به والده ، فلما لطم الشيخ غضب من الحين وسمي المظلوم ، فقام الشيخ إلى الجميع وقال : يا وجوه العرب ما بقي لي معكم سكن . قالوا له الجميع : وَلِمَ؟ قال : وكيف أقيم وصبي كسر حشمتي بينكم وحرمتي ؟! ومن ساعته نادى على السد فتألبت والتأمت قبائل العرب في شرائه قالوا : بكم؟ قال : تغمدوا سيفي هذا ، وغرس ذباب سيفه على الأرض ، وصارت العرب تنقل الذهب والفضة والمصاغ إليه ، ولا زالوا على حالهم يصبون الذهب إلى أن غمد سيفه بالذهب ، فأخذ الشيخ المال وصعد الجبل وسكن مقابل السد ـ والجبل يسمى « حفاً » ـ هو وأهله ينتظرون خراب السد ولما تمكن الفأر من السد وخرقه أخر به وخرج السيل .

ثم قال : حدثني سلامة بن محمد بن حجاج قال : لما وقع السد أخذ الماء في جملة ما أخذ ألف صبي أمرد على ألف حصان أبلق غير البيض والشقر والدُّهم والخضر ، وقال الشاعر : [من الطويل]:

تهـدَّمَ سَـدُّ المـأربيـن وقَـدْ مَضَـى   زمـانٌ وهُـوْ يَنقـادُ حيـثُ يُقـادُ

وإلى مأرب أربع فراسخ ، وتسمى الحضين . ومن هذا البلد نقلت الجن عرش بلقيس إلى أرض فارس في زمن سليمان بن داود عليهما الصلاة

والسلام ، كما قال الله عز وجل ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل : ٤٢] فلما اندق السد أخذه في جملة ما أخذ ، فلما زال شر الماء دارت الخلق على موضعين سليمين منه سوران يسمى أحدهما درب الأعلى ، والثاني درب الأسفل .

ثم قال : ويقال إنَّ مدينة مأرب بناها سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان ، ويقال : عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام ، ويقال : إنما سمي سد مأرب لأن قوم عاد لما سلط الله عليهم الريح العقيم ، وكان يقف على السد كل يوم كذا وكذا من رجل[1] ليردوا عن أصحابهم البلاء ، وكانت الريح تضرب بعضهم على بعض كما قال عز وجل ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات : ٤٢] فبنوا السد ليرد عنهم قوة الماء ، فلما غدت تلك الأمة اجتمع السيول فيه وكثرت المياه فبقي جرياً للماء ، فبنى عليه قرى وعمارات وزراعات إلى حدود الشام ، وكان يسقي منه جميع ذلك ، فقتل ولد لحصيص بن حصين في مأرب ، وأمسى علمه في حضرموت مسيرة ثمانية أيام ؛ لأن كل ناطور زرع كان يخبر صاحبه الخبر حتى اتصل بحضرموت يعني في مقدار يوم في ذلك من عمارة البلاد وكثرة العباد . انتهى .

قال ابن الوردي في « الخريدة » : وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمائر والبساتين ، وكانوا يقبسون النار بعضهم من بعض ، وإذا أرادت المرأة الثمار وضعت مكتلها على رأسها وخرجت تمشي بين الأشجار وهي تغزل الصوف ، فلا ترجع إلا والمكتل ملآن من الثمار التي بخاطرها من غير أن تمس شيئاً بيدها البتة ، وكانت أرضهم خالية من الهوام والحشرات وغيرها ، فلا توجد فيها حية ولا عقرب ولا بعوض ولا ذباب ولا قمل ولا براغيث ، وإذا دخل الغريب أرضهم وعليه في ثيابه شيء من القمل والبراغيث هلكوا في الوقت والحين ، وذهب ما كان في ثيابه من ذلك بقدرة

---

(١) في (ط) : « مجله » وصوابه في (م) .

قادر ، وأذهب الله جميع ما كان فيها ولم يبق من أرضهم إلا الخمط[1] والأثل وهو الطرفاء[2] والأراك[3] وشيء من سدر[4] قليل ، قال الله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ : ١٧] وسبأ الآن خراب ، وكان بها قصر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وقصر بلقيس زوجته وهي ملكة تلك الأرض التي تزوجها سليمان ، وقصتها مشهورة . وبأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم ، وفي أعلاه قرى عظيمة عامرة ، وبساتين وفواكه ونخل مثمر وخصب كثير ، وبهذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الجنب[5] وأحجار الجزع ، وهي مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالبها ، ولهم في معرفتها علامات ، فتصقل فيظهر حسنها . انتهى والله أعلم .

قال القزويني : إرم ذات العماد : بين صنعاء وحضرموت من بناء شداد بن عاد[6] .

روي أن شداد بن عاد كان جباراً من الجبابرة لما سمع بالجنة وما وعد الله فيها أولياءه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار والغرف التي فوقها غرف قال : إني متخذ في الأرض مدينة على صفة الجنة ، فوكّل بذلك مائة رجل من وكلائه تحت كل وكيل ألف من الأعوان وأمرهم[7] أن يطلبوا أفضل فلاة [من الأرض][8] من أرض اليمن ويختاروا أطيبها تربة ،

---

(١) الخمط ، المرُّ ، قال الزجاج : « يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من مرارة حيث لا يمكن أكله خَمْطٌ » (اللسان) (خمط) .

(٢) الطرفاء من الحمض ، وقد تتحمض بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره (اللسان) (طرف) .

(٣) الأراك : شجر السُّواك .

(٤) السدر : شجر له شوك .

(٥) في (ط) : « الجثيب » وما أثبتناه عن (م) .

(٦) في (ط) : « عامر » وهو خطأ وصوابه عن (م) والآتي من النص .

(٧) في (ط) : « ولغيرهم » وصوابه في (م) .

(٨) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

ومكنهم من الأموال ، ومثل لهم كيفية بنائها ، وكتب إلى عماله في سائر البلدان أن يجمعوا جميع ما في عددهم من الذهب والفضة والجواهر ، فجمعوا منها صبراً مثل الجبال ، فأمر باتخاذ اللِّبن من الذهب والفضة ، وبنى المدينة بها ، وأمر أن يفصص حيطانها بجواهر الدر والياقوت والزبرجد ، وجعل فيها غرفاً فوقها غرف أساطينها من الزبرجد والجزع والياقوت .

ثم أجرى إليها نهراً ساقه إليها من أربعين فرسخاً تحت الأرض ، وظهر في المدينة ، فأجرى من ذلك النهر السواقي في السكك والشوارع ، وأمر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب الأحمر ، وجعل حصباه أنواع الجواهر الأحمر والأخضر والأصفر ، ونصب على حافتي السواقي والنهر أشجاراً من الذهب ، وجعل ثمارها من اليواقيت والجواهر ، وجعل طول المدينة اثني عشر فرسخاً وعرضها مثل ذلك ، وصيّر سورها عالياً مشرفاً ، وبنى فيها ثلاثمائة قصر مفصصاً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر .

ثم بنى لنفسه على ذلك النهر قصراً منيفاً عالياً يشرف على تلك القصور كلها ، وجعل ماءها يشرع إلى واد رجب ، ونصب عليه مصراعين من ذهب مفصص بأنواع [الجواهر][1] واليواقيت ، وجعل ارتفاع البيوت والسور ثلاثمائة ذراع ، وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران ، وجعل خارج المدينة مائة ألف قنطرة أيضاً رصعت بالذهب والفضة لينزلها جنوده ، ومكث في بنائها خمسمائة عام[2] ، فبعث الله تعالى هوداً عليه الصلاة والسلام ، فدعاه إلى الله تعالى ، فتمادى في الكفر والطغيان ، وكان إذ ذاك تمَّ على ملكه سبعمائة سنة ، فأنذره هود بعذاب الله تعالى ، وخوَّفه بزوال ملكه ، فلم يرتدع عما كان عليه . وعند ذلك وافاه الموكلون ببناء المدينة وأخبروه بالفراغ منها ، فعزم

---

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

(٢) لا يخفى على القارىء ما في هذه الرواية من مبالغات وخرافات لا تصدَّق ، فذهب الأرض جميعاً لا يكفي لمثل هذه الأعمال ناهيك عن المسك والزعفران اللذين جعلا تراباً للمدينة ، ولم يسمع أحد عن بيوت ارتفاعها ثلاثمئة ذراع .

على الخروج إليها في جنوده وخرج في ثلاثمائة ألف رجل من أهل بيته ، وخلف على ملكه مرثد بن شداد ابنه ، وكان مرثد ـ فيما يقال ـ مؤمناً بهود عليه الصلاة والسلام ، فلما انتهى شداد إلى قرب المدينة بمرحلة جاءت صيحة من السماء مات هو وأصحابه وجميع من كان في أمر المدينة من القهارمة والصناع والفعلة ، وبقيت لا أنيس بها ، فأخفاها الله تعالى لم يدخلها بعد ذلك إلا رجل واحد أيام معاوية رضي الله عنه يقال له عبد الله بن قلابة[1] فإنه ذكر في قصة طويلة تلخيصها :

أنه خرج من صنعاء في طلب إبل ضلت ، فأفضى به السير إلى مدينة صفتها ما ذكرناه ، فأخذ منها شيئاً من المسك والكافور وشيئاً من الياقوت ، وقصد الشام وأخبر معاوية بالمدينة ، وعرض عليه ما أخذه من الجواهر ، وكانت قد تغيرت بطول الزمان ، فأحضر معاوية كعب الأحبار وسأله عن ذلك فقال : هذه إرم ذات العماد التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ، بناها شداد بن عاد ، لا سبيل إلى دخولها ولا يدخلها إلا رجل واحد وصفته كذا وكذا ، وكانت تلك الصفة صفة عبد الله بن قلابة فقال له معاوية : أما أنت يا عبد الله ، فأحسنت النصح ولكن لا سبيل إليها ، وأمر له بجائزة .

وحكي أنهم عرفوا قبر شداد بن عاد بحضرموت وذلك أنهم وقعوا في حفيرة وهي بيت في جبل منقور[2] مائة ذراع في أربعين ذراعاً ، وفي صدره سرير عظيم من ذهب عليه رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح فيه مكتوب شعر : [من مجزوء الرمل]:

اعتبـــر يـــا أيّهـــا المغـ ـــرور بـــالعمـــر المـــديـــد
أنـــا شـــداد بـــن عـــادٍ صـــاحـــب القصـــر المشيـــد
وأخـــو القـــوّة والبـــأ ســـاء والملـــك الحشيـــد

(١) في (ط) : « قدامة » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) في (ط) « تنور » وهو خطأ وصوابه في (م) .

دان أهـــل الأرض طـــرّاً [لـي] مـن خـوف وعيـدي[1]

فـــأتـــى هـــود وكنـــا فـــي ضـــلال قبـــل هـــود

فـــدعـــانـــا لـــو قبلنـــا هُ إلـــى الأمـــر الـــرشيـــد

فعصينـــــاه ونـــــادي ـــنـــا ألا هـــل مـــن مجيـــد

فـــأتتنـــا صيحـــة تهـــ ـــوي مـــن الأفـــق البعيـــد

فثـــوينـــا مثـــل زرع وســـط بيـــداء حصيـــد

وكفى حضرموت من الشرف العظيم ، والمجد الفخيم ، والفخر الذي لا يبلى ويبيد ، بل ينمو ويزيد ، أن الإمام شيخ الإسلام مجتهد زمانه الشيخ أبا الحسن[2] البكري الصديقي ذكر في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ الآية [مريم : ٧١] . يستثني من ذلك أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك في المعيشة[3] .

وروي عن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ، رضي الله عنه ، أنه أرسل ولده عبد الرحمن من مكة المشرفة إلى حضرموت لزيارتها ، فلما عاد إليه سأله عنهم ، فقال له : رأيتهم لا يحصون كثرة ، ورأيت أنوارهم شرقة كالشمس وأنشد : [من الطويل]:

مـررتُ بـوادي حَضـرمـوت مُسَلِّمـاً فـألفيتـه بـالبشْـرِ مُبْتَسِمـاً رَحْبـاً

وألفيـتُ فيهـا مـن جهـابـذة العُـلا أكـابـر لا يُلْقَـوْنَ شَـرْقـاً ولا غَـرْبـاً

وأما « تريم » التي قدرها كوزنها عظيم ـ وهي بتاء مثناة فوقية ثم راء مكسورة ثم ياء تحتية بعدها ميم ـ بلدة بحضرموت ، وهي أعدل أرض الله هواء

---

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) ولا بد منها لإقامة الوزن .

(٢) في (م) : « والشيخ أبو الحسن » وهو خطأ .

(٣) لا دليل للشيخ ـ فيما نعلم ـ على استثناء أهل حضرموت من الورود الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ربما أن هذا الورود ليس بضار للمتقين من أهل حضرموت وغيرهم لقوله عز وجل عقب الآية السابقة ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] .

وأصحها تربة ، وأعذبها ماء ، وهي قديمة يقال إنها كانت في قديم الأيام عامرة جداً ، وأما الآن فهي ضعيفة إلى الغاية ، ولأجل ضنك المعيشة بها وقع من الشيخ أبي الحسن البكري ذلك القول في حق أهلها ، وهذا لعمري من جملة محاسنها ، إذ القاطنون بها دائماً كأنهم في رياضة ، ولهذا يفتح على كثير منهم بأدنى توجه وإقبال على الله . فزوى الله عنهم أسباب البطر والأشر من حيث لا يشعرون ، ومن العصمة أن لا تقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . والظاهر أن سبب خرابها سيل العرم الذي أرسله الله تعالى على سبأ ، فانقطعت عنها المياه التي كان يزرع عليها ، فسبحان من يقلب الأمور ، ولم يتغير بتغير الدهور ، ولم يوجد الآن بها من الفواكه غير التمر ، وهو كثير عندهم بحيث أنه غالب قوت البلد ، وعلى أنواع مختلفة ، فهي باعتبار كثرة النخيل بها كأنها جنة . شعر : [من الطويل]:

كأنَّ النّخيلَ الباسقات وقَد غَدَتْ مَنـاظِـرُهـا حُسْنـاً قبـاب زبُـرْجـدِ
وقَـد عَلِقَـتْ مـن قَبْنِهـا زينَـةٌ لهـا قَناديل ياقوت بأمراشِ عَسْجَدِ[1]

وقيل : إنه كان بها عيون كثيرة ، والذي سدها معن بن زائدة الشيباني الجواد ، فعد ذلك من سيئاته . وسبب ذلك فيما ذكروا ، أن أخاه كان والياً عليها وكان فاسقاً ، فقتله أهلها بسبب ذلك ، فغضب معن لذلك ، وأمر بسد العيون التي كانت فيها ، فسدت بالرصاص ، وحكم على أهلها بكشف الرؤوس ولبس السواد ، فمن ثمّ جرت عادتهم بذلك ، بل صار اليوم لبس السواد عندهم من جملة الزينة ، حتى إن أهل الورع يُحَذِّرون منه .

وحكي أن بعض المغاربة جاء إلى حضرموت في زمن السلطان بدر الكثيري ، وأراد أن يفتح فيها بعض العيون ، ثم أن السلطان خاف أن يطمع فيها الأروام إذا قويت ، فترك ذلك بعد أن كان عزم عليه ، وبناها تريم بن

---

(١) في (ط) : « .. من قبتها » وصوابه في (م) وأراد حملها المجتمع على نفسه . والأمراش : المسايل . والعسجد : الذهب . اللسان (قبن ، مرش) .

حضرموت ، فسميت باسمه ، وقيل : أسعد الكامل . وللفقيه محمد بن أبي الحب قصيدة في صفتها وخواصها منها [من الوافر]:

نِسيمُ جنُوبها أبداً صحيحُ ... وطَبْعُ الجوِّ فيها مُسْتقيم
وطَبْعُ بيارها في الصَّيْفِ بَرْدٌ ... وأيّام الشِّتاء هي الحميم
تَعادَل حرّها والبَرْدُ فيها ... فلا حرّ يضرُّ ولا سموم
وطَبْعُ البَرْد فيها فيهِ لُطْفٌ ... بطيبِ نَسيمِهِ تَنْمو الجسومُ
وحرُّ الشَّمْسِ فيها لَيسَ يُؤذي ... وبَرْدُ شِتائِهَا أَبداً سَلِيمُ
بلادٌ طابَ مَسْكَنُهَا وَطَابَتْ ... مُباركةٌ لَها ربٌّ رحيمُ
فَلَوْ نَظَرَتْ فلاسِفَةٌ إليها ... لَقالوا جنّةُ الدُّنيا « تريم »

وسماها الشيخ القطب عمر المحضار[1] ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف في بعض قصائده بلاد الطب . قال بعضهم : شملت هذه الكلمة من الشيخ عمر ـ رضي الله عنه ـ الطبين جميعاً طب القلوب ، وطب الأبدان .

ولي : [ترى صاحبي أفوز بزورة من تريم ، وأظفر بالمنا قال لي تبلغ ما ترم سيدي من الريم ، وتحظى بالهنا] .

وما أحسن قول الشيخ عبد المعطي با كثير ـ رحمه الله ـ في صفتها : [من الرجز]:

أرضاً غَدَتْ تُفاخِرُ السّماء ... كَذا حَصاها فاخر الجوزاء
أرضاً ينالُ كلّ من أمَّ لَها ... كَرامة فوقَ الّذي أمّلَها
وتربُها غَدا يُضاهي المِسْكي ... للزّعْفَران الجَنَوي يَحْكي
قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ سائرِ النّواحي ... عَلى المَلا بنورها الوضّاحي

وهي معشر الأولياء ومعدنهم ، ومنشأ العلماء وموطنهم ، وهي مسكن السادة الأشراف آل با علوي ، فإن جدهم أحمد بن عيسى لما قدم إلى

---

(١) في (ط) : « المخضار » بالخاء ، وما أثبتناه عن (م) .

حضرموت سكن قارة بني[1] جشير - بكسر الجيم والشين المعجمة وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة ثم راء - يعرف اليوم ببيت بني جشيب بالباء الموحدة ، على نصف مرحلة من تريم . ثم انتقل منها إلى الحُسَيسة - بضم الحاء المهملة وفتح السين وياء مثناة من تحت بينهما مشددة مكسورة - قريب منها ، واشترى بها عقاراً كثيراً ، وبها توفي ودفن في شعبها الشرقي .

ثم إن ولده الشيخ عبد الله انتقل إلى سُمَل - بضم السين المهملة وفتح الميم - وسكنها مدة زمان ، واشترى بها أموالاً كثيرة ، وهي على نحو ستة أميال من تريم ، وحكي أن وفاته كانت بها ، ثم انتقل أولاده منها إلى بيت جُبَيْر - بضم الجيم وفتح الباء الموحدة وإسكان الياء المثناة من تحت وراء بعدها - قريب منها فسكنوها مدة ، ثم انتقلوا إلى تريم وسكنوا بها وتوطنوها من سنة إحدى وستين وخمسمائة إلى يومنا هذا ، فازدادت بهم شرفاً وفخراً إلى فخرها ، وازدهت بهم أقطارها ، واخضرّت أشجارها ، وأشرقت بدورها ، وفاح عبيرها ، وأنشد قائلها : [من البسيط]:

أشمُّ مِنكِ نَسيماً لستُ أعرفه ... ما ضرّ لمياء جرَّتْ فيك أذيالا

[غيره][2] : [من البسيط]:

تحيا بهم كلُّ أرضٍ ينزلون بها ... كأنّهم لِخرابِ الأرض عُمَّارُ

ولما كانت خير بلاد الله بعد الحرمين الشريفين وبيت المقدس أكرمها الله تعالى بخير عباده ، وأكرمهم عليه الذين زينهم باتباع السنة الغراء ، مع صحة نسبهم المتصل بالسيدة الزهراء ، الذي عز وجود نظيره في غيرهم ، فكاد لا يوجد الشريف السَّني إلا نادراً . هذا مع ما خصوا به واشتهر عنهم [من العبادة ، والعلم والتواضع والزهد ، فأدناهم والمقصر منهم][3] في أموره هو

---

(١) في (ط) : « فابتنى » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .
(٣) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

الشريف السَّني رضي الله عنهم ونفع بهم آمين . ولله در من قال : [من الكامل]:

طابَت « تريم » بهم وطابَ محلّها ... أضْحوا بها القِنديلَ وهي المَسجدُ

تَخْتالُ زَهْواً في العِراصِ لِحُسنها ... بحلـولِ سلمـى حُسنهـا لا يُفْقَـدُ

أضَحَتْ تريم بهم عَرُوساً تُجْتَلى ... تـزكـو[1] عبيـراً نَشْـرُهُ يَتـرَدَّدُ

يـا رَبـع سَلْمـى رحمـةً وتحيّـةً ... منِّي عليـك مـدَى الـزّمـان تُـرَدَّدُ

ويذكر أنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض البقل ، واجتمع بها في عصر واحد من العلماء الذين بلغوا رتبة الإفتاء ثلاثمائة رجل . وأنَّ بمقبرتها جماعة ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن عددهم سبعون نفراً . وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف ـ رضي الله عنه ـ إذا زار قبور تريم يشير إلى مكان قبورهم في محل مخصوص هناك . وروي عنه أنه قال : في تربة آل با علوي ثمانون قطباً كلهم أشراف .

وروي عن بعض الصالحين أنه قال لرجل من أهل تريم : أتعرف الفريط الأحمر والجبل الأحمر ؟ فقال له : نعم . فقال : إنَّ تحته روضة من رياض الجنة .

وروي عن الشيخ فضل بن عبد الله أنه قال : ثلاث ترب محمولات بترابهم إلى الجنة ، تربة تريم ، وتربة الهجرين ، وتربة غيل أبي سودان .

ويقال : إنَّ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ دعا لها بثلاث دعوات : أن يكثر بها الصالحون ، وأن يبارك الله فيما بها ، وأن لا تطفأ بها نار إلى يوم القيامة . ومعناه : أن لا تزال عامرة إلى يوم القيامة . وذلك حين بلغه أنَّ أهلها لم يرتدوا كغيرهم من العرب الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ ، ولذا قيل لها مدينة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وروي أنَّ الفقيه محمد بن أبي بكر عباد ـ رحمه الله ـ كان يقول : إذا كان

---

(١) في (ط) : « تذكر . . . » وهو خطأ .

يوم القيامة أخذ أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أهل تريم كلهم قبضة في يده ورمى بهم في الجنة .

وبها مساجد كثيرة مشهورة البركة ، منها المسجد المعروف بمسجد آل با علوي .

وقد نظم السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته ، الشيخ علي بن أبي بكر في معرض الثناء عليهم ، ثم التعريف بأن في بلدة تريم الجم الغفير ممن هم بهذا الوصف الخطير ، فقال رحمه الله ورضي عنه وعن سائر الصالحين وعنا بهم آمين : [من الطويل]:

ببابِ سهام سَبْعةٌ مِنْ مشايخ ... لِقاصِدِهم ذُخْرٌ[1] وكَنْزٌ لمقْلِلِ

فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي ... وأَفلح صياد كذا ابن الرَّضي الولي

زيارتهُم نَجْحٌ لكلِّ حوائجٍ ... وفي الخُلْد سُكْنى للذي زارَ مُقبل

[تريمُ بها منهم ألوف عديدة ... بساحة بشّار شموسُ الهدى قل][2]

زيارةُ كلٍّ منهمُ صحّ أنها ... لما شئت من جَلْبٍ ودَفْعِ مُحَصّلِ

وإنْ قيلَ ترياقٌ ببغدادَ جُرّبا ... ففي ربع بشّار شفا كلِّ مُعْضِلِ

ويا حَبّذا ذاك الفَريط وظلّه ... فكَم قد حَوى من كاملِ السرِّ منهلِ

فكَم معْدنٍ كم مَوْرد كم معظم ... وكم حبرِ تحقيقٍ وشيخ مدلّلِ

وبلبل قلبي نفْح مِسْك بزنبل[3] ... بها من كنوز السرّ كم من مجلّلِ

وكم جبهة فيها بنوا كدراتها ... بهم ينزل الله الغيوثَ لممحلِ[4]

---

(1) في (ط) : « فخرٌ » .

(2) هذا البيت زيادة من (ط) .

(3) في (م) : « مسك برسل » .

(4) رواية الشطر الأول في (ط) « وكم جهبذ فيها بنوا كدَرَ بها » ومعناه غير واضح وما أثبتناه عن (م) ما عدا الكلمة الأخيرة فصورتها ثمة « .. كدرتها » ولا يستقيم بها الوزن ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

فلا تَحْقِرَنْها رُبَّ أَشْعَث خاملٍ سما سرّه فضلاً على كل مُفْضِلِ

● وفيها : في ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال توفي **الشيخ الكبير والعلم الشهير والقطب الربَّاني شمس الشموس الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس با علوي**[1] بعدن ، فصارت به على الحقيقة عدناً ، وأكرمها الله به حياً وميتاً وسكوناً وسكناً كما قيل : [من الخفيف]:

صارَ دال اسمِها كما كان فيها ساكناً ساكناً فَدامَ النُّزولُ
فَبه الثَّغْرُ والجهاتُ جميعاً عَمّها النُّور والبَها والقبولُ
فابْشروا أيُّها النزولُ « بِعَدْنٍ » بسلامٍ من ربِّكُم لا يزولُ

وقبره بها أشهر من الشمس الضاحية ، يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة .

وقد ضمَّن صاحبنا الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح تاريخ عام وفاته في بيتين فقال : [من المتقارب]:

قَضَى جاتراه وفيّاً بعامٍ وفاة الولي القُطْب صاحب عَدْن
أبي بكر العيدروس الَّذي به الله أعلىٰ مَنار السنن

وكان مولده بتريم سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، ومدة إقامته بعدن نحو خمس وعشرين سنة ، وكان من أكابر الأولياء ، بل هو القطب في زمانه كما شهد به العارفون بالله سبحانه وتعالى شرقاً وغرباً ، ولم يمتر في ذلك ذو بصيرة من أهل الطريق ، وكان في الجود آية من آيات الله تعالى ، وكان يذبح في سماطه كل يوم في رمضان ثلاثون كبشاً ، ولذلك بلغت ديونه مائتي ألف دينار ، فقضاها عنه الأمير الموفق ناصر الدين [بن][2] عبد الله با حلوان في حياته قبيل موته بمدة يسيرة حتى قرت بذلك عينه . وكان يقول : إنَّ الله وعدني

---

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١/ ١١٣ـ١١٤) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٩١ـ٩٣) « معجم المؤلفين » (٣/ ٦٥) و« الأعلام » (٢/ ٦٦) .
(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

أن لا أخرج من الدنيا إلا وقد أدَّى عني ديني .

ومن مشايخه في العلم عمه الشيخ [علي][1] ، والفقيه العلامة محمد بن أحمد با فضل [والفقيه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الحاج با فضل][2] ومقروءاته كثيرة لا تنحصر ، وله إجازات متعددة من علماء الآفاق كالشيخ العلامة الحافظ السخاوي ، والشيخ العلامة المحدث يحيى العامري اليمني ، والشيخ الإمام العلامة المزجد الزَّبيدي وغيرهم . وعده الشيخ جار الله بن فهد في معجمه من شيوخه في الحديث ، واجتمع على إثبات ولايته وعظيم خصوصيته من كان في زمانه من الأولياء العارفين ، واعترف بعلو منزلته من عاصره من أكابر علماء الدين .

وقد ذكر الفقيه العلامة محمد بن عمر بحرَق ـ رحمه الله ـ في كتابه الموسوم « بمواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » من ذلك جملة شافية مقنعة كافية تنشرح بمطالعتها الصدور ، ويزداد المحب بسماعها نوراً على نور ، منها : أن عمه الشيخ علياً رضي الله عنه شهد له بالقطبية في حكاية ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة الفقيه الصالح محمد بن أحمد با جرفيل[3] ، وكذا شهد له بها من أهل عصره الشريف حسين بن الصديق الأهدل[4] .

قلت : وقد مرّ كلامه فيه أيضاً مستوفى في ترجمته . قال : وسألت بعضهم عنه فقال : الذي نعتقده وندين الله به أنه صاحب الوقت . وذكر أيضاً أنه سأل الفقيه الصالح [محمد][5] بن أحمد با فضل عنه ، فأجاب بجواب يتضمن المدح والثناء عليه . وقد مر أيضاً في ترجمته[6] .

---

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .
(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .
(٣) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .
(٤) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .
(٥) ما بين القوسين زيادة في (ط) .
(٦) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .

قلت : وحكي عن بعض الثقات أنه قال : حججت سنة سبع وتسعمائة فبينما أنا أطوف إذ برجل عليه هيئة أهل الصلاح أخذ بيدي وقال لي : أنت فلان وبلادك كذا ، وأخبرني بأشياء جرت لي ، وأنا لم أعرفه قبل ذلك . ثم قال : أتدري من غوث الأولياء اليوم؟ فقلت : لا . فقال : غوثهم الشريف أبو بكر بن عبد الله العيدروس الذي بعدن . فقلت له : منذ كم هو في القطبية؟ فقال : منذ سنتين .

ومدحه العلامة أحمد بن عمر المُزَجَّد الزَّبيدي[1] مصنف العباب[2] بهذه الأبيات : [من الطويل]:

سلامٌ كروْضٍ باكَرَتْه غمائمه ... وفتّحَ عَنْ زهرِ الأقاحي كمائمُهْ
وأعْشَبَ واخضرَّت أفانين دوْحة ... وغَنَّتْ على أغصانهن حمائمُهْ
سلامٌ يباري المندل الرّطبَ نَشْرُهُ ... فتعبقُ مِن تلك الرُّبُوع مَعالِمُهْ
على السيِّد السّامي إلى ذُرْوَة العُلى ... وليس له في مثلها مَنْ يُزاحمُهْ
أبي بكرِ الصِّديق أكرم بنبعةٍ ... نَمته فَقَد نِيطَتْ عليه تَمائمُهْ
وهِمّته في نَيْلِ كلِّ فَضيلةٍ ... وليس إلى إحرازِ ما هُوَ طاعِمُهْ
له من كتاب الله أعذب منهل ... ومن سنّة المُختار شربٌ يلائِمُهُ
ومن نَهجِ أشياخِ الطّريقة منهج ... تَقَهْقَر عنه عُزْبُهُ وأعاجِمُهْ
ولا غَزْوَ إذ خير النّبِيِّينَ جدّه ... ومنه خوافي ريشه وقوادمُهْ
أتاني كتابٌ منه يرعَى عهودَه ... وإنِّي على العَهْدِ الذي هو عالمُهْ
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... وفُضّتْ جيوشُ الغمِّ إذ فضَّ خاتمُهْ
عفَى الله عن هذا الزّمانِ فإنّه ... يُحاربُنا دأباً ونحن نُسالمُهْ

---

(١) وانظر ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٣٥ـ٢٣٦) و « الأعلام » (١/ ١٨٨) وستأتي في أحداث سنة (٩٣٠ هـ) .

(٢) هو « العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب » في الفقه الشافعي ، انظر صفته وتقريظه في ترجمة المؤلف « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٣٦) .

يفارقُ ما بين الخليلينِ عَنْوَةً ... ومن كان أقوى منك كيف تحاكمُهْ[1]
ويلحمُ فينا غارةً بعد غارة ... وتفجأنا في كلِّ يومٍ ملاحِمُهْ
سلامٌ على الشيخِ الكبير الذي غدَتْ ... كراماته معروفةً ومَكارمُهْ
لكلِّ زمان قائم في صُروفهِ ... وهذا زمانٌ أنت لا شكَّ قائمُهْ
فلا تخلني من دعْوةٍ مُسْتَجابة ... فأنت وسيعُ البرِّ جمٌ مراحِمُهْ

فهؤلاء العلماء الذين عاصروه ، وبكل فضل وصفوه ، ولم نذكر منهم إلا اليسير إذ هم جمٌ غفير ، وجمع كثير ، ولو ذكرت الكلَّ مفصلاً لطال هذا الباب ، وخرجنا عما التزمناه من الإيجاز إلى الإسهاب .

وحكي من مجاهداته أنه هجر النوم بالليل أكثر من ثلاثين سنة .

وأما كراماته فكثيرة كقطر السحاب ، لا تدرك بعَدٍّ ولا حساب ، ولكن أذكر منها على سبيل الإجمال دون التفاصيل ثلاث حكايات تكون كالعنوان على باقيها بالدلالة والتمثيل ، منها : أنه لما رجع من الحج دخل زَيْلَع[2] وكان الحاكم بها يومئذ محمد بن عتيق ، فاتفق أنه ماتت أم [ولد][3] للحاكم المذكور ، وكان مشغوفاً بها ، فكاد عقله يذهب لموتها ، فدخل عليه سيدي لما بلغه عنه من شدة الجزع ليعزّيه ويأمره بالصبر والرضا بالقضاء ، وهي مسجاة بين يدي الحاكم بثوب ، فعزاه وصبره ، فلم يفد فيه ذلك ، وأكبّ على قدم سيدي الشيخ يقبلها ، وقال : يا سيدي إن لم يحي الله هذه متُّ أنا أيضاً ، ولم تبق لي عقيدة في أحد . فكشف سيدي عن وجهها وناداها باسمها فأجابته لبيك ، ورد الله روحها ، وخرج الحاضرون ولم يخرج سيدي الشيخ حتى أكلت مع سيدها الهريسة وعاشت مدة طويلة[4] .

---

(١) في (م) : « كيف تحالمه » .
(٢) زَيْلَع ، بالعين المهملة ، قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش (معجم البلدان) (٣/ ١٦٤) والمراد : البحر الأحمر .
(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .
(٤) هذه من المبالغات التي لا يقرها عاقل فضلاً عن أن يقرها الشرع الحنيف ، وما أكثر ما يورده=

وعن الأمير مرجان أنه قال : كنت في نفر من أصحابي في محطة صنعاء الأولى ، فحمل عليها العدو ، فتفرق عني أصحابي ، وسقط بي فرسي لكثرة ما أثخن من الجراحات ، فدار بي العدو حينئذ من كل جانب ، فهتفت بالصالحين ، ثم ذكرت الشيخ أبا بكر رضي الله عنه ، وهتفت به فإذا هو قائم ، فوالله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً آخذاً بناصيتي وناصية فرسي ونشلني من بينهم حتى أوصلني المحطة ، فحينئذ مات الفرس ونجوت أنا ببركته رضي الله عنه ونفع به .

وعن المريد الصادق نعمان بن محمد المهري[1] أنَّه قال : بينما نحن سائرون في سفينة إلى الهند إذ وقع فيها خرق عظيم فأيقنوا بالهلاك ، وضج كلّ بالدعاء والتضرع إلى الله [تعالى] وهتف كلٌّ بشيخه ، وهتفت أنا بشيخي أبي بكر العيدروس رضي الله عنه ، فأخذتني سِنَةٌ ، فرأيته داخل السفينة وبيده منديلٌ أبيضُ وهو قاصد نحو الخِرق ، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي : أن ابشروا يا أهل السفينة فقد جاء الفرج ، فقالوا : ماذا رأيت؟ فأخبرتهم ، فتفقدوا الخرق ، فوجدوه مسدوداً بمنديل أبيض كما رأيت ، فنجونا ببركته رضي الله عنه ونفع به .

● **فائدة :**

اعلم أنَّ كرامات الأولياء حق ، والدليل على وقوعها موجود من المنقول والمعقول . أما المنقول فهو ما ثبت في القرآن العزيز وصحَّ عن النبي ﷺ من قصة مريم وجريج[2] وغيرهم من الذين ليسوا أنبياء ووقعت على أيديهم ، وما روي عن الصديق ـ رضي الله عنه ـ وكان أخبر عند موته [أنَّ][3] امرأته تلد بنتاً وكانت إذ ذاك حاملاً ، وعن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ في قصة سارية

= المؤرخون وأصحاب كتب السير من أمثال هذه القصة التي آفتها فيها واضحة .

(١) في (ط) : « المهدي » بالدال المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « جريح » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .

المشهورة ، وعن ذي النورين رضي الله عنه في الرَّجلِ الّذي دخل عليه وقد نظر إلى امرأة أجنبية فكاشفه بذلك ، وعن المرتضىٰ رضي الله عنه في الأسود الّذي قطع يده ثم ردَّها مكانها فعادت كما كانت . وأما ما نقل من ذلك عن أولياء الله تعالى فكثير جداً ، من ذلك ما وقع لبعض الأولياء وهو على جبل فقال : إنَّ من أولياء الله مَنْ إذا قال لهذا الجبل تحرك لتحرك ، فتحرك الجبل من قوله ، فقال له : اسكن إنما ضربت بك مثلاً . وكما قال ذو النون المصري للسرير : طف بالبيت فطاف ثم عاد إلى مكانه ، وكان هناك شاب فصاح الشاب حتى مات .

وأما المعقول فذكر صاحب تفسير النيسابوري هو أن الرب حبيب العبد ، والعبد حبيب الرب لقوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة : ٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه إلى حيث يفعل ما أمره الله . فأي بعد في أن يفعل الرب مع غاية قدرته مرة واحدة ما يريد العبد ؟ وأيضاً لو امتنعت الكرامة ، فإما لأجل أن الله ليس أهلاً له وذلك قدح في قدرته ، وإما لأن المؤمن ليس أهلاً له وذلك بعيد لأن معرفة الله والتوفيق عليه أشرف العطايا وأجزلها ، وإذ لم يبخل الفياض بالأشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى . ومن هنا قالت الحكماء : إنَّ النفسَ إذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم السفلي كما تتصرف في جسده .

قلت : وذلك لأنَّ النَّفسَ نورٌ ولا يزال يتزايد نوريته وإشراقه بالمواظبة على العلم والعمل ، وفيضان الأنوار الإلهية عليه حتى تنبسط وتقوى على إشراق غيره والتصرف فيه ، والوصولُ إلى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية) . وقال الشيخ داود [بن][1] با خلا الشاذلي الإسكندري : ولا تستبعد هذه الأشياء ـ يعني الكرامات ـ على أولياء الله تعالى ، فإنَّ اللهَ تعالى جعل هذا العالم كله خادماً لبني آدم مؤمنهم وكافرهم طائعهم وعاصيهم ، ومكنهم في

---

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

المملكة ، وطوع لهم حيواناتها ونباتاتها ومياهها وأشجارها وسحابها وأمطارها وهم لغيره عابدون وبه كافرون ، فكيف لا يسخر لأوليائه المقربين وعباده المتقين نوعاً آخر من التسخير وهو [الفاعل لكلِّ شيء وهو][1] على ما يشاء قدير . انتهى .

ولسيدي الشيخ أبي بكر العيدروس من الكمالات والخوارق ما يعجز عنه اللسان ولا يحصره البيان ، ولله درُّ من قال : [من الطويل]:

لـه كـلُّ قَلْـبٍ بـالـولايـة شـاهِـد   وكـلُّ فـؤادٍ مـن محبّتـه مَلـي
فللّـه مـا أعلـى مـراتـبَ فَضْلـهِ   وأجزلَ ما أعطى وأسمَح ما وَلي
فنِعْم الفتى لا شكّ في عُظْمِ حالهِ   فما شئت في الفضل الّذي نالَه قلِ

[وكان متمسكاً بالكتاب والسنّة حتى أنه كثيراً ما يقول إذا جرى ذكر التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم : والله العظيم لو بعث الله والدي الشيخ عبد الله وأستاذي الشيخ سعد وذكرا لي أن سيدنا علياً أفضل عند الله من سيدنا أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ ما رجعت عن معتقد أهل السنّة والجماعة من أن أبا بكر وعمر وعثمان أفضل من علي رضي الله عنهم أجمعين][2] .

ومناقبه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر : [من البسيط]:

إذا تَغَلْغَـلَ فكـرُ المـرء فـي طَـرَفٍ   مـن مَجْـدِهِ غـرقـت فيـه خَـواطِـرُه

وشهرته تغني عن ترجمته : [من الطويل]:

وليـس يـزيـدُ الشمـس قـدراً ورفعـةً   إطـالـة ذي وصْـفٍ وإكثـار مـادحِ

وإنّي أصِفُهُ وهو فوقَ ما وصَفْته ، وغالبُ ظني بل يقيني أني ما أنصفته . [من البسيط]:

إنَّ الّـذي قلـت بعـضٌ مـن مَنـاقبـهِ   مـا زدتُ إلاّ لَعَلّـي زدتُ نقصـانـاً

---

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .
(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

وما ذكرته من أحواله ومقاماته دون ما تركته بكثير ، وقد صنف فيها غير واحد من العلماء الأعلام ، كالشيخ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي ، فإنّه جمع فيها مؤلفاً سماه « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » أجاد فيه كل الإجادة ولم يترك لغيره محلاً للزيادة ، والشيخ الفاضل عبد اللطيف با وزير رحمه الله في مقدمة الديوان ، مع علمي أنَّ كلاً منهما غير موفٍ بالمقصود ، ولا مؤدٍّ للأحوال على حقيقتها ، إما لعدم استيعاب اطلاعه ، أو لقصور عبارته وضيق باعه ، وإلا فمناقب بني العيدروس أكثر من أن تحيط بها الطروس ، أو يضبطها قلم أو دروس ؛ فلقد كانوا زهرة الأيام وبهجة الأنام ، سموا في المعالي إلى أعلى مقام ، وبنوا من جميل الذكر ما خلدته في الصحف الأقلام ، فهم كما قال المعري : [من البسيط]:

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهُم بعدَ المَمات جمال الكُتبِ والسِّيَرِ

وكما قال الآخر : [من الكامل]:

قوم محاسن جُودهم مبثوثة يَبلى الزَّمان وذِكرها مُتجدِّدُ

[وما أحسن قول صاحبنا الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر حيث يقول][1] : [من الخفيف]:

كلّهم في الورى شريف منيفٌ لكن العيدروس أعلى وأعلم
وبهذا الدليل قد قال قومٌ قولهم في الورى أقوى وأقوم
فاعتمده ولا تَمِلْ لِسواه إن شئتَ تَسلى وتَسْلم[2]

وبالجملة : فإنه كان نسيج وحده ، ليس له نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله ، وكان كما قيل : [من المنسرح]:

قطبُ الوَرَى غوثها وجامِعُها زيْنُ طَريقِ الرّجال سيّدها

---

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .
(٢) هكذا الأصل ، والشطر الثاني من البيت مكسور الوزن .

قطبُ رحاها رئيسُ مجلسها   جملة تفصيلها وأوحدها
شمسُ ضحاها هلالُ ليلتها   درّ مقاصيرها زبرجدها

ومن تصانيفه تصنيف شريف واف شاف سماه « الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف » أتى فيه بالعجب العجاب ، وأغنى بما فيه من الإيجاز عن الأطناب . ذكر فيه ما ورد في إلباس الخرقة الصوفية من الأخبار والآثار ، وصفة التحكيم الوارد عن المشايخ ، وعدد مشايخه الذين أخذ منهم اليد والإذن في إلباس الخرقة الشريفة ، وانقسام الخرقة الموجودة في سائر الأقطار إلى خمسة مشايخ . وله ثلاثة أوراد : بسيط ، ووسيط ، ووجيز . وديوان شعر .

ومن شعره هذه الوسيلة المباركة وهي : [من الوافر]:

ببسم الله مولانا ابتدأنا   ونحمده على نعماه فينا
توسلْنا به في كل أمرٍ   غياث الخَلْقِ ربّ العالمينا
وبالأسماء ما وردت بنصٍّ   وما في الغَيْب مخزوناً مَصونا
بكلِّ كتابٍ أَنزله تعالى   وقرآنٍ شفا للمؤمنينا
بكلِّ طوائف الأملاك ندعو   بما في غيب ربِّي أجمعينا
وبالهادي توسّلنا ولذنا   وكلِّ الأنبيا والمرسلينا
وآلهم مع الأصحاب جمعاً   توسّلنا وكلّ التّابعينا
وبالعلما بأمر الله طرّاً   وكلّ الأوليا والصّالحينا
أخصُّ به الإمامَ القطبَ حقّاً   وجيه الدّين تاج العارفينا
رقى في رتبةِ التّمكين مرقى   وقد جَمَعَ الشّريعة واليقينا
وذكر العيدروس القطب أجلا   عن القلب الصّدا للصادقينا
عفيف الدِّين محيي الدّين حقاً   له تحكيمنا وبه اقْتَدَيْنا
ولا تَنْسى كمال الدين سعداً   عظيم الحالِ تاج العابدينا

بهم ندعو إلى المولى تعالى ... بغفران يعمُّ الحاضرينا
ولطف شامل ودوام سِترٍ ... وغفران لكلٍّ المُذْنبينا
ونختمها بتحصين عظيم ... بحول الله لا يقدر علينا
وسِتْر الله مَسْبولٌ علينا ... وعينُ الله ناظرةٌ إلينا
ونختم بالصّلاة على محمدْ ... إمام الكلِّ خير الشافعينا

ومنه : [من مجزوء البسيط]:

فأيُّ شمسٍ أنا ولكنْ ... حَتمٌ على العُمْي لا تراني
كفاني العيدروس فخراً ... وسيفه في العدى كَفاني

ومنه : [من البسيط]:

ولَوْ تَدَيَّنْتُ ملء الأرض من ذَهَب ... ما بات عندي منه عشر أعشاري

ومنه :

أنا الجوادُ ابنُ عبد الله إن عَرَضَتْ ... للجُود مَكرمة إنِّي لها الشّاري
وإنِّيَ العيدروسُ ابنُ البتول إذا ... حرٌّ تسلسل من أصلاب أطهارِ
أما ترى أنّني قضيت دَين أبي ... وكان ذاك ثلاثين الف دينار
مجدي قديم أخير لا يسايره ... مجد لما حُزْتُ من صَبْرٍ وإيثارِ

ومنه : [من البسيط]:

يا صاحِ مَن مِثلنا فيما ترى أحد ... ممّن يسيرُ ومَن يعلو على الإبلِ
نحنُ الكِرامُ بنو القومِ الكرام إذا ... جدْنا عدلنا بصوب العارض الهطلِ
لنا السّماح الذي عمّ الأنام معاً ... كم أبدلت راحة خصباً من المحلِ
لو أنَّ للبحر أعياناً تشاهِدُنا ... عند السّماح اعتراهُ الغيْضُ بالخَجلِ[1]

---

(1) في (م) : « .. النبض بالخجل » وما أثبتناه عن (ط) وغاض الماء : نقص أو غار فذهب : « اللسان » (غيض) .

لِجَدِّنا من إلـه العـرش منـزلـةٌ كَقاب قوسَيْن لم تدركْ ولم تَنَلِ
وجَدُّنا نظـر البـاري القـويّ ولـم يسبـقْ إلـى مثلـه قطعاً مـن الرُّسُلِ
صلّى عليه إلّه العرش ما صدحت ورْقٌ علـى فَنَـنٍ بـالبشْـرِ ذي ميـلِ
والآل والصّحب والأتباع عن طرق ونـاصـريـه بحـدِّ البيـض والأسـلِ

● وفيها : توفي الشيخ أحمد بن محمد بالجفار بأحور وهي بلد بين الشِّحر وعدن على الساحل .

وحكي عنه أنه قال : كان في مكة رجل يسلب من دخل عليه من الأولياء عن مقامهم فيأخذه من ذلك المقام . قال : فدخلت عليه بغفلة مني ، فسألني عن مقامي ، فتضرعت بباطني إلى الّذي يجيب المضطر إذا دعاه ، فألهمني أن قلت : مقام الافتقار إليه ، فصاح وقال : ما أحد نال منّي إلاّ أنت ، أو كما قال .

قلت : وقريب من هذا ما ذكره الشيخ العلامة عز الدين بن غانم بن عبد السلام المقدسي في كتابه « شرح حال الأولياء ومناقب الأصفياء » أنَّ الشيخَ أبا يزيد البسطامي ـ رضي الله عنه ـ رُئيَ بعد موته في النوم فقيل له : ما فعل الله بك يا أبا يزيد؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال لي : بم جئتني يا أبا يزيد؟ فقلت : يا رب جئتك بما ليس في خزائنك منه شيء . فقال : وما هو الذي ليس في خزائني منه شيء ؟ . قلت : يا رب الفقر والإفلاس ، فقال : يا أبا يزيد جئتني بكل شيء .

ومن كلام سيدي أحمد الرفاعي نفع الله به : سلكت كلَّ الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار . فقيل له : يا سيدي فكيف يكون ؟ قال : يعظم أمر الله ويشفق على خلق الله ، ويقتدي بسنّة رسول الله ﷺ .

وما أحسن قول الشيخ عبد الهادي السودي قدس الله روحه في المعنى : [من الخفيف]

واجْعَـل الفَقْـرَ شـافِعـاً لـك يُغْنـي حبّــذا الافتقــارُ دِينــاً ومِلّــهْ

● وفيها : احترق من مدينة عدن طائفة عظيمة من المدرسة السفيانية إلى حافة اليهود وما هنالك ، واحترق فيها من الآدميين نحو ثلاثين نفساً ، وتلف من الأموال والبيوت ما لا يحصى .

● وفيها : ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد وأعمالها ، فبلغ طعام الذّرة الثمن بعشرة دراهم ، والدخن بأحد عشر درهماً ، والسمسم بستة دنانير ، والسمن خمسة أواق وأقل بدرهم صغير ، وكاد الدَّر[1] أن يعدم وقلَّ وجوده في الدواب ، وماتت أكثر البهائم جوعاً ، ولم يحصل في الصيف[2] مطر ، وضاقت الأحوال وعدمت المكاسب .

● وفيها : حصل ببندر مدينة عدن ريح عظيمة ودامت إلى الصباح ، وزاد البحر زيادة عظيمة وطلع الماء فوق درجات [باب][3] المدينة ، وكثر الموج ، وغرقت في البحر سفينة مقبلة من جهة ميط وعكبري والناس ينظرون إليها ، وكاد ما في البندر من السفن جميعاً أن يغرق ، فسلم الله تعالى ولله الحمد .

* * *

---

(١) في (ط) (اللبن) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) (الشتاء) وما أثبتناه عن (م) وذلك أن اليمن أمطارها صيفية .

(٣) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

سنة خمس عشرة بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الاثنين خامس شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة توفي **الفقيه العلامة الحبر الفهامة المتقن المدقق جمال الدين محمد الطيب بن إسماعيل مبارز** إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن في عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ونفع به آمين .

● وفي ذلك اليوم توفي **فقيه بيت الفقيه ابن حشيبر الفقيه عبد الله بن الخطيب أحمد بن حشيبر** ببلده ، رحمه الله[1] .

● وفي السابع من شهر رجب الفرد الحرام توفي **الإمام البطل الجواد أمير الجوف[2] الشريف محمد بن الحسين البهال الحسيني** رحمهما الله بصعدة[3] .

● وفيها : زلزلت مدينة زبيد ، وسمع على السطوح حركات شديدة ، وتقلبت الآنية في الرفوف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : ظهر في السماء في آخر الليل من مطلع العقرب على هيئة قوس قزح أبيض له شعاع وهو أزج له رأس مائل نحو مطلع سهيل ، واستدام يطلع كل ليلة في الوقت المذكور نحو ثلاث عشرة ليلة ، ثم اضمحل .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٩٩) .

(٢) في (ط) (الجوق) وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن (م) والجوف : مواضع عدة منها واد في أرض اليمن ، « معجم البلدان » (٢/ ١٨٧) .

(٣) صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً « معجم البلدان » (٣/ ٤٠٦) .

سنة ستة عشر بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ست عشرة توفي **القاضي العلامة الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد الفرغاني** بمدينة تعز ، ودفن بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم رحمه الله تعالى[١] .

● وفيها : هاجت ريح شديدة وأظلمت الدنيا ، ثم انكشفت بإذن الله تعالى .

● وفيها : في آخر يوم [الأحد][٢] ثاني رمضان توفي **السلطان العادل المجاهد أبو الفتح محمود[٣] بن محمد صاحب كجرات[٤]** بأحمد آباد ، ودفن بها .

ذكره السخاوي في «ضوئه» وقال : ولد سنة ثمان وأربعين تقريباً . أسلم جدُّه مظفر على يد محمد شاه صاحب دلي ، وكان عاملاً له على فتن من كجرات [فلما وقفت الفتن في مملكة دلي وتقسمت البلاد كان الذي خص مظفراً كجرات][٥] ، ثم وثب عليه ابنه وسجنه ، ولم يلبث أن استفحل أمر الأب بحيث قتل ولده ، ثم بعد سنين انتصر أحمد لأبيه وقتل جده واستقر في كجرات ، وخلفه ابنه غياث الدين ، ثم ابنه قطب الدين ، ثم أخوه داود ، فلم

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠٦/١٠) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) في « الشذرات » : (١٠٥/١٠) « أحمد » وانظر ترجمته أيضاً في « الضوء اللامع » (٩١/٢ و١٤٤/١٠) .

(٤) كجرات من بلاد الهند ، انظر « الشذرات » (١٠٥/١٠) .

(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) و« الشذرات » (١٠٥/١٠) عن « الضوء اللامع » .

يلبث سوى أيام وخلع ، واستقر أخوهم محمود شاه صاحب الترجمة وذلك في سنة ثلاث وستين حين كان ابن خمسَ عشرةَ سنةً ، ودام في المملكة إلى الآن ، وأخذ من الكفار قلعة الشابانير[1] فابتناها مدينةً ، وسماها محمد آباد . ومن جملة ممالكه كبناية .

وقال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وعمَر بمكة رباطاً مجاور باب الدربية[2] عرف بالكبنابتية ، وقرر به جماعة ودروساً وغير ذلك ، وكان يرسل لهم مع أهل الحرمين عدة صدقات ، ثم قطعها لما بلغه استيلاء النظار عليها ، واستمر على ولايته حتى مات في التاريخ السابق رحمه الله تعالى .

● وفيها : ارتفعت الأسعار لقلة الأمطار ، وبلغ ثمن الطعام عشرة دراهم .

● وفي ليلة الاثنين الخامس من شهر جمادى الأولى توفي **الفقيه شمس الدين علي بن موسى المشرع**[3] **عجيل** بمدينة زَبيد ، ودفن صبح يومها رحمه الله تعالى .

● وفيها : انقض كوكب عظيم من نصف الليل آخذاً في الشام ، وأضاءت الدنيا كذلك إضاءة عظيمة ، حتى لو أن الإنسان حاول رؤية الذر بذلك لم يمتنع عليه ، ثم غاب في الجهة الشامية ، وبقي أثره في السماء ساعة طويلة .

● وفيها : حصل بمدينة عدن ولحج وأبين والمسيلة وتلك النواحي مطر عظيم لم يعهد مثله من نصف الليل إلى عصر يوم الأربعاء ، وامتلأت الصهاريج كلها حتى تفجرت ، وزاد الماء زيادة عظيمة حتى سال إلى البحر من نصف الليل إلى آخر النهار ، واشتد حتى أشفق الناس وخافوا ، وسقطت بعدن ولحج بيوت كثيرة ، وسقط بيت بها على أهله فهلك منهم تحت الردم خمس نسوة

---

(١) في « الضوء اللامع » : (الشيابانية) .
(٢) في (ط) : (المدينة) وصوابه في (م) و« الشذرات » .
(٣) ترجمته في « الشذرات » (١٠٨/١٠) .

وعبد ، وسال بولد ليوسف البهيشي[1] ، فلم يوجد إلا في البحر في البرج الذي ترسي عنده المراكب وقد مات ، وكان بلحج وأبين وتلك النواحي أعظم مما بعدن ، وسقطت البيوت وسال السيل بالإبل والبقر والغنم وأكثر الزرع ، ولم يبق مكان إلا عمّه المطر ، وسقى الأراضي وسال إلى البحر ولله الحمد .

● وفيها : زلزلت مدينة زبيد زلزالاً شديداً ، ثم زلزلت مرة أخرى ، ثم زلزلت الثالثة ، وانقض في عصر ذلك اليوم كوكب عظيم من جهة الشرق آخذاً في جهة الشام ورؤي نهاراً ، وحصل عقبه رجفة عظيمة كالرعد الشديد ، وزلزلت مدينة موزع ونواحيها زلزالاً عظيماً ما سمع بمثله ، واستمرت تتردد ليلاً ونهاراً زلازل صغار وزلازل كبار ، وقد أضرت بأهل الجهة أضراراً عظيمة حتى تصدعت البيوت الضعيفة البناء ، وما سلم بيت من تشعب ، وتشققت الأرض المعدة للزراعة ، وتهدمت القبور واختلطت جملة من الآبار .

● وفي عصر يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة توفي **الفقيه رضي الدين الصديق بن عبد العليم إقبال**[2] **القرتبي** ، ودفن في آخر ذلك اليوم عند ولده بمجنة باب القرتب بجوار مشهد الفقيه أبي بكر بن علي الحداد . وكان له مشهد عظيم رحمه الله .

* * *

---

(١) في (ط) : « البرينثي » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) ترجمته في « الشذرات » (١٠/١٠٧) .

سنة سبعَ عشرةَ بعد التسعمائة

● وفي سادس عشر المحرم سنة سبعَ عشرةَ توفي **السيد الشريف البارع في العلم والعمل والجود والكرم الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس**[١] بتريم ، ودفن بها عند أبيه ، وكان مولده سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وكان عالماً بالكتاب والسنّة ، حافظاً لكتاب الله ، مواظباً على تلاوته ليلاً ونهاراً ، قائماً بما جرى عليه سلفه من الأوراد والأذكار ، وإكرام الوافدين والفقراء والمساكين ، وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين وإصلاح ذات بينهم ، ولله در من قال :

[من الكامل]:

إنَّ الحسينَ تواتَرتْ أخبارُه ... في فَضْلِه عَن سادةٍ فُضلاء

غَيْثٌ يسحُّ على العفاة سحابه ... سحّاً إذا شَحّت يَد الأنواءِ

تالٍ لآثارِ النبيِّ محمّد ... مستمسك بالسنّة البَيْضاءِ

وَرِثَ المكارم والعُلَى عن سادةٍ ... ورثوا عن الآباء فالآباءِ

وروي عن الشيخ عبد العيدروس أنه كان يقول : كنت كثير الدعاء في سجودي أن يرزقني الله ولداً عالماً سنياً وأرجو أن يكون هو الحسين .

وروي عن أخيه الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس أنه كان يقول : الشيخ الحسين أكرم مني ، فقيل له في ذلك ، فقال : ينفق عن ضيق لكونه بحضرموت ، ونحن ننفق عن سعة ، فهو بذلك أكرم مني .

وكان مشاركاً في جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم . ومن مشايخه : الفقيه عبد الله بن أحمد با كثير ، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة ، والفقيه محمد بن عبد الرحيم الأسقع ، والفقيه العلامة عبد الهادي السودي قبل أن

---

(١) ترجمته في « الشذرات » (١٠/ ١١٣) .

ينجذب . وكانت له اليد الطولى في علم الفلك ، وكان يحقق قراءة الشيخين ، وكان الشيخ[1] عبد الله بن أحمد با مخرمة يقول : ما رأيت أعقل منه . وجاور بمكة المشرفة سنتين ، وزار [قبر][2] جده المصطفى ﷺ مرتين .

ومن كراماته : حكى عبد الرحيم الخطيب قال : صليت وراء السيد حسين رضي الله عنه صبح يوم الجمعة ، فقرأ السجدة ، فأصابتني حقنة وهممت بمفارقته ، فقرأ في الثانية سورة الإخلاص وأسرع فعجبت لذلك ، وظننت أن له حاجة أيضاً ، فلم يزل في مصلاه حتى طلعت الشمس كعادته .

ومن شعره : هذه الأبيات الحسان التي أشار فيها إلى التعرض لنفحات الرحمن : [من البسيط]:

ترجَّ فضلاً بدا في الوقت وارتقبِ ... فربّما نفحات الله تَقْتربِ
وكنْ مع العالم القدسيِّ منقطعاً ... وغِبْ عن الكَوْن والأغيارِ واستلبِ
واشهدْ محيّا جمالٍ والجلال وقُلْ ... حسبي وقسمك في المطلوبِ والطلبِ
وانظر إلى وجهه الواضحْ بلا حجبِ ... يأتيك من فضلهِ منّاً بلا تَعَبِ
وامعن إلى حُسْنه السّاري مكافحةً ... وانظره نظرَ ابتهاجٍ غير مضطربِ
واعكفْ على الغاية المطلوب منه وقل ... هذا هو الحقُّ والمعنى بلا رِيَبِ
وعِش وطِبْ وبشرب الذِّكر ذوق له ... من لا يطيب بذكر الله لم يَطبِ
هذا صفا العيش إن كنت اللبيب به ... سرّاً تقرّب فهوْ من أفضل القربِ
واسلُك سبيلَ طريق الله أجمعها ... محبّة وتأدّبْ غايةَ الأدبِ
واعمل إلى عالم اللاّهوت منطوياً ... على الفرار من الآفاتِ واللّعبِ
وجاهد النفسَ واعملْ ما يخلِّصها ... وانظرْ لما قال أهلُ العِلْمِ والكتُبِ

---

(١) في (ط) : (الفقيه) وما أثبتناه عن (م) .
(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

فإنّ عزَّ أولي الدّارين قد جمعت في طاعة الله لا في المالِ والنّسَبِ
ثـمّ الصـلاةُ علـى المحمـودِ مـرتقيـاً مقـامَ قـوسيـنِ عـال عـالـيَ الـرُّتَـبِ

● وفيها : **توفي العلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي**[1] بتريم في شوال ، وكان من الفقهاء البارعين والعلماء المتفننين . أخذ أنواع العلوم وبرع وتفنن ولزم الجد والاجتهاد في العلم والعمل ، وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء مع الدين المتين ، وترك ما لا يعنيه وشدة الورع والزهد والعبادة والخمول ، وكان حسن التقرير في تدريسه ، وأخذ عنه غير واحد .

ومن مشايخه : خاله الفقيه الصالح محمد بن أحمد بن عبد الله با فضل ، وكان جل انتفاعه عليه ، ومنهم الشيخ علي بن أبي بكر با علوي ، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة القرشي ، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمن با فضل ، والحافظ السخاوي وله منه إجازة ، ومكث في مكة مدة لطلب العلم . ومن محفوظاته « الحاوي » في الفقه ، و « منظومة البرماوي » في الأصول ، و « ألفية بن مالك » في النحو ومقرراته كثيرة جداً ، وحكي أنه قرأ « الإحياء » أربع مرات . ومن كلامه : « كُلْ قرصك والزم خلصك » . إشارة إلى القناعة والعزلة . ورآه بعضهم في المنام بعد موته فسأله عن حاله فقال : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٥] .

ومن كراماته : أن بعض خدامه سُرِقَ داره فقال له : اذهب إلى المكان الفلاني تجد فيه ما أخذ منك ، ففعل فوجد سرقته في ذلك المكان الذي عينه رحمه الله .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس الرابع من شهر محرم الحرام **توفي الفقيه العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن القاضي صفي الدين أحمد بن عمر المُزَجَّد**[2] إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٢١) .
(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١١٢) وثمة : « المزجد الي » ولعله تحريف من =

الأشاعر ، ودفن بجوار الشيخ علي المرتضى بمقبرة باب سهام ، وأسف عليه والده أسفاً كثيراً ، وصبر واحتسب ، وكان له مشهد عظيم ، وكان قد نجب ودرس وأفتى رحمه الله .

● وفيها : ولدت مولودة بقرية النويدرة ، وطلب لها من يؤذن لها في أذنها ، فحين بلغ « أشهد أن محمداً رسول الله » سمع الطفلة عند ذلك تقول : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . ثلاث مرات .

● وفي فجر يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول توفي **الشيخ الصالح علي بن إسماعيل المشرع** إلى رحمة الله ، ودفن ضحى ذلك اليوم إلى جنب والده .

● وفي ليلة الأحد العشرين من شهر جمادى الآخرة توفي **الفقيه الصالح أبو القاسم بن علي بن موسى المشرع**[1] **شهيداً بمرجام** . حصل له في ليلة الجمعة الحادي عشر من الشهر المذكور وهو قاعد بين الناس في بيته لقراءة مولد النبي ﷺ . [مَنْ ضربه على رأسه] فانكسر رأسه ، وأقام تسعة أيام ثم مات رحمه الله تعالى وعوضه الجنة ، ولم يعرف قاتله ، ودفن إلى جنب أبيه وجده .

● وفي يوم الخميس الثالث عشر من شهر رمضان توفي **الشيخ العالم الصالح جمال الدين محمد بن إسماعيل المشرع عجيل**[2] بمدينة زَبيد ضحى ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر بعد صلاة العصر ، ودفن إلى جنب أبيه قبلي تربة الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، رحمه الله وعوضه الجنة آمين .

● وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام توفي **الشيخ الصالح أبو القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرع عجيل** بمكة المشرفة ، وكان

= الناسخ عن قوله (المزجّد إلى رحمة الله) .

(١) « شذرات الذهب » (١٠/ ١١٢) وما بين الحاصرتين خلال الترجمة زيادة منه .

(٢) « شذرات الذهب » (١٠/ ١٢١) .

قد انقطع للمجاورة بالحرمين الشريفين ، فكان يقيم بمكة أياماً وبالمدينة أياماً ، وصلي عليه بالحرم الشريف بعد صلاة العصر من ذلك اليوم ، وشيّعه جمع عظيم ، وحملت جنازته على الرؤوس ، ودفن بالمعلاة ، رحمه الله تعالى ونفع به .

● وفيها : خسف بفيل السلطان عامر بن عبد الوهاب المسمى مرزوق بقرية يقال لها « الركز » من زوايا الشيخ شهاب الدين قطب زمانه وواسطة عقد أقرانه أحمد بن علوان نفع الله به قريباً من قرية يفرس ، وكان قد أدخله بيت بعض فقراء الشيخ كرهاً وسألهم ما لا طاقة لهم بتسليمه ، فلم يشعروا حتى غاب أكثر الفيل في الأرض ، وكانت من القفا من قبل رجليه ، فصرخ صرخات ومات . ألا[1] رحم الله سائسه ، فكان عبرة لمن رآه . ولم يقدر أحد على إخراج شيء منه من موضع الخسف .

● وفيها : كان دخول الإفرنج عدن ، وقتل كبيرهم المسمى عين البقر على يد الأمير مرجان ، وهذا مرجان هو الذي عمَر قبة العيدروس بعدن ، ودفن معه فيها .

* * *

---

(١) في (م) : (لا) وما أثبتناه عن (ط) . وانظر « الشذرات » (١٠/ ١١١) .

سنة ثماني عشرة بعد التسعمائة

● وفي سنة ثماني عشرة توفي الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ عبد الله العيدروس با علوي[1] بتريم ، [وقبر بمشهد جده الشيخ عبد الله العيدروس][2] وكان مشاركاً في العلوم . قرأ « المنهاج » في الفقه ، وكان من محفوظاته « الإرشاد » للمقري و« ملحة الإعراب » .

● وفيها : يوم الأحد وقت العصر خامس شهر رمضان توفي الشيخ الإمام العلامة الصالح الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر با فضل الحاج الحضرمي[3] بالشِّحر ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن في طرف البلد بالشحر من جهة الشمال في موضع موات نجدي عقل با غريب ، وهو أول من دفن هناك ، ودفن الناس إلى جانبه حتى صارت مقبرة كبيرة ، وعُمِلَ على قبره بنيان وصار مزاراً مشهوداً يطلب للتبرك عنده . وكان أوحد وقته علماً وعملاً وورعاً .

ومولده سنة خمسين وثمانمائة[4] . وارتحل لطلب العلم إلى عدن وغيرها ، وأخذ عن الإمامين محمد بن أحمد با فضل وعبد الله بن أحمد با مخرمة ، ولازم الثاني وتخرج به وانتفع به كثيراً . وحجَّ سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وأخذ أيضاً عن قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة ، وأبي الفتح المراغي وغيرهما ، ودأب في الطلب وأكبَّ على الاشتغال حتى برع وتميز واشتهر ذكره وبَعُدَ صيته وأثنى عليه الأئمة من مشايخه وغيرهم ، وكان شيخه

---

(١) « شذرات الذهب » (١٠/١٢٨) .

(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

(٣) « شذرات الذهب » (١٠/١٢٥) .

(٤) في (م) بجانبه بخط مغاير « عمره/٦٨ » .

أبو مخرمة كثير الثناء عليه ، ولعمري إنّه كان بذلك حقيقاً ، وبكل نعت حميد خليقاً ، وكان عالماً عاملاً فاضلاً عابداً ناسكاً ورعاً زاهداً ، شريف النفس كريماً سخياً مفضالاً ، كثير الصدقة ، حسن الطريقة ، لين الجانب ، صبوراً على تعليم العلم ، متواضعاً حسن الخلق لطيف الطباع ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، حسن التوصل لنفع الطلبة وغيرهم ، كثير السعي في حوائج المسلمين ومصالحهم ، فكانت له حرمة وافرة عند الملوك وغيرهم ، وكان كثير التوسط بين سلاطين حضرموت وقبائلها ، وكان حافظاً أوقاته لا يرى إلا في تدريس علم ، أو مطالعة كتاب ، أو اشتغال بعبادة أو ذكر ، وولي التدريس بجامع الشِّحر وانتصب فيها للاشتغال والفتوى ، وصار عمدة القطر ، وانتهت إليه رئاسة الفقه في جميع تلك النواحي ، وانتفع به الناس كثيراً من وجوه كثيرة ، ولم يزل على ذلك حتى توفي على الحال المرضي . وكان عمدة أهل زمنه في الفتوى والتدريس ، وتصدى لنفع الأنام ، وانتفع به غير واحد من العلماء الأعلام ، ومنهم الفقيه الصالح العلامة عبد الله بن محمد باقشير ، وقد ذكره في إجازته لوالدي من جملة شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومدحه فيها وأطنب فيه غاية الإطناب .

وله جملة من التصانيف منها « المختصر في علم الفقه » وهو المشهور بين الناس ، اقتصر فيه على ربع العبادات ، وانتفع به الطلبة والمتدينون . وقد اعتنى شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي بشرحه فشرحه شرحاً فائقاً ، وأراد أن يكمله إلى آخر أبواب الفقه ، فبلغ فيه مع الشرح إلى باب الفرائض وأدركته الوفاة . وله أيضاً مختصر آخر في الفقه أصغر منه ، وقد شرحه العلامة الشيخ محمد الرملي المصري الشافعي . ومنها « لوامع الأنوار وهدايا الأسرار وودائع الأبرار في فضل القائم بالأسحار » . ومنها « الحجج القواطع في معرفة الواصل والقاطع » . ومنها « مؤلف لطيف في أذكار الحج » . ومنها « وصية نافعة ورسالة صغيرة في علم الفلك » .

وروي أن السيد الجليل إبراهيم الخواص رضي الله عنه ونفع به قال : دواء

القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتّضرُّعُ عند السحر ، ومجالسة الصالحين . فنظم هذا صاحب الترجمة فقال : [من الطويل]:

تــدبّــر قــرآن وجُــوع تهجّــد جلوسُ أولي التقوى دعاءٌ معَ السّحَر

ورأى الفقيه الصّالح جمال الدين محمد بن عمر بحرَق ليلة موته النبي ﷺ في المنام وهو يقول : من حضر جنازة الفقيه عبد الله الحاج با فضل غفر له ، أو كما قال دخل الجنة .

● وفيها : في يوم السبت ثامن من المحرم توفي **الشيخ الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرزاق الجبرتي** بالمدينة بعد الحج والزيارة ، رحمه الله تعالى .

● وفي يوم الخميس الخامس من شهر صفر ، توفي **الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الموزعي** بمدينة زَبِيد قافلاً من الحج ، وكان فاضلاً عالماً ، ولي قضاء المقرانة[1] ثم مَوْزَع[2] ، فصل عنها فحج ومات عقب ذلك في التاريخ المذكور ، ودفن بمجنة باب القرتب ، رحمه الله .

● وفيها : في يوم الاثنين سابع الشهر المذكور توفي **الشيخ الصالح شمس الدين علي بن محمد السَّدح** ببلده من أُصاب ودفن بها ، رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الاثنين السادس عشر من الشهر المذكور توفي **القاضي عفيف الدين عبد العليم بن القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط**[3] بعد طول مرض بمدينة زَبيد ، وكان قد قدم إليها في السنة التي قبلها من مدينة « أب » متوعكاً بعد طلوع ولده الفقيه عفيف الدين عبد الله إليه ، فجعله نائباً

---

(١) المقرانة : حصن باليمن « معجم البلدان » (٥/ ١٧٤) .
(٢) مَوْزَع : « بفتح الزّاي (شاذ في القياس) موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن ودونها تُرَن » « معجم البلدان » (٥/ ٢٢١) .
(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٢٦) .

له ، وقدم إلى مدينة زبيد فلم يزل بها مريضاً حتى قبل موته بأيام ، وصل ابنه عبد الله باستدعائه إليه فمات بعد قدومه بأيام في التاريخ المذكور رحمه الله . ونعم الرجل كان فقهاً وصلاحاً وديناً وأمانة وعفة وصيانة ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح يوم الاثنين بمسجد الأشاعر ، وشيّعه خلق كثير ، ودفن إلى جانب والده بمجنة باب سهام ، رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأولى توفي **الفقيه شهاب الدين أحمد بن حسن الصباحي** مفتي مدينة تعز .

● وفيها : في عشية يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة توفي **الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن علي الواحدي المقرىء** بمدينة زَبيد ، ودُفِن قبل غروب الشمس من اليوم غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد ، وكان رجلاً مباركاً ، له قرب من السلطان ، بل كان يؤمه غالب الأوقات ، رحمه الله .

● وفيها : كثر الموت بمدينة زَبيد وعمّ الوباء ، وبلغت الموتى فيها كل يوم إلى قريب مائة نفس ، ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون .

● وفيها : توفي **الشيخ موسى بن أبي الغيث الخاص صاحب المرثاة**[1] بها يوم الاثنين سلخ شهر رجب .

● وفيها : توفي **الفقيه الصالح حسين بن محمد بن نور الدين** يوم السبت ثاني عشر شعبان .

* * *

---

(١) في (ط) : « الموثاة » وما أثبتناه عن (م) .

سنة تسع عشرة بعد التسعمائة

● وفي المحرم أول سنة تسع عشرة توفي جدّ والدي **الشيخ الإمام والصدِّيق الهمام الشريف شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس**[1] ، وكان من أعيان الصالحين وعباد الله المقربين ، حسن الأخلاق والشيم ، جميل الأوصاف معروفاً بالمعروف والكرم ، سليم الصدر ، رفيع القدر ، صحبَ غير واحد من الأكابر كأبيه الشيخ عبد الله العيدروس ، وعمه الشيخ علي ، وعمه الشيخ أحمد ، وأخيه الشيخ أبي بكر ، ومن في طبقتهم ، وأخذ عنهم ، وتخرج بهم ، وتلقى منهم ، ودخل من بابهم ، وصار وحيد عصره ومن المشار إليهم في قطره . ومحاسنه كثيرة وبحار فضائله غزيرة ولا[2] سبيل إلى حصرها والأولى الآن طيها دون نشرها ، رحمه الله .

وفيه يقول حفيده وسميه سيدي الشيخ الوالد قدس الله روحه شعر : [من الوافر]:

وفـي شَيْـخِ بـنِ عبـد الله جـدِّي	معـاشـرة بحسـنِ الخُلـقِ تُبْـدي
لَـهُ قَلْـبٌ منيـب ذو صفـاءٍ	سليـمُ الصّـدْرِ بـالإنفـاق يُسْـدي
لـه فـي الأوليـا حُسْـنُ اعتقـادٍ	كـريـمُ الأصـل ذو فَخْـرٍ ومجْـدِ
تـربّـى بـالـولـيِّ القُطْـب حقّـاً	أبـوه العيـدروس الخيـرَ يَهْـدي

ولله در الشيخ عبد المعطي حيث يقول فيه من قصيدة امتدح بها سيدي الوالد التزم فيها ذكر آبائه إلى النبي ﷺ : [من الخفيف]:

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٣١) .

(٢) في (م) « إلي » وصوابه في (ط) .

ابــن شَيْــخِ الّــذي يُضــاهــي أبــاه　　فــي المَعــالــي رفعــةً وارتقــاءَ

● وفيها : توفي العلامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن جلال الدين بن فتح الدين بن وجيه الدين المصري المالكي[١] ، ويعرف كسلفه بابن سويد بأحمد آباد من كجرات ، ودفن بها ، وكان مولده في سادس شهر شعبان سنة ست وخمسين وثمانمائة .

أمه أم ولد ، ونشأ في كنف أبيه ، فحفظ القرآن ، « وابن الحاجب » الفرعي والأصلي ، و « ألفية النحو » وغيرها ، وعرض على خلق واشتغل قليلاً عند أبيه ، وورث عنه شيئاً كثيراً ، فأتلفه في أسرع وقت ، ثم أملق وذهب إلى الصعيد ، ثم إلى مكة ، وقرأ هناك على الحافظ شمس الدين السَّخَاوي « الموطأ » و « مسند الشافعي » و « سنن الترمذي » و « ابن ماجه » وسمع عليه « شرحه للألفية »[٢] وغير ذلك من تصانيفه ، ولازمه مدة .

ذكر السخاوي في تاريخه قال : وكان صاحب ذكاء وفضيلة في الجملة والاستخصار[٣] وتشدق في الكلام ، وكانت سيرته غير مرضية ، وأنه توجه إلى اليمن ، ودخل زيلع ودرس وحدث ، ثم توجه إلى كنباية[٤] وأقبل عليه صاحبها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : وقد عظم صاحب الترجمة في بلاد

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٣٥ـ١٣٦) .

(٢) واسمه « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » قال في « الشذرات » (١٠/ ٢٤) « لا يُعلم أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبره » . (وهو مطبوع في ثلاث مجلدات منذ سنوات طويلة ، وأعادت إصداره دار الكتب العلمية ببيروت مصوراً قبل سنوات قليلة . ثم نُشر نشرة جيدة في الهند في أربعة أجزاء بتحقيق الشيخ علي حسن علي) عن حاشية « الشذرات » .

(٣) في (ط) : (واستحقار) وفي « الشذرات » نقلاً عن كتابنا (واستحضار) والمثبت عن (م) .

(٤) في (ط) : « كيناية » تحريف ، وصوابه في (م) و« شذرات الذهب » (١٠/ ١٣٦) وهي من بلاد الهند ، وقد سبق الحديث عنها .

الهند ، وتقرب من سلطانها محمود شاه ، ولقبه بملك المحدثين لما هو مشتمل عليه من معرفة الحديث والفصاحة ، وهو أول من لقب بها ، وعظم بذلك في بلاده ، وانقاد له الأكابر في مراده ، وصار منزله مأوى لمن طلبه ، وصلاته واصلة لأهل الحرمين الشريفين ، واستمر كذلك مدة حياة السلطان المذكور ، ولما تولى ولده السلطان مظفر شاه أخرج بعض وظائفه عنه بسبب معاداة بعض الوزراء له فتأخر عن خدمته إلى أن مات . قال : ولم يخلف ذكراً ، بل تبنى ولداً على قاعدة الهند ، فورثه مع زوجته ، ولم يحصل لابنته التي بالقاهرة شيء من ميراثه لغيبتها ، رحمه الله تعالى .

* * *

سنة العشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة العشرين حصل مطر عظيم في مدينة زَبيد وما حواليها ، حتى اشتبه وقت صلاة الجمعة على الناس ، وفاتت صلاة الجمعة معظمهم من المطر وعدم رؤية الشمس ، وكانت صلاة من صلى منهم ذلك اليوم بالاجتهاد .

● وفيها أيضاً بعد أيام : حصلت بمدينة زبيد مطرة عظيمة جداً كأفواه القرب ، وعقبتها ريح شديدة كادت تقلع البيوت ، وأشفق الناس من ذلك ، ونفس الوادي نفساً عظيماً ، وسقى أكثر الأرض وأخرب منها كثيراً حتى قيل : إنَّ بعض الردم الذي بناه السلطان الملك الظافر من أسفل قرية مسلب ويمانيها شعثه السيل ، وسال بخلق كثير يزيدون على المائة ، ومات أكثرهم ، وسال بدواب كثيرة تنيف على ألف دابة من الإبل والبقر والغنم والحمير مات أكثرها ، وحصل بَرْدٌ مات به جماعة وسلم منه جماعة بعد أن أصابهم لفح منه ، ولانت الأسعار ، ووجد الطعام بعدما كاد يعدم .

● وفي ليلة السبت الحادي عشر من شهر ربيع الأول ، توفي **الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن الصدِّيق الصايغ**[1] إلى رحمة الله بمدينة زَبيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر ، ودفن غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد رحمه الله ، وحضر القراءة له ثلاثة أيام والعزاء به جماعة كثيرة ، وحضر من أعيان الدولة الفقيه عبد الحق النظاري[2] ، والشرف الموزعي ، وقاضي الشريعة أحمد بن عمر المزجَّد وغيرهم .

---

(١) في (ط) : (الصانع) وما أثبتناه عن (م) و« شذرات الذهب » (١٠/ ١٤٠) وثمة مصادر ترجمته .

(٢) في (ط) : (النطاري) بالطاء المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

● وفي مستهل شهر رجب الفرد الحرام توفي **الشيخ شمس الدين علي بن الشجاع العنسي** برداع العرش ، ودفن هنالك رحمه الله تعالى ، ونعم الرجل كان عقلاً ورجاحة وديناً وأمانة .

● وفي يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر شوال توفي **الفقيه الصالح عمر بن معوضة الشرعبي**[1] ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن بمجنة باب سهام قريباً من مسجد الشيخ إسماعيل الجبرتي من جهة القبلة بوصية منه ، رحمه الله .

● وفيها : حجَّ ولد سلطان الديار المصرية الملك الأشرف قانصوه الغوري وامرأته ، وتصدقا بمال عظيم ، وفعلا من البر والمعروف والإحسان في الحرمين الشريفين ما يجلّ عن الوصف ، ولما رجعا إلى الديار المصرية بعد الحج والزيارة تجهز معهما أمير الحجاز الشريف بركات بن محمد بن بركات باختياره ورضاه ، وتوجه صحبتهما إلى باب السلطان ، فقابله بالإحسان الجزيل والبر العريض الطويل ، وأكرم نزله ، وأعلى محله ، ولم يزل عنده مجللاً محترماً مقضي الحوائج أول داخل وآخر خارج إلى أن رجع إلى الحجاز متولياً أمورها ليس لأحد معه كلام ، والحمد لله .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٤٠) .

سنة إحدى وعشرين بعد التسعمائة

● وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين توفي **الفقيه الأجل جمال الدين محمد بن محمد النظاري**[1] رحمه الله تعالى بمدينة « أب » بعد أن طلع إليها متوعكاً بنحو شهر ، وترك ولده الفقيه عبد الحق عوضاً عنه بزبيد ، ووصل العلم بوفاته إلى مدينة زبيد يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر بها ، وقرىء له ثلاثة أيام بالمسجد المذكور ، وحضر القراءة له خلق كثير لا يحصون ، وحضر عبد الوهاب بن السلطان عامر القراءة يوم الثالث ، وتصدق عنه أولاده بصدقة عظيمة ، رحمه الله تعالى وأسكنه جنته ، فنعم الرجل كان عقلاً وصيانة وديناً وأمانة ، باذلاً للمعروف ، كافّاً للأذى ، معيناً للملهوف ، له صدقات جليلة سراً وعلانية . وكان [قطب][2] رحى المملكة السلطانية الظافرية ، وعين الأعيان في الجهة اليمانية . ومن آثاره المخلدة لذكره بناء الجامع ببيت الفقيه عجيل ، عمره عمارة متقنة إلى الغاية ، ومدرسة بمدينة أب ، ووقف عليها وقفاً جليلاً وجملة من الكتب النفيسة ، وله من الآثار الحسنة ما يجل عن الوصف .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/١٤٦) .

(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

سنة اثنتين وعشرين بعد التسعمائة

وفي سلخ المحرم أول سنة اثنتين وعشرين توفي **الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر العيدروس**[1] بعدن ، ودفن بها في قبة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة تقريباً ، وأمه بهية بنت الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، وأمها فاطمة بنت الشيخ عمر المحضار ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، فولده الشيخ عمر من الجهتين كما ولده أيضاً الشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن السقاف مرتين ، وقد تميز بهذا عن غيره من بني عمه ، كما أشار إليه العلامة بحرق رحمه الله حيث يقول : [من المتقارب]:

أصيـــلُ السِّيـــادة لا ينتمـــي ... إلــى جَـدٍّ الا هــو السَّيِّــد[2]

لئـن شـاركَتْـه بنـو العيـدروسِ ... بفخْـرٍ هــو الشَّمـسُ لا يُجْحَـدُ

فقــد خَصَّــهُ اللهُ مــن بينهــم ... بــآيــاتِ مجْـدٍ لــه تَشْهَــدُ

حَـوى سـرَّ جَـدَّيـهِ مــن أمــه ... فطــابَ لــه الفَــرْعُ والمَحْتِـدُ

فهو الوارث لأبيه وجده ، وحامل الراية من بعده وولي عهده . فقد قام بالمقام أتم قيام ، ونهض بما نهض به آباؤه الكرام ، فساد وجاد ، وبنى معاقل المجد وشاد ، وأحيى الرواتب التي أسسها أبوه والأوراد ، وواظب على إطعام الطعام وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والأيتام ، باذلاً جاهه وماله في إيصال النفع إلى أهل الإسلام . وكان رأى بعد موت أبيه كأنه حمل أباه على كتف وجدَّه على كتف ، وتوقف في تأويلها ، فكان تأويلها قيامه بمقام أبيه بعدن ، وبمقام جده بحضرموت .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٥٠) .

(٢) في (ط) : « أصل. . . » ولا يستقيم به الوزن ، وفيه أيضاً « حد » تحريف .

وكان في مدة أيامه السعيدة وطول حياته العزيزة الحميدة مجرياً النفقة التامة الوافرة والكسوة الفاخرة لمن كان أبوه مجرياً له من زوجة وخادمة ونحوها ، قائماً بكفاية الفقراء نفقة وكساء صيفاً وشتاء ، حتى إن ثمن الكسوة التي اشتراها في آخر ختمته لرمضان صلاها بلغ خمسة آلاف دينار فأكثر .

وحكي أن خبز مطبخه إذا ركموه يبلغ إلى سطح الدار ودورُ عدن عالية جداً بحيث أنها تكون على ثلاثة قصور غالباً . قال الراوي : فعجبت فقلت : ما كان بعدن إذ ذاك سائل ؟ قالوا : لا ما كان في زمن الشيخ أبي بكر وولده الشيخ أحمد يوجد في عدن سائل أصلاً . ومحاسنه رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر .

ومن كراماته : حكى الشريف محمد بن عبد الرحمن كريشه با علوي [أنه مرض مرة بزيلع وهو عند الشريف علوي][1] بن إسماعيل وأصابه وجع البطن ، وكان علوي المذكور وكيلاً للسيد أحمد بن أبي بكر وهو إذ ذاك بها ، فعنَّ له الرجوع إلى عدن ، فقال له : يا سيدي إن كريشه مبطون فكيف أعمل به ؟ فقال : رح اقذف له ، وكان له حسن ظن كامل في الشيخ وعقيدة ثابتة ، فلم يتمالك أن جاء إليه ووضع بطنه على بطنه وتقيأ شيئاً كثيراً . ثم قال محمد : فما هو إلا أن قام عني وقمت وكأنه لم يكن بي شيء ، وسارا في تلك الليلة .

وللعلامة محمد بن عمر بحرَق فيه مرثية في غاية الحسن وهي : [من الوافر]:

لِمَـنْ تُبْنـى مَشيـدات القصـورِ ... وأيّـام الحيـاةِ إلـى قُصُـورِ
وحتّـام التّهـالـك والتّفـانـي ... علـى الخَـدّاعَـة الـدُّنيـا الغَـرورِ
فمـا يغتـرُّ بـالـدُّنيـا لبيـبٌ ... ولـو أبـدت لـه وجـهَ السُّـرورِ
فغـايـةُ صَفْـوهـا كَـدَرٌ وأقصـى ... حَـلاوتهـا إلـى الكـأسِ المَـريـرِ

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

ألم ترَ كيفَ هدّت ركنَ مجدٍ ... وغاضت[1] بحر مكرمة زخورِ
وروّعتِ الأنامَ بفقدِ شخصٍ ... رزيّتهُ على بشرٍ كثيرِ
شهابٌ ثاقبٌ من نورِ بدر ... تبقّى من شموسٍ من بُدورِ
نماه العيدروس وكلُّ قُطْبٍ ... غياثٍ للورَى فَرْدٍ شهيرِ
تناثرَ عِقدهُم نجماً فنجماً ... تغيّب تحت أطباق الصُّخورِ
فأظلمَ بعدهم دِسْتُ المعالي ... وأكْسَف قطرهم بعد الزُّهورِ
فوا أسفاً على أطواد حِلْمٍ ... إذا اشتلت[2] ملمّات الأمورِ
وواحزناً على تيّار جودٍ ... يمدُّ بصيّب الغيثِ الغزيرِ
ويا لهفاً على أخلاقِ لُطْفٍ ... يفوقُ الزّهر في الروض النضيرِ
لئن ذهبوا فقد أبقوا فخاراً ... يضيقُ لحصرهِ صدْر السُّطورِ
ففاقوا الناسَ أحياءً وفاقتْ ... ضرائحُهمْ على أهلِ القُبورِ
فلا يأتي الزَّمانُ لهم بمثلٍ ... وهل للشمسِ ويحَكَ من نَظيرِ
على تلك الوجوه سلامُ ربٍّ ... رحيمٍ غافرٍ برٍّ شكورِ
إلّهي كُنْ لنا خَلَفاً وذُخراً ... فإنّكَ جابرُ العَظْمِ الكَسيرِ
وصَلِّ على أجلِّ الخلْقِ قَدْراً ... محمّدِ البشيرِ لنا النّذيرِ
ومَن والاه من آلٍ وصحبٍ ... على مرِّ الأصائلِ والبُكورِ

● وفيها : زالت دولة الجراكسة على عهد الغوري[3] وهو آخر ملوكهم ، فُقِدَ في حرب السلطان سليم ولم يظهر له خبر .

● وفيها : في يوم الخميس الثاني من شهر صفر توفي **الفقيه العالم الفاضل جمال الدين محمد بن الفقيه موسى بن عبد المنعم الضجاعي**[4] أحد المدرسين

---

(١) في (ط) : « وفاضت . . . » تحريف .
(٢) في (ط) : « إذا استشكلت . . . » .
(٣) انظر تفصيل ذلك في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٥٩ـ١٦٢) .
(٤) ترجمته في « الشذرات » (١٠/ ١٦٥) .

بمدينة زَبيد ، ودفن بها بعد صلاة العصر من ذلك اليوم عند أبيه وجده بعد أن صلي عليه بمسجد الأشاعر ، وكان له مشهد عظيم .

● وفيها : في عصر يوم الثلاثاء خامس شعبان توفي **العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ، البرهان أبو الوفاء بن الزين المقري أبي هريرة بن الشمس بن المجد ، الكركي الأصل ، القاهري المولد والدار ، الحنفي ، إمام السلطان ، ويعرف بابن الكركي**[١] غريقاً شهيداً في بركة الفيل تحت منزله بها . وكان مولده وقت الزوال من يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة ، وأمه أم ولد جركسية ، فحفظ القرآن ، و« أربعين النووي » ، و« الشاطبية » ، و« مختصر القدوري » ، و« ألفية ابن مالك » وغيرها . وعرض على أئمة[٢] عصره كالشهاب ابن حجر ، والعلم البُلقيني ، والعلمين القلقشندي واللؤلؤي السقطي ، وسعد الدين بن الديري ، وابن الهُمَام ، وجماعة آخرين وكتبوا كلهم له . وسمع « صحيح مسلم » أو أكثره على الزين الزركشي ، وتلا القرآن على بعضهم ، وجوّد القراءة مع رؤسائها ، وأكثر من ملازمة الشافعي والليث وغيرهما من المشاهد الجليلة وعادت بركة أربابها وزوارها عليه ، و[هو] في غضون ذلك مقبل على العلم وتحصيله متوجه لمنقوله ومعقوله ، فأخذ الميقات عن البدر القيمري[٣] ، والفقه والعربية عن الشمس إمام الشيخونية[٤] ، وكذا أخذ عن النجم الغزي قاضي العسكر ، بل والعز عبد السلام البغدادي ، وسمع عليه « الشفاء » ملفقاً بقراءة قارئين ، وقرأ « الصحيحين » على الشهاب أحمد بن [محمد بن][٥] صالح الحلبي الحنفي بن العطار ، وحضر دروسه ، بل حضر دروس الكمال بن

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/١٤٧ـ١٤٩) .

(٢) في (ط) : « علماء » .

(٣) في (م) : « المقيمري » وما أثبتناه عن (ط) .

(٤) في (ط) : « الشيخوخة » .

(٥) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

الهمام ، ولازم التقي الحصني ، وكذا التقي الشُّمُنِّي والكافياجي ، وعظم اختصاصه بهم .

ومما أخذ عن الشُّمُنِّي التفسير ، وعلوم الحديث ، والفقه ، والأصلين ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق وغيرها ، بقراءته ومرة غيره ، تحقيقاً ودراية ، وبقراءته أيضاً « الشفاء » و« البخاري » ، ودخل معهم في كثير من مشكلات كتب هذه الفنون وغيرها ، وأذنوا له في إقرائها .

ولما سافر قايتباي في أيام إمارته قبل أن يصير إليه الملك إلى بعض البلاد استصحبه إماماً ، ثم لم يلبث إلى أن ارتقى إلى السلطنة ، فقرّبه وأدناه ، وأحبه فبلغه مناه ، واختص به عمن عداه ، وخوله مزيد النعم ، وشمله فيما يلتمسه بنعم ، وأعطاه قراءة « البخاري » بالقلعة ، وولاه تدريس أماكن متعددة ، ومشيخة الصوفية في بعضها ، وخطابة بعض المدارس ، وإقطاع ، ورتب له في كل يوم ديناراً وجوالي وعدة وظائف كانت معه ومع أبيه بجامع طولون من رئاسة وغيرها بحيث قيل : إنَّ المستقر في متحصله اليومي من جهاته شيء كثير ، سوى ما يساق إليه من الهدايا والعطايا كإعطائه في جهاز ابنة له فيما قيل ألف دينار من السلطان ومن الدوادار مثلها بل أزيد ، ونوه به في قضاء الحنفية ، وكان شأنه أعلى من ذلك ، إذ كان القضاة وغيرهم من الأعيان ممن يتردد لبابه ويتلذذ بخطابه ، بل مال الفضلاء من الغرباء وغيرهم إلى الاستفادة منه ، وسماع مباحثه ، والانتفاع بتنويهه ومساعدته ، وبمساعدته استقر شيخه الحصني في مشيخة الشافعي ، ولم يزل يزيد اختصاصه بالسلطان بحيث لم يختلف عنه في أسفاره ، حتى أنه دخل معه الشام وحلب وبيت المقدس ومكة والمدينة .

قال السخاوي : إنه تمنى بحضرته الموت ، فانزعج من ذلك وقال : بل أنا أتمناه لتقرأ عليَّ عند قبري وتزورني ونحو ذلك ، ولذا لم يجب سؤاله في مشيخة مدرسته المكنية . قال : وقد صنف وأفتى ، وحدث وروى ، ونظم ونثر ، ونقَّب وتعقب ، وخطب ووعظ ، وقطع ووصل ، وقدّم وأخّر .

ومن تصانيفه في الفقه : فتاوى مبوبة في مجلدين ، و « حاشية على توضيح ابن هشام » هذا كله مع الفصاحة والبلاغة ، وحسن العبارة المقتضية للانتظام والربط والانسجام والضبط ، وجودة الخط ، ولطف العشرة والظرف ، والميل إلى النادرة واللطف ، ومزيد الذكاء والتفنن وسرعة البديهة التي يتضح بها التبيين ، وطراوة النغمة ، واالاعتراف بالنعمة ، والطبع المستقيم الذي لا يميل به غالباً لدني ولا لئيم . ولم يزل في ازدياد من الترقي حتى بلغ مبلغاً عظيماً إلى أن كان في أواخر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين تنكد خاطر السلطان من جهته ، فمنعه من الحضور في حضرته ، فتوجه للإقراء في بيته لفنون العلم والفتيا ، إلى أن كان في مستهل ذي القعدة سنة ثمان وتسعين عاد للإمامة على عادته ، ثمّ أُعيد لكل من قراءة الحديث ومشيخة الأشرفية في السنة التي تليها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف في زمان الناصر ابن الأشرف قايتباي تولى قضاء الحنفية بالقاهرة مستهل المحرم عام ثلاث وتسعمائة ، ثم عُزِل عن القضاء في سنة ست وتسعمائة ، واستمر مفصولاً حتى عرض عليه القضاء شرف الغوري ، فلم يقبله ، فاستحسن الملك منه ذلك ، وصار مبجلاً معظماً حتى مات رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الثلاثاء عاشر جمادى الأولى توفي **الشيخ العالم الفاضل الجمال أبو الفتح إبراهيم بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي** الأصل ، القاهري المولد والدار الشافعي بالقاهرة[1] . وكان مولده في حادي عشر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « الشاطبيتين » ، وعرض على خلق كثير كالبساطي ، والمحب ابن نصر الله ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، وسمع

---

(١) ترجمته في « متعة الأذهان » الورقة (٢٤) و« الكواكب السائرة » (١٠٨/١) و« شذرات الذهب » (١٤٨/١٠) .

عن الآخرين وأبيه[1] وجده ، والتاج السرابيسي ، والناقوسي ، والزركشي ، وابن ناظر الصلاحية ، وابن الطحان ، وابن بردس ، وعائشة الحنبلية ، والواسطي في آخرين . وقرأ بنفسه الكثير على غير واحد من المسندين ، بل قرأ في « محاسن الاصطلاح » على ابن ابن المولد العلم البُلقيني . وأجاز له خلق منهم العلاء البخاري ، وقرأ على ابنه في التقاسيم والحديث وغير ذلك ، وكذا قرأ على المحلي « شرح المنهاج » و « جمع الجوامع » و « شرح البردة » وما كتبه من التفسير وغيرها ، وعلى الشرواني في « التوسط » وغيره . وحجَّ في حياة أبيه ، وكان دخوله بمكة في رجب سنة إحدى وخمسين ، وسمع بها على المراغي ، والأسيوطي ، وابن هند وغيرهم . ثم أخذ بالمدينة في سنة سبع وخمسين عن عبد الله بن فرحون لقراءته ، ثم حج ثالثة في سنة تسع وثمانين . واستقر في مشيخة الدوادارية وخزانة الكتب الأشرفية برسباي وغيرها بعد أبيه ، وكذا في تدريس الحديث بجامع طولون مشاركاً لعمه ، ثم استقل به بعد موته مع المباشرة به ، وفي تدريس التفسير بالجمالية برغبة عبد البر بن الشحنة ، وفي الفقه بالسكرية بمصر ، ودرس بعض الطلبة ، بل حدث باليسير ، هذا مع ما ذكر وزائد ، قاله السخاوي .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله تعالى : أقول : وبعد المؤلف عمر حتى انفرد بعلو الإسناد ، وتزاحم عليه الطلبة من العباد ، وخرج لنفسه أربعين حديثاً عشارية الإسناد ، [وبعض طلبته أربعين حديثاً عشارية الإسناد][2] وبعض طلبته أربعين أخرى عالية فرغب الطلبة[3] في أحدهما مع غالب مروياته في معرفة العالي والنازل وأسماء الرواة ، واعتناء بالحديث[4] واعتقاد في الصوفية ، وصدقات مع جلالة وعظمة ، ولذلك ولي قضاء الشافعية بالقاهرة

---

(١) في (م) : (وأخيه) وما اثبتناه عن (ط) وهو مناسب للسياق الذي سيرد بعد قليل .
(٢) ما بي قوسين زيادة من (ط) .
(٣) في (م) « بالطلبة » ما أثبتناه عن (ط) .
(٤) في (ط) « بالتحديث » وما أثبتناه عن (م) .

مرة بعد أخرى ، أولها سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وثانيها في سنة ثلاث عشرة ، واجتمعتُ به في أيام ولايته فيها فقرأت عليه أشياء ، ثم عُزِل في السنة التي تليها فضعفت بنيته ، وقلت حركته لاستيلاء البلغم عليه ، وقل ما بيده ، واستمر مفصولاً حتى مات رحمه الله تعالى .

● وفيها : في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة توفي **الفاضل برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الطرابلسي الحنفي**(١) نزيل الريدية من القاهرة بمدرسته بالقاهرة ، وصلي عليه فيها ، ودفن بالقرافة . وكان مولده في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بطرابلس . وأخذ بدمشق عن جماعة منهم الشرف بن عبد وقدم معه القاهرة حين طلب لقضائها ، فلازم الصلاح الطرابلسي ورغب له عن تصوفها بالريدية لما أخذ مشيخة الأشرف . وأخذ عن الريمي « شرح ألفية العراقي » للناظم ، وعن الشيباني أشياء ، وكذا سمع على الحافظ السخاوي « شرح معاني الآثار » و« الآثار » لمحمد بن الحسن وغيرهما ، وعلق عنه بعض التأليف ، بل سمع على أبي السعود القرآن والرضي الأوجافي .

قال السخاوي : وهو فاضل ساكن ديِّن ، ممن حضر بعد في أثناء سنة أربع وتسعين مع الحنفية بالقبة الدوادارية بين يدي السلطان ، وعلم بحاله وفضله فأنعم عليه بأشياء ، ثم قرره في الجوالي المصرية عن الكوراني .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أقول : وبعد المؤلف صار من أكابر الحنفية ، وتولى مشيخة المدرسة القحماسية ، وفصل كل قضية لإجماعهم على علمه وخيره وصلاحه ، وألف عدة مؤلفات منها « الإسعاف في حكم الأوقاف » . وجاور بمكة وأقر في سنة خمس عشرة وتسعماية ، ثم عاد إلى القاهرة رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١/ ١١٢) و« شذرات الذهب » (١٠/ ١٥٠) .

سنة ثلاث وعشرين بعد التسعمائة

● وفي المحرم سنة ثلاث وعشرين توفي الشيخ الكبير العارف بالله تعالى **عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر**[1] رضي الله عنهم « بتريم » ودفن بها ، وكان مولده سنة خمسين وثمانمائة ، وكان من الأولياء العارفين والمشايخ الصالحين ، زاهداً عابداً .

وحكي من مجاهداته أنه كان وهو صغير يخرج هو وابن عمه الشيخ أبو بكر العيدروس إلى شِعْبٍ من شِعَاب « تريم » يقال له النّعير بعد مضي نصف الليل ، فينفرد كل منهما يقرأ عشرة أجزاء في صلاة ثم يرجعان إلى منازلهما قبل الفجر . وقرأ « الإحياء » على والده أربعين مرة . وبلغني أنه كان يغتسل لكل فرض . ومن مشايخه أبوه الشيخ علي ، والفقيه محمد بن أحمد با فضل العدني ، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمن باالحاج با فضل ، والفقيه الدوسري . وكان يحفظ « الحاوي » في الفقه للقزويني ، و« الوردية » في النحو . واجتمع بالشيخ العلامة الصالح يحيى العامري ، وله منه إجازة .

وحكي أنه لما اجتمع بالشيخ العامري وكان معه ابن عمه الشيخ أبو بكر العيدروس فالتمسا منه أن يريهما موضع الأصابع النبوية من ظهره ، فكشف لهما عنها ، فرأوها بالعيان .

وقريب من هذا ما أخبرنا به صاحبنا الشيخ العلامة البسكري قال : كان عندنا رجل من أهل الغرب[2] يعلم القرآن ، وكان يغطي إحدى يديه فلا يكشفها

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٧٣) .

(٢) نسب ابن العماد الحنبلي هذه القصة إلى المترجم له . انظر « شذرات الذهب » (١٠/ ١٧٣) .

لأحد ، فسأله بعضهم عن السبب في ذلك فأبى أن يخبره به ، فألحَّ عليه في ذلك فقال : كنت شاعراً وامتدحت النبي ﷺ بجملة قصائد ، ثم اتفق أن قلت قصيدة امتدحت بها بعض أهل الدنيا ، فرأيت النبي ﷺ في النوم وهو يعاتبني على ذلك ، ثم أمر بقطع يدي فقطعت ، فشفع فيَّ الصديق رضي الله عنه فشفعه ، والتحمت فعادت كما كانت ، فانتبهت والعلامة ظاهرة في يدي ، ثم كشف له عن يده فإذا محل القطع نور يتلألأ .

وممن أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن علي من كبار العلماء الفقيهُ عبد الله بن محمد بن سهل با قشير ، والفقيه عمر با شيبان .

وكان مشاركاً في جميع العلوم لكن غلب عليه علم التصوف ، وكان يقرأ لأبي عمرو ونافع ويقرأ لعاصم برواية حفص .

ومن كراماته ما حكاه بعضهم أنه قال : كنت جالساً عنده بمسجد با مروان بتريم ، فسمعت شيئاً سقط في جانب المسجد ، فقال : قم هات الذي سقط ، فقمت فلقيت ورقة مغرية فجئت بها إليه ، فحملها وقرأها ، ثم أخذ بياضاً وكتب ورقة وقال لي : خذ هذه الورقة واطرحها في مكان الورقة التي وجدتها ، فأخذتها وطرحتها مكان تلك الورقة التي وجدتها وبقيت ألتفت إلى الورقة ، فإذا طائر قد جاء وأخذ الورقة ، فأخبرته بذلك وسألته عن الطائر ، فقال : إن الشيخ أبا عباد بيننا وبينه معرفة ، وكتب لنا ورقة وردّينا جوابها .

● وفيها : في ليلة الجمعة سابع المحرم توفي **العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد [بن محمد بن محمد]**(١) **بن حسين بن علي القسطلاني المصري**(٢) **الشافعي** بالقاهرة ، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بجامع الأزهر ، ودفن بالمدرسة العينية جوار منزله .

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « الضوء اللامع » و« القبس الحاوي » .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (٢/١٠٣) و« القبس الحاوي » (١/١٩٦) « الكواكب السائرة » (١/١٢٦ـ١٢٧) و « شذرات الذهب » (١٠/١٦٩ـ١٧١) .

ذكره السخاوي في « ضوئه » ، وأن مولده ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها ، وحفظ القرآن وتلا للسبع ، وحفظ « الشاطبية » و « الجزرية » و « الوردية » وغير ذلك ، وذكر له عدة مشايخ منهم الشيخ خالد الأزهري النحوي ، والفخر المقسمي ، والجلال البكري وغيرهم ، وأنه قرأ « صحيح البخاري » في خمسة مجالس على الشَّاوي ، وأنه تلمذ له أيضاً وقرأ عليه بعض مؤلفاته ـ أعني السخاوي ، وأنه حج غير مرة ، وجاور سنة أربع وثمانين وسنة أربع وتسعين ، وأنه أخذ بمكة عن جماعة منهم النجم بن فهد ، وأنه ولي مشيخة مقام سيدي الشيخ أحمد بن أبي العباس الحرار بالقرافة الصغرى ، وأنه عمل تأليفاً في مناقب الشيخ المذكور وسماه « نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرار » ، وأنه كان يعظ بالجامع العمري وغيره ، ويجتمع عنده الجم الغفير ، وأنه لم يكن له نظير في الوعظ ، وأنه كتب بخطه شيئاً كثيراً لنفسه ولغيره ، وأقرأ الطلبة ، وأنه تعاطى الشهادة ، ثم انجمع وأقبل على التأليف .

وذكر من تصانيفه : « العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية » في علم التجويد ، و« الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز » ، وشرحاً على « الشاطبية » زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره ، وشرحاً على « البردة » سماه « الأنوار المضيئة » ، وكتاب « نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس » و « الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر » و « تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري » ورسائل في العمل بالربع المجيب . انتهى ما ذكره السخاوي ملخصاً .

قلت : وارتفع شأنه بعد ذلك فأعطي السعد في قلمه وكلمه ، وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان في حياته ، ومن أجلِّها « شرحه على صحيح البخاري » مزجاً في عشرة أسفار كبار لعله أحسن شروحه وأجمعها وألخصها . ومنها « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » وهو كتاب جليل المقدار ، عظيم الوقع ، كثير النفع ، ليس له نظير في بابه .

ويحكى أن الحافظ السيوطي كان يغض منه ، ويزعم أنه يأخذ من كتبه ، ويستمد منها ولا ينسب النقل إليها ، وأنه ادّعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا ، فألزمه ببيان مدعاه ، فعدد عليه مواضع قال : إنه نقل فيها عن البيهقي وقال : إنّ للبيهقي عدة مؤلفات فليذكر لنا ما ذكر في أي مؤلفاته ليعلم أنه نقل عن البيهقي ، ولكنه رأى في مؤلفاتي ذلك النقل عن البيهقي فنقله برمته ، وكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عن البيهقي . وحكى الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أن الشيخ رحمه الله تعالى قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي ، فمشى من القاهرة إلى الروضة ، وكان الجلال السيوطي معتزلاً عن الناس بالروضة ، فوصل صاحب الترجمة إلى باب السيوطي ودق الباب . فقال له : من أنت؟ فقال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليَّ ، فقال له : قد طاب خاطري عليك ، ولم يفتح له الباب ، ولم يقابله .

وبالجملة : فإنه كان إماماً حافظاً متقناً ، جليل القدر ، حسن التقرير والتحرير ، لطيف الإشارة ، بليغ العبارة ، حسن الجمع والتأليف ، لطيف الترتيب والترصيف . كان زينةَ أهل عصره ، ونقاوةَ ذوي دهره . ولا يقدح فيه تحامل معاصريه عليه ، فلا زالت الأكابر على هذا في كل عصر رحمهم الله .

● وفيها : في شهر المحرم توفي فقيه مدينة تعز ومفتيها ومدرسها **الفقيه عفيف الدين عبد الباري بن سليمان الطويل** .

● وفيها : في عصر يوم الجمعة التاسع والعشرين من الشهر المذكور توفي **العلامة الكبير مفتي مدينة زَبيد وعالمها شيخ الإسلام مفيد الطالبين ، كمال الدين موسى بن زين العابدين بن أحمد بن أبي بكر الرداد البكري الصديقي الشافعي**[1] الجهبذ المحقق المصقع[2] المدقق ، شافعي زمانه ، ورئيس أقرانه علماً وعملاً .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/١٧٦-١٧٧) .

(٢) في (م) : « المرتفع » وما أثبتناه عن (ط) .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ بحراً من بحار العلم ، وجبلاً من جبال الدين ، له القدم الراسخ في المذهب والباع الطويل في كل مشرب نهد إليه الطالبون ، ورغب في الأخذ عنه الراغبون . تفقه بالقاضي العلامة شيخ مشايخ الإسلام الطيب الناشري ، وصدر العلماء المبرزين عمر الفتى ، والشمس علي بن محمد الشرعبي[1] ، ونجم الدين يوسف المقري الجبائي .

روى فقه الشافعي من طرق العراقيين والمراوزة عن الإمام علي بن عطيف نزيل مكة وأهل طبقته ، ودرّس وأفتى ، وانتشر صيته في معرفة الخلاف والوفاق ، وطار طائر فضله في جميع الآفاق ، واعترف له الأكابر بالإمامة ، وقصد للفتوى من كل نجد وتهامة ، وتفقه به الجلّة ، منهم : ابنه المحقق علامة دهره ونادرة عصره الشيخ فخر الدين أبو بكر ، وأبو العباس الطّنبداوي ، والفقيه عمر بن الوجيه الدؤالي ، والزين الناشري ، ويوسف بن الناصر ، وعيسى بن عطيفة وغيرهم .

وله الجوابات الرائقة والبحوثات الفائقة ، والتفقهات الخارقة ، والمصنفات المقبولة ، والشروح المتداولة المنقولة ، فمنها « الكوكب الوقاد شرح الإرشاد » في نحو أربع وعشرين مجلداً ، كتاب جليل لم يصنف مثله في كثرة الجمع والفوائد . وله شرح صغير على « الإرشاد » أيضاً لكنه لم يظهر ، لكن قال الفقيه العلامة أبو المكارم مفتي الإسلام أحمد بن محمد الجابري الزَّبيدي رحم الله روحه : وقفت على بعض منه في ناحية الجبل جهة المخلاف . انتهى . وكثيراً ما ينقل عنه ولده فخر الدين فيقول : قال شيخنا في « شرح الإرشاد الصغير » ورأيت بخط الشيخ العلامة عبد السلام بن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن زياد أن المراد بالشرح الصغير مسودة الكبير . انتهى .

وله أيضاً فتاوى جمعها ولده المذكور ، ورتبها ترتيباً حسناً ، وزاد عليها بزيادة لا غنى عنها .

---

(١) في (ط) : « الشرعي » وما أثبتناه عن (م) .

قال العلامة مفتي الوقت أحمد بن عبد الرحمن الناشري أبقاه الله تعالى : اتفق لصاحب الترجمة ما لم يتفق لأحد قبله بمحارث الوادي زَبيد ، وذلك أنه زرع البُرَّ في أرضه واستغله وحرث غيره ، فلم يتم له ذلك ، وكان قوته في غالب الأحوال اللوز والعسل . قال : ومن جسام نعم الله عليه أنه مكث أربعين سنة ما رزىء في أحد من بيته ، ولم يخرج من بيته بجنازة ، بلَّ الله ثراه بوابل الغفران والرضوان .

● وفيها : في ليلة الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر توفي **الفقيه الكبير الصالح تقي الدين عمر بن محمد بن أبي بكر جعمان ببيت الفقيه ابن عجيل** .

● وفيها : في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة توفي **الشهاب أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير الرملي ثم الدمشقي[1] الشافعي المقرىء** الشاعر، إمام مقصورة جامع بني أمية بدمشق، ودفن بباب الصغير، وكان مولده في شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثمانمائة بالرملة ، ونشأ بها ثم تحول إلى دمشق ، وحفظ « المنهاج » و« ألفية » النحو والحديث و« الشاطبيتين » و« الدرة في القراءات الثلاث » لابن الجزري[2] وعرض على جماعة . وممن أخذ عنه أبو زرعة المقدسي ، وابنُ عِمْران ، وخطاب[3] ، وعمر الطيبي ، والزين الهيتمي[4] ، وجعفر بالقاهرة ودمشق وتميز فيها ، وولي مشيخة الإقراء بجامع بني أمية ، وبدار الحديث الأشرفية وبتربة الأشرفية بعد خطاب ، وبتربة أم الصالح بعد البقاعي ، وكان لازمه حين إقامته بدمشق حتى أخذ عنه في ألفية الحديث وغيرها ، وعادى أهل بلده أو الكثير منهم بسببه . وكذا لازم خطاباً في الفقه والعربية والعروض وغيرها قراءة وسماعاً ، والشمس بن حامد في الفقه وأطراه فيه ، والنجم ابن قاضي عجلون في آخرين كالعبادي

---

(١) ترجمته في (الكواكب السائرة) (١/ ١٣١) و« شذرات الذهب » (١٠/ ١٦٨ـ١٦٩) .
(٢) في (م) : « الجوزي » تحريف .
(٣) في « الشذرات » : « والزين خطاب » .
(٤) في « الشذرات » : « النور الهيثمي » وفي حاشيته : (صاحب مجمع الزوائد) .

والبكري بالقاهرة ، وأخذ « المختصر » قراءة و« المطول » سماعاً عن ملا زاده السمرقندي ، وكذا أخذ عنه العقائد وبعض شرح المواقف ، وتكرر قدومه القاهرة .

كذا ذكره السخاوي في ترجمته قال: وقصدني في بعض قدماته، وأخذ عني، وأنشدني قصيدة من نظمه امتدح بها الخضيري وكان نائبه في إمامة مقصورة الجامع الأموي، ثم ناب في القضاء. قال: وبالجملة: فهو خفيف مع فضيلة.

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف استمر نائباً في القضاء والإمامة ، وعليه أبهة ومهابة ، وحصلت له محنة مع قضاة بلده طُلبوا إلى القاهرة لأجلها ، ونالهم التعب بسببها لإنكارهم على كاتب سرها الأسلمي سلامة لبقا[١] على ضريح وليها الشيخ رسلان ، وهجاه بأبيات سمعتها منه مع تكلم غيرها في رحلتي لدمشق عام اثنين وعشرين .

● وفيها : تغيرت دولة الجراكسة بالعثمانية ، ففوضوا إليه[٢] قضاء الشافعية في البلاد الشامية ، فانفرد بذلك بين[٣] فانتفع به جماعة من الأصحاب ، وأنا ممن لاحظني بنظره ، وحصل لي حجة على يده فعدت بعدها[٤] [إلى بلدي][٥] رحمه الله .

● وفيها : في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر استشهد **السلطان الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب**[٦] **سلطان اليمن** ، وكان على جانب عظيم من الدين والتقوى والمشي في طاعة الله تعالى ، لا تعلم له صبوة ، وكان ملازماً للطهارة والتلاوة والأذكار ولا يفتر عن ذلك آناء الليل

---

(١) في (ط) : « الله تعالى » وما أثبتناه عن (م) . وهي في الحالين غير واضحة .
(٢) أي إلى الشهاب الرملي .
(٣) كذا في (م) و(ط) .
(٤) في (م) « بها » تحريف ، وما اثبتناه عن (ط) .
(٥) ما بين القوسين زيادة من (ط) .
(٦) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٧٢) .

وأطراف النهار ، كثير الصدقات وفعل المبرات .

ومن مآثره المخلدة لذكره على الدوام والموجبة لحلوله دار السلام في جوار الملك العلام عمارةُ الجامع الأعظم بمدينة زبيد ، لم يسبق إلى مثلها ، أنفق في ذلك جملة مستكثرة من أمواله وخالص حلاله ، وعمارةُ مدرسة من جنوبه الدار الكبير بمدينة زَبيد ، وعمارةُ مدرسة الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بها ، وعمارةُ مشهد الفقيه أبي بكر الحداد خارج باب القرتب بظاهر مدينة زبيد ، ومدرستين بمدينة تعز وإجراء العين بها ، والجامع الكبير بالمقرانة ، ومسجد القبة بها ، ومدرسة عظيمة برداع العرش ، ومسجد بداخل عدن ، وإجراء المياه بظاهر باب البر منها ، وصهريج عظيم بها لم يسبق إلى مثله ، وآخر بقرية عسيب ، وما لا يحصى من المساجد والصهاريج والآبار والأسداد في الأماكن المحتاج إليها ، والمواضع المنقطعة . وهو الذي أجرى التلاج إلى مدينة عدن من أماكن بعيدة ، وأنفق في ذلك أموالاً عديدة ، وله من أعمال البر ما لا يحصى كثرة ، ضاعف الله تعالى له الثواب وأحسن له المرجع والمآب . وكانت مدة ملكه إلى انقضاء دولته تسعاً وعشرين سنة إلا أياماً .

وللعلامة الدَّيبع رحمه الله فيه : [من الطويل]:

أخلاّيَ ضاعَ الدِّينُ من بعد عامرٍ ... وبعد أخيه[1] عادةُ النّاسُ في النّاسِ

فَمُــــذْ فُقِــــدا واللهِ واللهِ إنّنــــا ... مِنَ الأمن والسّلوانِ في غاية الياسِ

وله فيه : [من الطويل]:

تحطّم مـن ركـن الصّـلاح مشيـده ... وقـوّض مـن بنيـانـه كـل عـامـرِ

فمـا مـن صـلاحٍ فيـه بعـد صَـلاحـه ... ولا عـامـرٍ والله مـن بعـد عـامـرِ

* * *

(١) في (ط) : « . . عاد الناس . . » وبه يكسر الوزن .

سنة أربع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وعشرين توفي الشريف الفاضل العالم العامل **محمد بن علوي بن الفقيه الصالح الولي محمد بن علي صاحب عيديد** .

اشتغل بالعلم حتى برع فيه ، تفقه بالفقيه أحمد بن يحيى رشيد بعدن ، ونقل كتاب « الإرشاد » للمقري ، وسمع « البخاري » على غيره ، وكان جيد الفهم ، وكان شيخه الشيخ القطب عبد الرحمن بن علي ـ نفعنا الله ببركاته ـ يثني عليه ويقول : استفدت منه حال قراءته علي أشياء ، وكان على قدم من الصلاح والزهد والخمول ، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى .

وكانت وفاته بعدن رحمه الله تعالى . وجده الفقيه محمد بن علي صاحب عيديد ـ نفعنا الله ببركاته ـ من كبار الأولياء ، وعمه الشريف الصالح العالم عبد الله . وهو الذي جمع كلام الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الله العيدروس في كتاب ، فله بذلك علينا المنة معاشر الأصحاب .

● وفيها : مات **السلطان سليم سلطان الروم**(١) ، وولي بعده ولده السلطان سليمان ، وفي أيامه زال ملك الجراكسة واعتبار خلفاء بني العباس ، فسبحان من لا يزول ملكه!

* * *

---

(١) يعني أنه سلطان الدولة العثمانية ، آخر دولة للمسلمين جمعت مشرق بلادهم مع مغربها . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (١٠/١٩٨ـ ٢٠٠) ضمن وفيات سنة (٩٢٦) هـ .

سنة خمس وعشرين بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة خمس وعشرين توفي **الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدِّين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري**[1] **السنيكي ثم القاهري الأزهري الشافعي بالقاهرة**، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي ، وحزن [الناس][2] عليه كثيراً لمحاسنه الكثيرة وأوصافه الشهيرة ، ورثاه جماعةٌ من تلامذته بعدة مراثي مطولات .

وكان مولده في سنة ست وعشرين وثمانمائة بسنيكة من الشرقية ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن عند الفقيهين محمد بن ربيع والبرهان الفاقوسي البلبيسي « وعمدة الأحكام » وبعض « مختصر التبريزي » في الفقه ، ثم تحول إلى القاهرة في سنة إحدى وأربعين ، فقطنَ جامع الأزهر ، وأكمل حفظ « المختصر » ثم حفظ « المنهاج » الفرعي و« الألفية النحوية » و« الشاطبية » و« الرائية » وبعض « المنهاج الأصلي » ونحو النصف من « ألفية الحديث » ومن « التسهيل » إلى « كاد » وبعض ذلك بعد هذا الأوان ، وأقام بعد مجيئة القاهرة بها يسيراً ثم عاد إلى بلده ، ثم رجع وداوم الاشتغال وجدّ فيه . فكان ممن أخذ عنهم الفقه القاياتي ، والعلم البلقيني ؛ أخذ عنهما بقراءة « شرح البهجة » ملفقاً ، بل وأخذ عنهما في الفقه غير ذلك ، والشرف السبكي[3] والشموس الوفائي والحجازي والبدرشي ، والشهاب ابن المجدي والبدر

---

(١) ترجمته في «الضوء اللامع» (٣/ ٢٣٤ـ٢٣٩) و « متعة الأذهان » (ق ٣٩ـ٤٠) و «الكواكب السائرة» (١/ ١٩٦ـ٢٠٧) و « شذرات الذهب » (١٠/ ١٨٦ـ١٨٨) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٣) في (ط) : « السنيكي » وما أثبناه عن (م) وانظر « الشذرات » (١٠/ ١٨٧) .

النسابة ، والزين البُوشنجي ، بل وعن شيخ الإسلام ابن حجر ، والزين رضوان في آخرين .

وحضر دروس الشرف المناوي وغيره ، وأصول فقه القاياتي والمحيوي الكافياجي ، قرأ عليهما « العضد » ملفقاً ، والعز عبد السلام البغدادي ، والكمال نزيل زاوية الشيخ نصر الله قرأ عليه العبري « شرح الطوالع » للآمدي وغيرهم .

وعن كل مشايخه في أصول الدين أخذ النحو ، بل وأخذه أيضاً عن ابن المجدي وابن الهمام والشمني ، والصرف عن العز عبد السلام والشرواني ، وكذا عن محمد بن أحمد[1] الكيلاني قرأ عليه شرح « تصريف المقري[2] » للتفتازاني وطائفة ، والمعاني والبيان والبديع عن القاياتي أخذ عنه « المطول » ما بين قراءة وسماع ، والشمس البخاري المذكور فقرأ عليه « المختصر » والكافياجي والشرواني ، وعن ما عداه أخذ المنطق ، وكذا عن ابن الهمام والآمدي والزين جعفر ـ نزيل المؤيدية ـ قرأ عليه « شرح الشمسية » وغالب « حاشية للسيد الجرجاني » والتقي الحصني أخذ عنه ظناً القطبي وحاشيته ، أخذ عن القاياتي في اللغة ، كذا أخذ عنه وعن الكافياجي وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في التفسير ، أخذ علم الهيئة والهندسة والميقات والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغيرها عن ابن المجدي[3] ، وقرأ عليه من تصانيفه أشياء[4] ، الفرائض والحساب أيضاً عن الشمس الحجازي والبوشنجي ، كذا عن أبي الجود الليثي « المجموع » و « الفصول الحكمية » عن الشرواني وجعفر المذكور الطب ، عن الشرف بن الخشاب العروض ، عن

---

(١) في (ط) : « حمد » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) في (ط) : « العزي » وما أثبتناه عن (م) .
(٣) في (م) : « المحمدي » .
(٤) في (ط) : « أشباه » وما أثبتناه عن (م) .

السراج الورودي ، علم الحرف عن محمد بن قرقمان[1] الحنفي ، والتصوف عن جماعة منهم أبو عبد الله الغمري ، والشهاب أحمد الأذكاوي ومحمد الفومي وكلاهما من أصحاب أبي إسحاق الأذكاوي ، عن السراج عمر البلقيني والزين عبد الرحمن الجليلي ، وتلقن منهم ومن الفقيه أحمد بن الفقيه علي بن محمد بن حميد الدمياطي ـ عرف بالزلباني ـ الذكر . تلا بالسبع على كل من النور البلقيني إمام الأزهر ، والزين الرضوان ، والشهاب القلقيلي السكندرني بعد تدريسه في ذلك لبعض طلبتهم . وبالثلاث الزائدة عليها مماتضمنته مصنفات [ابن][2] الجزري في « النشر » و« التقريب » ، و« الطيبية » على الزين طاهر المالكي بالعشر لكن إلى « المفلحون » فقط ، عن الزين ابن عياش المكي أخذ رسوم الخط ، عن الزين رضوان سمع عليه في البحث من « شرح الشاطبية » للجعبري ، وحمل عنه كتباً جمة في القراءات والحديث وغيرهما كجملة من « شرح ألفية الحديث » للعراقي ، عن ابن الهمام أخذ هذا الشرح بتمامه سماعاً وبعضه قراءة ، وعن القاياتي بعضه ، أخذ عن شيخنا الكثير منه ومن ابن الصلاح وجميع « شرح النخبة » له ، وقرأ عليه و« السيرة النبوية » لابن سيد الناس ومعظم « السنن » لابن ماجه وأشياء غيرها ، وسمع في « صحيح مسلم » على الزين الزركشي ، كذا سمع على العز بن الفرات « البعث » لابن أبي داود وغيره ، على سارة ابنة ابن جماعة في « المعجم الكبير » للطبراني بقرائتي وعلى البرهان الصالحي والرشيدي وكثير ممن تقدم كالزين رضوان ، واشتدت عنايته بملازمته له في ذلك حتى قرأ عليه مسلم والنسائي ، والبوشنجي ، والبلقيني . وبمكة سنة خمسين حين حج على الشرف أبي الفتح المراغي والتقي ابن فهد والقاضيين أبي اليمن النويري وأبي السعادات ابن ظهيرة في آخرين بالقاهرة وغيرها ، كتب له أسانيد في جزء وأجاز له في ذلك بعض من ذكر من جميع شيوخه في أخذه عنه أكثر من بعض .

---

(١) في (ط) : « قرقماز » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

كما أن عمله في هذه العلوم أيضاً يتفاوت ، ولم ينفك عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة والانجماع عن بني الدنيا ، مع التقلل وشرف النفس ، ومزيد العقل وسعة الباطن ، والاحتمال والمداراة ، إلى أن أذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء .

وممن كتب له شيخ الإسلام ابن حجر ونص كتابته في شهادته على بعض الإجازات له : « وأذنت له أن يقرىء القرآن على الوجه الذي تلقاه ، ويقرر[1] الفقه على النمط الذي نص عليه الإمام وارتضاه . قال : والله المسؤول أن يجعلني وإياه ممن يرجوه ويخشاه إلى أن نلقاه » . وكذا أذن له في إقراء « شرح النخبة » وغيرها .

وتصدى للتدريس في حياة غير واحد من شيوخه ، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة ، وشرح عدة كتب منها : « آداب البحث » وسماه « فتح الوهاب شرح الآداب » ، و« فصول ابن الهايم » وسماه « غاية الوصول إلى علم الفصول » مزج المتن فيه ، وشرحه شرحاً آخر سماه « منهج الوصول إلى تخريج الفصول » وهو أبسطها ، و« التحفة القدسية » لابن الهايم في الفرائض أيضاً سماه « التحفة الأنسية لغلق التحفة القدسية » . وألفية ابن الهايم أيضاً المسماة « بالكفاية » وسماه « نهاية الهداية في تحرير الكفاية » و« بهجة الحاوي » فقه سماه « الغرر البهية بشرح البهجة الوردية » و« تنقيح اللباب » لابن العراقي[2] ومختصر الروضة للمقري المسمى « روض الطالب » سماه « أسنى المطالب إلى روض الطالب » وكتب على ألفية النحو يسيراً اقرأه معظم ذلك .

طار [اسم][3] « شرح البهجة » في كثير من الأقطار ، قُصِدَ بالفتاوى ،

---

(١) في (ط) : « ويقدر » تحريف ، وما أثبتناه عن (م) .
(٢) في (ط) : « العراق » .
(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

وزاحم كثيراً من شيوخه فيها . وله تهجد وتوجه وصبر واحتمال وترك القيل والقال ، وله أوراد واعتقاد وتواضع وعدم تنازع ، وعمله في التودد يزيد عن الحد ، ورويته أحسن من بديهته ، وكتابته أمتن من عبارته ، وعدم مسارعته إلى الفتاوى يُعَد من حسناته . واختصر « المنهاج الفرعي » للنووي وسماه « منهج الطلاب » وشرحه شرحاً مفيداً .

قلت : وصنَّف في كثير من العلوم كالفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والتصريف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والطب . وله في التصوف الباع الطويل ، وصنف في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهيئة والهندسة إلى غير ذلك . وترأس بجدارة[١] دهراً ، وولي المناصب الجليلة كتدريس مقام الإمام الشافعي ، ولم يكن بمصر أرفع منصباً من هذا التدريس ، وولي تدريس عدة مدارس رفيعة وخانقاه صوفية وغيرها إلى أن رقي إلى المنصب الجليل وهو قاضي القضاة بعد امتناع كثير وتعفف زائد ، ووقع ذلك في شهر رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة .

ثم استمر قاضياً مدة ولاية السلطان الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى . ثم استمر بعد ذلك إلى أن كُفَّ بصره فعزل بالعمى رحمه الله تعالى ، ولم يزل رحمه الله تعالى ملازمَ التدريسِ والإفتاءِ والتّصنيف ، وانتفع به خلائق ، ودرس تلامذتُه في حياته وأفتوا وتولوا المناصب الرفيعة ببركته وبركة الانتساب إليه ، ولم يزل كذلك في نشر العلم ، وكثرة الخير والبر والإحسان إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في معجم مشايخه : وقدمت شيخنا زكريا لأنه أجل[٢] من وقع عليه بصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين ، وأعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء الحكماء المسندين . فهو عمدة العلماء

---

(١) في (م) : « وروس جداً » تحريف وما أثبتناه عن (ط) .
(٢) في (م) : « رجل » تحريف ، ما أثبتناه عن (ط) .

الأعلام ، وحجة الله على الأنام ، حامل لواء مذهب الشافعي على كاهله ، ومحرر مشكلاته ، وكاشف عويصاته في بكرته وأصائله ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، المتفرد في زمنه بعلو الإسناد ، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة ، بل وقع لبعضهم أنه أخذ عنه مشافهة تارة وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى ، وهذا لا نظير له في أحد من أهل عصره ، فنعم هذا التمييز الذي هو عند الأئمة أولى وأحرى ؛ لأنه حاز به سعة التلامذة والأتباع وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع . انتهى كلام ابن حجر .

ويقرب عندي أنه المجدد على رأس [القرن][1] التاسع لشهرة الانتفاع به وبتصانيفه واحتياج غالب الناس إليها فيما يتعلق بالفقه وتحرير المذهب بخلاف غيره ، فإنّ مصنفاتهِ وإن كانت كثيرة فليست بهذه المثابة على أن كثيراً منها مجرد جمع بلا تحرير حتى كأنه حاطب ليل .

ومن أحسن ما رُثِي به قول بعضهم : [من الطويل]:

قَضَى زكريّا نحْبَه فتفجّرتْ ... عليه عُيونُ النِّيلِ يومَ حِمَامِهِ
لتعلم أنّ الدَّهرَ راحَ إمَامُهُ ... وما الدّهر يبقى بعد فقْد إمامِهِ
سَقَى الله قبراً ضمّه غوث[2] صيِّبٍ ... عليه مدى الأيّام سَحُّ غَمَامِهِ

وحكي أن بعض قضاة مصر المحروسة كان يسمى صالحاً ، وكانت أحكامه غير مرضية ، وكان شيخ الإسلام المذكور يكره أفعاله القبيحة ، ويتأذى منه جداً ، حتى أنه هجاه بهذين البيتين : [من مجزوء الكامل]:

الاسمُ غيرُ المُسمّى ... والحقّ أبلجُ واضحْ
إنْ كنْتَ تنكرُ هذا ... فانْظُرْ لسيرةِ صالحْ

---

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) .
(٢) في (ط) : « مزن » .

● وفيها : في ليلة السبت ثالث عشر شهر ربيع الثاني توفي **الفقيه الصالح العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد با كثير الحضرمي**[1] ثم المكي بمكة ، فجُهِّز في ليلته ، وصُلِّيَ عليه صبحَ يومها عند باب الكعبة ، ودُفِنَ بالمَعْلاَة في الشعب الأقصى [و] حملت جنازته على الرؤوس ببركات العيدروس . وكَثِير : بفتح الكاف وكسر الثاء المثلثة .

وكان من العلماء العاملين والفضلاء البارعين ، متصفاً بمحاسن الأخلاق وحسن الارتفاق . ولد تقريباً في سنة ست أو سبع وأربعين وثمانمائة بحضرموت ، ونشأ بها سبع سنين ، ونقله والده إلى غيل با وزير ، فحفظ القرآن في سنة وعمره ثماني سنين ، وحفظ « المنهاج » و « البهجة » لابن الوردي ، و « خلاصة ابن ظفر » ، و « ألفية ابن مالك » وغيرها . ثم سأل والده في الاجتماع بشيخ من الصوفية فأشار عليه بالشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه ، فتوجه إلى تريم وأخذ عنه وتربى على يديه ، وكان يقول : لو اجتمع شيوخ الرسالة في جانب الحرم وأنا في جانبه الآخر ما كنت أهتز إلى ما[2] عندهم لما ملاني به الشريف ـ يعني به الشيخ عبد الله رضي الله عنه .

وحُكي أنّه كان سبب انتقاله إلى مكة ما روي أن شيخه الشيخ عبد الله العيدروس قال : من حصَّل كتاب « الإحياء » وجعله في أربعين جزءاً ضمنت له على الله الجنة ، فسارع الخلق إلى ذلك ، وكان الشيخ عبد الله با كثير المذكور ممن حصله وجعله في أربعين جزءاً ، وجعل لكل جزء كيساً ، وزينه في أوله زيادة على ما شرطه الشيخ ، فلما أتاه به ورآه قال : إنّك قد زدت فيه فيحتاج لك زيادة على الجنة فتمنَّ ما تريد ، فقال : أريد أن أرى الجنة في هذه الدار ، فأجابه الشيخ إلى ذلك وقال : لا يمكنك الجلوس بعدها عندي ، فأمره بالعزم إلى مكة والمجاورة بها ، فعزم إليها وأقام إلى أن توفي بها .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ١٨٨) .
(٢) ليست اللفظة في (م) .

ولقي جماعة من العلماء ، وأجازه بعضهم بالإفتاء والتدريس ، فتصدى لذلك ، ونثر ونظم . ومن ذلك « الدّرر[1] اللوامع في نظم جمع الجوامع » و« تتمة التمام » و« سفك المدام في عقائد أهل الإسلام » وقرظها[2] له جماعة . وهو كثير الفوائد . وكان من فضلاء مكة وعين المدرسين فيها ، مع الزهد والصلاح والتعفف والاحتمال والسكون والانجماع عن أبناء الدنيا . وخلّف أولاداً ذكوراً وإناثاً نحو العشرة .

ومن شعره : [من الكامل]:

مَـنْ كـان يعلـمُ أن كـلّ مُشَـاهَـد فعـلُ الإلـهِ فمـا لـه أن يغْضبـا

بَلْ واجبٌ أن يرتضي ما شاهدتْ عينـاهُ مـن ذاك الفعـالِ ويطْـرَبـا

* * *

---

(١) في (ط) : « الدر » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (م) : « وفرضها » وما أثبتناه عن (ط) .

سنة ست وعشرين بعد التسعمائة

● وفي ضحى يوم الثلاثاء من ذي الحجة عام ست وعشرين توفي **الشهاب الفاضل أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم ، الشهاب بن البدر**[1] ، **المكي**[2] ـ **ويعرف كأبيه بابن العُليف** بضم العين تصغير عَلَف ـ بمكة ، فجهز في ظهر تاريخه ، ودفن بالمَعْلاَة ، وخلّف ولداً وبنتين .

وُلِدَ في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمكة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « الألفية النحوية » و « الأربعين النّوويّة » وعرضهما والكثير من « المنهاج » . وسمع بمكة على التقي بن فهد وولده النّجم ، والزين عبد الرحمن الأسيوطي[3] ، وأبي الفضل المرجاني ، ويحيى العلمي[4] ، ولازم النور الفاكهي في دروسه الفقهية والنحوية . وبالقاهرة على الشهاب الشادي ، وحضر عند الخيضري ، بل سمع « الشفاء » على الجوجري ، وأخذ عن العباد والجوجري وآخرين بالقاهرة ، فقد دخلها مراراً .

قال السخاوي : وكنت ممن أخذَ عنه بها وبالحرمين ، وتلا الكثير لأبي عمرو على عمر النجار[5] ، وحضر دروس القاضي عبد القادر في العربية . قال السخاوي : وتكسّب بالنساخة مع عقل وتودد وحسن عِشْرَةٍ وتميُّز ، وربما نظم

---

(١) في (ط) : « المبذر » تحريف .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (١/ ٢٩٠) و « التحفة اللطيفة » (١/ ١٧٦ـ١٧٨) و « شذرات الذهب » (١٠/ ١٩٥ـ١٩٦) و « البدر الطالع » (١/ ٥٤ـ٥٦) .

(٣) في « البدر الطالع » (الأفيطوي) .

(٤) في (ط) : (العلم) وفي (م) : (المعلم) وما أثبتناه عن « البدر الطالع » .

(٥) في (ط) : (البخاري) وما أثبتناه عن (م) .

ما يقع له فيه الجيد ، ومع ذلك لم يسلم ممن يعاديه ، بل كاد أن يفارق المدينة لذلك . قال : وأغلب إقامته الآن بطيبة على خير وانجماع وتقلل ، ونعم الرجل .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف باع داره بها وسكن مكة ، وتزوج فيها ورزق بنتين ، وكان انتصر للمؤلف على الشيخ جلال السيوطي « بالشهاب الهاوي على منشي الكاوي »[1] ثم « المنتقد اللوذعي على المجتهد المدعي » ، وألف لسلطان الروم با يزيد بن عثمان « الدر المنظوم في مناقب سلطان الروم » ومدحه وغيره من أقرانه ، فرتب له خمسين ديناراً في كلِّ سنة ، فتجمل بها ، ومدح صاحب مكة السيد بركات بن محمد الحسني ، فاقتصر على مدحه ، وحظي عنده لبلاغته ، حتّى صار متنبي زمانه ، ثم أُصِيب بكثرة الأسقام في آخر عمره حتى مات رحمه الله .

ومن نظمه الحسن هذه القصيدة العظيمة المشتملة على الفصاحة التامة والأمثال العجيبة وهي : [من الكامل][2]:

خُذْ جانبَ العَليا ودعْ ما يُتركُ	فرضى البريَّةِ غايةٌ لا تُدْركُ
واجعلْ سبيلَ الذّلِّ عنك بمعزلٍ	فالعزُّ أحسنُ ما به يُسْتمسَكُ
وامنحْ مَودّتكَ الكِرامَ فربّما	عَزّ الكريمُ وفات ما يُسْتدرَكُ
وإذا بدتْ لك في عدوِّك فرصةٌ	فافتكْ فإنّ أخا العُلا مَن يَفْتِكُ
ودعِ الأمانيَ للغبيِّ فإنّما	عُقْبى المُنى للحُرِّ داءٌ مُهْلِكُ[3]
مَنْ يقتضي سبباً بدون عزيمة	ضلّت مذاهبهُ وعزّ المُدْرَكُ
تَعِسَتْ مُداراة العدوِّ فإنّها	داء تحولُ به الجُسوم وتُوعَكُ

(١) ردَّ فيه على مصنف السيوطي « الطاوي لدماغ السخاوي » انظر « البدر الطالع » (١/ ٥٦) .

(٢) ذكر ابن العماد ستة أبيات منها في « الشذرات » وذكر الشوكاني ثلاثة وعشرين بيتاً منها في « البدر الطالع » .

(٣) في « البدر الطالع » : « . . داء منهك » .

لا يـــدركُ العَليـــاء إلاّ مَـــنْ لـــه ... فـي كـلِّ حـيٍّ مـن عـداه منْسَـكُ

نـدبٌ عـريـقٌ لا يُـرام مُـرَجَّـبٌ[1] ... ضـربٌ جزيـلٌ فـي الأمـور محكّكُ

ذو هضبــةٍ[2] لا تُـرتقـى وشَكيمـةٍ ... عـزّت يـديـنُ لـه الألـدُّ الأمْحَـكُ

لا فــائـلٌ[3] عنـد الحفيظـة رأيـه ... لكـنْ بتجـريـب الـزمـان مُحَنّـكُ

فاركب سنامَ العزِّ في طَلبِ العُلا ... حتّــامَ تسكـــن والنّـــوى يتحـــرّكُ

واستفرغِ المجهودَ في تحصيلِ ما ... فيـه النفـوس تكـاد جُبْنـاً تَهْلِـكُ[4]

وإذا نَبَــا بــك منــزلٌ فــانْبُــذ بــه ... ودعِ المطيّـــة تستقـــلُّ وَتَبْـــرُكُ[5]

وارغب بنفسِكَ أنْ تُرَى في ساحة ... يُسْقى بها الحرُّ الكريمُ المرتكُ[6]

وارحـلْ عـنِ الأوطـانِ لا مستعظمـاً ... خطـراً ولـو عـزّ المـدَى والمسْلـكُ

فـــالحـــرُّ ينكـــر ضـــدّ مـــا يعتـــاده ... ويميطُ ثـوبَ الـذلِّ عنه ويبتـكُ[7]

ومتـــى تنكّـــرتِ المعـــارفُ خلْتـــه ... يثني العنَان عن الدِّيارِ ويعتكُ[8]

لا خيـرَ فـي دارٍ يُضَـامُ بهـا الفتـى ... وإلـــى ســـواهـــا لا يميـــلُ ويتـــركُ

وفتـىً تقـاضتـه المســاعـي نفْسـه ... فغَـــدَا يمنّيهـــا القضـــاء ويمعـــكُ

---

(١) مرجّب : معظم ، والترجيب : التعظيم ، اللسان (رجب) .

(٢) في (م) : « ذو هضمة » وصوابه في (ط) و« البدر الطالع » .

(٣) في (م) و(ط) : (ألا فاتل) تحريف ، وصوابه في « البدر الطالع » وفائل : من (فال رأيه يفيل فَيْلولة : أخطأ وضعف) « اللسان » (فيل) .

(٤) في « البدر الطالع » : « حبّاً تهلك » .

(٥) في (ط) : « . . ويترك » وما اثبتناه عن (م) و« البدر الطالع » .

(٦) المرتك : فارسي معرب ، قال الجواليقي « لا أعلمه جاء في الكلام القديم » (المعرب) ص (٣١٧) . وفي « القاموس » (رتك) : وهو المُرْدَاسَبخ ، وهو الآنك المُحرَق أي الرصاص أسوده وأبيضه ، « معجم الألفاظ الفارسية المعربة » ص(١٤٤) ، واللسان (مرتك) و(أنك) .

(٧) البتك : القطع .

(٨) يعتك : من (عَتَكَ في الأرض يَعْتِك عُتُوكاً : ذهب وحده) « اللسان » (عتك) .

بهـراً لنفـسٍ لا تكـون عـزيـزةً ولها إلى طُرُقِ المعالي مَسْلكُ[1]

ولـواجـدٍ سُبُـل الكـرام ولـم يـزلْ يغضي الجفون على القذى ويفتّكُ

والمـرء يُعـذر إن سَعَـى وتعـذّرتْ عنـه المسـاعـي أو حَـواه المَهْلـكُ

تبّـتْ يـدُ الأيّـام تلقـي للفتـى سِلمـاً تسلّمُـه يـدٌ مـا تملـكُ[2]

يبكي اللبيـبُ على تقاعسِ حظّه حينـاً ويطمعـه الـرجـاء ويضحـكُ

لكـنْ دفـاتـره[3] قـد دونهـا عـن حـوضـه فغـدا لـديهـا يفـركُ

سميتُهـا فـي القنـع أعلـى غـاربٍ فغـدَتْ بِـذَرْوَةِ عـزِّه تتـورّكُ[4]

وسقيتُهـا عَلَـلاً علـى نهـل بـه وتـركتُهـا تـرضـى عليه وتـرمـكُ[5]

عجباً لمـن سـرّ الـزمـان وأهلـه فغـدا بتعليـل المطـامـع يمسـكُ

ولمـن لـه فضـلٌ يمـنُّ بـه فـلا يسمو على هامِ السِّماك وَيَسْمُكُ[6]

حتى متى أطـوي الليـالـي بـالمُنى والجـدّ ينهضنـي وجـدِّي يبـركُ

ويجـولُ فكـري فـي لعـلّ وأختهـا ويحـولُ دونهمـا زمـان أنْـوكُ[7]

وينـالنـي بـالنّقـص غَمْـرٌ مـا لـه في الفضل سهمٌ مثل سهمي يُشْركُ

لا صـاحبتنـي نفسُ حـرٍّ لـم تكـن نـزّاعـةً فيمـا يُنَـالُ ويُتْـرَكُ

هـلْ فـي القضيـة أن أرى متقـابـلاً أحكـي القـوافـي للئـامِ وأحْتِـكُ[8]

---

(١) في (ط) : « بهوى النفس » تحريف وبه يكسر البيت ، وصوابه في (م) و« البدر الطالع » .

(٢) رواية الشطر الثاني في « البدر الطالع » (سلماً وتسلبه غداً ما يملك) .

(٣) في (ط) : « لكن تغامره » وما أثبتناه عن (م) والشطر في الحالين لم يخل من كسر وغموض في المعنى .

(٤) تتورّك : تعتمد على وَرْكِها ، وفلان وَرَك على دابته وتورَّك إذا وضع عليها وَرْكَه » . « اللسان » (ورك) .

(٥) العَلَلُ : الشربة الثانية ، والنَّهل : أول الشُّرب . ورمك : أقام في المكان .

(٦) السِّماك : نجم معروف ، وهما سِماكان : رامح وأعزل . ويَسْمُك : يرتفع .

(٧) الأنوك : الأحمق .

(٨) في (ط) : « . . . في القشيّة . . » . والحَتْك : من (حَتَك الرّجل يَحْتِكُ أي مشى وقارب الخطو وأسرع) « اللسان » (حتك) .

وأبيتُ أنسجُ من سرابيل الثّنا … حُلَلاً على طول المدى لا تُدْعَكُ

أكسو بِنائلةٍ تخَالُ وجُوههم … باللمح[1] حالَ المدحِ غيْظاً تَعْرُكُ

وأغوصُ عن درِّ النّظام بهمّةٍ … وأصوغُ من تِبْرِ الكلام وأسْبِكُ

في كلِّ فدمٍ لا سليم يُرتجَى … يرضيك منه القول وهو مُرَوْدَك[2]

متغافلٌ عن فطنةٍ مستبطنٌ … لؤماً كثيرُ الخيرِ وافر حوْتكُ[3]

هلاّ فتى في المجد تقصر دونه … معْ طولِ غايتها الجبال السُّمَّكُ

سَمْحٌ على العلاّت[4] بحرٌ في النّدى … يحيا به درُّ القريضِ المهْتَكُ

ماتوا بُناةَ المجدِ والعزِّ الأُلى … كانوا بطيبِ ثنائهم يُسْتمسكُ

النّازلينَ من المكارمِ مَنْزلاً … بترابه يتبرّك المتبرِّكُ

ونكصْتُ في خلِّ أجلُّ نوالِهِ … وعدٌ يؤكِّده بقولٍ يعْفكُ[5]

فعلامَ لا ألوي رجائي عنهم … ناساً وفي جنبيَّ قلبٌ دَكْدَكُ[6]

وأرى برأيٍ يقتضي ذو[7] همّةٍ … لا يستقلّ بها اللئيمُ المُمْسكُ

لو لم يعارضني زمان عاثر … فيه وحظٌّ حين أغدو أشْوكُ

لله عصرٌ بتُّ أطوي عتبه … منّي على تلك وقد لا أحبكُ[8]

وأشوبه عود الضَّمير مغالطاً … فينيلني وعداً عليه وينسكُ

---

(١) في (ط) : « بالمُلح حالَ . . . » تحريف ، وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (م) : « فدمٍ لا يسلم » تحريف يُكسر به الوزن وما أثبتناه عن (ط) . والفدم : العيي .

(٣) في (ط) : (وافه) وما أثبتناه عن (م) . والحوتك : القصير .

(٤) العلاّت : يُقال لبني الضرائر بنو عَلاَّت ، وهو يستعمل في الجماعة المختلفين ، وأراد سماحته فيمن خالفه .

(٥) يعفك : لا يثبت على حديث واحد ، ولا يتم واحداً حتى يأخذ في آخر غيره ، « اللسان » (عفك) .

(٦) قلب دَكْدَك : غليظ ، وأصل الوصف للأرض ، انظر « اللسان » (دكك) .

(٧) في (م) : « . . . يقتضي همّة » وبه يكسر البيت ، وما أثبتناه عن (ط) .

(٨) الحَبْك : الشّد ومنه أُخِذ الاحتباك ، وهو شدُّ الإزار . والشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

ويطيلُ بالتّسويف في تقصيره حلفاً ويرميني بخصمٍ يمحكُ
لا كنت من لأُلي الفضائلِ مُنْتَمٍ للفضل أفعل ما أروم وأتركُ
كلاّ ولا كانت كرام أبوّتي أهدي إليه ولاية تتنسّكُ
أيضاً ولا مُتّعْتُ من أربي بها في موقف عند التّنافر يفتكُ
إنْ لم أردّ النّفسَ عن إتيانه وأنالُ منه ما ينالُ المُدْرِكُ
ولقَدْ ندِمتُ على مديحي معشراً ندماً يضلّ الدمع منه يسْبكُ
وذممتُ دهري إذ[1] غدا متغافلاً عنّي وصار بأهله يتحكّكُ
دهْراً متى أوسعت فيه أهله ذمّاً بباب والمدائحُ تُؤفَكُ
قلّدْتُ فيه الدُّرّ[2] غير نفيسهِ وسلكته في موضع لا يُسلكُ
لو لم يكن فيما أذمُّ لأجله إلاّ معاصرة اللّئامِ وأفْرُكُ[3]
فمتى أسمروا مكاني مثلها فلبئس دامكَة تجيء وتدمكُ[4]
ليتَ المكارمَ لم تكن مقصودة في كلِّ ذي قدر وضيع ينبكُ[5]
قَسَماً بنفس بالزّمانِ قصيرة وبحرمة الأدب التي لا تُهْتَكُ
لولا اشتغالُ الخَطْب فيّ جهالة عنّي لكنتُ لكلِّ فضلٍ أملكُ

● وفيها : أخذ السلطان بدر رحمه الله تعالى « تريم » قسراً من السلطان أحمد بن محمد .

● وفي ضحى يوم الخميس تاسع عشر شهر ذي القعدة توفي **الفقيه الفاضل الأديب البارع حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد**

---

(١) في (م) : « . . وهوي إذا . . . » تصحيف ، وما أثبتناه عن (ط) .
(٢) في (ط) : « قلّدت فيه الدهر » .
(٣) الفَرْك والفِرْك : البغض .
(٤) الدامكة : الداهية يقال : (أصابتهم دامكة من دوامك الدهر أي داهية) « اللسان » (دمك) . والبيت مختل الوزن في شطره الأول .
(٥) يَنْبِكُ : يرتفع ، مِن قولهم (مكان نابِك ، أي مرتفع) « اللسان » (نبك) .

الناشري[1] بمدينة زَبيد ، ودُفن بمقبرة سلفه الصالح بباب سهام قريباً من آل مرزوق وقبر إسماعيل الجبرتي ، وكانت ولادته ثالث عشر شوال من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة .

وأخذ الفقه والحديث عن العلامة قاضي القضاة الطيب بن أحمد الناشري مصنف « الإيضاح على الحاوي » ، وعن والده[2] قاضي القضاة عبد الله ، والعلامة محمد بن أحمد حميش وغيرهم .

وروى عن القاضي مجد الدين الشيرازي[3] صاحب « القاموس » ، والفقيه محمد بن أبي الفتح المدني .

وأجازه شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وكتب له بالإجازة هو وعلماء مصر ، كالشيخ زكريا الأنصاري ، والجوجري ، والسيوطي ، وابن أبي شريف وغيرهم من علماء مصر ، ومن الحجاز الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

وله مصنفات حسنة غريبة منها : « الأربعون التهليلية » و« مسالك التحبير من مسائل التكبير » ، ومختصره « التحبير في التكبير » و« انتهاز الفرص في الصيد والقنص » وكتاب النبات العظيم الشأن المسمى « حدائق الرياض وغوضة الفياض » ، و« عجائب الغرائب وغرائب العجائب » ، و« البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر »[4] ، ذيل به على مؤلف قريبه ، و« النعمة المشكورة في المسائل المنثورة » و« سالفة العذار في الشعر المذموم والمختار » ، وله « ألفية في غريب القرآن » وغير ذلك .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/١٩٧) و « البدر الطالع » (١/ت : ١٥٨) .

(٢) في (م) و(ط) : (وعن ولده) وهو خطأ ، وصوابه في سياق نسب المُترجم له ، وانظر « الشذرات » (١٠/١٩٧) .

(٣) في « الشذرات » (الفيروز ابادي) وهو ما اشتهر به صاحب « القاموس » .

(٤) اسمه في « البدر الطالع » : « البستان الزاهر في طبقات بني ناشر » .

ومن مؤلفاته أيضاً مجموع حسن مفيد في بابه في الفقه يسمى « مجموع حمزة » ، وذلك من فتاوى علماء اليمن ، وغالبه من فتيا علماء زبيد ، رحمه الله تعالى آمين ، وغالب مؤلفاته لم تبيض .

قلت : ووقفت له على قصيدة في روي لام ألف في منافع البن ذكر فيه نيفاً وسبعين خاصية ، وعدتها نحو الخمسين بيتاً ومنها : [من الطويل]:

كُلِ البنّ لا تعدل ببنِّك تَنْبلاً ... لتَعْلو به بين الأنام وتَنْبُلا

واشتهر باللطافة وكثرة الزواج ، ورزق كثيراً من الأولاد مات غالبهم ، وكان ضعيف الحال ، عظيم المقدار ، قوياً في نفسه والتمتع بحواسه ، ولقد قارب المائة وهو يفتض الأبكار ويستعمل الحرارات القوية المعينة على النكاح إلى أن قضى نحبه وحط سلبه .

وتفقه به خلائق كثيرون ، كإسماعيل بن إبراهيم العلوي ، وأخيه أحمد ، والحافظ ابن الدَّيْبَع[1] ، وأبي البركات الناشري ، وأخيه حافظ الدين عبد المجيد وغيرهم .

ومن شعره في الفل الأبيض : [من الوافر]:

زهورُ الفلِّ تنظرها ابتهاجاً ... نجوماً زاهراتٍ في غِياضِ
وما غَرُبت نجُومُ اللّيل لكِنْ ... نُقِلْنَ من السّماء إلى الرياضِ

وله فيه : [من البسيط]:

انظرْ إلى الفلِّ في الأغصان والورقِ ... ونزِّهِ الطّرف في رؤياه بالحَدَقِ
تزهو حديقته فخْراً ببهجتها ... في رفرفٍ أخضرٍ أو أبيضٍ يَقَقِ[2]
كأنّ خُضرَتَها والفلّ حين بدا ... صحْنُ السماء وفيه أنجمُ الأفقِ

---

(١) في (ط) : (الربيع) تحريف .
(٢) اليقق : شديد البياض ناصعه .

ومن شعره في الأنيج : [من الوافر]:

ومُصْفَــرِّ المُـــلاءَةِ قــد جنــانـــي ... رَحِيق الشَّهْدِ من رشف المُجاجِ[1]
أشبِّـــهُ شـــامـــةً حمـــرا عليـــه ... بفضـل الخمـرِ فـي كـأسِ الـزُّجـاجِ

وله فيه : [من البسيط]:

إذا نَظَـرْتَ إلـى العِنْبَـاءِ[2] تحسبـه ... جـاماً مـن التِّبـرِ فيـه فصٌّ يـاقـوتِ
أو خَـدَّ غـانيـةٍ يحمـرُّ مـن خَجَـلٍ ... أو قـرْصَ عـاشقـةٍ أدمـاهُ كـالتّـوتِ

ولي في الأنيج :

يـــا صـــاحِ إنَّ العِنـــبَ لـــه لَـــذّةٌ ... تفـــوق لـــذّاتِ الفـــواكـــه والثِّمـــارِ
ووقـــــتُ إتيـــــانـــــه لا تنســـــه ... فهـــو الّـــذي يُنسيـــك ذاتَ الأستـــارِ

ولي فيه :

أيـــام العنـــبِ قـــدّســـتِ يـــا أيـــام ... أذكـرتنـي الـراحـة وتلـك الأعـلام
بـــذلتـــي الـــرّضـــاع للنـــاسِ دَهْـــراً ... ومـــا مفجعهـــم منـــك إلاَّ الفِطـــام

ولي فيه :

العِنـــــبُ سلطـــــانُ الثِّمـــــا ... ر ومـــــا سِـــــواه الحـــــاشيـــــهْ
فلـــــونُـــــه المحمـــــرُّ يحكـــــي ... حُسْـــــنَ خـــــدِّ الغـــــانيـــــهْ
وريحـــــهُ العـــــاطـــــر يـــــزْري ... بكـــــلِّ طِيـــــبٍ وغـــــاليـــــهْ

* * *

---

(١) في (ط) : « ومُصْفَرّة الملاة » ولا يستقيم وزنه . ومجاجة الشيء : عصارته .
(٢) في (ط) : « . . . إلى العنب . » .

سنة سبع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وعشرين توفي الأمير مرجان الظافري[1] ، وتولى بعده الشيخ عبد الملك بن طاهر ، وهذا مرجان هو الذي عمَر قبة العيدروس بعدن وهو مدفون معه فيها ، وكانت له عقيدة كاملة وحسن ظن زائد في العيدروس نفع الله به . ولقد قال عندما ذُكِرت عنده كراماته قدس الله روحه : لو شئت أن أملي من كراماته مجلداً لأمليت . نقل ذلك العلامة بحرَق ـ رحمه الله ـ في كتابه « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » .

وكان الأمير مرجان مشهوراً بالشجاعة والكرم ، متصفاً بمحاسن الأوصاف والشيم . ويكفي في فضله العظيم أن الفقيه بحرَق قال في وصفه : الكريم الأمير ، المؤيد بتوفيق الله تعالى وعنايته ، المسدد بحفظ الله ورعايته ، الذي فتح الله بنور الإيمان عين بصيرته ، وطهر عن سوء العقيدة باطن سريرته ، وصار معدوداً من الأولياء لموالاته لهم باطناً وظاهراً ، وحاز من بين الولاة والحكام من التواضع لله والرفق بالفقراء والمساكين حظاً وافراً ، مرجان بن عبد الله الظافري لا زال على الأعداء ظاهراً ، وإلى مرضاة مولاه مبادراً .

● وفيها : طلب الشيخ عبد الله بن طاهر جدي الشيخ عبد الله العيدروس إلى عدن المحروس ، فسار إليه من بلدة تريم ، وأقام عنده مدة نحو ست سنين على غاية التعظيم ، ثم رجع إلى تريم سنة ثلاث وثلاثين .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢١٥) .

سنة ثمان وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وعشرين توفي العلامة **محمد بن أسعد جلال الدين الصديق الدَّواني**[1] ـ بفتح المهملة وتخفيف النون نسبة لقرية من كازرون ـ الكازروني[2] الشافعي القاضي بإقليم فارس ، والمذكور بالعلم الكثير .

وممن أخذ عنه المحيوي اللاّري ، وحسن بن البقّال . وتقدم في العلوم سيّما العقليات ، وأخذ عنه أهل تلك النواحي وارتحلوا إليه من الروم وخراسان وما وراء النهر .

ذكره السخاوي في «ضوئه» قال : وسمعت الثناء عليه من جماعة ممن أخذ عني ، فاستقره السلطان يعقوب في القضاء ، وصنف الكثير ، من ذلك : « شرح على شرح التجريد » للطوسي عمَّ الانتفاعُ به ، وكذا كتب على « العضدي » مع فصاحة وبلاغة وصلاح وتواضع ، وهو الآن في سنة تسع وتسعين حي ابن بضع وسبعين . انتهى .

● وفيها : سُئل الحكيم بدر الدين محمد بن محمد القوصوني بما صورته : ما قولكم ـ رضيَ اللهُ عنكم ونفع بعلومكم المسلمين ـ في القهوة ، هل استعمالها مضرٌّ أم نافع؟ وهل طبعها الحرارة أم البرودة أم اليبوسة أم الرطوبة؟ وإذا قلتم بأن استعمالها نافعٌ فما القدر النافع منها وما المضرُّ؟ وهل الإكثار منها ضار أم لا؟ وهل فيها تقوية للباه أم لا؟ وهل استعمالها على الشبع مضر أم نافع ؟ وكذلك استعمالها على الجوع هل هو مضرٌّ أم نافع؟ وهل فيها

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٤/ ١٣٣) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٢٢١) و« البدر الطالع » (٢/ ١٣٠) .

(٢) في (ط) : « الكاروني » وهو خطأ .

هضمٌ؟ وهل استعمالها حارة أولى من استعمالها فاترة أم عكسه؟ وهل يضاف إليها شيء من الأشياء عند طبخها أم لا؟ أفتونا مأجورين ، أثابكم الله الجنة .

فأجاب : الحمد لله ، لم أجد ذكراً للبن فضلاً عن القهوة في شيء من كتب الطِّبِّ التي طالعتها واطلعت عليها ، والذي نتكلم فيه الآن إنما هو بحسب ما ظهر لنا من آثارها بطريق التجربة ، فأما هل استعمالها مضرٌ أم لا ، فنقول : إنّه ليس يمكننا الحكم على دواء من الأدوية بأنه نافع مطلقاً ، ولا بأنه ضار مطلقاً في كلِّ حالٍ ، بل إنْ أثبتنا له نفعاً في بعض الأحوال فلا ينافي ذلك أن يكون له مضرة في حالة أخرى ، وأن يكون غيره أنفعَ منه في تلك الحال ، ونوضح ذلك بمثال فنقول : الدرياق الفاروق قد أجمع الأطباء أنه أعظم الأدوية ، ومع ذلك لا يمكن أن يقال بنفعه مطلقاً وفي كل حال ، بل بعض الأدوية المبردة كبزر قطونا للمحموم مثلاً أنفع منه بكثير ، فبقي أن يقال : إنَّ القهوة كغيرها من الأدوية لها نفع في بعض الأحوال .

فأما طبع القهوة ، فنقول : إن في الكيفيتين الفاعلتين ـ أعني الحرارة والبرودة ـ فالظاهر أنها معتدلة ومائلة إلى البرد قليلاً ، ولا يبعد أن يكون لها جزء حار به يكون الهضم ونحوه من أفعالها ، فإن كثيراً من الأدوية كذلك ، وأما في الكيفيتين المنفعلتين فتجدها مائلة إلى جانب اليبس ؛ لأنا نجدها تجفف الأبدان وتغيّر أصحاب الأمراض اليابسة .

وأما القدر النافع منها ، فهو مختلف بحسب مزاج مستعملها .

وأما هل الإكثار منها مضرٌّ ؟ فقد قال الأطباء : إنَّ كلَّ كثرةٍ عدو للطبيعة ، ولا شك أن الإكثار من القهوة مضرٌّ خصوصاً بذوي الأمزجة اليابسة .

وأما هل فيها تقوية للباه؟ فنقول : لا يبعد ذلك بواسطة تجفيفها للرطوبات المرطبة للأعصاب فيكون ذلك بطريق العرض .

وأما هل استعمالها على الشبع مضرٌّ؟ فنقول : قد نهى الأطباء عن استعمال سائر المشروبات عقيب استعمال الغذاء ؛ لما يفجج الغذاء وينفذه قبل

انهضامه ، لكن القليل من المشروبات خصوصاً المعينة على الهضم كالقهوة ونحوها نافعة بشرط أن لا يبلغ إلى حد تنفذ الغذاء إلى فجاجته ، وأولى ما استعملت القهوة بعد أخذ الغذاء في حالة الانهضام . فأما على الجوع فمجففة تنفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة ، وتغير المهزولين ويابسي الأمزجة . واستعمالها فاترة أولى لأنها حينئذ تكون ألذ طعماً وأقوى على النفوذ .

وأما هل أنه يضاف إليها دواء عند الطبخ؟ فنقول : لا يبعد[1] أن يُضاف إليها أدوية مصلحة لمزاجها مقوية لأفعالها ، لكن تخرج عن كونها قهوة وتدخل في جملة الأدوية النافعة . ولكن الأولى أن يضاف إليها شيء من السكر أو العسل لباردي المزاج ليعين ذلك على نفوذها ، والله أعلم . قاله بدر الدين محمد القوصوني في المحرم سنة ٩٢٨ هـ .

* * *

(١) في (ط) : « لا يتعذر » .

سنة تسع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وعشرين توفي **الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بالحاج با فضل**[1] ، وكان مولده يوم الجمعة خامس شوال من سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، وتفقه بأبيه ، وبالفقيه محمد بن أحمد فضل ، وأخذ عن قاضي القضاة العلامة يوسف بن يونس المقري ، والقاضي أحمد بن عمر المزجّد وغيرهما ، وبرع وتميز وتصدر للإفتاء والتدريس في زمان والده ، وكان متولياً الإعادة في درس الجامع في زمان والده ، ولما مات والده خلفه وصار [في][2] عين المكان .

وكان فقيهاً فاضلاً ، حسن الاستنباط ، قوي الذهن ، شريف النفس ، وكان والده يعظمه ويثني عليه ويشير إليه بالمعرفة في الفقه . وحجَّ مراراً ، واجتمع في حجته الأخيرة بالشيخ العالم الصالح محمد بن عراق ، وكان من رجال الطريق ومشايخ التحقيق ، فصحبه ولازمه وتسلك على يده .

وكان سخياً كثير الصدقة وفعل المعروف ، محباً للصالحين والفقراء ، حسن العقيدة فيهم ، كثير المواصلة لهم ، مواظباً على الطاعة . ولم يزل على ذلك حتى استشهد في معركة الكفار لما دخل الإفرنج الشحر وقتلوا الأمير مطران وغيره وأسروا ونهبوا ، وذلك بعد فجر يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، ودفن عند والده ، رحمهما الله تعالى ونفع بهما آمين آمين .

وله من التصانيف : « نكت على روض المقري » في مجلدين لطيفين ، وله

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٢٥-٢٢٦) والأعلام (١/ ١٦٠) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

« نكت على الإرشاد » في مجلدين لطيفين أيضاً ، وهو[1] تصنيف حسن في باب مفيد جداً ، وله أيضاً كتاب « مشكاة الأنوار » وهو غاية الحسن كثير النفع ، وكفاه شرفاً أن مؤلفه قال في وصفه في أثناء وصيته : وعليك بالأوراد التي علقتها في كراريس سميتها « مشكاة الأنوار » عليك بها ، عليك بها ، فإني ضمنتها والله الاسم الأعظم الذي هو إكسير الأولياء ، ولكن لا يظهر إلا بالمداومة مع الصيانة والديانة والعفة والسلامة من الوقوع في الشبهات والشهوات ، عليك بحفظ ما فيها عن ظهر القلب . وله وصية مختصرة .

ومن كلامه : « من كان همّه المعالف فاتته المعارف » .

وكان يعظم السادة الأشراف آل با علوي جداً . وحُكِيَ عنه أنّه قال : طفت كثيراً من البلدان كمكة المعظمة والمدينة المشرفة واليمن الأنيس وغيرها ، ونظرت كثيراً من الحجاج ممن يفدُ إلى بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق ، وسألت غير واحد من الثقات فما ذكروا لي ولا وجدْتُ في الأشراف مثل آل با علوي وطريقتهم في الاستقامة والاتّباع للكتاب والسنّة .

ومما كتب به إلى بعض السادة آل با علوي من جملة مكتوب ما صورته : « فأنتم أهل الفضل والإحسان ، ومعدن سرِّ النبوَّة والفضائل والفتوة ، قليلكم كثير ، حقيركم جليل ، ضعيفكم قوي ، مسكينكم غني ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . أوصاف غيركم طارئة ، وكمالاتكم ذاتية . كيف يبلغ شأو الذات فضيلة الصفات ، هذا إن صحت . كيف وقد ساق الله لكم الكمالين ؟! نعوذ بالله من الجهل بمعرفة حقكم » . انتهى .

* * *

---

(١) في (ط) : « وله » ولا يستقيم به السياق .

سنة ثلاثين بعد التسعمائة

● في فجر يوم الأحد سلخ[1] شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وتسعمائة توفي **الشيخ الإمام شيخ الإسلام العلامة ، ذو التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة ، المجمعُ على جلالته وتحريه وورعه ، أقضى قضاة المسلمين ، أوحد عباد الله الصالحين ، صفي الدين أبو السُّرور القاضي أحمد[2] بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن القاضي يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان بن الملك سيف بن ذي يزن[3] المذحجي السَّيفي المُرادي ، شهاب الدين الشهير بالمُزَجَّد - بميم مضمومة ثم زاء مفتوحة ثم جيم مشددة مفتوحة ودال مهملة آخر الحروف - الشافعي** ، الزَّبيدي ببلده زَبيد ، وصُليَ عليه بجامعها الكبير ، ودفن بباب سهام ، وقبره قِبْلي تربة الشيخ علي أفلح ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى ونفعنا بسرّه وسرّ علومه . ورثاه جماعة من أكابر العلماء والأدباء من تلامذته ومعاصريه ، وعظم الأسف عليه ، وكان من العلماء المشهورين ، وبقية الفقهاء المذكورين ، وأحد المحققين المعتمدين المرجوع إليهم في النوازل المعضلة والحوادث المشكلة ، وكان على الغاية من التمكن في مراتب العلوم الإسلامية من الأصول والفروع وعلوم الأدب . وذكروا له كراماتٍ .

وهو الذي أفتى بحلية البن والقهوة .

وُلِدَ رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وثمانمائة بجهة قرية الزيدية[4] ونشأ

---

(١) لم ترد اللفظة في (ط) ووردت في (م) فقط .

(٢) ترجمته في « الكواكب السائرة » (٢/ ١١٣ـ١١٤) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٢٣٥ـ٢٣٦) .

(٣) ذكر صاحب الشذرات بعض أجداد المترجم له ثم قال : وينسب إلى سيف بن ذي يزن وهو الأقرب للصواب .

(٤) في (ط) : « الزبيدية » وما أثبتناه عن (م) و« الشذرات » (١٠/ ٢٣٥) .

بها ، وحفظ « جامع المختصرات » ، ثم اشتغل فيها على أبي القاسم بن محمد بن مريفد ، ثم انتقل إلى بيت الفقيه ابن عُجيل ، فأخذ فيها على شيخ الإسلام إبراهيم بن أبي القاسم جعمان ، والظاهر بن أحمد بن عمر جعمان ، وأخذ أيضاً عن القاضي عبد الله بن الطيب الناشري . وقال تلميذه شمس الدين الناشري : لقد سمعت شيخنا شهاب الدين المشار إليه يقول : ما دخلتني هيبة من أحد قط كما كانت تدخلني بين يدي إبراهيم المذكور . انتهى .

ثم ارتحل إلى زَبيد واشتغل فيها بالفقه على العلامة أبي حفص عمر الفتى ، ونجم الدين يوسف المقري بن يونس الجبائي وبهما تخرج وانتفع ، وأخذ الأصول عن السيفكي[1] والجبائي ، والحديث عن الحافظ يحيى العامري ، وعن الصديق الطيب المطيب ، والحساب والفرائض عن موفق الدِّين الناشري ، والعلامة الحسين الصباحي بِتَعز وغيرهم . وبرع في علوم كثيرة وتميز في الفقه حتى كان فيه أوحد وقته .

ومن مصنفاته المشهورة في الفقه : « العُباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب » وهو كاسمه وكما وصفه جامعه رحمه الله إذ قال : [من الوافر]:

ألاَ إنّ العبابَ أجلُّ سِفْرِ	منَ الكُتبِ القديمةِ والجديدهْ
كتابٌ قد تَعبْتُ عليه دهْراً	وخضْتُ لجمعه كُتُباً عديدهْ
وقَرّبْتُ القصيَّ لطالبيه	وقد كانت مسافتُه بعيدهْ
وغُصْتُ على الخبايا في الزَّوايا	فها هي فيه بارزةٌ عتيدهْ
وكم قد رضتُ فيه جيادَ فكري	ومرَّتْ لي به مددٌ مديدهْ
إلى أن بلّغ الرّحمن منه	مرادي من مواهبه المديدهْ
فدونك كنز علْمٍ لسْتَ تلقى	مدى الأزمانِ في الدُّنيا مديدهْ

---

(١) في (ط) : « السفيكي » وما أثبتناه عن (م) وهو في « الشذرات » : « الشيفكي » .

وثِـقْ بجميـع مـا فيـه فـإنّـي منحْـتُ العلـمَ فيـه مستفيـدهْ

إلهـي اجعلـه لـي ذُخْـراً وضـاعـفْ ثـوابـي مـن عَطـايـاك الحميـدهْ

وجـدْ بقبـولـه واجعـلْ جـزائـي رضـاكَ وجنّـة الخلـد المشيـدهْ

بجـاهِ محمّـدٍ خيـرِ البـرايـا ومنقـذهـم مـن الكـرَبِ الشـديـدهْ

وصـلِّ مسلّمـاً أبـداً عليـه وعـمَّ جميـعَ عِتـرتِـهِ السّعيـدهْ

وهو على أسلوب « الروض » جمع فيه مسائل « الروض » ومسائل « التجريد » وهو كتاب عظيم جامع لأكثر أقوال الإمام الشافعي وأصحابه ، وأبحاث المتأخرين منهم ، على الغاية من جزالة اللفظ وحسن التقسيم . ولقد اشتهر هذا الكتاب في الآفاق ، ووقع على حسنه ونفاسته الإجماع والاتفاق ، وكثر اعتناء الناس بشأنه ، وانتفاع الطلبة به ، واغتباطهم ببيانه ، واعتناء غير واحد من علماء الإسلام بشرحه ، كالعارف شيخ الإسلام أبي الحسن البكري ، فإنه شرحه بشرحين صغير وكبير ، كتب الصغير أولاً وجعله أصلاً ، وميّز فيه المتن من الشرح بخطوط سود ، ثم كتب على الحواشي زيادات كثيرة وميزها عن الشرح الأول ، وذكر أن ما دونها شرح صغير ، وأنها مع الشرح الصغير شرح كبير .

قالوا : وخط الشارح على غاية من الصعوبة ، بحيث عجز أكثر أصحابه عن استخراج خطه ، واستمر الشرح في المسودة لتلك الصعوبة ، ثمّ تصدى بعض الطلبة لتبييض الشرحين المذكورين ، فبيّضَ حتى وصل إلى نحو ثلث الشرح ، وانتهى ذلك إلى نحو من تسعين جزءاً .

وكذا شرحه شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى إلا أنه لم يتم ، بل قارب ثلث الكتاب فيما أظن . نعم ؛ عيب عليه فيه قوله « خلافاً للشيخين » في مواضع متعددة ، وقد تقرر أن الّذي عليه الفتوى الآن في مذهب الإمام الشافعي هو ما اتفق عليه الشيخان الرافعي والنووي ، فإن اختلفا فالنووي ، لأنه مُتعقِّبٌ ، ربما ظهر له ما خفي على الأول إلاّ ما اتفق المتأخرون قاطبة على أنّه سهو أو غلط ، وما عداه لا عبرة بمن خالف فيه .

نبّه على ذلك خاتمة المتأخرين شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى ، وذكر أن هذا هو ما أخذه عن مشايخه وهم عن مشايخهم وهكذا . انتهى والله أعلم . وهو في مجلد ضخم .

ومنها « تجريد الزوائد وتقريب الفرائد » في مجلدين . جمع فيه الفروع الزائدة على الروضة غالباً . وكتاب « تحفة الطلاب ومنظومة الإرشاد » في خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتاً ، وزاد على الإرشاد كثيراً من المسائل والقيود ، ونظم أوائله إلى « الرهن » في مدة طويلة ، ثم مكث نحو خمس عشرة سنة ، ثم شرع في تتمته فكمله في أقل من سنة .

وفتاوى جمعها ولده القاضي العلامة بركة المسلمين حسين بن أحمد المُزَجَّد ، ثم جمعها ابن النقيب وزاد فيها من تفقهاته ما لا غنى عنه . وله غير ذلك .

وتفقه به خلائق كثيرون منهم : أبو العباس الطَّنبذاوي ، وشيخ الإسلام ابن زياد ، والحافظ الدَّيْبع ، والعلامة محمد بن عمر بحرَق ، وصالح النماري ، وغيرهم من أكابر الأعيان واختلاف أجناس الطلبة من جهات شتى .

وله شعر حسن ومنه في الحصن الحصين : [من الوافر]:

إذا ما خفتَ من نوب الفَنَاءِ ... فلازمْ عدّة الحصنِ الحصينِ

وثِقْ بجميعِ ما فيها لتظفرْ ... سريعاً بالتخلُّص عن يقينِ

فقَدْ جرَّبْتُها فوجدْتُ فيها ... أمانَ الخائفين منَ المنُونِ

وفيها بُرء داءٍ لا يُداوى ... وتفريجٌ عنِ القلبِ الحزينِ

ومنه : [من البسيط]:

لا تصحب المَرْءَ إلاّ في استكانته ... تَلْقاه سَهْلاً أديباً ليِّنَ العُودِ

واحذرْهُ إنْ كانتِ الأيّامُ دولتَهُ ... لَعَلَّ يُوليكَ خُلقاً غيرَ محمودِ

فإنّه في مهاوٍ من تَغَطْرسِهِ ... لا يَرْعَوي لكَ إن عَادى وإن عُودي

وقلْ لأيّامه اللاّتي قد انْصَرَمَتْ ... باللهِ عُودِي علينا مَرَّةً عُودِي

ومنه : [من الخفيف]:

قُلْتُ للفَقْرِ أينَ أنتَ مُقيمٌ قالَ لي في محابرِ العُلماءِ
إنّ بيني وبينهم لإخاءً وعزيزٌ عليَّ قطْعُ الإخاءِ

وكان ينظم في اليوم الواحد نحو ثمانين بيتاً مع القيود والاحترازات . وله مرثية عظيمة في شيخه عمر الفتى .

قال حفيده شيخ الإسلام قاضي قضاة الأنام أبو الفتح بن حسين المُزَجَّد رحمه الله تعالى : كان جَدّي رحمه الله تعالى شرح « جامع المختصرات » للنسائي في ست مجلدات ، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه ، والله المستعان .

قال علامة العصر ومفتيه أحمد بن عبد الرحمن الناشري أبقاه الله تعالى : كان القاضي المشار إليه إذا سئم من القراءة والمطالعة استدعى بمقامات الحريري فيطالع فيها ويسميها طبق الحلوى . وولي قضاء عدن ثم قضاء زَبيد ، وباشر ذلك بعفة وديانة ، وطالت مدته فيها .

وحُكِي أنّه لما جاء إلى زَبيد وأتي إليه بمعلومها قال : جئنا من عدن إلى عدم ، وكأنّه ـ والله أعلم ـ كان غيرَ راض بهذه المرتبة لما فيها من الخطر العظيم ، وذلك لكمال ورعه واحتياطه في دينه واستحقاره لزهرة الدُّنيا ، ومنصبها .

وكان على جانب عظيم من الدِّين ، حتى قال بعضهم في عصره : لو جاز أن يبعثَ اللهُ نبياً في عصرنا لكان أحمد المُزَجَّد هو ذلك النبي .

قال النماري : ولما دخلت عليه وشرعت في قراءة « العباب » لديه أخذتني من دهشة الهيبة والعظمة ما منعني استيفاء ما كنت آلفه من الانبساط[1] في حال القراءة ، ففهم ذلك مني ، وأخذ يباسطني بذكر بلدي ، وأن منها الشاعر

---

(١) في (م) : « الاستنباط » تحريف وصوابه في (ط) .

الفلاني الذي قال في قصيدته ما هو كيت وكيت ، حتى زال عني ذلك الدهش ، وثابَتْ إليَّ نفسي .

قلت : والهيبة من علامات الأولياء ، ولا يعزب عنك ما مرَّ قريباً من أنه - أي المُزَجَّد - قال : ما دخلتني هيبة قط كما كانت تدخلني بين يدي الفقيه إبراهيم يعني شيخه إبراهيم بن أبي القاسم جعمان ، وبذلك يعلم أنه من وفقه الله ليعظم شيخه قيّض الله له من يعظمه من الآخذين عنه .

وكان رحمه الله تعالى ملازماً للعزلة والعبادة وتلاوة القرآن والدّفعِ بالّتي هي أحسن ، ويشهد له بذلك قوله من قصيدة : [من الوافر]:

فـلازمْ كسـر بيتـك فهـو أدعـى	لبعـدك عـن قبيـحِ الإعتيـادِ
وسامِحْ أهلَ عصرك واعفُ عنهم	وعِـشْ مسـتأنسـاً بـالإنفـرادِ
وقـل أقـرضتكـم عـرضـي جميعـاً	وقـد أبـرأتكـم يـومَ المعـادِ
لكـم حـقٌّ علـيَّ ولا أرى لـي	حقـوقـاً عنـدكـم هـذا اعتقـادي
لأنّـي عبـد سـوء ذو عيـوبٍ	يُصـاحُ علـيَّ فـي سُـوقِ الكَسَـادِ

وقال النماري : كان شيخنا المذكور أوقاته مرتبة ، يجعل أواخر الليل وأول النهار لدرس القرآن ، ثم يشتغل بما له من أوراد ثم بالتفسير ثم بالفقه ، ثم يخرج إلى الحكم إلى وقت الظهر ، ثم يقيل ، ثم يشتغل بالإحياء للغزالي ونحوه من كتب الرقائق ، وفي أواخر النهار ينظر في التواريخ ، إلى أن يخرج لمجلس الحكم بعد صلاة العصر ، لأنه كان يجلس للحكم في اليوم مرتين .

قال الشيخ جار الله بن فهد : انتفع به الناس وأخذ عنه الطلبة ، واستمر على عظمته ووجاهته حتى مات في دولة الأروام رحمه الله تعالى ، انتهى .

وحكى تلميذه العبد الصالح العلامة المفنن محمد بحرَق قال : « رأيت النبي ﷺ في المنام في ثغر عدن وقت السحر ، وبيده الكريمة كتاب يطالع فيه ، قال : فقلت له : ألك اطلاع يا رسول الله على تصانيف أمتك؟ قال : نعم . فقلت : ما تقول في عقيدة إحياء علوم الدين؟ قال : لا بأس بها .

فقلت : هل لك اطلاع على تصانيفهم الفقهية؟ قال : نعم ، ولم أر أجزل عبارة من إمام الحرمين ، وما رأيت مثل مجموع لأبي السرور الذي ضمنه « الروض » وزاد عليه باقي مسائل المذهب . فوقع ببالي أن المجموع المذكور هو « العباب » انتهى .

وكان بينه وبين سيدي الشيخ القطب شمس الشموس أبي بكر بن عبد الله العيدروس اتحاد كلي ، ولكل منهما إلى الآخر ميل قلبي ، وكانت بينهما محبة ومكاتبات ومواصلات ومراسلات ، ومدح هو العيدروس بقصيدة سبقت في ترجمته ، وفيه أيضاً يقول العيدروس نفع الله به : [من الطويل]:

سَلامٌ كوبْلٍ عمَّ في الكون ساجمُه	تفتّح عن نور الكمام مبَاسمُهْ[1]
سلامٌ يفوقُ المِسْكَ في نشرِ عطرِهِ	ويُزري بذوقِ الشّهدِ في فيِّ طاعمُهْ
على السيِّد الحبرِ العليم شهابنا	نواوي العُلا مفتي الزَّمانِ وحاكمُهْ
له في سلوكِ الدِّين أوضح منهجٍ	له من فُنونِ العِلْم أوفى مقاسمهْ
لكلِّ زمان عالمٌ يُقْتدى به	وهذا زمانٌ أنت لا شكّ عالمُهْ
بمجلسه تُجْلى العلوم ويَهْتَدِي	به كلُّ حبْرٍ ليتَ من هو مُلازمُهْ
يفكُّ عويصَ المُشْكلات درايةً	بديهته تُبدي خفيَّ مكارمهْ

وفيه يقول أيضاً من قصيدة له أخرى : [من الطويل]:

شهابُ العُلا غوثُ المَلا هو أحمدُ	وقاضي قضاة الوقت في مدّة العصرِ
فيومٌ له في العلم والفضل والحجى	يزيدُ على أعمار سبعٍ من النّسرِ
وفي العلمِ يَمٌّ لم يزلْ مُتلاطماً	يجلّ عن الإحصاء والعدِّ والحصرِ

ومناقبه كثيرة ، وترجمته طويلة كبيرة ، وقد أفردها بالتصنيف حفيده القاضي أبو الفتح بن الحسين المُزَجَّد في جزء لطيف سماه « منية الأحباب في مناقب صاحب العباب » .

---

(١) في (ط) و(م) : « سلام كوبْلٍ عمّ ساجمُه » ولا يستقيم معه الوزن ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وإذا تأملت ما أسلفناه عنه من الأخبار الجميلة والسير الحميدة ، علمت أنه من العلماء الأخيار الأبرار ، ولا ينافي ذلك ما كان متلبساً به من القضاء ونحوه ، فقد ابتلي بمثل ذلك غير واحد من العلماء الصلحاء ، كشيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري . وحسبك أن العيدروس ـ نفع الله به ـ وصفه بهذه الأوصاف الجليلة والنعوت الجميلة ، وإذا وقع من مثل هذا الرجل فيه مثل هذا القول ، فقد أغنى ثناؤه عن كل وصف ، والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف .

وكان لصاحب الترجمة أربعة أولاد : علي والحسن والحسين وعبد الرحمن ، وكل منهم أفتى في حياة أبيه ، ومات منهم اثنان في حياة أبيهما وهما : عبد الرحمن وحسن ، ورثاهما وحزن عليهما ، فوفاة حسن سنة تسع وتسعمائة ، ووفاة عبد الرحمن سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

● وفيها : في ليلة العشرين من شعبان توفي **الشيخ الإمام البارع النحوي اللغوي ، الأديب المفنن ، القاضي جمال الدين محمد**[1] **بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببحرَق** ـ بحاء مهملة بعد الموحدة ثم راء مفتوحة بعدها قاف ـ .

وكان من العلماء الراسخين ، والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، وتمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، وصنف في كثير من الفنون كالحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك وغير ذلك . وما رأيت أحداً من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز عبارة منه ، وله نظم حسن ، وهو أحد من جمع بين ديباجتي النظم والنثر ، فنثره منثور الرياض جاد بها السحائب ، ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب . [من البسيط]:

إنْ شاء أنشأ نثراً رائعاً وكذا ... إن ودّ أنشد نظماً يُشبه الدُّررا

---

(١) ترجمته في «الضوء اللامع» (٨/ ٢٥٣ـ٢٥٤) و«شذرات الذهب» (١٠/ ٢٤٤ـ٢٤٦) و«الأعلام» (٦/ ٣١٥ـ٣١٦).

وهو الذي يقول هذه الأبيات مجيباً لبعض الفضلاء الممتحنين له من أهل زمانه : [من الكامل]:

يـا مَـنْ أجـادَ غـداةَ أنشـد مقـولا ... وأفـاد مـن إحسـانـه وتفضّـلا
إنْ كنـتَ ممتحنـي بـذاك فـإنـنـي ... لست الهيوبة حيث ما قيل انزلا
وإذا تبـادرت الجيـادُ بحلبـةٍ ... يـومَ النِّزال رأيـت طِـرفـي أوّلا
قَسَمـاً بـآيـات البـديـع ومـا حـوى ... مـن صنعتيْـه مـوشَّحـاً ومسلسـلا
لـو كنـت مفتخـراً بنظـمِ قصيـدةٍ ... لبنيـتُ فـي هـامِ المجـرّة منْـزلا
مـن كـلِّ قـافيـةٍ يـروق سمـاعُهـا ... وتُعيـد سحبـان الفصـاحـةِ بـاقِـلا
ويـرى لبيـدٌ فـي بليـدٍ قلبـه ... حصـراً وينقلـب الفـرزدق أخطـلا
وعلـى جـريـر نجـرّ مطـرف نبهنـا ... ومهلهـلاً يُنـديـه نسـج مهلهـلا
ولئـن تنبّـا ابـن الحسيـن[1] فـإنـنـي ... سأكون في تلك الصناعة مُرْسَلا
أظننـت أنّ الشِّعـرَ يصعـب صـوْغـه ... عنـدي وقـد أضحـى لـديَّ مُـذلّـلا
أبـدي العُجـاب إذا بـرزت مفـاخـراً ... أو مـادحـاً للقـرم[2] أو متغـزّلا
لكنّنـي رجـلٌ أصـونُ بضـاعتـي ... عمّـن يُسـاوم بَخْسهـا متبـذّلا
وأرى مـنَ الجـرمِ العظيـم خـريـدة ... حسنـاء تهـدى للئيـمِ وتجتلـى
ما كنت أحسب عقرباً تحتكُّ بالـ ... أفعـىٰ ولا هُبَعـاً يـزاحـمُ بُـزّلا[3]
وأنـا الغـريـب وأنـت ذاك وبيننـا ... رحـمٌ يَحِـقُّ لمثلهـا أن تُـوصـلا

ولقد أجاد فيها كلَّ الإجادة ولله درُّه ، ولا يبعد أن براعته في الشعر لمعنى

---

(1) ابن الحسين : هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي ، الشاعر المشهور ت(٣٥٤هـ) .
(2) في (ط) « أو مادحاً للقوم . . . » وما أثبتناه عن (م) والقرم من الرجال : السيد المعظم .
(3) في (ط) : « ولا هيفا » وهو خطأ ، وصوابه في (م) ، والهُبَعُ : ما نتج في الصيف ، وسمي هُبَعا لأنه يهبع إذا مشىٰ ، أي يمد عنقه ويتكاره ليدرك أمه . والبزل : جمع بازل من « بزل البعير يَبْزُلُ بُزُولاً إذا فطر نابه أي انشق ، وذلك في السنة التاسعة » « اللسان » (بزل) .

أرثى من إمامه الشافعي رضي الله عنه ، فقد حكي عنه من ذلك الكثير ، وكان من فحول الشعراء وهو الذي يقول[1] : [من الوافر]:

ولــولاَ الشِّعْــرُ بــالعلمــاء يُــزري لكنــتُ اليــومَ أشعــرَ مــن لبيــدِ

● **فائدة :**

ذكر الإمام فخر الدين الرَّازي رحمه الله في كتابه « مناقب الإمام الشافعي رضيَ اللهُ عنه » قبل ذكرِ الأشعار المنقولة عن الشَّافعي مقدمة وهي : أنَّ إنشاء الشعر وإنشاده غير مذموم ، والدَّليلُ عليه النّصُّ والمعقولُ .

أما النَّصُّ : فما رُوِيَ أن رسول الله ﷺ استنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة بيت وقال : إن كاد يسلم . واستنشد من أبي بكر رضي الله عنه شعرَ قُسِّ ابنِ ساعدة وهو قوله : [من مجزوء الكامل]:

فــــي الــــذّاهبيــــنَ الأوليــ ــــن مــن القــرون لنــا بصــائــر
لمّــــا رأيــــتُ مــــوارداً للمــوت ليــس لهــا مَصــادر

وقد تلفظ عليه الصلاة والسلام بمصاريع من أبيات لبيد ، منها :[من الطويل]:

ألا كُــلُّ شــيءٍ مــا خَــلا اللهَ بــاطِــلُ وكــلُّ نعيــمٍ لا محــالــةَ زائــلُ

ومنها قول طرفة : [من الطويل]:

سَتُبدي لك الأيام ما كنْت جاهلاً ويـأتيـك بـالأخبـار مـن لـم تـزوّده

وكان الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ حاضراً فقال : بأبي أنت وأمي لم يقل القائل كذلك ، بل قال : « ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد »[2] .

---

(١) البيت في « ديوان الشافعي » ص ٣٩ ، ط : دار النور ببيروت .
(٢) ينظر كتاب « أحاديث الشعر » للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي .

وأما المعقول : فالنكتة فيه ما ذكره الشافعي رضي الله عنه ، وهو أن الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « إنّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً »(١) .

والمقصود من هذه المقدمة أن لا يقول جاهل : إنَّ صنعة الشعر لا تليق بالعلماء المجتهدين ، فإن ذلك جهل بالشعر ، لأن الشعر إذا كان مشتملاً على العلم والحكمة كان أشرف الكلمات . انتهى .

وبالجملة : فإنه كان آية من آيات الله تعالى ، وكتبه تدل على غزارة علمه وكثرة اطلاعه ، وكان غاية في التحقيق وجودة الفكر والتدقيق .

وكان مولده في ليلة النصف من شعبان سنة تسع وستين وثمانمائة بحضرموت ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، ومعظم « الحاوي » و« منظومة البرماوي » في الأصول « وألفية النحو » بكمالها . وأخذ عن جماعة من فقهاء حضرموت منهم : الفقيه الصالح محمد بن أحمد با جرفيل ، ثم ارتحل إلى عدن ولازم الإمامَ عبد الله بن أحمد مخرمة ، واشتغل عليه في الفقه وأصوله والعربية حتى كان جل انتفاعه به ، وقرأ عليه جميع « ألفية ابن مالك » في النحو ، وجميع « سيرة ابن هشام » وجملة صالحة من « الحاوي الصغير » في الفقه ، وسمع عليه جملة من علوم شتى ، وكذلك أخذ عن الفقيه الصالح محمد بن أحمد با فضل ، ثم ارتحل إلى زَبيد وأخذ عن علمائها ، فأخذ علم الحديث عن زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي ، وعلم الأصول عن الفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ ، وكذلك أخذ عنه التفسير والحديث والنحو ، وقرأ عليه « شرح البهجة الوردية » لأبي زرعة ، وأخذ

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٤٥) وأبو داود رقم (٥٠١٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه .

ورواه الترمذي رقم (٢٨٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » رقم (٢٥٥) وأطال الكلام عليه فليراجع .

أيضاً عن السيد الشريف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ، وألبسه خرقة التصوف ، وصحب الشيخ أبا بكر العيدروس ، وأخذ عنه وانتفع به ، فعادت عليه بركته . ولما حج في سنة أربع وتسعين وثمانمائة سمع من الحافظ شمس الدين السخاوي . وسلك السلوك في التصوف ، وحكي عنه أنه قال : دخلت الأربعينية بزَبيد ، فما أتممتها إلا وأنا أسمع أعضائي تذكر الله تعالى كلها .

ولزم الجد والاجتهاد في العلم والعمل ، وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء وتصنيفاً .

وكان ـ رحمه الله ـ من محاسن الدهر ، له اليد الطولى في النظم والنثر والخطب وغيرها .

وكان غاية في الكرم ، محسناً إلى الطلبة وغيرهم ، كثير الإيثار ، محباً لأهل الخير ، متصفاً بالإنصاف ، رجّاعاً إلى الحق ، مفضالاً جواداً سيداً ، قوي النفس ، مواظباً على أفعال الخير . وتولى القضاء بالشِّحْر ، فصدع بالحق ، وحمدت أحكامه ، وعزل نفسه عن القضاء ، ثم عزم إلى عدن ، وحصل له بها قبول وجاه عند أميرها مرجان ، ثم لما مات مرجان عزم إلى الهند ووفد على السلطان مظفر ، فقربه السلطان وعظمه ، ولما خبر علمه وفضله زاد في تعظيمه وتبجيله وأنزله المنزلة التي تليق به .

ومن تصانيفه : « تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية » ، و « الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية » ، و « مختصر الترغيب والترهيب » للمنذري ، وكتاب « الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة » ، وكتاب « عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر » ، وكتاب « العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين » ، وكتاب « الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول » ، وكتاب « العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية » ، وكتاب « الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة » . وذكر في كتابه « ترتيب السلوك » أن له على أبيات الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي

ثلاثة شروح « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » . و « مختصر المقاصد الحسنة » ، وكتاب « حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين » ، وكتاب « ذخيرة الإخوان » المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن ، وكتاب « النبذة المنتخبة من كتاب الأوائل » للعسكري ، وكتاب « ترتيب السلوك إلى ملك الملوك » ، وكتاب « متعة الأسماع بأحكام السماع » المختصر من كتاب « الإمتاع » ، وكتاب « النبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة » وكتاب « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » ، وكتاب « شرح الملحة » للحريري ، و« شرح لامية ابن مالك » في التصريف ، وهو شرح مفيد جداً . وله أيضاً عليها شرح أصغر منه ، واختصر شرح الصفدي على « لامية العجم » ، وله أيضاً رسالة في الحساب ورسالة في الفلك ، ومنظومة في الطب وشرحها ، وغير ذلك .

وبالجملة : فمحاسنه كثيرة وفضائله شهيرة . ومن مقاطِيعه : [من الخفيف]:

أنـا فـي سلـوةٍ علـى كـلِّ حـالٍ ... إنْ أتـانـي الحبيـب أو إنْ أبـانـي

أغنـمُ الـوصْـلَ إن دنـا فـي أمـانٍ ... وإذا مـا نـأى أعِـشْ بـالأمـانـي

وله أيضاً : [من الطويل]

لَئِـنْ بلـغَ الـزوّار خِيـفَ منـىً منّـا ... وأمناً برمْي الجمرِ من لَهبِ الجمرِ

فبـالمنحنـى مـن أضلعـي والعقيـق مـن ... دموعي على التشريق شاركتُ في الأجرِ(١)

وذكره السخاوي في « ضوئه » قال : وصاهر صاحبنا حمزة الناشري على ابنته وأولدها ، وتولع بالنظم ، ومدح عامر بن عبد الوهاب حين شرع في بناء مدارس بزَبيد والنظر فيها ، وكان من أولها فيما أنشدنيه حين لقيه بمكة وأخذه عليّ ، وكان قدومه ليلة الصعود ، فحج حجة الإسلام ، وأقام قليلاً ثم رجع :

[من الطويل]:

---

(١) في (م) : « على التسويف شاركت . . . » .

أبـى الله إلاَّ أن تحـوزَ المَفـاخـرا فسمّـاك مـن بيـنِ البـريَّـةِ عـامِـرا
عَمَرْتَ رُسومَ الدِّين بعد دروسها فـأحييـتَ آثـار الإلـه الـدّواثـرا
فأنتَ صلاحُ الدِّين لا شكَّ هذه شـواهـده تبـدو عليـك ظَـواهِـرا

قال : وكذلك أنشدني مما امتدح به المشار إليه بيتاً هو عشر كلمات وهو :

نشـرت بحـراً بـراً معينـاً نـاصـراً شمس الملوك صَلاحُ دينِكَ عامِرا

وضمنه في أربعة أبيات يستخرج منها الضمير من العشر فقال : [من البسيط]:

أيـدت دينـك يـا ربّ العُـلا أبـداً بنـاصـرٍ لملـوكِ الأرضِ قـد ضهـدا
أعني به عامراً شمسَ الملوك فكُنْ نصيـرَه أبـداً فـي كـلِّ مـا قصَـدا
وناصراً ومعيناً فهو شمسُ ضحىً أخفى نجومَ ملوك الأرض منذ بَدا
سمّيتَـه عـامـراً لمّـا أردتَ بـه صـلاحَ دينـك إرغـامـاً لمـن جَحَـدا

انتهى .

وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب يراسل الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس بقصائد يخبره فيها بأموره ويطلب منه الدعاء ، فكان الفقيه المذكور يجيبه عنها . والقصائد مذكورة مع جواباتها مثبتة في كتاب الشيخ أحمد بن الحسين الذي صنفه في أخبار والده وهي في غاية الفصاحة والبلاغة ، وأعظم شاهد على فضل الفقيه وما أودعه الله من السر فيه . وذكر الشيخ أحمد في الكتاب المذكور أنه اجتمع بالفقيه بحرق ومدحه وأطنب فيه غاية الإطناب رحمه الله . وستأتي قصيدته التي رثى بها الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس في ترجمته وهي في غاية الجودة .

ومن نظمه الحسن هذه القصيدة المسمطة التي امتدح بها شيخه سيدي الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس نفعنا الله ببركاته وهي :

سـأبيـحُ بـالغـرامِ كـم ذا تستّـر بعشقـي
وارفـغْ ذا اللّثـام أو خُـذ نصيبـي ورِزْقـي

زِدْنـــي فـــي المَـــلام ... يـــا عـــاذلـــي لا تبقـــي
واشهـــــر ذا الكـــلام ... فـــي كـــل غَـــرْب وشَـــرْقِ
مـــا للنّـــاس معـــي ... إذا هـــويـــت كـــل رَغْنَـــا
واحنيـــــتُ إصبعـــــي ... فـــي عِشْـــق سلمـــى ولُبْنـــى
وأصغـــــى مسمعـــــي ... لكـــلِّ معنـــى ومغنـــى
وســـأشـــرب مـــن مُـــدام ... الحـــبِّ يـــا صـــاحِ وأسقـــي
مـــا فـــي الحـــبِّ عـــار ... كـــلاً ولا فيـــه مـــن بـــاسِ
ســـأخلـــعُ ذا العـــذار ... وأحمله شهري على الرّاس
وأعصـــي مـــن أشـــار ... وأتـــرك رِضـــا النـــاس للنـــاسِ
مـــنْ كـــان مستهـــام ... مثلـــي فيـــأتـــي بشـــقِّ
والله العظيـــــــــم ... لا أرعـــــوي للعـــــواذل
لـــي ربٌ كـــريـــم ... بجـــوده الكـــل شـــامِـــل
كَـــرِّر يـــا نـــديـــم ... مِـــن مُطْـــرِبـــاتِ البـــلابـــل
حـــرِّك[1] يـــا غـــلام ... الـــدف مـــن كـــل طـــرقـــي
ســـأصـــرِّحُ وأقـــول ... عَشِقْـــتُ زيـــد المُسَمّـــا
وأغنـــمُ ذا القبـــول ... مـــن قبـــل إمّـــا وأمّـــا
مـــا للنّـــاسِ فضـــول ... مـــن هـــابهَـــم مـــاتَ غَمّـــا
دعهـــم فـــي ســـلام ... يسعـــد حـــد الله ويشقـــي
ســـأنثـــر فـــي الجلـــوس ... عقـــود دُرٍّ وعقيـــان
فـــي ابـــن العيـــدروس ... عـــالـــي المقـــامـــاتِ والشّـــان
منفـــوس النُّفُـــوس ... ومنْتَهـــى كـــل إنســـان
طـــال عمـــرهُ ودام ... لكـــلِّ فَتْـــقٍ ورتْـــقِ

---

(١) في (ط) : « حدّك . . . » وما أثبتناه عن (م) وهو المناسب للسياق .

وله قصيدة عظيمة سماها « العروة الوثيقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة » أجاد فيها إلى الغاية وشرحها شرحاً سماها « الحديقة الأنيقة » . وقد مر ذكره عند مؤلفاته ، وقد كتبت عليها أيضاً شرحاً مختصراً سميته « الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة » .

وله هذا اللغز وقد حله أيضاً بالنثر بعده ، وهو مذكور بعبارته . قال : [من البسيط]:

يـا مُتقنـاً كلمـات النّحـوِ أجمعهـا حـداً ونـوعـاً وإفـراداً ومنتظمـهْ
مـا أربـع كلمـات وهـي أحـرفُهـا أيضـاً وقـد جمعتهـا كلّهـا كلمـهْ

ثم قال : هذا في تمثيل الوقف على هاء السكت أي قولك (كلمة) فالكاف في قولك كلمه للتمثيل ، واللام للجر ، والميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها ، والهاء للسكت .

ووجدت بخطه ما صورته : [فرع] لو صدر منه لفظ محتمل للطلاق فظنه طلاقاً أو أفتاه جاهل بوقوع الطلاق البائن ، فأقر عند الشهود أنه طلقها ، أو أنشأ طلاقاً آخر مع اعتقاده أنها قد بانت باللفظ الأول ، لم يؤاخذ بإقراره ، لم يقع طلاقه الثاني لأنه مبني على ظن فاسد ، والله أعلم . قاله محمد بن عمر بحرَق الحضرمي كان الله معه .

ومن كراماته : ما حكي أنه حضر مجلس بعض الوزراء بالهند ، وكان في ذلك المجلس رجل من السحرة ، فبينما هم كذلك إذ ارتفع ذلك الساحر وقعد في الهواء . قال : فوقع عندي من ذلك واستغثت بالنَّبيِّ ﷺ وأومأت إليه بفردة من حذائي ، فما زالت تضربه إلى أن رجع إلى مكانه بالأرض .

وحكي أنه وقع بينه وبين بعض وزراء السلطان بحث ، فاحتقره ذلك الوزير ، فتعب الفقيه من ذلك فدعا عليه ، فنهب بيته في ذلك اليوم ، ونفد[1]

---

(١) في (ط) « وأخذ » .

جميع ما كان فيه ، فجاء إلى الفقيه معتذراً ومستعطفاً ووصله بشيء ، وطلب منه الدعاء ، فحسب أنه فعل ذلك ، وإذا بالخبر يأتيه من عند السلطان بالإجلال والتعظيم ، ويُرَدُّ جميع ما نُهب له ، وأن الّذي وقع من ذلك إنّما كان غلطاً ، فإنه أمر بنهب بيتِ غيره ، فَرُدَّ جميع ما أخذ له .

وحكي أن أمَّ الفقيه كانت من جواري الشيخ عبد الله العيدروس ، فيرون أن تلك البركة كانت فيه بسببها .

وحكي أنه مات بالسم ، وسبب ذلك أنه حظي عند السلطان إلى الغاية ، فحسده الوزراء على ذلك ، فوقع منهم ما أوجب له الشهادة ، وناهيك بها من سعادة .

ومن أحسن ما قيل فيه هذا الدوبيت لبعضهم يمدحه :

لأيِّ المعاني زِيدت القاف في اسمكم وما غيّرت شيئاً إذا هي تذكرُ
لأنّك بحرُ العلمِ والبحرُ شأنه إذا زيدَ فيه الشيء لا يتغيّرُ

ومثله قول الآخر فيه أيضاً : [من البسيط]:

فأنتَ بحرٌ وقاف ما لَهُ طَرَفٌ محمّدٌ إسمك المعروف مَوصوفا
سَميُّ خيرِ الأنام الطُّهر من مضرٍ[1] يهنـاك يهنـاك هـذا الفخرُ تَشْريفا

● وفيها : توفي **الشهاب أحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله الكناني الحوراني المقرىء الحنفي المغربي**[2] نَزيل مكة ببلده غزة ، ودفن بها . وولد في حدود الستين وثمانمائة بغزة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و« مجمع البحرين » و« طيبة النشر » وغيرهما ، واشتغل بالقراءات وتميز فيها ، وفهم العربية واشتغل فيها ، وقطن مكة على خير وانجماع مع تحرز وتبجل . كذا ذكره السخاوي قال : وقد لازمني في الدراية والرواية ، وكتبت له إجازة ،

---

(١) في (ط) : « الطاهر من مضى » وهو تحريف .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (١/٣٠٩) و« الطبقات السَّنية » (١/٣٥٧) و« شذرات الذهب » (١٠/٢٣٧) .

وسمعته ينشدني نظمه : [من الطويل]:

سـلامٌ علـى دارِ الغُـرورِ لأنّهـا مكـدّرةٌ لـذّاتِهـا بـالفجـائـعِ
فـإنْ جَمَعَـتْ بيـن المحبِّيـنَ سـاعـةً فعمّـا قليـلٍ أردفـتْ بـالمـوانـعِ

قال : ثم قدم القاهرة من البحر في رمضان سنة تسع وثمانين ، وأنشدني من لفظه قصيدتين في الحريق والسيل الواقع بالمدينة ومكة ، وكتبهما لي بخطه ، وسافر لغزة لزيارة أمه ، وأقبل عليه جماعة من أهلها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : وبعد المؤلف اجتمعت به في غزة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وهو يعظ بها ويخطب نائباً بجامع الأشرف قايتباي فيها ويقرىء الأبناء ، مع فقره وفضله وحسن نظمه ، وكتبت عنه بعضه ، وقال لي : إنّه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وتردد إلى المدينة واليمن وزيلع ، وأخذ عن جماعة فيها وفي القاهرة . وهو مبارك متقشف نفع الله به .

● **وفيها : توفي الشريف بركات بن محمد[1] ، سلطان الحجاز ، والد الشريف أبي نُمَي .**

* * *

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١/ ١٦٤) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٢٣٨) و « الأعلام » (٢/ ٤٩) .

سنة إحدى وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وثلاثين عند طلوع الفجر ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان توفي **الشيخ العلامة عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السّنباطي القاهري الشافعي** ، ويعرف كأبيه بابن عبد الحق[1] بمكة ، فجهز في يومه ، وصلي عليه عند باب الكعبة عقيب صلاة الجمعة بعد النداء له على زمزم ، وشيعه خلق بحمل جنازته على الرؤوس وطابت برؤيتها النفوس ، ودفن بالمعلاة ، ورثاه جماعة بمراثٍ مطولة منهم : تلميذه الأديب الزيني عبد اللطيف الديري الأزهري ، وقال مضمناً لتاريخ وفاته في ثلاثة أبيات وهيَ : [من الطويل]:

تـوفِّـيَ عبـدُ الحـقِّ يـوم عَـروبـة ... بمكّـة عِنْـدَ الصُّبْـحِ بـدء تمـامـهِ

قَضى عالمُ الدُّنيا كأن لم يكنْ بها ... سَقَـى الله قَبْـراً ضمّـه مـن غمـامـهِ

وزِدْ واحـداً فـوقَ الثّـلاثيـن مُـرْدفـاً ... بتسـع مئيـن اجعلـه عـام حِمـامِـهِ

وفجع الخلق بموته ، وكثر الأسف عليه .

وبالجملة : فإنه كان بقية شيوخ الإسلام ، وصفوة العلماء الأعلام ، وكان مولده في أحد الجمادين سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بسنباط ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « المنهاج الفرعي » ، ثم أقدمه أبوه القاهرة في ذي القعدة سنة خمس وخمسين، فحفظ بها « العمدة » ، و « الألفيتين » ، و « الشاطبيتين » ، و « المنهاج الأصلي »، و « تلخيص المفتاح »، و « الجعبرية » في الفرائض ، و « الخزرجية » . وعرض على خلق كالجلال البلقيني ، والمحلي ، وابن الهُمَام ، والدّيري ، وأبي الفضل المغربي ، والولي السّنباطي ، والبدر

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٤/٣٧ـ٣٩) و« متعة الأذهان » الورقة (٧/٤٤) و« الكواكب السائرة » (١/ ٢٢١ـ٢٢٣) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٢٤٨ـ٢٤٩) .

البغدادي . وجدَّ في الاشتغال فأخذ عن الأولين يسيراً ، والفقه عن المناوي ولازمه والعبادي ، ومن قبلهما عن الجلال البكري والمحيوي الطوحي ، وكذا أخذ فيه عن الفخر فلان[1] والزين[2] زكريا ، والجُوْجري . والأصلين عن التقي الشمني والحصني والأقصري والشّرواني ، وأصل الدين فقط عن زكريا ، وأصل الفقه فقط عن السّنهوري ، وكذا أخذ عنه وعن النّفيس والنّور الوراق والآمدي العربية ، وعن الحصني والعزّ عبد السّلام البغدادي الصرف ، وعن الشّرواني والسّنهوري والنّفيس المعاني والبيان ، وعن الوراق والسيد علي الرضي الفرائض والحساب ، واليسير من الفرائض فقط عن أبي الجود ، وعن الشّرواني قطعة من « الكشاف » وحاشيته ، وعن السَّيف الحنفي قطعة من أولهما ، وبعض « البيضاوي » عن الشُّمُني ، و « شرح ألفية العراقي » بتمامه عن الزين قاسم الحنفي ، والكثير منه عن المناوي ، والقراءات بقراءته أفراد الغالب السبع وجمعاً إلى أثناء الأطراف عن النّور الإمام وجمعاً تاماً عن ابن أسد ، بل قرأ على الشهاب السكندري يسير النافع ، إلى غير هؤلاء وبعضهم في الأخذ أكثر من بعض ، وجل انتفاعه بالتقي الحصني ثم بالشمُنّي ، ومما أخذه عنه حاشيته على المغني والشّرواني .

وأجاز له شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، والبدر العيني ، والعزّ بن فرات وآخرون ، فأذن له غير واحد بالتدريس والإفتاء . وولي المناصب الجليلة في أماكن متعددة كتدريس الحديث في موضعين ، ومشيخة الصوفية ، وغير ذلك . وتصدى للإقراء بالجامع الأزهر وغيره ، وكثر الآخذون عنه . وحجَّ مع أبيه ، وسمع هناك يسيراً ، ثم حجَّ بعده في سنة اثنتين وثمانين ، وجاور بمكة في السَّنة الّتي تليها ، ثم بالمدينة النبوية الّتي تليها ، ثم بمكة أيضاً ، وأقرأ الطلبة بالمسجدين متوناً كثيرة ، بل أقرأ بجانب الحجرة النبوية

(١) هكذا وردت في (م) و(ط) وفي حاشيته (كذا بالأصل) .

(٢) في (ط) « والدين » وما أثبتناه في (م) .

غير واحد من الكتب ، ثم رجع فاستمر على الإقراء والإفتاء . هذا ملخص ما ذكره السَّخاوي ، قال : وهو على طريقة جميلة في التواضع والسكون والعقل ، وفي ازدياد من الخير بحيث أنه الآن أحسن مدرسي الجامع .

قال الشيخ جار الله بن فهد : وبعد وفاة المؤلف سنة ثلاث وتسعمائة عاد لمكة من الحاج ، وجاور بها في السنة التي تليها ، وزار المدينة وأقرأ بها عدة علوم ، ثم رجع مع الحاج ، وأقام بالقاهرة يدرس الفقه والحديث وكنت أحد القراء عليه ، بل لا يخلو ساعة من النهار مع ضعفه بالمرض وكبر سنه وكثرة عائلته وقلة ما بيده . ثم توجه إلى المدينة في أثناء جمادى الأولى ، وأقام بها إلى آخر رجب ، ثم رجع لمكة وسافر مع الحاج . قال : ثم ملَّكَ كتبه لأولاده ونزل لهم عن وظائفه ، وتخلى عن الدنيا وتكفل به أولاده الثلاثة ، فانتفع به خلائق لا يحصون ، ثم عاد لمكة في موسم سنة ثلاثين بأولاده وعائلته وأقاربه وأحفاده ليموت بأحد الحرمين ، فانتعشت به البلاد ، واغتبط به العباد ، فأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وألحق الأحفاد بالأجداد . واجتمع فيه كثير من الخصال الحميدة كالعبادة والعلم والتواضع والحلم وصفاء الباطن والتقشف وطرح التكلف ، بحيث علم هذا من طبعه كل من اجتمع به ، ولا زال على جلالته وعظمته ، إلى أن توفي رحمه الله .

* * *

سنة اثنتين وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء سابع صفر سنة اثنتين وثلاثين توفي الشيخ الكبير والعلم الشهير قطب العارفين وسلطان العاشقين ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السُّودي[1] الشهير بالهادي اليمني بتعز ، وقبره مشهور بها يُزار ، وعليه قبة عظيمة . أحد الأولياء الكبار والمشايخ المشهورين في الأقطار ، وأحد من تنزل عند ذكرهم الرحمة ، وكان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، ودرّس وأفتى ، ثم طرأ عليه الجذب وصدرت منه أمور تدل على أنه من العارفين بالله ، ورُويت عنه كرامات .

وله ديوان مشهور ، وشعره رائق جداً على طريقة أهل التصوف ، ونظمه هذا ما وقع إلاّ بعد الجذب .

وحكي أنه كان ما يقوله إلاّ في حال الوارد مثل ابن الفارض ، فكان يكتب بالفحم فوق الجدران ، فإذا أفاق محى ما كتبه من ذلك ، وكان فقراؤه بعد أن علموا منه ذلك يبادرون بكتب ما وجدوه من نظمه على الجدران ، فيجمعونه بعضه إلى بعض .

وحكي أن بعض المنشدين أنشد بين يديه قصيدة من نظمه ، فطرب لها وتمايل عليها ، ثم سأل عن قائلها ، فقيل : إنها من نظمك ، فأنكر ذلك ، وقال : حاشا ما قلت شيئاً ، حاشا ما قلت شيئاً .

وكان مولعاً بشرب القهوة ليلاً ونهاراً ، وكان يطبخها بيده ، وكان لا يزال [قدرها][2] بين يديه ، وقد يجعل رجله تحتها في النار مكان الحطب ، وكان

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٦٢ـ٢٦٥) و« الأعلام » (٢٨٩ـ٢٩٠) .

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

=

كل ما يأتي إليه من النذورات إنْ كان من المأكولات طرحه فيها ، أو من غيرها أوقد به تحتها ، كائناً ما كان من ثوب نفيس أو عود أو غير ذلك .

وقيل : إنَّ السلطان عامر بن عبد الوهاب بعث إليه بخلعة نفيسة ، فألقاها تحتها فاحترقت ، فبلغ ذلك السلطان فغضب ، وأرسل يطلبها منه ، فأدخل يده في النار وأخرجها كما كانت ، ودفعها إليهم . وقد أشار إلى هذا الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير في قصيدته التي عارض فيها شيخ الإسلام أبا الفتح المالكي وكلاهما مدح القهوة[1] فقال :

قَهــوة البُــنِّ جــلُّ مَقْصُــودي	فــــي الخَفَــــا والعَلَــــنِ
هــامَ فيهــا إمــامُنــا السُّــودي	قُطْــــب أهــــل اليمــــنِ
وطبخهــا بــالنَّــدِّ والعــودي	وبغــــالـــي الثمــــنِ
مــن ثيـاب حـريـر مـع قطـن	فـــاخــــر الملبــــس
وبــذاكــم خَــوارق تثنــي	عليــــه لــــم تــــدرس

وحكي أنه كان يقرأ في الفقه على بعض العلماء ، فلما وصل إلى هذه المسألة « والعبد لا يملك شيئاً مع سيده » كرر هذا السؤال على شيخه كالمتفهم[2] ، واعترته عند ذلك هيبة عظيمة وبهت وحصل عليه الجذب .

وبالجملة : فإنه كان آية من آيات الله ، وأقواله تدل على حاله في المحبة ومقامه في المعرفة ، وكذا تدل على تفننه في العلوم الظاهرة مثل النحو والبديع والمعاني والبيان وغير ذلك ، وعلى اطلاعه على الأخبار السالفة والأمثال السائرة ، حتى كأنما جميع العلوم والمعاني كانت ممثلة بين عينيه يختار منها التي يريد ، ولا يعدل عن الشيء إلاَّ إلى ما هو خيرٌ منه .

وعلى نظمه قبول عجيب ، وفيه تأثير غريب ، فإنه السهل الممتنع ، يفهمه

(١) في (ط) : « القوة » تحريف ، وصوابه في (م) .
(٢) في (ط) : « كالمستفهم » وما أثبتناه عن (م) .

كل أحد مع متانة عبارته ، وتتأثر به الناس غالباً ، ويكثر عليه وجد المتواجدين ، بل قيل : إنه فارضي اليمن ، وهو رقيق جداً ، تقبله الطباع ويفهمه الخاص والعام ، ويذكر الأوطان ، وبهيج الأشجان ، فهو في رقته يشبه كلام التلمساني والحاجري رحمهما الله تعالى : [من البسيط]:

شاهِدْ جمال محيا غاية الطّلبِ ... تظفرْ فديتك بالأعلى من القُرَبِ
ولا تكن عن حياةِ الرُّوحِ مشتغلاً ... بالتّرّهات فما هذا من الأدبِ
والحظْ محاسن تسبي العقلَ أجمعه ... من السّرور بها والأنس والطَّرب[1]
وخلِّصِ القلبَ من أكوان غُربته ... وادخل حِمى ربّةِ الأستارِ والحُجُبِ
وانسَ العلومَ وما قد كنت تكتبهُ ... فَمَحْوُهُ واجبٌ من كلِّ مكتتبِ
وانهضْ إلى العالم الأسنى على قدم التّـ ... ـجريد لا تلتفت يوماً إلى سببِ
واصرفْ على حسن مَن تَهوى وِصالهم ... جسماً وروحاً وهذا ليس بالعجبِ
ولا ترد عوضاً عنهم إذا قَبِلوا ... فالكلّ ملكهمُ ما فُهْت بالكذبِ
ما أنت لولاهم أجرَوا عنايتهم ... عليك إلاَّ محلُّ الشكِّ والرّيبِ
لولا تعرّفهم ما كنْتَ تعرفهم ... ولا رُفِعْتَ إلى شيء من الرُّتبِ
هم أهّلوك لهم جُوداً ومَكْرمةً ... وبلّغوك الّذي ترجو من الأَرَبِ[2]
سافِرْ إلى حضرةٍ عليا مقدّسة ... تصحّ من ألمِ الأغيارِ والنَّصبِ
ومن مقالك لِمْ هذا وكيفَ وهَلْ ... لا كان هذا مقال الجَهْلِ والعَطَبِ
وكُنْ عبيداً لهم لا تعترض أبداً ... واضممْ جناحك مع هذا من الرَّهبِ
وإن بَدا وجهُ ذات الخال صلِّ له ... واسجد كما جاء في القرآن واقتربِ
واشطحْ على سائر النسّاك إن عَذَلوا ... وقل لمن لامَ من عجْمٍ ومن عربِ
فنيت عنّي بها يا صاح إذ بَرَزَتْ ... وغبت إذ حضرَتْ حقاً ولم تَغِبِ
فما أبالي إذا ما لُمتني أبداً ... وربّما ذُقْت طعمَ اللّوم كالضّربِ

---

(١) في (ط) : « . . والأنس والطلب » .
(٢) في (ط) : « . . . من الأدب » .

ومنه : [من الكامل]:

يـا عُـربَ نَجْـدٍ أنتـمُ لـي فِتْنَـةٌ   وبطيـبِ ذِكْـركـمُ ألـذُّ وأطـربُ

وأغيـبُ عـن كلِّـي وحقكـمُ بكـمْ   وعـذابكـمْ يحلـو لـديَّ ويعـذبُ

وإذا شهـدتُ جمـالكـمْ وجـلالكـمْ   فجميـع مـا يحـوي الـوجـودُ مغيَّـبُ

رَمِدتْ عيونٌ ليس تلحظُ حُسْنكم   هل ظاهر عن غير أعمى يحجبُ

روحٌ بحبّكـمُ تحلّـى جيـدُهـا   عنهـا المعـارف كلهـا لا تغـرِبُ

يـا سـادتي بـل يـا أحبـةَ مُهْجَتـي   كـم ذا عـن الـرّبـع الأنيـس تغرُّبُ

إن دامَ هـذا الهَجْـرُ هـا أنـا ميّـتٌ   حـاشـا يُضـامُ نـزيلُكُـم ويخيَّـبُ

ومنه : [من السريع]:

يـا سـادة مـا عنهـمُ مـذهـبُ   فـي حبّكـم لـي مـذهـبٌ مـذهـبُ

قـد رامَ منِّـي عـاذلـي تـركـه   لكنّـهُ فيمـا نَـوَى أشْعَـبُ

مـن أيـن تَسْلُـو عنكـم مُهْجتـي؟   وفيكـمُ الأمثـال بـي تُضْـربُ

يـا ساكنـي وادي عُـذَيـب الهَـوى   تعـذيبكـم كـالشَّهـدِ يُستعـذبُ

بـدَّدْتُـمُ شَمْلـي فَيـا هَـل تـرى   بعـد الجَفـا يصفـو لـيَ المَشْـربُ

أستـودع الله الـزمـان الّـذي   مـا فـارقـتْ ربعـي بـه زينـبُ

نـاشـدتـك الله نسيـمَ الصَّبـا   مـن أيـن هـذا النَفَـسُ الطّيِّـبُ؟

هـل أنت مـن ليلـى بشيـر الـرِّضـا   أم أنـت عـن أسـرارهـا تعـربُ؟

أم جُـزْتَ فـي رَوْضٍ بـه قـد مَشَـتْ   أم ثَغْـرهـا قبّلـك الأشْنَـبُ؟

فهـاتِ أطـربنـي بـأخبـارهـا   فعهـدك اليـوم بهـا أقْـرَبُ

عجبـت دهـراً مـن رجـالٍ صَبَـوْا   فـاليـوم منِّـي عَجَـبٌ يعجـبُ

يـا أهـل نَجْـدٍ هـذه قصّتـي   لكـنْ إليكـم منكـم المَهْـربُ

ومنه : [من الوافر]:

معـاذَ الله أن أسلـو عُـريبـاً   هواهم في الحشى أرسى خِيامَهْ

ثَمِلـتُ بهـم ومـا خـامَـرْتُ خمـراً   ولا دانيـتُ أدنـان المُـدامَـهْ

رعـــى اللهُ الأبيـــرقَ والمصلّـــى ... وبـان الحـيّ مـا سَجَعَـتْ حمَـامَـهْ

فتلـك مـواطـن الصَّـبِّ المعنّـى ... بهـا الأرواح صـارت مُستَهـامَـهْ

علـى عُـرْبٍ بهـا منّـي سـلام ... يكـون المسْـكُ مـن قبلـي خِتـامَـهْ

ومنه : [من المديد]:

ليـسَ عِنْـدَ الخَلْـقِ مـن خَبـرٍ ... عنـكَ يـا أغلـوطـةَ الفِكـرِ

تـاهَـتِ الألبـابُ فيـكَ ومـا ... ميَّـزَتْ ورداً مـن الصّـدرِ

حَيْـرَةٌ عمّـت فـأيُّ فتـىً ... رامَ عِـرْفـانـاً ولـم يَحِـرِ

عمّيـت أنبـاء ذاك علـى ... كـلِّ مـن فـي البَـدْوِ والحَضَـرِ

وغـدا يسـألُ بعضُهـمُ ... عنـكَ بعضـاً عـلّ مـن ظفـرِ

فـانثنـوا والله مـا وقعـوا ... لا علـى عيـنٍ ولا أثـرِ

بـل عظيـمُ القـومِ مطلبُـه ... شـدّة التّحييـر والحصـرِ

كيـف حـاروا فيـك واعجَبـاً ... يـا مُنـى سَمعـي ويـا بَصَـري

أنـت لا تخفـى علـى أحـدٍ ... غيـر أعشـى[1] الفِكْـر والنّظَـرِ

أو علـى شخـص بـه كَمَـهٌ ... لـم يشـاهـد صـورةَ القَمَـرِ

بـالظّهـور الصّـرْفِ محتجـبٌ ... أنـت هـذا صـحّ فـي الأثَـرِ

أنـت فيهـم ظـاهـرٌ وبهـم ... ولهـم لـولا بقـاءُ الأثـرِ

لـو تـلاشـتْ عنهـم ظلـم ... وانمحـوا عـن عـالـم الصّـوَرِ

شـاهـدوا مَغنـاك منبسطـاً ... سـاريـاً فـي سـائـر الفِطَـرِ

ودروا أن الحجـابَ هـمُ ... عـن شهـود المنظـر النّضِـرِ

وقَضَـى يعقـوبُ حـاجتَـه ... وانتهـى زَيْـدٌ إلـى الـوَطـرِ

ومنه : [من الخفيف]:

ثِـقْ بمـولاك فـي جميـعِ الأمـورِ ... واحسبِ النَّاسَ كلَّهم في القُبورِ

وارجُ مِنـه العَطـاء لا مِـن سـواه ... فهـو يُـوليـكَ كـل فَضْـلٍ وخيْـرِ

---

(١) في (ط) : « غير عشق. . . » تحريف .

لا تُعَوِّلْ إلاَّ عليه تعالى عن شريكٍ في ملكه وظهيرِ

كلّ مَنْ في الوجود كَلٌّ عليه[1] ليس يرجون غيره من نصيرِ

عنده ما تروم من كل خَيْرِ جلّ من خالقٍ عظيم قديرِ

فالزمِ البابَ لا تحل عنه يوماً لم يفزْ غير من حظي بالحضورِ

فهو بابٌ مجرّبٌ للأماني فيه ما شئت من منى وسرورِ

حسبي الله من جميع البرايا وكفى عن غنيِّهم والفقيرِ

فهو غوثي إذا طلبت غياثاً ومُعيني على المراد الخطيرِ

عمّ بالفَضْلِ كل عبدٍ وحرٍّ فهم بين حامدٍ وشكُورِ

وصلاة الإله في كلِّ يومٍ وأوانٍ على البشير النّذيرِ

ومنه : [من الكامل]:

يا مقعدَ العَزمات يا عبْدَ الهوى يا بانياً والبَيْنُ يهدمُ ما بنى

زرني أعلّمك الهوى وفنونَه واشتمَّ أنفاسي يزُلْ عنك العنا

فأنا إمام جيوشه وجنوده وأنا الدليل لهم على كنز الغنى

لي في الغرام حقائقٌ ودقائقٌ من نالها أو بعضها نال الهنا

يا نازلين على منىً وحياتكم ليس القتيل بحبّكم إلاّ أنا

أنتم سكنتم في سويْدا مهجتي لِمَ لا أصير لسرّكمْ كلّي أنا

لكم الجمالُ بديعه وغريبه والحب لي ما شطّ منه وما دنا

يا مَنْ أعيذ جمالهم بجلالهم ما كان فيه رضاكمُ فهو المُنى

لا تحسبوني خائفاً من هَجْركم أو راجياً لدوام وصْلٍ يُجْتنى

هيهات لي شغل بكم عن ذا وذا وبكم عليكم في الهوى إذلالنا

ما قدْرُنا ما نحن حتّى إنّنا طِبْنا بكم لولاكمُ طبتم بنا

لولاكمُ ما شاقني بان اللّوى كلاّ ولا وادي النَّقا والمُنْحنى

وقد خمَّسَ هذه القصيدة سيدنا ومولانا وشيخنا وأستاذنا العارفُ بغوامض

---

(١) في (ط) : « . . كل عليم » .

الحقائق ، الجامعُ للطائف أسرار الدقائق ، المعربُ عن مغيبات الأسرار ، المغربُ بلدنيات الأخبار ، مظهر الصفات الأزلية ، مهبط الرحمات الأبدية ، شيخنا السيد حاتم بن أحمد الأهدل ، أعاد الله علينا من بركاته آمين ، تخميساً بديعاً بحيث يظن أنها لواحد .

وكان السيد حاتم المذكور من آيات الله الكبرى وأعجوبة الزمان الّذي بهر الورى ، ليس له نظير في أحواله وأقواله ومقاماته ، وكانت له يد في جميع العلوم لكن غلب عليه علم التصوف ، فكان ابنَ عربيِّ زمانه ، ويومي أوانه ، لم ير مثل[1] نفسه ، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته ، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة ، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة ، وكانت له أحوال فاخرة ، وكرامات باهرة ، ظهرت بركات أنفاسه على خلق كثير من العصاة ، فتابوا وأنابوا إلى الله تعالى ، ووصل به خلق عظيم إلى الله عز وجل ، وصار له أصحاب وأتباع كالنجوم .

وبالجملة : كان قطب زمانه وسيِّد وقته وسر الله بين خلقه ، والتطويل بذكر كراماته تطويل في مشهور وإسهاب في معروف . وكنت أحب لقاءه وأحدث نفسي به ، وأنا شغف بحبه كلف بقربه ، فعاق دون لقائه بعد الشقة وضعفي عن تحمل المشقة ، وتأسفت بعد موته جداً حيث لم أكن ذهبت إليه وفزت من علومه ومعارفه فيما بقي من عمره بما يخرج فضله عن الحدِّ والحصر ، وما علمت أنّي أصبت في عمري بمثل مصابي به ، ولكن قضاء[2] الله سبحانه وتعالى غالب ، ومطلوبه لا يخرج عنه من الطالبين طالب ، وكان قد وصلتني منه قبل وفاته بنحو تسع سنين مكاتبة جواب كتابي إليه ، فلما حصل اليأس من الاجتماع به أنشدت في ذلك هذه الأبيات :

أفـدي زمـانـاً نعِمْـتُ بـهِ ... ثَغْـر الـزّمـان كـان فيـه بـاسِـمْ

(١) لم ترد الكلمة في (ط) .
(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .

عَصْـــرُ الشّبـــابِ لـــه رَوْنَـــقٌ ... سيّمـا إن يكـن الخـلُّ فيـه راحـمْ

حظيـــتُ فيـــه بـــورود خطـــابـــه ... وكـــان مكتـــوبـــهُ خيـــر قـــادمْ

كنّـــا نـــؤمّـــل ونـــرجـــو دائمـــاً ... لِقـــاهُ والله فـــي أشـــرف المـــواسـمْ

فَشَـــح بـــاللّقـــا وحـــرمتـــه ... واعجبـــاه مـــن بخـــل حـــاتـــمْ

حـــاشـــا عـــلاه حـــاشـــاه أن ... يحـــرم الـــرّاجـــي المكـــارمْ

لئـــن قصّـــرت فـــي قصـــدي لـــه ... فقـــد كنـــت فـــي ذكـــري لـــه دائـــمْ

أُســـائـــلُ الـــركبـــان عنـــه أبـــداً ... وشغفـــي بـــه لا يـــزال مُـــلازمْ

وكـــان شـــوقـــي لـــرؤيتـــه متـــزايـــداً ... وكـــان حبّـــي لـــذاتـــه مُتقـــادمْ

ومـــع هـــذا فـــاشتغـــالـــي بســـواه ... كـــان والله مـــن أعظـــم الجـــرائـــمْ

كـــذا وتســـويفـــي[1] بلقـــاه ... كـــان والله مـــن أعظـــم العظـــائـــمْ

لقـــد أُصبـــت بفقـــده مصـــابـــاً ... مـــا أظـــنّ أصيـــب بمثلـــه العـــوالـــمْ

نسخة ما كتبه ومن خطه الشريف نقلت بحروفه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حمداً لله يا من عمَّ الخلقَ إحسانه ، وشكراً لك اللهم على ما أسديت[2] من بركة الإيجاد والوجود ، وأنعمت من المدد المتوالي إمكانه ، والصلاة والسلام على من خص بالسبق في ميادين الشهود وعمم إرساله ، فلم يشذ عن أمره ونهيه من وسم برسم الوجود ، فهو السابق إلى مجالي الأرواح ، والفاتق رتق حضرة الواحدية لظهور الإظهار وبروز الأشباح ، ﷺ صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ، ولا أمد لها ولا انقضاء ، ما دامت التجليات الذاتية مدار الحضرات الصفاتية وما قبلت القوابل الأحمدية فيوض الكمالات الإلهية من الأسرار المحمدية والأنوار القاسمية ، حتى يظهر الاسم الظاهر بكماله في ذات مولانا وسيدنا الشريف الولي المقرب عبد القادر العيدروس ظهوراً ملتحقاً بالجمال لجلاله ، معتجراً بالمجد الباذخ المجيد

(١) في (ط) : « كذا وتشويقي . . . » .

(٢) في (ط) : « ما أسليت » .

بنواله ، فينشد لسان حاله في مرتبة كماله معرباً عن حاله مغرباً عن مجاله :[من مجزوء الخفيف]:

ليس بي حاجة إلى ظاهرِ من عُلومهِ
قد كفاني بذاته عن مباني رُسومهِ

وصل كتابكم فشرح صدر التصوف ، ونور جهات التعرف ، فأنعم[1] قوابل الأعيان بما أفاضه من نفس الرحمن ، ووصلت الطاقة البيضاء وحصل بوصولها للفقراء غاية الأنس والرضاء ، وذكرتم يا سيدي أنكم أرسلتم بأوراق وكراريس إلى الفقير وإلى العلامة عبد الملك ، فلم يقف الفقير على ذلك ، وربما أن مولانا الفقيه يرى قصور الفقير عن ذلك ، وأما مولانا الفقيه ، فهو إمام المصنفين وعلامة المؤلفين ، فلا تؤاخذوا عبدكم في التقصير لأن العجز حرفتي ، والضعف صفتي ، وبي حاجة إلى دعائكم فاجعلوه صلتي . والسلام .

هذا والشوق إلى رؤية وجهكم السعيد كل يوم يزيد ، فتوجهوا بقلبكم الواسع الوحداني إلى جهة عبدكم ، لتطفح عليه بركات أنفاسكم ، فتقوى روحه على السريان ، ويتسع قلبه لمشاهدة الماضي والمستقبل في الآن ، فيعود ناشراً برود الثناء على حضرتكم الشريفة ، ويستمر على وظيفة الدعاء لذاتكم اللطيفة ، وانظروا إليه نظراً يبسط وجوداته[2] ، ويسرح من قبضة الكون لموجوداته ، فيخرج عن المكان إلى عالم الإمكان ، ولا يحصره الزَّمان بعد اطلاعه على حضرة الأعيان ، هذا وليس الخبر كالعيان ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . ومن حضر حضرتكم الشريفة فهو مخصوص بجزيل السلام . العبد الفقير حاتم بن أحمد الأهدل لطف الله به آمين . انتهى .

---

(١) في (ط) : « فأفعم » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) في (ط) : « ببسط وجولان » تحريف ، وما أثبتناه عن (م) .

قلت : وأرجو من الله بركة هذه الإشارات المتضمنة للبشارات . ولله درُّ من يقول : [من الرمل]:

قد سمعت الفالَ أبشر بالهَنَا زال والله التّنائي والعَنَا
وأتاني قائلٌ نِلْت المُنَى صحّ هذا الفالُ فالبشرى لنا[1]

غيره : [من الطويل]:

توسّل بأنفاسِ الكرام لربّهم إذا رُمت مطلوباً وعزّت وسائلهْ
فهم شُفعاء الخلْقِ في باب عزّه وما خاب راجيه لديهم وسائلُهْ

وإنّي لأرى النسبة إلى هذا الرجل العظيم والسَّيدِ الكريم من أجلِّ ما أنعم الله به عليَّ ، وأجمعِ ما وصل من ألطافه إليَّ . ولي فيه قصائد متعددة ، منها أبيات التزمت فيها أن يكونَ يخرج منها من أوائل السطور اسمه الشريف وهي :

« ح »[2] حمام الأيكِ بالله أسعدينا ورددي البُكا حيناً بَعْد حينا
« أ » أفي نَجْدِ حُزْنكِ فلا تُلامي وعمْري والله إنّي مثلك حَزينا
« ت » تناءت داري فَحُرِمْتُ وصالَهُم[3] وصرت بعد اغتباطي مَغْبوناً
« م » ما أرى لي في وَجْدي شبيهاً وأيم الله ذا حقاً يَقينا

ومنها أبيات كنت قلتها فيه في حياته وهي :

رباعي به قلبي الشّجي صار مُولعاً فجاء الحياة قد حَوَى السِّرَّ أجْمعا
وثانيه ألف الابتداءِ تَبع له وثالثه تاء التّمام المُبْدعا
وفي آخره ميمٌ يدلُّ بأنه وريثُ النّبي الهادي سرّاً ومترعا
وآخره مبداة اسم نبيِّه دليل انّه من سرّه قد تضلّعا
لأنَّ بداياتِ النّبيِّ نهاية الوليِّ فما أجلَّ ذاك وأرفعا

(١) رواية هذا الشطر في (م) و(ط) : « صحّ هذا الفال » ولعل الصواب في الزيادة التي أثبتناها .

(٢) الحروف في أوائل الأبيات الشعرية زيادة في (ط) .

(٣) في (م) : « . . . فمرست وصالهم » وما أثبتناه عن (م) .

وللسيد حاتم المذكور نظم كثير ، وجمع إخواننا من أصحابه منه ديواناً كبيراً فكان يقوله وقت الوارد ، وبلغني أنّه كان إذا ورد عليه الوارد يبقى يملي عليهم وهم يكتبون وهو يجري في ذلك مثل السَّيل ، وما من معنى أشار إليه أئمة الطريق مما يتعلق بالذَّات المقدس أو الصفات المنزهة أو بالذّات المحمدية والصّفات النّبوية إلاّ وله فيه القول الأبلغ واللفظ الأفصح إلى غير ذلك من الأشعار اللطيفة على لسان الطريقة . ومن شعره : [من الكامل]:

إنِّـي عَلمـتُ بـأنّ فَضْلـك واسِـع ... لكـنّ ذَنْـبَ العبـدِ يـورثـه البَكَـمْ
ولقـد بـدأْتَ بنعمـةِ الإيجـاد والـ ... ـإمـداد فـالإسعـاد خـاتمـة الكَـرَمْ

ومنه : [من مخلع البسيط]:

الفقـرُ والـذلّ فـي صفـاتـي ... والعـزّ يـا ربّ والغِنـى لَـكْ
كمِّـلْ سِمـاتـي جمِّـلْ صِفـاتـي[1] ... كمـال ذاتـي دَعـى كَمـالَـكْ

ومنه : [من مخلع البسيط]:

حقـائـقُ الحـقّ قـد تجلّـتْ ... للخَلْـقِ فـي الحـقّ بـالمجـالِ
مـا الخلـقُ إلاّ كـواو عَمْـرو ... رَسْمـاً ولٰكـنْ بـلا محـالِ

ومنه هذه القصيدة العظيمة في مدح النبي ﷺ وهي : [من الكامل]:

سَعِـدَتْ بـرؤيـةِ وجْهـك الأبصـارُ ... وتسـابقـتْ فـي مَـدْحِـك الأفكـارُ
وسَرَتْ نوافحُ رحمةِ الرّحمن في ... كـلِّ الـوجـود فغيثُهـا مِـدْرارُ
وبـكَ استنـارَ وجـود كـل مكـوَّنٍ ... وأضـاءت الأقطـارُ والأمصـارُ
علـمٌ تعيّـنَ بـالنُّبـوّةِ وَصْفـه ... مِـن قَبْـلِ آدمَ خصّـه الجبّـارُ
فبآدم الأسما سمَتْ ولك اقتضَتْ ... ذات المسمّـى وانقضـتْ أوطـارُ
مـن قبـلِ قبْـضِ تُـرابِ طينـة آدمٍ ... حُـزْتَ الفَخـار أفَـوْقَ ذاكَ فَخـارُ؟

---

(1) خرج هذا الشطر عن الوزن!

ما زلْتَ تبني بالعلومِ عَوالمَ الـ ... ـأرْوَاح في ذاك المقام بحيث لا تحتارُ[1]
فظهرت عن غيب الغيوب لحضرةٍ ... فيها استوى الإعلان والإسْرارُ
بَطُنَتْ بما ظَهَرَتْ وقد ظَهَرَتْ بِما ... بَطَنَتْ فواجِدُها بها قهّارُ
صَمَدَتْ حقائقُها لحقّك فاقتضى ... منك الظّهور لحقّها[2] إظْهارُ
وتنزّلَ الأمرُ العليُّ معدداً ... بمظاهرٍ كملت بها الأدوارُ
حظيتْ بك الأملاك في مَلَكوتها ... ولعالم الجبروت منك مَنارُ
وأدار جودك في وجودك دورةً ... ظهرت بها الأسماء والآثارُ
نسخت شريعتُك الشّرائع وانطوتْ ... في ضوء نورِ كتابك الأسفارُ
وخُصِصْتَ بالقرآن ذِكراً جامعاً ... من فيضه[3] تتفجّرُ الأنهارُ
منه علوم الأولين جميعها ... والآخرين حَباكها المختارُ
لولاكَ ما عَلمَ العوالِمَ عالمٌ ... كلاً ولا طارت به الأطوارُ
كانت جميع الكائنات كصورة ... الرّوح فيها أنت يا مختارُ
إنَّ البَها والمُلْك والملكوت والـ ... ـجبروت أفلاكٌ عليك تُدارُ
بك سار سرّ الروح في حضراته ... وتبهجَتْ بحديثك الأسمارُ
من نورك الأنوار قد وجدت وفي ... إسْرائك الأنوار والأسرارُ
وبقاب قَوْسين استوت وتكمّلت ... في ذلك الأسرارُ والأنوارُ
لِمَقامٍ أو أدنى أراك لوجهه ... ربّ العُلى وحَباك ما تختارُ
أوحى إليك بذاته وصفاتهِ ... كَشْفاً ولا حُجبٌ ولا أستارُ
شاهدتَ بالنّصّ المحقّقِ ذاتَه ... لا حدّ يحويه ولا مِقْدارُ
من غير لا جهةٍ ولا كيف ولا ... حُجُبٍ تعالى الواحدُ القهّارُ
فرفلت في حُللِ البقاء مؤيّداً ... بالحقّ كشفاً ما عليه غُبارُ
صلّى السّلامُ عليكَ والآل الّذي ... آلوا إليكَ فكلّهم أبرارُ

---

(١) كذا رواية الشطر الثاني بالأصول ، وهو مختل الوزن .
(٢) بالأصول : « لخفائها » ولا يستقيم به الوزن .
(٣) في (ط) : « من قبضه . . . » .

وله كلام عال في التصوف ، وهذه نبذة من الجوابات عما سئل من السؤالات : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لولي الحمد حمداً لا يحصره الحد ولا يقصره العد ، والصلاة والسلام على سيدنا وعبده محمد وعلى الآل الأحمد وبعد : فإن لطائف العطف نظمت عواطف اللطف في معاطف الاستقامة ، ونفحات القرب قرَّبت قوارب الاقتراب بريح السلامة ، وخضم الجود لا ينضب تياره ، وبر الوجود لا يشق غباره ، وما ثمّ إلاّ ما يرضاه من ألقى السَّمع وهو شهيد ، وبرز في عين السِّيادة بصفة أقل العبيد ، فلم تزحزحه الزعازع لثبوته في مركز الدائرة ، ولم يتحرك ولو كان الفلك طار أو نغمات صريف الأقلام بقصائده شاعرة ، والسلام على الإخوان ، والحمد لله بكل قلب ولسان : [من الخفيف]:

ليس إلاَّ الّذي مراد من الخَيْـ	ـر على كلِّ حالةٍ لا مَحالَهْ
فاشتملْ مطرف النّقا بي وغيِّب	عن نفوسٍ أرواحها في تَبالَهْ
وتذلّل في حيِّ ليلى لليلى	وارضَ بالموت فهو فيها جَلالَهْ
يا أخي إن لمحت معنى كلامي	كُنْ عليّاً تكن على البَدْرِ هالَهْ
تلحظ العين من قريب بعين	ينظر البدر من سَناها هلالَهْ
مظهر جامعٌ لجمع وفرق	شمس عِرْفانه دليل الدِّلالَهْ
برزخٌ فاصلٌ قريبٌ بعيدٌ	مطلقُ الوصْفِ فيه يبدي كمالَهْ

وله ومن فيضه ـ نفع الله به ـ جواباً على رؤيا رآها بعض الفقراء : الحمد لله مدير الفلك ومنور الحلك ، والصلاة والسلام على العين المقصودة بالأصالة ، وعلى إخوانه وآله كمال علومه وأسراره مظاهر الجلالة ، وبعد : فإنما هي معاني تبرز من الغيوب على صفحات القلوب فتتحقق بها الأسرار ، وتملأ بأنوارها المسالك والأقطار . تنطق التراجمة بالأذن العليّ فتودعها مخازن القلوب المتعطشة إلى مراحم الوليّ . فتارة تعرف فتؤلف ، وتارة تنكر فتصرف من يصرف . واعلموا ـ وفقكم الله وأيدكم بروح منه وأسمعكم عنه ـ أنه كلما عرج الوليُّ في معارج العلى ودرج على مدارج سبح اسم ربك الأعلى جهلت

صفته ، وتنكرت معرفته ، فلولا رسم العبودية اللازم لما ثبتت له المعالم ، ولا عملت كينونته العوالم ، ويكفيكم في شأن حاله قول بعض أهل المقام ورجاله : [من الطويل]:

تستـرت عـن دَهْـري بظـلِّ جَنـاحِـهِ   فعيْنـي تَـرَى دَهْـري وليـس يَـرانـي
فلو تسأل الأيامَ ما اسميَ ما دَرَتْ   وأيـن مكـانـي مـا عَـرفْـنَ مَكـانـي

والصلاة الجامعة على عروس أهل الطبقة الرابعة ، والسلام على الأتباع الأفراد والأشفاع ، والحمد لله رب العالمين .

وله أيضاً على هذين البيتين للتلمساني : [من المنسرح]:

ما صادحاتُ الحَمامِ في القُضبِ   ولا ارتقـاصُ المُـدامِ بـالحَبَـبِ
إلاّ لمعنـى إذا ظَفـرت بـه   ألـزمـك الجِـدُّ صـورة اللّعِـبِ

ما صادحاتُ حمام الأرواح على قضب الأشباح ، ولا ارتقاص مدام المحبة الذّاتية في حضرات الغيوب الأزلية بتعين حب حبب الأعيان الإلهية والكونية إلا لمعنى لا يظهر لنفسه إلاّ في مراتب نفسه ، إذا ظفرت به أيها المُعَانِي لهذه المَعَاني ألزمك جِدُّ الحق المشروع صورةَ اللّعبِ الموضوع ، كما قال المحقق : الكونُ كله خيالٌ والوجودُ الحقُّ فيه للكبيرِ المتعالِ ، عَلِمَهُ من عَلِمَه فاستراح ، وجَهِلَه من جَهِلَه فلم يبرحْ من قفص الأشباح ، إنّما الكونُ خيالٌ وهو حقٌّ في الحقيقة ، والّذي يفهم هذا حاز أسرارَ الطريقة .

اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يا رب العالمين . بتاريخ ليلة الجمعة ٢٦ من شوال سنة ١٥٥٨[1] .

وله أيضاً حين سأله السائل عن معنى هذا البيت للفقيه عبد الرحمن العلوي نفع الله به :

---

(١) في (ط) : (٥٥٤) ولا يستقيم هذا العدد لا في التاريخ الهجري ولا الميلادي ، وما أثبتناه عن (م) ولعل المؤلف عمد إلى الترقيم بالتقويم الميلادي .

يـــا مُطْلَــقَ التقييـــدِ لا تحكـــم فالعلم في شأنك حكم وعنك الاحتمال

فقال سيدنا حاتم في معنى هذا البيت : يا مطلق التّقييد هو الّذي لا يلزمه القيد هو مطلق في حال التّقييد ، ومقيد في حال الإطلاق ، لأنَّ الإطلاق قيد معنوي يقتضي الحصر ، [والحصر خلاف حكم واجب الوجود][1] وإنّما الشأن في الإطلاق الّذي لا يقابله فافهم . أي قل يا من هذا شأنه ، وهذه صفته لا تحكم أي لا تحكم علينا بأن نحكمَ عليك بما ليس لك لأنّ القيدَ يقتضي الحصرَ ، والحصرُ خلاف حكم واجب الوجود ، وكذلك الإطلاق الذي يقابله القيد قيد عن الإطلاق المطلق لكن أن العلم الإلهي الذاتي حكم على الوجود المطلق بالإطلاق وعلى الوجود المقيد بالتقييد حكماً نسبياً لا حقيقة له في شأن التوحيد ، ولهذا قال : وعنك الاحتمال . يعني وإن كان الوجود المحدث يرجع إلى المطلق لأنه أصله فلسان الأدب يحكم بالفرق ، ولسان العلم يقضي بالتمييز ، ولسان الوجود يحكم بالتوحيد ، لا إله إلا الله ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، والشأن المشار إليه هو الكنه الذاتي المغيب عن الإطلاق والتقييد . وأما قوله : وعنك الاحتمال ، يريد أنّ الأعيانَ الثابتةَ من حيثُ هي تحملت حصص الوجود المفاض عليها في عالم النور المرشش في حضرة الإمكان . والإشارة إليه من الحديث القدسي في قوله : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رشّ عليهم من نوره »[2] ، فالظلمة ظلمة العدم الإمكاني ، والنور نور الوجود المفاض إلى الأعيان بحسب الإرادة المرجحة والمشيئة القاضية بما حكم به من العلم عليها ولها ، وإنّما حكم عليها بها ، فلهذا صح الاحتمال . والسلام على أهل التوفيق من أهل الطريق .

ومما أملاه أيضاً في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة

---

(١) ما بين قوسين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٩٣) وعزاه لأحمد بإسنادين، وللبزّار والطبراني ، وقال : ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات .

١٥٥٨[١] لما جاءت الرّاء في أول السّور القرآنية في ستة مواضع انبسطت في نفسها ، ونظرت إلى أصلها وهو اثنين ، فحصل منها اثنا عشر اسماً هي ذاتية ، وهي حقيقة من حقائق التطوير . كان هذا العدد مشتملاً على اثني عشر برجاً ومراتب العدد ونصفه عن ست الجهات في العالم السفلي . بيان ذلك أنّ عدداً اسمه ثلاثة ، فإذا ضربت الثلاثة في الجذر الذي هو اثنين ظهرت الستة وإذا ضربت الستة في الاثنين اثني عشر ، وهو الفلك المشار إليه محيط بجميع العوالم العلويات والسفليات ، فلهذا ظهر بذاته في آخر الكلمات الثلاث : التطوير والتغيير والتصوير . وهذا حرف الراء لما كانت حقيقته راجعة إلى حرف الواو من وجه ظهر في مرتبة التوحيد ، وهو من الحروف التي لها الاتصال البعدي وليس لها القبلي ولها من الصفات ستة آلاف .

والدال والذال والواو والراء والزاء يتصل بها ولا تتصل به لها من الخصائص الإلهية ست صفات ، وهي : الجلال والعظمة والكبرياء والأحدية والغنى المطلق والعزة المطلقة . ولها من الرجال ستة ، هؤلاء الستة حالهم البطون ، ويحبون الخمول ، ليس لهم التفات إلى شيء من الكائنات ينتفع بهم الخلق ولا يشعرون . انتهى .

ومن إملائه ليلة الثلاثاء ٢٧ من شهر رمضان سنة ١٥٥٨[٢] من ترك حديث النّفس حرمةً لواردِ الحق انقلب وسواسها إلهاماً ، وحديثها وجداناً ، ولذلك قرىء في بعض القراءات وهي قراءة بعض الصحابة رضي الله عنهم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الحج : ٥٢] (ولا نبي ولا محدث)[٣] الآية .

وقال ﷺ : « إنَّ مِنْ أمّتي محدَّثين ، وإنَّ عُمَرَ لمنهم »[٤] . يقول بعض

---

(١) أراد التاريخ الميلادي .

(٢) أراد التاريخ الميلادي .

(٣) ما بين قوسين هو تتمة الآية السابقة بقراءة بعض الصحابة ، مما أشار إليه صاحب الإملاء .

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) ومسلم رقم (٢٣٩٨) وقد ذكره المؤلف هنا بالمعنى .

السلف الصالح : أخبرني قلبي عن ربي ، وأخبرني ربي عن قلبي . وقد صحّ أنّ الحقَّ على لسان كل قائل . والسلام على أهل التسليم .

وسأله الفقيه مرجان وهو حينئذ بمدينة تعز سنة (١٥٥٩)[١] في ليلة الأربعاء من جمادى الآخرة عن معنى قصيدة بيت الشيخ عبد الهادي وهي قوله رضي الله عنه : [من مجزوء الرمل]:

بلبلُ الجحفِ اليماني ... لم أزلْ مِنْهُ مُبَلْبَلْ
كلّما غنّى شَجاني ... قطّ لا ملَّيت لا مَلْ
قد عناه ما عناني ... فلهذا مالَ أمْيَلْ
فَلِمَهْ يا اهل المَعاني ... أنا معجم وهو مُهْمَلْ؟

فأجابه سيدنا ومولانا بهذا النفس المعظم : بلبل الجحف اليماني : البلبل داعي الحق في قلوب المؤمنين . والجحف : منعطف الوادي ، وإضافته إلى اليمن لقوله ﷺ : « إني لأجدُ نفس الرحمن من قبل اليمن »[٢] فهو يهتف بعشاق الجمال ويذكرهم زمن الوصال قبل الانفصال ، حيث قال السيد الأكبر والمحبوب الأفخر : « كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين »[٣] ، ولا بد للنبي من قابل يتلقى عنه أسرار النبوة التي شرف بها ، فإن كان من عالم الأرواح فالقابل من عالم الأرواح ، وإن كان من عالم الأشباح فالقابل من عالم الأشباح ، فلا يزال يتذكر ما كان به في ذلك العالم قبل ضرب الحجاب وحصول الشك

---

(١) يعني حسب التقويم الميلادي .

(٢) ذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (١/ ٢٥١ و٣٠٤) وقال : قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

(٣) ذكره السيوطي في « الدرر المنتثرة » ص (١٠٦) رقم (٣٣١) وقال : لا أصل له بهذا اللفظ ، ولكن في الترمذي : « متى كنت نبياً ؟ » قال : « وآدم بين الروح الجسد » . وفي « صحيح ابن حبّان » والحاكم من حديث العرباض بن سارية : « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » . قلت (القائل السيوطي) : وزاد العوام فيه : « وكنت نبياً ولا أرض ولا ماء ولا طين » ولا أصل له أيضاً . وانظر « الأحاديث الموضوعة » لابن تيمية ص (٥٠) .

والارتياب ، فلم يزل العارف المعتنى به يتذكر سوابقه ويحقق لواحقه ، فلم يزل مبلبل البال ، [والبال][1] : القلب ، أي فلم يزل قلبه متحركاً متقلباً في أودية العشق حتى تظهر له كلمة السبق في عالم الحق .

يقول : كلما غنّى شجاني ، أيَ كلما كرر في السجوع أحرمَ عينَ المحب الهجوع ، قال الترجمان الأكبر : « إنَّ الله لا يمل حتى تملوا »[2] قال الشيخ الأقدس : [قط][3] لا مليت ولا مل . يعني : أن سر « يحبهم » ظهر في « يحبونه » وأمر يحبونه ظهر [في][4] من يحبهم ، فمنه إليهم ومنهم إليه . وإليه يرجع الأمر كله فاعبده عبودية الاضطرار ، وتوكل عليه بالاختيار ، فهمَ هذه الإشارة من فهمها وعقلها من خُلِقَ لها .

قد عناه ما عناني فلهذا مال وميّل[5] فيه إشارة إلى الحديث المشهور وهو الّذي يقول فيه قال ﷺ : « ينزل ربنا آخر كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه »[6]؟ وهنا النزول نزول لطف ورحمة ، وعطف ونعمة ، فنبه قلب من أيقظه واعتنى به فميَّله إليه فاستيقظ من نوم الغفلة لما ميله هذا النداء الرحماني الرباني من حضرة الاسم اللطيف الرؤوف العطوف . واعلم أنَّ المحبةَ إذا صحّت قامت بالمحبِّ والمحبوب ، فيعود المحبُّ محبوباً والمحبوب محبّاً ، والمريد مراداً والمراد مريداً ، فلهذا قال الشيخ : قد عناه

---

(١) لم ترد الكلمة في (م) وردت في (ط) فقط .
(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٤٣) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً لرسول الله ﷺ ، وللتوسع انظر « جامع الأصول » (١/ ٣٠٣ـ٣٠٦) .
(٣) وردت الكلمة في (ط) فقط .
(٤) وردت الكلمة في (ط) فقط .
(٥) هكذا في (م) بإخراجه عن وزنه .
(٦) رواه البخاري رقم (٧٤٩٤) في التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ومسلم رقم (٧٥٨) في صلاة المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر «جامع الأصول» (٤/ ١٣٨ـ١٤١).

ما عناني ، أي : قام به من وصف المحبة ما قام بي منها . وقد أشار إليه الأستاذ القطب الغوث الفرد الجامع الشيخ ناصر الدين بن عبد الدائم الأنصاري الشاذلي[1] الشهير بابن بنت الميلق[2] رضي الله عنه في قصيدته الشّهيرة الموسومة بحال السّلوك في قوله : [من البسيط]:

إنَّ المـريـدَ مـرادٌ والمحـبّ هـو الـ ـمحبوب فاستملِ هذا من أماليه

فلهذا يتنزل المحبوب من مقام عزته وجماله إلى مقام اللّطف والعطف بالمحب الصّادق .

قال الشّيخُ نفع اللهُ به : فلهذا مال وميّل ، مال إلى المحب باللطف والعطف فميله فنهض به من رقدة غفلته وأنعشه من سجن شهوته ، فبادر إلى باب محبوبه وأسرع إلى فناء مطلوبه ، فيا لها من رجعة ما أحلاها ، ومن نجعة ما أصفاها . فلما صحّت المنازلة وكملت المواصلة وصار كل واحد محبّاً ومحبوباً ؛ محبّاً من وجه ومحبوباً من وجه ، شرع الشيخ فيه بالتمييز بلسان البيان متجاهلاً بلسان من لم يعلم هو يعلم ، فنادى بأصحابه وأترابه من أهل المعاني والمعارف يعجبهم على هذا المعنى الّذي ظهر بسر الاتحاد ، وتميز فيه الوجود من الإيجاد ، فقال :

فَلِمَهْ يا أهل المعاني أنا معجم؟ أي مقيد بالنقطة الّتي أعجمت وجودي وكانت غيباً على عين شهودي ، وهو مهمل : أي مطلق عن القيود والحروف والحدود ، فعلى الحقيقة هو عين الشاهد والمشهود . والسلام على أهل التسليم ممن أتى الله بقلب سليم ، وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ومن إملائه ـ نفع الله به ـ حين سئل عن هذا البيت للشيخ عبد الهادي

---

(١) هو محمد بن عبد الدائم المعروف بابن بنت الميلق ، ويختصر فيقال : ابن الميلق ، قاض مصري ، من الوعاظ البلغاء ، توفي عام ٧٩٧ هـ ، انظر ترجمته في « الأعلام » (١٨٨/٦) .

(٢) في (ط) : « المليلق » تحريف .

السُّودي[1] نفع الله به : [من البسيط]:

وانْسَ العلومَ وما قد كنت تَكتبُهُ   فمَحْوُه واجبٌ من كلِّ مكتتبِ

أمره بنسيان العلوم وهي كثيرة : فمنها علوم يجب نسيانها لذاتها كعلم السحر والنجوم والرمل والجدل والرجز والفال والمنطق عند قوم من أهل الورع ، وثم علوم يستحب نسيانها بمعنى الترك لما هو أعلى منها ، وهو علم الصرف والنحو والعروض والتواريخ والبديع إلا المعاني والبيان لتكلفهما بإيضاح معاني القرآن وإظهار بلاغته .

واعلم أنَّ العلومَ حجبٌ على القلب كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه ، وأنّ الحجبَ كثيرةٌ وأقواها العلم . ولما كان طلب العلمِ فريضة على كل مسلم تكلم فيه العلماء بأقوال كثيرة ، منها : أنّه العلم النافع الّذي يعرفك بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وما ينبغي له وما يستحيل عليه . فهذا هو العلم المفروض المشار إليه ، ويلحق به ربع العبادات ، فوجب ترك تلك العلوم جميعها ونسيانها والتجرد لتحصيل العلم المفروض وهو الّذي يعرفك بمعبودك وآخرتك وما يقربك إليه ، فوجب عليك نسيان تلك العلوم الشاغلة للقلب عن التطلع إلى أنوار التوحيد الفعلي والصفاتي والذاتي ، فامحُ نقوش غير هذا من قلبك ، واغسلها من مكتتب سمعك وبصرك ولوح فكرك ، حتى يتوجه قلبك ، لواحد لا إله إلاّ هو الواحد القهار . والسلام .

ذكر الإمام اليافعي[2] في بعض مصنفاته قال : سمعت غير واحد من الصالحين يروون عن الشيخ أبي الغيث بن جميل أنه قال : أتى الشيخ والفقيه صاحبا عواجه إلى شيخنا الشيخ علي الأهدل وطلبا منه أن يذهب معهما إلى بعض المواضع ، فوافقهما ، وذهبت أنا معهم ، فلما كان بعض الليالي وإذا أنا

---

(١) أراد صاحب الترجمة عمر بن علي الشهير بالهادي ، والبيت من قصيدة له تقدمت في أول الترجمة .

(٢) في (ط) : « الرافعي » وما أثبتناه في (م) .

أنظر الشيخ والفقيه وهما فوقنا في الهواء وفي أيديهما سيفان مسلولان ، فذكرت ما رأيت منهما لشيخي ، فقال لي : يا أبا الغيث هذان في مقام التولية والعزل[١] يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى ، وسوف أرثهما وترثني أنت . وهذه الحكاية تقتضي موتهما قبل الأهدل .

[وسيأتي في ترجمة الشيخ عبد الله ما يدل على موت الأهدل أولاً قبل الشيخ والفقيه ، والذي يظهر أن الصحيح وفاة الأهدل][٢] قبل وفاتهما . ويحمل قوله : « أرثهما أنا وترثني أنت » في هذه الحكاية على أنه يبلغ مثل مرتبتهما وإن كانا في الحياة ، ويكون ذلك في طريق التجوز في العبادة وإن كان حقيقة الوراثة إنّما يكون بعد الموت .

فلما وقف مولانا السيد حاتم بن أحمد الأهدل على هذا القول كتب فوقها بخطه الشريف « فائدة فيها تأنيس وتفهيم » .

ذكر الشّيخ الكبير الأكبرُ في « فتوحاته » وفي « فصوصه » أنَّ الشيخ القطب الكبير أبا السعود ابن الشبل صاحب سيّدي الشّيخ القطب الأكبر محيي الدين عبد القادر[٣] الجيلاني أنّه قال : أُعطيت التّصرفَ منذ كذا وكذا سنة فتركته نظر[٤] . فإنه يشير إلى مقام الخلافة وهي البرزخية الكبرى ، وصاحبها واسطة بين الحق والخلق ، والمقام الّذي أثره الشّيخ أبو السعود مقام الفردية ، وهي أخصُّ وأشرفُ من المقام الأول لتحقق صاحبها بالعبودية المحضة ، ومقام الخلافة لا بدّ فيه من رائحة الرّبوبية إلاّ من عصمه الله تعالى ، فإنّه حصل وجاز إلى المقام الثّاني الّذي هو مقام الفردية إيثاراً لجناب الحق أعطاهم ذلك كمال المعرفة بالبواطن .

---

(١) في (ط) : « العز » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

(٣) في (ط) : « القاهر » خطأ .

(٤) كذا بالأصل .

وسادتنا المشار إليهم تحققوا بالمقام وخلصوا إلى مقام الختام ، وهو رؤية الأحد الموصوف بالجلال والإكرام ، فافهم .

حكى القشيري في بعض كتبه أنّ أبا يزيد الأكبر لما أقامه الحقُّ في مقام الخلافة قال تعالى له : اخرج بصفتي إلى خلقي ، فخطا خطوة ثم صاح ، فناداه الحق تبارك وتعالى : ردوا عليَّ حبيبي فإنه لا صبر له عنّي ، وذلك لإيثار جناب الحقّ والتّخلص من حمل أعباء مقام الدّعوة للخلق ، فافهم .

● **إيضاح :**

إذا علمت أنّ مقامَ الفردية أخصُّ من مقام التّصرف فاعلم أنّ إشارة سيّدي الشّيخ الأهدل قدس الله سره تقتضي أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أطلعه على علمه الّذي لا يُحاط بشيءٍ منه إلاّ بإذنه وهو الإذن الإلهي المحيط بالمعلومات ، فأنبأ عن حال الشّيخين بحكم ما رآه هناك من حوزهما المقام الأول ، وخلوصهما إلى المقام الثّاني ، وتحققه رضي الله عنه وخلوصه إلى المقام الأفضل ، ووراثة الشّيخ أبي الغيث له رضي الله عن الجميع . وقد يكون ذلك لهؤلاء الأكابر في يوم واحد أو أقل أو أكثر . وأما عبارته بالإرث فهو من مطلع قوله تعالى : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩] ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] لا من مفهوم الإرث الذي مات مورثه ، أو سيموت وارثه . تعالى الله عن ذلك ، وعزّ جناب أهل الله عن التطفل على مصطلحات الغير ، فالمعنى الّذي عبر به الشّيخ إلهي وهو غير اللّفظة الّتي تستعملها النّاس في عرفهم . والحمد لله ربِّ العالمين . وتحقيق الأمر النّظر في الشّيء الموروث إن كان مفارقاً للرّوح كالأموال على اختلاف أجناسها ، فيلزم عليه ما قاله المصنف من شرط موت الموروث ، وإن كان الموروث من الأحوال والمقامات والأسرار والعلوم الّتي تتصف به الرّوح ويشرق بها ضياء العلم وتتجلى بها النّفس الناطقة ، فهي كمالات للنّفس وصفات للرّوح لا تفارق الموصوف بها والمتحقق بحقائقها والمتخلق بأوصافها ، فلا يصح الشّرط

المقدر ، فالأمر كما تقرر . والله الموفق الهادي .

وقد اقتصرنا من كلامه الرفيع في هذا المهيع الوسيع على هذا القدر اليسير إيثاراً للاختصار .

وأما خوارقه وكشفه وتصرفه في الموجودات فقد حفظ إخواننا من أصحابه من ذلك كله كثيراً ، ولله درُّ من يقول : [من السريع]:

واصلتُمُ الكَلْمَ بقطعِ الكَلاَمْ ... على حياتي وهي أنتم سَلامْ
ألغيتمُ ذِكْرِيَ ضنّاً به ... ذُكِرْتُمُ في الكَاتبين الكِرامْ
أما كفى البيْن عذاباً فلِمْ ... شهرتمُ سيفَ الجفا يا سلامْ؟
ظلمتموني وتظلّمْتُمُ ... يا ربِّ لا واخذْتَ أهْل الأثامْ
بخلْت يا دهرُ أما تستحي ... وحاتمٌ بالجود أعدى اللّئامْ
هلاّ تأدّبتَ بآدابِهِ؟ ... أما تعلّمتَ فِعالَ الكِرامْ؟
فلَو كتبْنا الاسمَ منه على ... صخرٍ لَسَالَ الصَّخر بالإنسجامْ
ولو دعَوْنا باسمه ميّتاً ... قامَ وإنْ كانَ رُفاتاً عِظامْ

وبالجملة : فإنّه ما كان إلا شيخَ أهلِ هذه الطَّريق حالاً وعلماً ، وإمامَ أربابِها حقيقة ورسماً ، ومحييَ رسوم المعارفِ فعلاً وإسماً . عبابٌ لا تكدّره الدِّلاء ، وسَحابٌ تتقاصر عنه الأنواء . ولقد رأيت من أقواله وسمعت من أخلاقه وأحواله ما لا تسعه عبارة ولا يهتدى إليه بإشارة ، نفعنا الله ببركاته وأمدنا في الدّارين بإمداداته آمين .

وما ذكرته من أحواله ومقاماته دون ما تركته بكثير ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأحد عند غروب الشمس سابع عشر محرم الحرام سنة ثلاث عشرة بعد الألف بالمَخَا[1] ، ودفن في بيته ، ولي فيه مرثية مطلعها : [من الخفيف]:

أيُّها الغافلُ الغبيُّ تنبّهْ ... إنّ بالنّوم يقْظة النّاس أشْبَهْ

---

(١) المَخَا : موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر « معجم البلدان » (٥ / ٦٧) .

ومنها :

يــا خليلــيَّ فِــرقــةُ الخــلِّ واللــ ـــه على الأنْفُسِ الكـريمـةِ صَعْبَهْ
سيّمـا خلّك الخصيص الـذي لـم تــزلْ تتمنــى لقــاه وقُــربَــهْ[1]
الحبيبُ الـذي حـوى كـل وصْـفٍ حيـن يمـلا يمـلا القلـوب محبّـةْ[2]
ذاك والله حـــاتـــمٌ خيـــر خِـــلٍّ قــطُّ مـا ذمّ صـاحـب منـه صحْبَـهْ
عارفُ الوقت من رفاقِ المعالي أوجُهـــاً وسمـــا لأرفـــع رُتْبَـــهْ
مـن جميـع العلـوم حـاز فُنـونـاً قـد ورثهـا مـن النبـيِّ وحِـزْبَـهْ
حـاتمي العصْرِ في المعارف فـردٌ شـاذلـيُّ الـزمـانِ عِلْمـاً ونِسْبَـهْ
خصّـه الله منـه بعلـم لـدنـي[3] وحَبـاهُ منـه بـوصـلٍ وقـربـهْ

ومنها :

قـد قضـى حـاتـم حميـداً فمـا لـي بعـده في الحيـاةِ والعيشِ رغْبَـهْ[4]
صاحبي من قريب عشرين عاماً كـــل يـــومٍ يـــزدادُ منِّـــي حبّـــهْ
بكَـــتِ الأرضُ والسمـــاء عليـــه وعُلـــوم ابـــن عـــربـــي وكُتبـــه
الفتـــوحـــات والفصـــوصُ البهيّـــهْ حلّ منها ما كان غامض[5] ونبّهْ
وبَكَـــاهُ اليمْـــن الأنيـــس ومِصْـــرٌ وجميـــع البـــلاد شـــرقـــه وغَـــرْبَـــهْ
يـــا رعـــى الله أعصـــراً وبقـــاعـــاً قـــد تبـــاهـــتْ بـــه وفـــازت بتـــربـــهْ

ولي فيه مرثية أخرى ، وعدد أبياتها خمسة وسبعون بيتاً ، وهي في غاية اللّطافة ، لو قُرئت على الصُّخور لانصدعت من الرّقة والسّلالة منها :

---

(١) في (ط) : « . . . تتمنى للقاه . . » ولا يصح وزناً ولغة ، وما أثبتناه في (م) ولا يصح وزنه أيضاً .

(٢) في (م) : « حين يملي يملي . . . » .

(٣) في (ط) : « . . لدين » وما أثبتناه عن (م) والشطر الأول من البيت غير مستقيم الوزن .

(٤) في (م) و(ط) : « . . . حاتم حميد . . » وصوابه كما أثبتناه بالنصب على الحال .

(٥) كذا في (م) و(ط) .

فشـحَّ بـاللقـاءِ وحـزمتـه ... واعجباه لـي مـنْ بخـل حـاتـمْ
السيِّـدُ الأستـاذُ فـردُ زمـانـه ... الشريفُ المنتقى من أولاد هاشمْ
سـار فـي السّلـوك بجـدٍّ وعـزمٍ ... هكـذا فلتكـنْ فـي الله العـزائـمْ
ولا زالَ فـي الـدّرجـاتِ يَـرْقـى ... حتّـى أتـاه الفتـحُ بـالغنـائـمْ
فجـلّ الله الّـذي أعطـاهُ ... مـن فَيْـضِ فضلـه أسنـى المقَـاسـمْ
وضاهى في التَّصوّف اللّي مضوا ... فكـأنّمـا حـاتـمٌ كـان لهـم خـاتـمْ
وخـاضَ فـي بحـره لجّـةً ... وكـان فيـه أبـداً عـائـمْ
وأبـدى فـي التّكسيـر غـرائبـاً ... وفـي جمْعهـم جمعـه غـداً سـالـمْ
وغـاب فـي شهـود الحقيقـة قلبـه ... وظـاهـره كـان بـأمـر الله قـائـمْ
وكـم خـوارقٍ عنـه قـد اشتُهِـرَتْ[1] ... ولسـانُـه أمضـى مـن كـلِّ صـارمْ
وكـم مُـريـد لاذَ بـه فـي أمـره ... فما بات إلاّ وقد سَرتْ إليه المراهمْ
طـالَ مـا نِيـلَ علـى يـديـه المـراد ... وقـال لسانُ الحـال منه أنـا قـاسمْ
طـالَ مـا طـاف إلـى ربعـه ... النّـاس مـن عُـربهـا والأعـاجـمْ
درَّ ثـديُ المعـارفِ منـه فَسَقـى ... جمّـاً غفيـراً ومـا كـان لهـم فـاطـمْ
طال ما كان في محراب المعارف ... إمـامٌ صـادحٌ وبـاغـمْ
تباهَتْ الأعصار به عجباً مفرطاً ... وتحلّت الأيّامُ منه بأشرافِ خاتمْ
غـاضَ[2] الـوفـاء لِفَقْـده وكـذا ... ذهبـت والله المَكَـارمْ
مـاتَ التصـوّف بمـوتـهِ ... وغـدا طـالبـه حيْـرانَ هـائـمْ
وا أسفـي علـى أخـلاقـه إنّهـا ... قد حكَت [الرّوض البهيّ النّاعمْ][3]
وا لهفـي علـى نُطقـه إنّـه ... مثـل الـزّلالِ لمـن أتـى طـاعـمْ
فمـا عظـم الله العـزاء لامـرىء ... كـان قـاصـداً ورائـمْ
إنّـه المـوتُ ليـس منـه خـلاصٌ ... وغيـر الله ليـس بـاقـي ودائـمْ

---

(١) في (ط) : « . . . قد شهِدتْ » تحريف ، وصوابه في (م) .
(٢) في (م) : « غامض . . . » .
(٣) ما بين قوسين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

ومنها :

هنيئــاً لمــن كــان اسمــه وِرْده ... فهــو بــه لا شــكّ إنــه غــانــمْ
إنِّــي إذا مــا رمــتُ مطلبــاً ... جعلت اسمه لذاك صدر التّمائمْ
ولــو كَتَبْنــا اسمــه علــى ميــتٍ ... لعَادتِ الـروحُ فيـه وثْـبَ قـائمْ

ومنها :

إنِّي مما بـأحشـائي مـن الأسـى ... كــأنّــي سُقيــتُ ســمّ الأراقــمْ[١]
يـا عجباً كيف اجتمعا في شَجى ... شوقي نار ودمعي كالغيْث المتراكمْ
وكنت جذلان من فرحي بوجوده ... والآن صـرت بعـد نشـوتـي خـادمْ
كـأنّني الطّيـر وقـد بقـي بعـد ... ذهـاب الخـوافـي منـه والقـوادمْ
مـا مجنـونُ وقيْـس قـاسيـا مـا ... قـاسيتـه مـن هـذه العظَـائـمْ[٢]
طـال مـا رقيتـه وطـائـر طَـرْ ... فـي لـرؤيـاه بـات حـائـمْ

ومنها :

مـا لقلبـي غيـره يُـداويـه ... ولا لـدائـي سـواه حـاسـمْ
نسمَـةٌ سَـرَتْ لـي مـن عنـده ... ويـلاهُ مـا أطيـب تلـك النّسـائـمْ
نفثَـتْ بسـرِّهـا فـي سـراري ... فاستنشق [ذلك][٣] مني الخياشمْ
أهـدتْ إلـيَّ علـومـه ونُـوره ... أيقظتنــي وكنــت نـائـمْ
علّمتْنــي الهــوى وفُنــونــه ... تــركتنــي بشــأنــه حـازمْ
فكنـتُ فـي ديـن الهـوى قـدْوةً ... مـن شجـوي نـاحـتِ الحَمـائـمْ
وغصـت فـي بحـره فـزال الظّمـا ... وعـدت مـن بعـد جهلـي بـه عـالـمْ

---

(١) السم : مثلثة السين ، والأراقم ، جمع الأرقم ، وهو من الحيات ما فيه سواد وبياض ، « اللسان » (سمم) و(رقم) .
(٢) في (م) : « . . قاسوا ما » وما أثبتناه في (ط) .
(٣) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .

وفـزْتُ مـن سِـرّه[1] بمـا رمتـه ... وصـرت من بعـد غبني بـه غـانـمْ

شغفـي بـه لا يُقـاسُ أبـداً ... فكـأنّمـا هـو وأيـم الله حـاتـمْ

حبِّـي بـه لا يحـدُّ حـدّه ... دمعـي أزرى بفيْـض الغمـائـمْ

وغـرامـي فيـه لا يكـون لـه نظيـر ... نَعَـمْ قـد حكـاه البحْـر المُتـلاطـمْ

مـا مـرّ بـي صبـحٌ ولا مسـا ... إلاّ وذِكْـره علـى قلبـي جـاثـمْ

شـابهـت الخنسـا فـي شجـوي ... بـل شـابهتني فـي وجْدي المـلازمْ

كـلّ يـومٍ عنـدي مـن حـزنـي ... كمثـل كـربـلا ومـآتـمْ

مـولاي نـاداك عبـد إلـى ... عليـاك مـا زال ينظـر دائـمْ

مـن أرضِ الهنْـد يـريـدُ القـرى ... وأنـتَ بكـلِّ مـا يـرويـه عـالـمْ

حـاشـا عُـلاه حـاشـاه أنْ ... يحـرمَ الـرّاجـي لـه المكـارمْ

ومنها :

لقـد أصبْـتُ بفَقْـده مُصـابـاً ... مـا أظـنُّ أصيـب بمثلـه العـوالـمْ

لهفـي عليـه إنّ فضلَـه ... يعجز عن شرحه كل ناثرٍ وناظمْ

لـذا لا يفـارقنـي أسفـي أبـداً ... ولا يـزالَ دمـع العيـن مني سـاجـمْ

إنّـي وإن أجهـدتُ فيـه[2] طـاقتـي ... عسـى أن أكـون ببعـض حقـه قـائـمْ

أُعَـزِّي بـه الـدُّنيـا بـأسْـرهـا ... إنّ عـزاه حقـاً فـي كـلِّ العَـوالـمْ

لَبِـسَ الـوجـود السّـوادَ حلّـةً ... وغـدًا كـل طـالـب محـروم هـائـمْ

عليـه مـن ربِّـه كمـا يـرضـاه لـه ... مـن الـرضـا وجـمُّ المـراحـمْ

وصلّـى الله علـى أصلـه ... محمّـد النـور أبـي القـاسـمْ

وعلـى صحـابتـه كـذا وآلـه ... الجميـع واخْصـص حـاتـمْ

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من ترجمة الشيخ عبد الهادي السودي ، فمن

---

(١) في (ط) : « . . . من سرّي » .

(٢) هذه اللفظة من (م) فقط .

شعر الشيخ عبد الهادي أيضاً : [من البسيط]:

عَسَاكَ يا بُلبلَ الأفراحِ تخبرني ... عن غادةٍ بالحمى الغربي من إضمِ
فتلك لي من قديم الدَّهرِ مالكةٌ ... وقد جرى حبّها مني كجري دمي
كم قلت للقلبِ أقصر عن مودّةِ من ... في أسرها من سراة الحيِّ كل كمي
فقال لي وقواه قد وهَتْ فَرقاً ... « إنّ المحبّ عن العذال في صممِ »

ومنه : [من الكامل][1]:

قالتْ سعادُ وقد رأت دمعي جَرَى ... صَدَقَ المحدّث والحديثُ كما جرى
فدهشت من فرحي وقلت نعم نعم ... ما كان حبّكمُ حديثاً يُفْترى
لي من هواكم صرْفه وعتيقه ... حاشاي من درِديّة أن أسكرا[2]
بالله يا حادي النِّياقِ لحيّهم ... فالصَّيدُ كلُّ الصَّيدِ في جوف الفَرا
سلِّم على أهل الخيامِ وقُلْ لهم ... ماتَ المُحبُّ من الغرام وما درى

ومنه : [من مخلع البسيط]:

قلْبي على عهْدكمْ مقيمُ ... والشّوق لي مقعد مقيمُ
ومن عدول الشّهود أنّي ... مؤذن في الهوى مقيمٌ[3]
وفي حماكمْ حططْتُ رحْلي ... والغيرُ من حوله يحومُ
وحقّكم بعد إذ حصلتم ... لأعصيَنّ الّذي يَلومُ
ما يلتقي مثلكم فؤادي ... يا أهل نجد به يهيمٌ[4]
فساعدوني على هَواكم ... يا مَنْ هُمُ الكأس والنّديمُ

---

(١) في الأبيات اللاحقة تضمين لبعض قصيدة البرهان القيراطي الرائعة. انظر «تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا» لتقي الدين الفاسي ص (١٣٠ـ١٣٣) طبع دار صادر ببيروت.

(٢) الدَّرديّة : الرّوبَة ، أي الخميرة التي تترك على العصير والنبيذ ليتخمر ، « اللسان » (درد) وأراد أن القليل لا يسكره .

(٣) في (م) : « صقيم » تحريف ، ولعله أراد : « سقيم » بالسين . وما أثبتناه في (ط) .

(٤) في (ط) : « ماذا يلتقي . . . » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

ومنه : [من الخفيف]:

عـذبتنـي بـالمطـلِ منهـا سُعـاد ... وبَـرَانـي وهـدّ ركنـي البعـادُ
وجَفَـانـي مـن بعـد مـا هجـرتنـي ... طيـب عيشـي وزار جفنـي السُّهـادُ
لـو تـرانـي أُسـامـرُ النّجـمَ ليـلاً ... عـلّ ليلـى يكـون منهـا افتقـادُ
يـا أخـلاّيَ أصـلُ سَقْمِـيَ أنتـمْ ... ولقـاكـمْ هـو الشِّفـا والمـرادُ
عـاملـونـي بـاللّطـف يـا أهـل ودِّي ... لاحظـونـي مـا قـد مضـى لا يعـاد
مـا أُحيْلـى الـوصـالَ فـي ظَلْـمِ ليْـلٍ ... وقـد غـالَ كـلَّ واشٍ رقـادُ[1]
ذاك أهنـى الـوصـال لا شـكَّ فيـه ... هكـذا هكـذا يكـون الـودادُ
أنـا مملـوككـم علـى كـلِّ حـالٍ ... ومـريـضٌ فهَـلْ تـرونـي أُعـادُ
يـا أهيـل الحمـى حللتـم بقلبـي ... وإليكـمْ يحـنّ منِّـي الفـؤادُ
كـلّ كلـي بحبّكـمْ مستهـامٌ ... والسّـويْـدا تشتـاقكـمْ والسّـوادُ
لا يحـق البُكـاء إلاّ عليكُـمْ ... وعلـى وصْلكـم يليـق الجهَـادُ

وقد شرحت هذه القصيدة شرحاً فائقاً في كتاب « جواهر الأحباء وإمدادات الأولياء » ، وجعلت اسم الشرح : « فتح الله الجواد بشرح عذبتني بالمطل منها سعاد » .

ومنه : [من الوافر]:

لقـد غنّـى الحبيـبُ لكـلِّ صـب ... فـأيـن الـرّاقصـون علـى الغنـاءِ
أيَشْـدو مَـن تحـبّ وأنـت قـاسٍ ... وتـرضـى بـالقسـاوة والعنـاءِ
إذا مـا كنـت صبّـاً مستهـامـاً ... فمـل طـربـاً كغُصـنٍ فـي هـواءِ
وقُـلْ للعـاذليـن دعُـوا مـلامـي ... فـإنّ العـذلَ عنـدي كـالهبـاءِ
أفـي أهـلِ اللّـوا[2] وعـريـب نَجْـدِ ... أطيعكـمُ وقـد سكنـوا حشـائـي
معـاذَ الله أن أصغـي إليكُـمْ ... نَعَـم ألقـي مـلامكـمُ ورائـي

(١) هكذا الشطر الثاني وهو مختل الوزن ، ولعل الصواب : « ولقد . . . » .
(٢) في (م) : « في أهل الهوى . . . » .

ومنه : [من مخلع البسيط]:

لـولاكَ يـا زينـةَ الـوجـودِ ... مـا طـابَ عيشـي ولا وجـودي
ولا شجـانـي وميـضُ بـرق ... ونَقْـر دف وصَـوْت عُـود
أنـت الّـذي همْـتُ فـي هـواهُ ... وليلـة الـوصـلِ منـكَ عيـدي
بـالله زرنـي فَـدَتْـكَ روحـي ... يكفـي مـن الهَجْـر والصُّـدودِ
مـا أصعـبَ الهجـر مـن حبيـبٍ ... لا سيّمـا للشجـي العميـدِ
ومـا أُحَيْلـى وصـال لَيْلـى ... لَيْـلاً علـى السّفْـح مـن زرودِ
فيـا ليـالـي اللّقـا علينـا ... عُـودي ليخضـرّ منْـكِ عُـودي

ومنه : [من الخفيف]:

ليـس إلاّ بكـمْ يتـمُّ السّـرورُ ... يـا عـريبـاً هـمُ بقلبـي حضـورُ
أنتـم الأغنيـاء حُسْنـاً ولكـن ... أنـا صـبٌّ إلـى الـوصـال فقيـرُ
كلّمـا هبّـت الصبـا كنـت شـوقـاً ... نحـوكـم يـا أُهَيْـلَ نجـدِ أطيـرُ
فـاسمحـوا لـي ولـو بطيْـفِ خيـالٍ ... إنّ نفـعَ القليـلِ منكـم كثيـرُ
واقبلـونـي بفضلكـم يـا مـوالـي ... لا بجهـدي فـذاك شـيء حقيـرُ
وأريحـوا فـدَتْكُـم الـرُّوح قلبـي ... مـن سـواكـم لعلّـه يستنيـرُ

ومنه : [من الخفيف]:

قـد كسـانـي لبـاس سقـم وذلّـة ... حـبُّ غيـداء[1] بـالجمـال مـدلَّـةْ
سلبتنـي وغيّبتنـيَ عنّـي ... وغـدا العقـل مـن هـواهـا مُـدلَّـةْ
سفكت في الهوى دَمِي ثمّ قالت ... يـا طفيلـي عشْقتنـي أنـت أبْلَـهْ
إنْ تـردْ وصلنـا فمـوتـك شـرطٌ ... لا ينـال الـوصـال مـن فيـه فضْلَـةْ
فـافـنَ عـن جملـة الـوجـود لتبقـى ... كـلُّ هـاتيـك يـا فتـى مضمحلَّـةْ

---

(١) في (ط) : « حب غيْدٍ . . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) إلاّ أن أتى به مقصوراً ، والمد هو الصواب .

وانخلع عنك يا خليعَ غرامي لا يكن لكَ غيرُ وجهيَ قبْلَهْ
طهِّرِ العينَ بالمدامعِ سبْعاً من شهود السِّوى[1] تزلْ كلُّ علَّهْ
وترى حُسْننا البديع فتضحي في سرورٍ قريرَ قلْبٍ ومُقْلَهْ
وابذلِ الرُّوحَ فهو فينا قليلٌ راضياً لا تقل دمي من أحلَّهْ
واجعلِ الفقرَ شافعاً لك تغنى حبّذا الافتقار ديناً وملَّهْ
[مَن أتى تائباً قبلناه فضلاً تلك عاداتنا لمن جاء قبْلَهْ][2]
كم محبٍّ بعجزه قد تحلّى نال منّا الّذي يروم ومثْلَهْ
نقطة الباء كن إذا شئت تسمو أو فدَعْ ذكر قربنا يا مولَّهْ
وأرْدنا لنا بغير مرادٍ والزمِ البابَ في حياء وخجلَهْ
واحفظ العهدَ كي توافي حمانا سالم القلب من تناسٍ وغَفْلَهْ
هذه سنّة المحبّين فاسلكْ واتركِ العاذل الجهول وعذلَهْ

ومنه : [من المجتث]:

يا راحةَ الرّوحِ يا مَن هواه أشرف مَذْهَبْ
واصل فديتك صَبّاً أنسيته كلَّ مذهبْ
وباين الكلّ إلاّ من بالهوى قد تمذهَبْ
مشاربُ القومِ شتّى من كلها صار يَشْرَبْ
قد شرّف النّاس طرّاً وللغرائبِ غرّبْ
فهو الغريبُ ولكنْ محبوبه منه أغْربْ
تعجّبَ الخلقُ منه وباطنُ الأمرِ أعْجَبْ
يا موجبينَ لصَحْوي السّكرُ والله أوْجَبْ
وليس يوجبُ صَحْوي إلاّ بَليدٌ مُعَذّبْ
بين الغوير ونَجْدٍ طولَ الزّمان مُذَبْذَبْ

---

(١) في (ط) : « . . . شهود السّرى . . » تحريف ، وصوابه في (م) .
(٢) البيت لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

فطـــالعـــوا إن شَكَكْتُـــمْ تهـــذيبكـــمْ والمُهـــذّبْ
يـــامـــا ألـــذَّ استمـــاعـــي قـــولَ النّـدامـــى لـــيَ اشْـرَبْ
فـــي حضـــرة ليـــس فيهـــا إلاَّ مـــــــرادٌ مُقَـــــــرَّبْ
ومطـــربُ الحـــيِّ يَشْـــدو لا عـــاشَ مَـــن ليـسَ يَطـربْ

ومنه : [من البسيط]:

علـــيَّ للهِ نـــذْرٌ لا أخـــلُّ بـــه إلاّ لعـذر إلـى الإخـلال ألْجـانـي
إن شاهدت مقلتي سَلْمى بذي سلم تعفير خدِّي بذاك الحيِّ كالجاني
فبـذل روحـي قليـل فـي محبّتهـا دعْ عنك بذل عروض ثمّ أعياني

ومنه : [من الكامل]:

لا تحسبـوا يـا قـوم قلبـي خـافـقٌ لكنّـــه طَـــرَبـــاً عليـــه يُصفّـــقُ

ومنه :

ذلّـــي لعـــزّك يـــا حبيبـــي لائـــقُ وبـك الوِصـال من القطيعة ألْيَقُ

ومنه : [من المتقارب]:

كتمتُ هـوى سـاكـن فـي الحشـا ولكـنْ علـى الـرّغـم منّـي فَشَـا
لقـد صـادَ قلبـي ومـا صـدتـه فـوا عجبـاً كيـف سمّـي رَشَـا
سـوى البـذل للـروح لا يـرتضـي فـلا تـرجُ منـه قبـول الـرّشَـا
إذا رامَ هجْـري ورمـتُ اللّقـا رضيـت بحكـم الهَـوى مـا يَشـا

ومنه : [من البسيط]:

لو قيلَ لي وهجيرُ الصّيف[1] في وهج وطيُّ أحشايَ كم فيه من الشعل
أهُـمْ أحبُّ إليـك اليوم تشهـدهـم أم شربة من زلال الماء كالعسل؟
لقُلت مشهدهم أهوى ولو تَلفَتْ روحي أسىً وجوىً يا ليت ذلك لي
وهكـذا الحبُّ إن صحّتْ قـواعـده « ليس التّكحلُ في العينين كالكحلِ »

---

(١) في (ط) : « لو قيل لي هجير والصيف » وبه يكسر الوزن .

وقد سبقه إلى هذا المعنى الإمام الشاشي فقال : [من البسيط]:

لو قيل لي وهجيرُ الصَّيف في وهج وفي فؤادي جوى للحرِّ يضطرمُ
أهم أحب إليك اليوم تشهدهم أم شُرْبة من زُلالِ الماءِ قُلت هُمُ

والأخذ على هذا الوجه عند أهل البديع جائز .

ومنه : [من السريع]:

بالله ِكَرِّر أيُّها المطرب تذْكار قوم ذكرهم يعجبُ
ما زمزم الحادي بذكرهم في الشّرق إلاَّ رقص المغربُ

ومنه :

خلّوا عذلي فقد حلا لي العشقُ كم من جدل رقّوا لحالي رقّوا
زادت عِلَلي وما بقى لي نطقُ أرجى عملي أنّي لسعدى رقُّ

ومنه :

قد بلبلَ خاطري وأجرى دمعي تغريدُ حمام بان ِادي الجزعِ
لما نَدَبت هديلَها بالسّجع أمسيت ألوبُ في نواحي الرّبعِ

ومنه :

يا ليلُ إلى متى أقاسي بيني ما الذنبُ وما جرى لقطع البيْنِ
بالله ِعيدي مريضَ هَجْرِ نَوى يا مالكتي إصْلاح ذات البَيْنِ

ومنه :

يا مانحَ مهْجتي ويا مُسْعِفها في الطّور ضحى عساك أن توقفها
عينٌ نَظَرَتْ حماكَ ما ألطفَها أذُنٌ سَمعت نداك ما أشْرَفَها

ومنه :

ذُلِّي لجمالِ عزّه يكفيني عزّاً وبذلك إن أمت تكفيني
ما الحبّ ولو فنيت إلا ديني من ذا معه عشقٌ عسى يعديني

ومنه :

أهوى قمراً رضيته لي وعلي ... مَنْ مات به فذلك الميْتُ حيْ
كمْ من أسد إذا به وهو ظبي ... إنْ رمتَ تحبه فللموت [تهيْ][1]

ومنه :

غنّى البلبلُ معتمّاً في بابل ... والبالُ مبلبل وجسمي ذابل
فارتاح من الهموم قلبي القائل ... أما شجي فاهتز مِثْلَ الذّابل

ومنه :

لا كانَ عن النّقا فؤاداً عدلا ... وانقل فتواي إنه ما عَدَلا
يا مَنْ رحل الجمال يبقى ملَلاً ... حاذر كسلاً في قَصْدها أو مَلَلا

ومنه :

يا مالكَ مهجتي ووالي ديني ... أنجز عدتي فالوعدُ مثل الدّيْن
والهجرُ إذا أطَلْتَه يرْديني ... حاشاك وأنت لم تزلْ تَهْديني

ومنه :

قلبي لِشرابِ حبِّ سعدى قدحُ ... لاأتركه لعذَّلٍ قد قَدَحُوا
دَعْ من طعنوا في حبّها أو جرحوا ... فالقاهرُ عالمٌ بما قد جرحوا

ومنه :

عُودوا صبّاً بكم مريضاً عودوا ... يا مَن صَرموا وللتصافي عُودُوا
منكم طَربي إذا شجاني العُودُ ... فاسقوا غرسي يخضر منه العُودُ

ومنه :

لم أخشَ وأنت ساكن إنساني[2] ... يا مَنْ بجماله الورَى أنساني

---

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٢) في (م) : « . . . ساكن إنسابي » تصحيف ، وصوابه في (ط) .

لا نــال مُنـاه يـا حبيبـي قلـبٌ عــن حبّـك عــاقَــه إنســانــي

ومنه :

قـد صـرتُ علـى سعـادَ وقفـاً ولهـا بــالله عــلامَ ذا كستنــي ولَهــا[1]
إن كـان الـذنـبُ أننـي هِمـتُ بهـا فالكونُ سَها بالحسن قَبلي ولها[2]

ومنه :

لـم أنـسَ زمـان وصْلِكـم بـالسّفـح يـا مَـن منحـوا جفنـي دوام السّفـحِ
إعـراضكـم فـي القلـب منه جـرْحٌ داووا بـالله يـا مـوالـي جـرْحـي

ومنه :

أهـوى رشـأ ذابـت عليـه كَبـدي فـي الحـبِّ لـه حيـاةُ رُوحِ الجسَـدِ
لا أسمــع فيـه زور أهــل الفَنَـدِ فالعاذلُ لم يزلْ ضجيعَ الجسدِ[3]

ومنه :

أفـدي قمـراً فـي حـي قلبـي سَكنـا لم أرض لمهجتي سواه فيها سَكنا
مـن واصَلـه لاقـى سكـونـاً وهَنـا لَكِـن وجـدي بـوصْلِـهِ مـا سَكَنـا

ومنه :

إنْ جزت بسلعٍ سَلْ عن الأحباب واذكـر لهـم كـي يَـرْحمـونَ مـا بـي
قـل صبّكـم قـد ضـاق صـدراً فمتـى بـالـوصْـلِ يفـوزُ أو بفتـح البـاب

ومنه :

مــا نــاحَ مطـوّقٌ بـأعلـى البَـان أو لاحَ بــويــرق علــى نَعْمـانِ[4]

---

(١) الوَلَهُ : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن ، اللسان « وله » .

(٢) ولَهَا : من (لَهَا يلهو لهواً) .

(٣) في (م) : « فالحاصل لم يزل . . . » .

(٤) المطوّق من الحمام : ما كان له طوق . ونَعْمَان : واد في مواضع متعددة من أرض الجزيرة والشام والعراق . وهو حصن من حصون زبيد . « معجم البلدان » (٥/ ٢٩٤) .

إلاّ أمسيت صانعاً لي فُلْكاً ... كي لا أفنى بدمعي الطّوفانِ

ومنه :

لم أرضَ بغير حبِّكم لي مَذْهبُ ... هذا ديني ومالي عنه مَذْهَبُ

يا مَن سكنوا العُذَيب من أحشائي ... تعذيبكم يا سادتي ما أعذبُ

ومنه :

فارقْتُكم والقلبُ في أسركم[1] ... يا مَنْ منعوا جفني لذيذ الوَسَنِ

عيشتي من بعد ما نأيتم كَفَني ... فالميْتُ أنا والفرق تركُ الكَفَنِ

ومنه :

تغريدُ الوُرق في الدّجى أرّقني ... لمّا باتَتْ تشدو بأعلى الفننِ

ما لي سَكَنٌ أشكو إليه شَجَني ... حبيبي ربِّي إن رمْتُ شكوى الحزنِ

ومنه :

لله ليالياً على ذي سَلَمِ ... ما بين أراكها وبين السّلمِ

أمسيتُ بها سميرَ سلمى وحدي ... حتى هزم الصّباح جيش الظّلمِ

ومنه :

يا سعدُ إذا جئْتَ النّقا والبَانا ... فاذكرْ لبنى والسّفحَ من لبنانا

وانقلْ أخبارَ من هواهم فرضي ... ما زلت بهم حِلف الضّنا ولهانا

ومنه :

أفدي قمراً في حُسْنِهِ نزَّهني ... قالوا ألهاك قلتُ بَلْ ولَّهني

ما كنتُ على حديثه مطّلعاً ... لولا مكحول طرفه حدّثني

ومنه :

حبّي لكم يا أهلَ نجْدٍ شرفٌ ... ما فيه كما يظن لاح سرف

---

(۱) في (م) : « . . . والقلب في أمركم » .

والمحكم من حديث قطعي سَقَمي فيكم صحّت آياته والصُحُفُ

ومنه :

جمعي بكم يَجْلو سويدا بصري يا مَنْ بهم يحقُّ محو الأثرِ
طُوبى لفتىً رماه لَحْظٌ منكم قد جاء بذاك شاهِدٌ في الأثرِ

ومنه :

أصبحْتُ أرقَّ من شَمالٍ وصَبا في حُسْنِ شُوَيْدنٍ كساني وَصَبَا[1]
قلبي لإمام حُسنه شيّعني فاقضوا عجباً إن هام شيعي وصَبَا

ومنه :

بانُوا عني فَبانَ كل السُّلوان واعْتضتُ من السّرور جَمَّ الأحزان
هل يجمعني وأهل وادي نُعمان هذا سهلٌ على الكريم المَنّانِ

ومنه :

أفدي قمراً جماله ألهاني قد طاب به زمان عيشي الهاني
مَن شاهَدَهُ يصيرُ كالولهانِ لا أسمع فيه قول من يَنْهاني

ومنه :

في القلب لكم منزل مقصورُ عن غيركم ومنكم مَعْمورُ
في الذَّرِّ عَرَفْتكم فلا أنساكم يا مَن بهواهم جَرَى المقدورُ

ومنه : [من المجتث]:

وعاذلٍ لي يلومُ يظنّ أنّي سليمُ
وما أصاب فإنّي كليمُ قلبٍ سليمُ

---

(١) في (ط) : « شويذن » بالذال المعجمة : تصحيف ، وما أثبتناه في (م) والشويدن : تصغير شادن وهو ولد الظبي الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والشمال : ريح تهبُّ من الشَّأم يسار القبلة ، والصَّبا : ريحٌ تستقبل البيت . « اللسان » (شدن ، شمل ، صبا) .

ومنه : [من الكامل]:

يا هاجراً لي طولَ عمري عامِداً — أنْعِمْ بوصلك يا حياتي آخرهْ
واجعل نصيبي القرب منك[1] تفضُّلاً — أو لا فإنَّ العيشَ عيشُ الآخرَهْ

ومنه : [من المجتث]:

جَرَحْت يا نُورَ عيني — خدي بماء مَعينِ
وليسَ يُنْكَرُ جَرْحٌ — أتى به « ابنُ مَعِينِ »[2]

ومنه : [من الكامل]:

ومهفهفٍ قبّلت أشنب ثغره — وبلوغ ذاك الثّغرِ ما لا يُحْسَبُ
قال احْسُبِ القُبَلَ الّتي قبّلتني — فأجبت « إنّا أمّة لا نحْسُبُ »

ومنه : [من المجتث]:

مالي إليك رسولُ — إلاّ النّسيمُ العليلُ
فحمِّلوه شذاكم — يَصِحّ مِنْهُ العليلُ

ومنه : [من الطويل]:

مراسيلُ شوقي نحو ليلى رسائلي — وكتمانُ وجْدي من أجلِّ وَسائلي
ولكنْ جَرَى دمعي ونمَّ بما جرى — فتحقيق جار عند جارٍ وَسائلي

ومنه : [من المجتث]:

باللهِ دعْ ذا التّغابي — واسمح بردِّ الجوابِ
وارحم بعزّك ذلّي — فقد أحاط الجوى بي

---

(١) في (ط) : « . . . القرب بتلك تفضُّلاً » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) هو يحيى بن مَعين البغدادي ، أبو زكريا : من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله . وقال العسقلاني : إمام الجرح والتعديل ، توفي سنة (٢٣٣هـ) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣/ ١٥٥) و« الأعلام » (٨/ ١٧٢ـ١٧٣) .

ومنه : [من مخلع البسيط]:

بـــالله مـــا بينكـــم وبينـــي حتـــى أطلتـــم زمـــان بينـــي
لا عَيْـــش إلا إذا وصلْتُـــم عـــذابَ بَيْـــن بعـــذب بَيْنـــي

ومنه : [من الكامل]:

بالوصلِ منك مريض هَجْرٍ يُشْتفى ممّـا ألـمّ بـه ومثلـك مـن شَفَـا
يـا منتهـى الآمـال يـا كـلَّ المُنـى أدركهُ فهو من الصّدود على شَفا

ومنه : [من المجتث]:

أفـــدي الـــذيـــن إذا مـــا ذكـــرتهـــم أنســـونـــي
أنستهـــم فنســـونـــي لا بَـــلْ هـــم آنســـونـــي

ومنه :

بـــلابـــلُ الحـــبِّ تشـــدو بكـــلِّ مَعْنـــىً غَـــريـــبِ
وليـــس تلـــك المعـــانـــي إلا لصـــبّ غَـــريـــبِ

ومنه :

زارَ الحبيـــبُ فـــأحيـــا ميْـــتَ الغـــرامِ وحيّـــا
فشـــاهـــدوا مَيْـــت حـــيٍّ بـــزورة عـــاد حيّـــا

ومنه :

هـــواكُـــم صـــار دِينـــي يـــا عُـــرب وادي العقيـــقِ
وقـــد جـــرى دمـــعُ عينـــي ممّـــا جَـــرَى كـــالعقيـــقِ

ومنه : [من الكامل]:

يـــا حبّـــذا يـــا حبّـــذا يـــا حبّـــذا بـــدرٌ أصـــابنـــي عليـــه كـــم إذا
والله لا خطـــرَ السلـــو بخـــاطـــري مـــا دمـــت فـــي قيـــد الحيـــاة ولا إذا

ومنه : [من المجتث]:

يا مَنْ لـه القلبُ بيْتٌ سواك ما فيه مَرّا
أراك تسأل عنه و« صاحب البيت أدْرى »

ومنه : [من الخفيف]:

يا قتيلَ الغرامِ كنْ لي معنّى أنا في الحبِّ ألطف الناس مَعْنَى
لو رآني مجنون ليلى لقرّت عينه بي وهام في كل مَعْنى

ومنه : [من البسيط]:

سلِّمْ لهمْ تلقَ من ألطافهم عجباً واخضع لهم يا طفيليّ الهوى أدبا
ولا تَقُل سببي يوماً ولا نسبي يكفي بهم سبباً يكفي بهم نَسَبَا

ومنه : [من مخلع البسيط]:

يا سالبَ النّومِ عن جُفوني اجعل لهذا الصّدودِ حَدّا
واشرخ بطيب الوصالِ صدْري نَقْداً وإن شئت كان وعْدا
أنتَ لروحِ المحبِّ قوتٌ وطالبُ القوتِ ما تعدّا

ومنه : [من السريع]:

يا هاجراً حبي له زائدُ لا « صلة منك ولا عائدُ »
لم أنسَ طيبَ الوصْلِ فيما مضى يا ليتَ ذاك الوصْل لي عائدُ

ومنه : [من المديد]:

أيُّها اللّحظُ المريق دمي أنت في حل وفي سعَةِ
حبّذا يا فتنتي قَدَمي بي إلى حتف الهوى سَعَتِ
نِسبتي في الحبِّ ثابتة همتي عن غيره سَمتِ
كنْتُ مجهولاً بلا سمةٍ وهي لي بين الورى سمَتي
كم معانٍ فيك يا قمري للمعنى الصَّبِّ قد دَعَتِ

مـــن تمعنـــاهـــا وعـــاينهـــا　　عاش في خفض[1] وفي دَعَةِ

والسودي : نسبة إلى قرية تسمى « سودة شضب » وهي على ثلاثة مراحل من صنعاء ، ونسبه يرجع إلى بني شمر ، وهم من أولاد كندة . وكان للشيخ نفع الله به ولدان : أحدهما عبد القادر ، والآخر محمد ، ومات عبد القادر في حياة أبيه وخلف بنتاً ، ولم يبق للشيخ عبد الهادي الآن نسل إلا منها . وأما محمد فعاش بعد والده وصار متولياً قضاء تعز ، ولما استولى الأروام على تعز لزموه وبعثوا به إلى مصر فمات هناك ، وذلك في حدود الستين بعد التسعمائة .

● **وفيها توفي السلطان الأعظم مظفر شاه ابن محمود شاه**[2] صاحب كجرات ، وكان عادلاً فاضلاً محباً لأهل العلم ، وكان حسن الخط وكتب بيده جملة مصاحف أرسل منها مصحفاً إلى المدينة الشريفة ، وخرجت روحه وهو ساجد ، والظاهر أنه هو الذي وفد عليه الشيخ العلامة بحرَق الحضرمي ، وصنف بسببه السيرة النبوية وإن كان اسم الكتاب يشعر بغير ذلك ، فإنه ما كان في ذلك الزمان أحد ممن ولي السلطنة اسمه أحمد غيره ، ولم يزل عنده مجللاً مكرَّماً إلى أن مات .

* * *

---

(١) في (ط) : « . . حفظ . . » .
(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٥٥) وثمة اسمه : « مظفر شاه أحمد بن محمود » .

سنة ثلاث وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد سابع شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين توفي **العارف بالله الربّاني والقطب الصمداني شافعي زمانه وجنيد أوانه ، ولي الله بالاتفاق وشيخ المشايخ على الإطلاق المشهور في الآفاق الشيخ محمد بن علي بن عِرَاق**[1] **الكناني الشافعي** بمكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً . وكان وصوله من مكة إلى مدينة المصطفى في شهر رمضان من سنة اثنين وثلاثين لإطفاء الفتنة التي أطفأها الله تعالى بوصوله بين الشريف أبي نُمي بن بركات[2] والأروام وأميرهم سلمان ومعهم خير الدين ، وإظهارهم أن نيتهم العزم على الفرنج ، فقتلا كلاهما باليمن .

وكان رضي الله عنه من كبار المشايخ العارفين ، وبقية الصفوة من الأولياء الوارثين ، وكان من رجال الطريق ومشايخ التحقيق ، وخاتمة ذوي العرفان ، وعمدة في تربية المريدين .

ومن كراماته : أنه كان في يوم من الأيام جالساً تحت شجرة فمر على خاطره قول البوصيري في البردة « وراودته الجبال الشم من ذهب » البيت وإن ذلك قليل بالنسبة إلى رتبة النبي ﷺ . قال : فما استتمت بخاطري إلاّ ونظرت إلى تلك الشجرة قد استحالت ذهباً ، فهالني ذلك ، وتضرعت إلى الله تعالى حتى عادت كما كانت .

وله ـ نفع الله به ـ عقيدة مختصرة وهي هذه :

---

(١) ترجمته في « الشقائق النعمانية » ص(٢١٢ـ٢١٣) و« الكواكب السائرة » (١/ ٥٩ـ٦٨) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٢٧٣ـ٢٧٧ » و« الأعلام » (٦/ ٢٩٠) و« معجم المؤلفين » (١١/ ٢١ـ٢٢) .

(٢) في (ط) : « بركاب » تحريف .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
اللهم إنّا نوحدك ولا نحدُّك ، ونؤمن بك ولا نكيفك ، جلَّ ربنا وعلا تبارك وتعالى . حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة ، قدرته ليس لها نهاية فالنهاية بالتحقيق ملحوقة ، إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة ، سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة ، بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة ، علمه ليس بكسبي فالكسبي بالتأمل والاستدلال بعلم ، ولا بضروري فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم ، كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ، ولا بحرف فالحروف تؤخر وتقدم ، ذاته ليست بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ، ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس ، لا العرش له من قبل القرار ولا الاستواء من جهة الاستقرار ، العرش له حدٌّ ومقدار والرّبُّ لا تدركه الأبصار ، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول ، وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول ، العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان . جل عن التشبيه والتقدير والتكييف والتغيير والتأليف والتصوير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ، ونستغفر الله من كل تقصير ، غفرانك ربنا وإليك المصير . انتهت العقيدة ، وشرحَها شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي . وله وصية نافعة وغير ذلك .

● **ومن أولاده الشيخ العلاّمة الحبر الفهامة ، قدوة وقته في المعقول والمنقول ، والمعول عليه في الفروع والأصول ، شيخ الأنام بطيبة النبوية ، ومرجع الخاص والعام بالحضرة المصطفوية الشيخ علي**[1] . وكان من كبار أهل العلم ، وله جملة مصنفات منها : شرح على « العُباب » في الفقه إلا أنه لم

---

(١) ذكره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٧٦) في ترجمة والده .

يتمّ ، ومنها « تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة » وهو كتاب جليل عظيم الفائدة[1] ، ومنها « الصراط المستقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم » ، واختصر « رحلة ابن رشيد » ، وعمل تذكرة جمع فيها فوائد عديدة . وسئل عن القهوة بهذه الأبيات : [من الرمل]:

أيُّها السّامي لكِلتا الذّروتين ... بجوارِ المُصْطفى والمروَتَيْنِ
والعليّ القَدْرِ علماً وكذا ... ذا علا فوق ذين النَّيرَينِ
من له في الزُّهد باعٌ ويدٌ ... وهو في بذل النّدى رَحبَ اليدينِ
أفتني في قهوة قد ظُلِمَتْ ... حيثما شئت تعاطيها بشَينِ
من تلةٌ هالنا مهيعُه ... وافتراق للأقاويل ومَينِ
ومراعاة أمور شاهَدْتها ... في الحان كِلتا المُقلتَينِ[2]
وحكى شرابها أهل الطّلا ... فالتّداني بين تين الفرقتين[3]
أو دعوا ذا الطرس ما يرجو الغنى ... أو دعوا فاليأس إحدى الراحتينِ

فأجابه رحمه الله :

أيُّها السّامي سمو الفرقدينِ ... وإمامُ العلمِ مفتي الفرقتينِ
يا رضيَّ الدّينِ يا بحرَ النّدى ... من رجاكم راحَ مملوء اليدينِ
جاءني منكم نظام قد حكى ... في نصوعِ اللفظ مسبوك اللّجينِ
قلت فيه إنَّ ذا القهوة قد ... خلطوها بتلهِ وبمَين

---

(١) وهو من خيرة المؤلفات المصنَّفة في بابته ، قدَّم له بمقدمة ضافية نافعة تكلم فيها عن أمر الأحاديث الموضوعة وما قيل فيها ، وضمنها فصلاً مهماً بأسماء الرواة الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ، ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار ملخصاً من مؤلفات ابن الجوزي والذهبي وابن حجر العسقلاني ليحذرهم الباحث المشتغل بحديث رسول الله ﷺ ، ثم سرد مجموعة كبرى من الأحاديث الواهيات ، وقد طبع منذ سنوات طويلة بمصر بعناية الشيخين عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله الصدّيق الغُماري ، ولكنه بأمس الحاجة إلى إعادة إخراجه في طبعة محققة متقنة مفهرسة .

(٢) البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) في (ط) : « . . . الفَرْدَني » تحريف .

وبمطعـــوم حـــرامٍ وغنـــى وبـرقـص وبصَفْـقِ الـرَّاحتيـنِ
وطلبـت الحكـم فيهـا بعـدمـا قـد رأيتـم مـا ذكـرتـم رأي عيْـنِ
فعلـى ذي الأمـر إنكـار الّـذي شـابَهـا حتّـى يُصفّـى دون ريْـنِ[1]
فـإذا لـم يستطعـه دون أن يمنـعَ الأصـل ففعـل منـه زيْـنِ
والتّدانـي مـن حمـاهـا وهـي فـي وصفهـا المـذكـور شيْـنٌ أيُّ شيـنِ
والصَّفـا فـي شـربهـا مـع فئـة أخلصوا التّقوى وشدوا المئزرينِ
ثـم نـاجـوا ربَّهـم جنـح الـدّجـى بخشـوعٍ ودُمـوعِ المُقْلتَيْـنِ
فـابتـداء الأمـر فيهـا هكـذا قـد حكـوه عـن ولـي دون ميْـنِ
ذا جـوابـي واعتقـادي أنـه فـي اعتـدال كـاعتـدال الكفّتيـنِ

ومن شعره أيضاً : [من الكامل]:

قـالـوا العـزيـز لـه صفـات أربـع بالقهر يأخذ كل من يطأوا عليهِ
صَعـب الـوصـول لـه وقـلّ نظيـره واشتـدّت الحـاجـات مـن كـلّ إليـه

ومنه : [من الكامل]:

ولـربّمـا صـاد العقـابُ بكيْـده مـن لـو تـراه لخلتـه مِكْسـالا
حتـى تحقّـق والقضـاء مسـاعـداً إن العـلا مـا أعجـزت مُخْتـالا

صورة شيء من إجازة صاحب العباب المُزَجَّد للشيخ علي بن عراق بعد أبيات تتضمن الحمد والصلاة : [من البسيط]:

وبعـد فـالـولـد العـالـي علـيُّ فتـى محمَّـد بـن عـراقِ العـالـمِ العَلَـمِ
السَّالكُ النَّاسكُ المحيي طريقة من روى فأروى الورى من ورده الشَّبِمِ
فـالله يبقيـه فـي خيـرٍ وعـافيـة مـن غيـر بـأسٍ ولا بـؤس ولا نقَـمِ
أراد منـي إجـازات ولسـت هنـا إنّـي وإن كنْـتُ مـوجـوداً فكـالعَـدَمِ

---

(١) الرين : الدَّنس .

«أنا المعيدي فاسمع بي ولا ترني»[1] | نعم وما السِّمَنُ المَرِّيُّ كالوَرَمِ
وقد علمت بحسن الظنِّ منه بما | دعى إليه بأمرٍ منه مُنْحتمِ
أجزته في علومِ الشّرعِ أجمعها | وكلّ ما لي من نثرٍ ومُنْتظمِ
بما لها من أَسانيد مطولة | عن المشايخ أهل الفضل والهِمَمِ
هذا نهاية ما أسطيع جئت به | ومن يقصر وراء الجهد لم يُلَمِ
والحَمدُ لله حمداً لا نفادَ له | على التّواصل في بدء ومُخْتتمِ
ثمّ الصلاة على المختارِ من مُضَرٍ | ما أومض البرق في مُحْلولك الظّلمِ

صورة صدر إجازة الشيخ أبي القاسم بن إقبال للشيخ علي بن عراق :
الحمد لله الذي جعل صدور العلماء مشكاة لمصابيح الأنوار، وأمدها بزيت من الهداية والتوفيق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ [النور : ٣٥] وزيّن ظواهرهم بالسكينة والوقار ، وبواطنهم بمعارف عوارف الأسرار .

وفي تذكرة الشيخ علي بن عراق أنَّ آدمَ لما أهبط وأزال درنه وظفره وشعره خلق الله منه النخلة فالخشب من الدرن ، والجريد من الظفر ، والليف من الشعر .

وتاريخ وفاته لم أقف عليه ، وهذا هو الذي منعني من أن أترجم له على حدته رحمه الله تعالى .

● ومن أولاد الشيخ محمد بن عراق أيضاً الشيخ عبد النافع[2] ، وكان عالماً فاضلاً فصيحاً بليغاً رئيساً كبيراً ، ذا أدب وظرف وملح ولطف .

وحكي أنهُ سئِل عن الشّوي الّذي يصنعه الحضرميون المسمى عندهم

---

(١) هو مثل قاله المنذر بن ماء السماء لِشِقَّةَ بن ضَمرة ، وكان يسمع به ويعجبه ما يبلغه عنه ، فلما رآه قال : « تسمع بالمعيدي لا أن تراه » انظر : « أمثال العرب » ص (٥٥) و « الفاخر » ص (٦٥) و « البيان والتبيين » (١/ ١٧١) و « الشعر والشعراء » (٢/ ٦٣٧) .

(٢) ذكره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٧٦) في ترجمة والده .

المظبي : أتقول به معنى يعجبك؟ فقال : حتى أذوقه ، فلما ذاقه قال : نعم أقول به ، أقول به [قلت] : وعلى ذكر الشوي المذكور ذكرت بيتين فيه لصاحبنا الأديب الفاضل جمال الدين محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده وهما : [من السريع]:

إنَّ الهبـاريـشَ لهـا لـذّةٌ تفـوقُ لـذّاتِ الشَّـوِيْ والكبـابْ
ولـذّةُ الـوقْصـةِ لا تنسهـا وهـي الّتـي تُنسيكَ شـرْخَ الشبابْ

والحضارم يسمون ما يشوى من سواد البطن ونحوه الهباريش ـ بالهاء والباء الموحدة وبعدها ألف وراء ثم تحتية وآخره شين معجمة . ومن عادتهم أنهم إذا جَلسوا على أكلة يشرع أحدهم في قطع اللحم فيدور فيه على الجماعة فيدفع إلى أحدهم قطعة ويصنع بالآخر مثل ذلك ومثله بالآخر إلى أن تعود نوبة الأول ، فيعطيه ويستمر كذلك إلى آخر أكلهم ، ويسمون ذلك الأكل على هذه الكيفية الوقصة ، ويجدون لذلك لذة عظيمة لا يعدلها لذة أخرى .

وله أشعار رائقة وأخبار فائقة . ومن شعره وفيه التورية والانسجام والتوجيه : [من البسيط]:

يـا قـائليـنَ وقَـوْلـي حيـن أذكـرهـم كم هكذا أغتدي في غربة وفِراقْ
لو سارَ رَكْبٌ بعشّاقِ الهَوى رملاً نحو الحجازِ لما ذاق النوَى ابن عِراقْ

وله أيضاً : [من الكامل]:

كـلٌ لـه وردٌ يكـون وسيلـة لمعـاشـه ومعـاذه ومَعـادِهِ
وجعلت وردي في الخروج عن السّوي وأكـون مـعْ مـولاي تحـت مُـرادِهِ

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

هـذه القَهْـوةُ هـذه ليسـتِ المنهـيَّ عَنْهـا
كيـف تـدعـى بحـرام وأنـا أشـرب مِنْهـا

ومنها : [من الوافر]:

لشـاربِ قهـوة البـنِّ التَغـادي فَسِـرُّ شَرابهـا فـي الكـونِ بـادي

لهـا عـرف العنـابـرِ فـي الأيـادي ولـونُ المِسْـك تشـرب بـالـزّبـادي

وحكي أنه كان له أخ يسمى نعمان وولد له ابن من سرية له حبشية فأنشد في ذلك : [من الوافر]:

وقـد نلـتُ البنيـنَ مِـنَ السّـراري وأقـربهـم إلـى روحـي وجـاشـي
وليـدٌ لا يـزال يقـولُ عمّـي هـو النعمـان والخـالُ النَّجـاشـي

قلت : وعلى ذكر النعمان والنجاشي قد وقع لي تشبيه بديع جداً ، ولكن في غير هذا المعنى :

خـديـدُ حبِّـي حَكَـى الشّقـائـق وخـالـه خِلتُـه وجْـه واشـي
رمْـتُ تشبيهـاً فقـال خـدّه أنـا النُّعمـان والخـالُ النّجـاشـي

وكان تولى الخطابة بالمدينة الشريفة ، وتولى قضاء الأقضية باليمن .

وللعلامة الفقيه عبد الله بن عمر مخرمة فيه وهو يومئذ قاضي الأقضية بزبيد لما غاب عنها إلى بندر المخافي أواخر شهر جمادى الأولى وأوائل جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وتسعمائة وذلك : [من الوافر]:

رأيـتُ زبيْـدَ فـي شَهْـريْ جُمَـادى بـأخـرة ذا وأول ذا كَئِيبَـهْ
وبَـدْرُ جمـالهـا فيـه انْكِسـافٌ وقَـدْ كـانَـت محـاسنُهـا عجيبـهْ
فقلـتُ لهـا اخبـرينـي أيُّ شـيء كساكِ الكسْفَ؟ قالت لي مجيبهْ
ألسـتَ نظـرتَ فـي عِلْـمِ الطبيعـي ففـي الهيئـات عِلّـة ذا قـريبـهْ
وذلك أنَّ نورَ الشمس يعطي الضِّيـ...ـا للبـدر وهـي لـه حبيبـهْ
فحيـن يحـول ظـلّ الأرضِ عنهـا عـراه كسفـه ولقـي المُصيبـهْ
وشمسـي غـاب عنّـي فـاعتـرانـي كُسـوف وضـاقَ أنحـائـي الـرّحيبـهْ
فـإنْ شمسـي تعـود يعـودُ نُـوري وتصفـو كـلّ أحـوالـي الشّغيبـهْ
فبـالله اطلبـوا ربِّـي يعيـدهْ ويحـرسـه مـن النّـوب التعيبـهْ
ويصحبـهُ بتـأييـدِ ولُطْـفِ فمـا يخشـى الّـذي ربِّـي صحيبـهْ

وله أيضاً : [من الوافر]:

سألتُ زبيدَ عمّا قد عَراها ... من الإظْلام في وجهٍ وخدٍّ
وقلت لها أما سبب لهذا؟ ... فقالتْ لي مُفارقة الأفندي

ولم أعثر على تاريخه أيضاً رحمه الله تعالى آمين .

* * *

سنة أربع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وثلاثين أخذ الإمام الجواد[1] أحمد[2] مدينة هرر من بلاد الحبشة وضعف عن مقاومته[3] سلطانها ، وكان من ولد سعد الدين . ولم يزل أمر الإمام بعد يعظم حتى صار إلى ما صار إليه ، واستفتح كثيراً من بلاد الحبشة ، وقهر الكفار ، وواظب على الجهاد والغزو في سبيل الله ، ونقل عنه في ذلك ما يبهر العقول حتى سمعت بعضهم يقول : ما تشبه فتوحاته إلا بمثل فتوحات الصحابة ، وناهيك فيمن يكون بهذه المثابة . وكذلك حكي من أمر شجاعته حكايات غريبة ، قالوا : وكانت أموره جميعاً على قوانين الشريعة الغراء حتى أنه كان يخرج الخُمس من الغنيمة ويصرفه إلى أقارب النبي ﷺ .

ورأى بعضُ الأخيار النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعندهم الإمام المذكور ، قال الرائي : فقلت : يا رسول الله من هذا الرجل؟ قال : هذا رجل نشأ فصلح به بلاد الحبشة ، وكانت هذه الرؤيا قبل أن يترقى الإمام إلى هذا المقام ، ورأى بعضهم العيدروس وهو يقول : لا تسموهُ سلطاناً ولا أميراً ، سموه إمام المسلمين .

وبالجملة : فكان هذا الرجل من آيات الله تعالى ، رحمه الله تعالى آمين .

* * *

---

(١) في (م) : « الجراد » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٧٩) .

(٣) في (ط) : « مقاومة » .

سنة خمس وثلاثين بعد التسعمائة

● **وفي شهر ربيع الثاني سنة خمس وثلاثين توفي محمد بن علي بن أحمد بن سالم الجُناجي[1] بجيمين الأولى مضمومة بينها نون خفيفة ، نسبة لجُناج[2] قرية بين البحرارية وسنهور من الغربية ، ثم القاهري الأزهري المكي** وربما يعرف هناك بابن وحشي بمكة ، وصلي عليه عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة ، وكان مولده في سنة ستين أو بعدها تقريباً .

وحفظ القرآن ، ونحو النصف الأول من مختصر الشيخ ومن « ألفية النحو » ، واشتغل عند داود الفلتاوي في الفقه والعربية ، بل وقرأ على السَّنْهُوري النصف من « توضيحه » وسمع عليه غير ذلك ، وقرأ على الديمي « البخاري » ، وسمع على الكمال بن أبي شريف في « مسلم » ، وعلى الشاوي في « البخاري » بحضرة الخيضري كذا ذكر السخاوي ، قال : « وحج غير مرة ، ولقيني في سنة سبع وتسعين بمكة ، فقرأ علي « الموطأ » ونحو النصف من « الشفاء » بسماع باقيه ، ولازمني في غير ذلك سماعاً وتفهماً ، ولديه استحضار ومشاركة ، واختص بالشمس الحلبي التاجر ، ثم بأبي الفتح ابن كرمون ، وسافر معه إلى اليمن فحصل ما ارتفق به وعاد بعد أشهر في سنة تسع ، واستمر مقيماً بمكة يقرىء ولد المشار إليه بعد رجوع الأب إلى القاهرة ، ومعه جارية يتقنع بها ، ولا بأس به » .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : « وقد رزق منها ذكران

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٩١-٢٩٢) .

(٢) جناج : قرية من أعمال الغربية في مصر ، انظر « التحفة السنية » ص (١٧٥) .

وبنت ، وانقطع بمنزله من وجع رجله ، وتقرر في عدة وظائف ، وضررَ فصار أولاده يباشرونها عنه بحيلة وإظهار فضيلة ، واستمر على ذلك حتى مات رحمه الله » .

● وفيها : كانت وفاة الأمير سلمان الرومي الذي قُتِلَ في جزيرة المجاملة قريباً من بندر البقعة ، ويجمع مقتله له « قررت » وكان قاتله ابن أخته خير الدين ، ثم إن مصطفى بهرام ابن أخت الأمير سلمان الثاني استوفى وأخذ ثأر خاله بقتل خير الدين ، ثم دخل الهند مصطفى بهرام هو والخواجه صفر سلماني فخوطب مصطفى بهرام برومي خان ، وخوطب صفر بخداوند خان ، وسيأتي ذكرهما وتاريخ ذلك العام قريباً .

* * *

سنة ست وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي عصر يوم الخميس تاسع عشر المحرم سنة ست وثلاثين توفي **الشهاب أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر الفاكهي الأصل المصري المكي الشافعي**[1] ابن أخت السراج ، وجهز في ليلته ، وصلي عليه صبح ليلة الجمعة ، ودفن على قبر أبيه وجده في شعب الأقصى جوار الفضيل بن عياض وتربة بني الشيبي . وكان مولده في شعبان سنة ثمان وستين وثمانمائة بمكة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن و« أربعين النووي » و« الإرشاد » لابن المقري و« ألفية ابن مالك » وعرض على البرهان بن ظهيرة ، والمحب الطبري ، والعَلَمي ، وعمر بن فهد في آخرين .

قال السَّخاوي : سمع مني بمكة والمدينة أشياء ، بل قرأ علي بالقاهرة في « سنن أبي داود » ، وتكرر قدومه لها ، وهو حاذق فطن منور .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف استمر على حاله في التودد والحذق وكثرة دخول القاهرة ومخالطة الأكابر مع الحرص على تحصيل الوظائف ، وتزوج واحدة بعد أخرى ورزق جملة [من][2] أولاد أنجبهم : عبد الله من حبشية ، وغيره من مكِّيَّة ومدنيَّة . وحصل الأملاك وعمرها ، ثم ضعف في آخر عمره ، وطلع له فتق في بدنه ، وانقطع في بيته نحو جمعة بالإسهال ، ثم مات بعد وصية ، وحصل (له)[3] بالإسهال الشهادة ، ووقي فتنة القبر بموته يوم الجمعة وناهيك بهما من سعادة رحمه الله

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٢/ ٣٤) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٣٠٠) .
(٢) لم ترد الكلمة في (م) .
(٣) لم ترد الكلمة في (ط) .

تعالى وإيانا . وخلف عبد الله وعمر وعبد القادر وأبا السعادات . قلت : وقد اشتهر كل من أولاده بمزيد العلم خلا عمر ، وسيأتي ذكر الثلاثة منهم عند ذكر السنة التي توفوا فيها فليعلم .

● وفيها : **توفي السيد الشريف الفقيه حسين بن أحمد بن علي با جبهان با علوي** ، وكان فقيهاً فاضلاً صاحب إتقان وتحقيق ، تفقه بجماعة من أهل عصره وعلماء مصره كالفقيه أحمد بن علي خرد الملقب قاضي شريف ، والعلامة الفقيه عبد الله بن محمد با قشير صاحب « القلائد » والفقيه علي بن عبد الرحمن با حرمي ، والفقيه الزين بن الفقيه عبد الله با فضل . وكان محفوظه « الإرشاد » للمقري في الفقه و« ألفية ابن مالك » في النحو و« الشاطبية » في القراءات ، وقرأ « المنهاج » للنووي مراراً ، وقرأ « روض المقري » و« الإسعاد شرح الإرشاد » لابن أبي شريف ، وغير ذلك من كتب المذهب . وكانت وفاته بدورة من برِّ سعد الدين رحمه الله تعالى آمين .

* * *

سنة سبع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وثلاثين سار جَدّي الشيخ عبد الله العيدروس للحجِّ واستصحب معه ولده سيدي الوالد ، وكان الأروام في تلك السنة حصروا عدن ومنعوا المراكب أن تسير إليها مدة من الزمن ، فلما وصل سيدي الجد إلى الشِّحْرِ ، وسمع به الأمير مصطفى بهرام الرومي ، وكان يريد الهند فتوه في الشِّحْرِ ، جاء إليه يزوره ، فأخبره سيدي الجدُّ بأنّه يريد عدن ، فأذن له وسار إليها ، وكان يوم دخوله فيها يوماً مشهوداً ، وكان سلطانها يومئذ عامر بن داؤد آخر ملوك بني طاهر ، فقابله بالإجلال والإكرام ، وقام بواجبه أتم القيام .

* * *

سنة ثمان وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السبت سادس عشر شوال عام ثمان وثلاثين توفي **يحيى بن علي بن أحمد بن شرف الدين الرحبي الأصل ، المكي المالكي ، ويعرف كأبيه بالمغربي**[1] ، فجُهِّزَ في ليلته وصلي عليه في صباحها ، ودفن بالمعلاة عند قبر جده رحمه الله . وكان مولده في ليلة الأربعاء رابع وعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين بمكة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « أربعين النووي » ، و « الشاطبية » ، و « الرسالة » ، و « ألفية النحو » ، وعُرِضَ في سنة تسع وسبعين على قضاء مكة الأربعة ، وعمر بن فهد ، واشتغَل قليلاً ، وحضر عند الفخر بن ظهيرة وأخيه البرهان مع ذكاء وفهم ، ثم تعاطى التجارة بعد أن أثبتَ البرهان بن ظهيرة رشده ، وسَلَّمه ماله ، وسافر في التجارة لدمشق ، وتلقن في القاهرة الذكر من ابن عبد الرحيم الأنباسي .

ذكره السَّخاوي في تاريخه قال : وله ترددٌ إليّ وسماع عليّ ، ولي إليه زائد الميل ، ونعم هو تواضعاً وأدباً وفهماً وذكاء وحسن عشرة بحيث صار بيته بمكة وغيرها مألفاً لأحبابه مع عدم اتساع دائرته .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وعاش بعد المؤلف ، وتردد للقاهرة وأقام بها مدة ثم عاد لمكة ، واستمر على حاله في الجمع لأحبابه حتى توفي بعد طول مرض انقطع بسببه في المنزل مدة أعوام ، ولم يخلف غير ابنة واحدة ملكها جميع مخلفه وأثبت ذلك في حياته رحمه الله .

● وفيها : توفي الفقيه الصالح المقرىء إبراهيم بن علي بن الولي علوي

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (١٠/ ٢٣٥-٢٣٦) وفيه « المغيربي » و« شذرات الذهب » (١٠/ ٣٢٣) .

خرد با علوي ، وعمره سبع وثلاثون سنة ؛ لأنه ولد سنة إحدى وتسعمائة كما قاله أخوه المعلم خرد ، تفقه بالعلامة المُزَجَّد ، والعلامة الدَّيبع[1] وغيرهما . وكان يحقق للقراء العشرة ورواتهم برواياتهم ، ولم يسبق إلى ذلك فيما نعلم في زماننا في قطرنا ولا قبل ولا بعد ، بل كانوا يحققون للسبعة . وكان حسن العشرة ، وجاور بمكة المشرفة ومات بها رحمه الله تعالى آمين .

● وفيها : كان وصول مصطفى بهرام إلى أرض الهند ، ووصل في صحبته بالمدفعين المشهورين المسميين ليلى والمجنون .

* * *

(١) تحرفت الكلمة في (ط) إلى (الربيع) .

سنة تسع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وثلاثين : قَفَلَ سيدي الشيخ الجَدُّ عبد الله العيدروس من الحج إلى عدن ، وأمر ولده سيدي الشيخ الوالد بالذهاب إلى الإمام أحمد الجواد[1] بالحبشة بسبب دين لحقه ففعل ، وحصل المقصود على أحسن الوجوه وأجملها ، ورجع إلى عند والده بعدن في مدة يسيرة جداً ، وقضى الله عنه ذلك الدَّين الذي كان استدانه في سفره إلى الحج ، ورأيت بخط سيدي الوالد أن جائزة الجواد لهم كانت ألف وخمسماية ذهب .

* * *

(١) في (م) : (الجراد) .

سنة أربعين بعد التسعمائة

● وفي آخر ذي الحجة سنة أربعين توفي **الشريف الصالح الفقيه العابد الولي شيخ ابن الولي عبد الله بن الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الرحمن السقاف** ، وكان كثير العبادة متواضعاً . تفقه على علماء عصره ، قرأ « التنبيه » على العلامة الصالح الفقيه محمد بن أحمد با فضل ، وقرأ « المنهاج » على الفقيه محمد بن عبد الله با جعفر ، وابن أخي المذكور . كان فاضلاً بليغاً ، نقل « الحاوي » و« الألفية » ، وقرأهما وحققهما على العلامة محمد بن أحمد با فضل بعدن ، ونظم على منوال القصيدة الموسومة بالوترية قصيدة أجاد فيها .

ذكره المعلم خرد في كتابه « النور المضي والدر البهي » ولم يذكر تاريخ الوفاة ، والظاهر أنه كان إذ ذاك حياً ، واسمه عبد الله بن أبي بكر ، وكان يعاني التجارة .

● وفيها : خرج سيدي الوالد من عدن إلى تريم بأمر والده وتزوج فيها ، وولد له ولد مات صغيراً ، وقرأ في تلك السنة على الفقيه عبد الله با سهل وغيره من المشايخ .

* * *

سنة إحدى وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وأربعين توفي العالم الكبير **ملا عماد بن محمود الطارمي**[1] مولده بطارم[2] : قرية من خراسان ، نشأ بها ، واشتغل بتحصيل فنون العلوم حتى برع ، ثم جاء إلى كجرات وأقام بها إلى أن مات .

وسمعت شيخنا ملا عبد الرحمن بن حسن يقول : إنَّ والد صاحب الترجمة كان يعاني التجارة ، فاتفق أنه صنع خيمة عظيمة أنفق فيها مالاً جزيلاً ورصعها بالجواهر واللآلىء ، وذهب بها إلى ملك الروم فعجز عن قيمتها ، ثم أتى بها إلى كجرات وذلك في عهد السلطان محمود الكبير فلم يأخذها أيضاً ، فأراد الرجوع إلى وطنه فاتفق أن مرَّ ذات يوم ـ وكان يوم جمعة ـ على بعض المساجد ، وكان الشيخ الكبير شاه عالم في ذلك المسجد ، فسمع الجلبة والغوغاء فقال : ما هذا ؟ فقيل له بالقصة ، فقال : اطلبوه ، فأُحضر بين يديه وعرض تلك الخيمة عليه ، فاشتراها الشيخ منه على أن يؤدي إليه الثمن بعد أيام ، ورجع إلى منزله ، فقال بعض الناس له : إيش صنعت ، ابتعت من هذا الشَّيخ من أين يعطي هذا المبلغ الذي عجز عنه الملوك؟ فدخل عنده هذا الكلام ، وذهب من وقته إلى الشيخ فوجده جالساً وقد نصب الخيمة وجعلها نهبة للناس ، فلما رأى التاجر ذلك هاله هذا الأمر ، وطلب من الشيخ المبلغ قبل حلول الأجل ، فقال الشيخ : لقد حرضك بعض الناس على هذا أي جنس من النقد تختاره ؟ فذكر نقداً معيناً ، فرفع الشيخ بساطاً كان تحته وأمره أن يأخذ حقه ، فوجد ذلك المبلغ بعينه من جنس ما طلب هناك من غير زيادة ولا

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٤٥ـ٣٤٦) .
(٢) ذكرها مستوفياً الكلام فيها صاحب « بلدان الخلافة الشرقية » ص (٢٦٠) .

نقصان ، فاعترف عند ذلك بقدر الشيخ ، وطلب منه أن يرزقه الله ولداً ، فأخرج الشيخ تانبولاً من فيه وأعطاه إياه وقال له : سيكون ذلك إن شاء الله تعالى ، فرجع إلى بلده وولد له هذا الولد ، واشتغل بتحصيل العلوم حتى فاق أقرانه ، وكان قد سمع من والده أحوال الشيخ وكراماته ، فسافر إلى كجرات لملاقاته فما قدر الله وصوله إليها إلا بعد وفاته ، وكان وصل في عهد السلطان مظفر بن السلطان محمود .

وكان بارعاً في كثير من العلوم ولا سيما العقليات ، قيل : إنّه كان عنده منها كذا وكذا علماً ، وكانت له يد طولى في علم السيمياء وعنه في ذلك حكايات مشهورة .

وممن أخذ عنه من العلماء الأعلام مولانا وجيه الدين ، ومولانا العلامة القاضي عيسى .

● وفيها : توفيت فاطمة بنت القاضي كمال الدين محمود بن سيرين بالقاهرة ، ودفنت بالقرافة . ولدت تقريباً سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصر بن محمد بن الطنبغا ، فاستولدت ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها فتزوجها العلاء علي بن محمد بن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لهافي ذلك ، مع براعتها في النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه .

ذكرها السَّخاوي في « تاريخه » ، وذكر كثيراً من نظمها مما امتدحته به هو وغيره من فضلاء ذلك العصر ، من ذلك أنها أرسلت إليه بأبيات تستفتيه فيها عن بعض المسائل ، فأجاب عنها نثراً ، ومن ذلك أن الشهاب المنصوري كتب للزين سالم : [من الطويل]:

أيا سيداً قد حسّنَ الخالقُ اسمه وجمّله واللهُ بالخَلْقِ عالِمُ
أعِنْ بِيَدِ فيها أيادِ لسائلٍ ولا تخشَ حُسّاداً فإنّكَ سالمُ

فقالت هذه بديها : [من الطويل]:

أيــا سيّــداً عــمّ الخــلائــق بِــرّه وإحســانــه فــرض تضــاعــف لازِمُ
أعِنْ سائلاً يأتيك والدمعُ سائلٌ ولا تخشَ من سوءٍ فإنك سالِمُ

وكان بحضرة السّراج العبادي وغيره فرجحوها عليه ، بل وافق المنصوري على ذلك . قال : وقد حجت سنة أربع وثمانين ، ثم سنة أربع وتسعين وجاورت في هذه بجوارنا ، ثم في سنة ثمان وتسعين مع أبيها وجاورا في السنة التي تليها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف عمرت نحو أربعين سنة حتى بلغت نحو خمس وثمانين سنة ، وجاورت بمكة سنين عديدة في حدود العشرين ، وخالطت سلطان مكة السيد بركات الحسني وزوجته ، بل وامتدحتهما وأنعما عليها بعدة إنعامات ، بل راسلها الشريف وغيره من الأكابر . وجمعت نظمها في كراريس ، وقد أخذت دورها في أول دولة الأروام وتوجهت للقاهرة بسببها ، وفقدت نظرها وقدحت عينها فلم ينتج شيئاً ، ثم مات ولدها سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وضعف حالها بعده رحمها الله .

قلت : وعلى ذكر قدح العين فهنا حكاية غريبة يحسن ذكرها ، وهي : أن الفقيه الصَّالح محمد بن الحسن بن عَبْدَويْه ـ بفتح العين وإسكان الباء الموحدة وفتح الدال المهملة والواو وإسكان المثناة من تحت ثم هاء ـ تلميذ الشيخ أبي إسحاق الشيرازي كُفَّ بصره في آخر عمره ، وكان متوطناً في جزيرة كمران[1] فقال بعض من كان يقرأ عليه : خرجت مرة من بلدي أريده في الجزيرة ، فدخلت المهجم فوجدت به طبيباً فأخبرته بحال الفقيه وسألته أن يسير معي فأجابني ، وخرج معي إلى المهجم ، ثم ركبنا البحر حتى أتينا الجزيرة فأتيت

---

(١) جزيرة كَمَران : بالتحريك : جزيرة قبالة زَبيد باليمن سكن بها الفقيه المذكور محمد بن الحسن بن عبدويه ، انظر « معجم البلدان » (٢/ ١٣٩) مادة (جزيرة) .

الفقيه وسلمت عليه وأخبرته بقدومي بالطبيب فقال : لا بأس . ثم لما كان آخر اليوم الّذي قدمنا فيه عليه دعا بابن ابن له فقال له : اكتب ثم أملى عليه شعراً :

[من الوافر]:

وقــالــوا قــد دَهَــى عينيْـك سُـوء ... فلــو عــالجتــه بــالقَــدْحِ زَالا

فقلــتُ الــربُّ مُخْتبــري بهــذا ... فــإنْ أصبــرْ أنــلْ منــه مَنَــالا

وإنْ أجـزعْ حُـرِمْـتُ الأجـرَ منـه ... وكــان خصيصتــي منــه الــوَبــالا

وإنِّــي صــابــرٌ راضٍ شَكُــور ... ولســت مغيِّــراً مــا قــد أنــالا

صنيــعُ مليكنــا حَسَــنٌ جميــل ... وليــس لصُنْعــه شــيءٌ مِثــالا

وربِّــي غيــر متّصــفٍ بحيْــفٍ ... تعــالــى ربّنــا عَــنْ ذا تَعَــالــى

قال : ولما بلغ قوله « وإني صابر راض شكور » البيت رد الله تعالى عليه بصره ، وأضاء له المسجد وعاين ابن ابنه وهو يكتب ، وتكامل بصره بفضل الله تعالى فقال له : أعط الطبيب ما شرط له ، فقد حصل الشفاء بإذن الله تعالى لا بمداواته .

* * *

سنة اثنتين وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وأربعين توفي الشيخ الشريف عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر ، وكان من الأولياء العارفين والعلماء العاملين ، وكان والده يقول فيه : عبد الله صوفي حقاً .

ومن كراماته : أنه كان يجلس في بعض البيوت بتريم[١] ، وكان البيت غميماً ، فذكر له بعض الحاضرين أنَّ البيتَ غميمٌ ، فقال : عادكم تنظرون من هذه الطاقة بيت فلان ، فبعد نحو عشر سنين أخرب السلطان بدر تلك البيوت وكانت كثيرة ، ورأى البيت الذي كان أشار إليه من ذلك الموضع .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس حادي عشر شعبان توفي الفقيه العلامة عبد الله بن الفقيه محمد بن أحمد با فضل[٢] بعدن ، وكان تفقه بوالده وانتصب بعده للتدريس بمسجد المدرسة بعدن ، وكان فقيهاً محدثاً فاضلاً ، حسن الأخلاق ، شريف النفس ، مخالقاً للناس ، حسن السعي في حوائج المسلمين ، محبباً إلى الناس ، سليم الصدر ، ثم عمي في آخر عمره وتطبب ، فردّ الله عليه بصره ، ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي رحمه الله ، وهو من شيوخ والدي رحمهم الله .

● وفيها : وصل السلطان همايون إلى كجرات وهزم السلطان بُهَادر ، وكان مصطفى بهرام المخاطب رومي خان هو الذي أغراه على ذلك ، وحمله على المجيء إليها وكاتبه فيه ، ثم عرض له بعد ذلك ما كدر خاطره من الخوف على ولايته القديمة ، وتغلب بعض السلاطين هناك فذهب إليها ، وعاد أمر

---

(١) تحرَّفت في (ط) إلى (بترم) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٣٥١) .

كجرات إلى السلطان بُهَادر كما كان . وسبب طلب رومي خان له أنه كان استفتح للسلطان بُهَادر قلعة تسمى جيتور من الكفار بعد أن تعب في ذلك لأنها كانت حصينة ، وكان السلطان وعده بها ولم يتم له بذلك .

● وفيها : قتل السلطان بدر الإفرنج في الشِّحْر بعد أن عزموا على قتله فخذلهم الله تعالى ، وكان هو وإياهم في بيت يشربون ، وقد أغلقوا الأبواب عليه ، فأخبرته بعض الجوار منهم ، ولم يجد له مخرجاً إلا من بيت الماء ، فخرج منه وسلمه الله منهم ، وأصبح في ذلك اليوم هلب عليهم ، وقتلوا عن آخرهم ، وأرسل برؤوسهم إلى السلطان سليمان .

* * *

سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة

● وفي شهر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين توفي **الفقيه الصالح القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد سرومي الشِّحْري**[1] بمكة ، وكان عزم إلى الحج في السنة المذكورة ، فما أن وصل إلى مكة توفي بها قبل الحج في شهر ذي القعدة ، ودفن بالمعلاة ، وكانت ولادته ببلده الشِّحْر ونشأ بها ، وقرأ بها القرآن ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى زبيد ، فأخذ عن إمامها الفقيه كمال الدين موسى بن الزين ، والعلامة جمال الدين محمد بن حسين القماط وغيرهما ، ثم رجع إلى بلده الشِّحْر ، وأخذ عن عالمها الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن فضل المعروف بالحاج ولازمه ، ثم سعى له رحمه الله في وظيفة القضاء بها في آخر أيام السلطان عبد الله بن جعفر ، فولاه القضاء وذلكَ أول سنة عشر بعد وفاة القاضي الصالح عبد الله بن عيسين[2] بنحو سنتين ، ولم يزل متولياً بها القضاء إلى أن عزم إلى الحج ، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يحب الطلبة ويؤهلهم ، ويحب الإفادة والاستفادة ، وكان لطيفاً ، قريب الجانب ، سليم الباطن .

ذكره الفقيه عبد الله با مخرمة في « ذيل طبقات الإسنوي » ، وذكر أنّه من جملة شيوخه قال : وأما معرفته في الفقه فلم تكن بذلك ، بل كان بعيد الذهن ، ضعيف التصرف ، بل لم أر له تصرفاً ، لكنه كان كثير الاعتناء بالروضة ، قوي الصبر على الطاعة والأوراد النبوية ، كثير التعظيم للأكابر من

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٣٥٧ـ٣٥٨) .

(٢) في (ط) : « عيسرين » وما أثبتناه في (م) .

العلماء والصالحين ، ونرجو من فضل الله أن يحشرنا وإياه في زمرتهم وينفع الجميع ببركتهم آمين .

وحكي أنه قدم الشِّحْر في بعض السنين بعض السياحين من أهل الإرادة ، فقام ذات يوم إلى القاضي عبد الله وقال له : يا سيدي كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فأطرق القاضي ساعة ثم قال : ﴿ وَمَآ ءَاتَنٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧] فخر ذلك السياح على أقدام القاضي يقبلها .

وبلغني أنه كان اعتنى بحاشيته على الروضة ، لكن خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته ، والسبب في ذلك أن أحد أولاده دخل بها الهند حتى أنّها عُدِمت ولم تظهر ، والله أعلم .

● **فائدة :**

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج ، فإن الله عز وجل يوكل ملكاً ينوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة »[١] .

قلت : وجرى مثل هذا للشيخ القطب أبي الحسن الشاذلي نفع الله به ، فإنّه سافر من بلده بنية الحج فمات قبل أن يحج ، وحكي أنّ الشيخ في تلك السفرة قال لأصحابه : في هذا العام أحج حجة نيابة ، فمات قبل أن يحجَّ ، فلما رجع أصحابه إلى الديار المصرية سألوا المفتي شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالته ، فبكى وقال لهم : الشيخ والله أخبركم أنه يموت وما عندكم به علم ، وقد أخبر به أن الملك هو الذي يحج نائباً عنه لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية ، والظن أنه موضوع ، والله أعلم .

فإن الله عز وجل يوكل ملكاً ينوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة » .

● وفيها : في ثالث شهر رمضان قتل السلطان **بُهَادر**[1] بن السلطان **مُظَفَّر** صاحب كجرات في بندر الديو . يجمع ذلك عدد حروف « قتل سلطاننا بُهَادر » .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٣٥٧) وزاد فيه « صاحب كجرات من بلاد الهند » .

سنة أربع وأربعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الأربعاء رابع عشر شعبان سنة أربع وأربعين توفي **جَدّي الشريف عبد الله بن شيخ ابن الشيخ**[1] **عبد الله العيدروس** بتريم ، ودُفِن بها ، وكان مولده سنة سبع وثمانين[2] وثمانمائة ، وكان من كبار الأولياء . صحب صاحب عمه الشيخ الكبير فخر الدين أبا بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن ، واختص به ، وكذا صحب عمه الشيخ حسين وأباه الشيخ شيخ وغيرهما من الأكابر ، وأخذ عنهم ، وتخرج بهم إلى أن بلغ المرتبة التي تعقد عليها الخناصر . وكان له جاه عظيم في قطر اليمن ، وقبول كثير عند الخاص والعام خصوصاً في ثغر عدن ، ولبس منه الخرقة جماعة من أعيان مكة .

وذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي في معجم مشايخه : أنَّ له في لبس الخرقة جملة طرق يرجع بعضها إلى العيدروس . والظاهر أن الشيخ ابن حجر لبس من المذكور بلا واسطة ، أو لبس من بعض أولئك الجماعة الذين لبسوا من يده الشريفة والله أعلم .

وكان حسن الأخلاق ، كثير الإنفاق ، شريف الأوصاف ، نقيب الأشراف ، وافر العقل ، ظاهر الفضل ، غني النفس ، قانعاً بالكفاف ، وضيء الوجه ، أخضر اللون ، طويل القامة ، كثير المناقب ، عظيم المواهب ، ليس له في زمانه نظير ، وبحر فضائله غزير . وبينما هو ذات يوم في الحرم الشريف بمكة إذ دخل رجل بصبي وهو يهرول به وألقاه بين يديه فإذا برجله مرض واعوجاج خلقي ، فمسح بيده المباركة عليها فعادت كأختها مستقيمة ليس بها

---

(١) في (ط) : « عبد الله بن شيخ عبد الله العيدروس » وفيه سقط ، وصوابه في (م) .

(٢) سقطت هذه الكلمة في (ط) . وهي مما يقتضيه هذا التاريخ .

شيء ببركته . وكراماته كثيرة رحمه الله تعالى .

وقد نظم صاحبنا العلامة عبد القادر ابن الشيخ الإمام العلامة محمد ابن الشيخ الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الحياني كتابي « الفتوحات القدوسية » فقال لما انتهى في النظم إلى ذكر هذا السيد العظيم ، وأتى من ذلك بما يفوق الدر النظيم : [من الرجز]:

أمــا أبــوه الشيــخ عبــد اللهِ	ذو العقـل والفضـل وسيعُ الجـاهِ
قَـدْ حـازَ فـي زمـانـهِ السِّيـادهْ	والعلـم والـزهـد مـع العِبـادهْ
عليـه أنـوارُ الجمـالِ البَـاهِـرهْ	تَخـافُـه الملـوكُ والجَبـابِـرَهْ
كـريـمُ نفـسٍ مُكثـر الإنْفـاقِ	مهـذَّبٌ وحَسَـنُ الأخْـلاقِ
أوصـافـه كثيـرةٌ عـديـدهْ	شـائعـةٌ بيـن الـورى حَميـدهْ

● وفيها : **في ذي القعدة توفي الفقيه الصالح الشريف عمر با شيبان بن محمد بن أحمد بن أبي بكر** ، وكان مولده سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وثمانمائة ، وكان من العلماء العاملين والأولياء الصالحين .

وحكى الفقيه الصالح علي بن علي با يزيد الدوعني المقبور بالشِّحْر : أنه زار السادة الأشراف آل با علوي في بعض السنين ، فاجتمع بالشريف عمر با شيبان ، ومما وقع له معه من الكرامات أنّه قال عند الخروج لزيارة قبر نبي الله هود عليه السلام : تجدون عند القبر رجلاً من أهل الكشف يقال له محمد بن سليمان باسنان يتكلم بكلام يزعم أنّه منامات ، وهو من طريق الكشف فالزموه ، وعنده ولدان من أولاد الأشراف أحدهما عقيل بن عبد الله ، والثاني عبد الودود ، فوجدنا الأمر كما ذكر ، ووجدنا أولئك الذين سماهم بأسمائهم . قال : وقال لي : لا بدَّ لك من عودة إلى هنا ، فعدت بعد ثلاثين سنة .

ومن تصانيفه كتاب « ترياق أسقام القلوب الواف في ذكر حكايات السادة الأشراف » .

● وفيها : في ضحى يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رجب توفي **الشيخ الإمام الحافظ الحجة المتقن ، شيخ الإسلام ، علامة الأنام ، الجهبذ الإمام ، مسند الدّنيا ، أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين ، خاتمة المحققين ، شيخ مشايخنا المبرزين ، أبو محمد عبد الرحمن بن علي الدَّيْبَع الشيباني العَبْدري**[1] **وجيه الدين الشّافعي ، العالم الفاضل ملحق الأواخر بالأوائل .**

قال ـ رحمه الله ورضي عنه ـ في آخر كتابه « بغية المستفيد بأخبار زبيد » : كان مولدي بمدينة زبيد المحروسة في يوم الخميس الرابع من شهر الله المحرم الحرام أول سنة ست وستين وثمانمائة بمنزل والدي منها ، وغاب والدي عن مدينة زَبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ولم تره عيني قط ، ونشأت في حجر جدي لأمي العلامة الصالح العارف بالله تعالى شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد مبارز الشافعي رحمه الله ، وانتفعت بدعائه لي في أوقات الإجابة وغيرها ، وهو الّذي حَدَبَ علي وربّاني وأطعمني وسقاني وكساني وواساني وعلمني وأوصاني . جزاه الله عني بالإحسان ، وقابله بالرحمة والرضوان .

وكان المذكور على قدم في عبادة الله عز وجل ، محافظاً على قيام الليل ، وإحياء ما بين العشائين ، وملازمة الجماعة في الصلوات المفروضات ، تالياً لكتاب الله تعالى ، عارفاً بسنة رسول الله ﷺ .

أخذ العلم عن غير واحد من أشياخ قطره وغيرهم كالعلامة نور الدين الفخري ، والخطيب كمال الدين الضجاعي[2] ، والنفيس العلوي ، والشيخ

---

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (٢/ ١٥٨ـ١٥٩) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٣٦٢ـ٣٦٣) و« البدر الطالع » (١/ ٣٣٥ـ٣٣٦) و« الأعلام » (٣/ ٣١٨) .

(٢) في (ط) : « الضجامي » .

أبي الفتح المارفي ، والمقرىء شمس الدين الجزري[1] ، والقاضي زين الدين البرمكي[2] وغيرهم رحمة الله عليهم ، وصحب الشيخ الصالح شرف الدين أبا المعروف إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي الصوفي نفع الله به ، وقرأ كتب القوم وحفظها ، وكانت له اليد الطولى في فتح مغلقها . وكان رحمه الله تعالى يؤثرني حتى على أولاده الذين لصلبه آثره الله بحبه وقربه .

ثم إني تعلمت القرآن الكريم عند سيدي الفقيه نور الدين علي بن أبي بكر خطاب كان الله له حتى بلغت سورة يس وانتفعت به كثيراً ، وظهرت نجابتي عنده ، ثم انتقلت إلى سيدي وخالي الفقيه العلامة جمال الدين أبو النجباء محمد الطيب بن إسماعيل مبارز جزاه الله تعالى عني خيراً . فلما رأى نجابتي أمرني بنقل القرآن العظيم من أول سورة البقرة إلى آخره ، فقرأته عنده شرفاً واحداً حتى ختمته وحفظته بذلك الشرف عن ظهر القلب وأنا ابن عشر سنين ولله الحمد .

ثم توفى الله والدي إلى رحمة الله تعالى ببندر الديو من بلاد الهند في أواخر سنة ست وسبعين ، ولم يحصل لي من ميراثه سوى ثمانية دنانير ذهباً . ثم أخذت بعد ختم القرآن على خالي المذكور في علم القراءات السبع ، فنقلت « الشاطبية » ، ثم قرأت القراءات عنده مفردة ومجموعة ، وتم لي ذلك بحمد الله وعونه ، ثم أخذت في علم العربية على خالي المذكور وعلى غيره ، وأخذت عليه خصوصاً في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة والفرائض والفقه حتى انتفعت في كل علم منها ، ثم قرأت كتاب « الزبد » في الفقه للإمام شرف الدين البارزي على شيخنا الإمام العلامة الصالح المعمر تقي الدين مفتي المسلمين أبي حفص عمر بن محمد الفتى بن معيبد الأشعري رحمه الله قراءة بحث وتحقيق وفهم وتدقيق في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، ثم حججت إلى

---

(١) في (ط) : « الجزوي » .

(٢) في (ط) : « مكي » وما أثبتناه في (م) .

بيت الله الحرام في آخرها ، وأنفقت ثمانية الدنانير التي ورثتها من والدي رحمه الله في تلك الحجة ، ثم تقدمت بعد الحج إلى مدينة زبيد وقد توفي بها جدي المذكور في حال غيبتي ، وكانت وفاته ضحى يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة عن ثمانين سنة غير أربعة أشهر رحمه الله تعالى ، وكان قدومي يوم رابع موته ، فأقمت بزَبيد عند خالي المذكور في أطيب عيش وأتم سرور ، ولم أزل عنده حتى ذهبت إلى الحجة الثانية في أواخر سنة خمس وثمانين ، فرجعت إلى مدينة زَبيد سالماً غانماً ، ثمّ منَّ الله علي بصحبة شيخنا الإمام العلامة المحدث بقية أهل اليمن زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشّرجي كان الله معه ، فأخذت عليه في علم حديث رسول الله ﷺ ، وكان هو المرشد لي إلى ذلك جزاه الله عني أحسن الجزاء ، فقرأت عنده « صحيح البخاري » و« مسلم » و« سنن أبي داود » و« الترمذي » و« النسائي » و« موطأ الإمام مالك » و« الشفاء » للقاضي عياض و« عمل اليوم والليلة » لابن السّني و« الشّمائل » للترمذي و« الرسالة » للقشيري ، وجميع مؤلفاته ومصنفاته ، وما لا يحصى من الأجزاء والكتب اللطيفة ، وبه تخرجت وانتفعت ، وألفت في حياته كتابي المسمى بـ « غاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب ويوجب به الجنة » ، وهو الذي تعلمت منه صنعة التأليف والتصنيف ، وارتحلت في حياته بإشارته إلى بيت الفقيه ابن عجيل لزيارة الفقهاء بني جعمان ، فأخذت في الفقه بها على شيخنا الإمام الصالح المقرىء ولي الله تعالى جمال الدين أبي أحمد الطاهر بن أحمد عمر بن جعمان فقرأت عليه « منهاج الطالبين » للنووي جميعه ، ومن « الحاوي الصغير » و« تيسيره » للبارزي و« نظمه » لابن الوردي إلى ثلث كلِّ كتاب منها ، وأخذت في الحديث بها على شيخنا الإمام الأوحد الصالح ذي الفنون العديدة والمآثر الحميدة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان ، فقرأت عليه كتاب « الأذكار » للإمام النووي ، و« الشمائل » للترمذي ، و« عدة الحصن الحصين » للجزري وغير ذلك ،

وسمعت عنده بقراءة غيري مجالس من « صحيح البخاري » و« مسلم » وبعضاً من كتاب « الإرشاد » مختصر « الحاوي » للعلامة شرف الدين ابن المقري وغير ذلك ، وانتفعت بدعاء كل واحد من مشايخي المذكورين ومحبتهم لي ، رحم الله جميعهم وشكر صنعهم .

ثم حججت الحجة الثالثة في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وزرت بعد الحج قبر سيدنا رسول الله ﷺ في أواخر ذي الحجة منها ، ثم رجعت إلى مكة المشرفة في المحرم من سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، فمنَّ الله علي بلقاء الشيخ الإمام حافظ العصر مسند الدنيا فريد الوقت شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي المصري الشافعي فيها ، فصحبته وانتفعت به ، وأخذت عليه في علم الحديث النبوي ، وسمعت عنده كثيراً من صحيحي « البخاري » و« مسلم » ، ومن كتاب « مشكاة المصابيح » للتبريزي ، وجملة من « ألفية الحديث » ، وقرأت عليه كتاب « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » للحافظ أبي الفضل بن حجر ، وبعضاً من كتاب « سيرة ابن سيد الناس » لليعمري المسماة بـ« عيون الأثر » ، وبعضاً من كتاب « رياض الصالحين » للنووي ، و « ثلاثيات البخاري » وما لا يحصى من الأجزاء والمسلسلات . وكان يجلني ويشير إلي ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة ويؤثرني ، وأحسن إلي كثيراً جزاه الله عني خيراً . ثم لما رجعت من الحجِّ إلى وطني وألفت كتابي المسمى « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة »[1] ثم ألفت بعده كتابي هذا « بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيد » ، ولما وقف عليه مولانا السلطان الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود طاهر ـ جدد الله سعوده ونصر جنوده ـ طلبني إلى مجلسه الشريف العالي المنيف واستجاده واستحسنه ، ودعاني ونبهني على إلحاق أشياء فيه كنت أغفلتها ، واستدراك فوائد شوارد لم أكن

---

(١) في (ط) : « أبي حوبة » وما أثبتناه في (م) . وانظر « شذرات الذهب » (١٨/ ٣٦٣) فيما أشار إليه من مؤلفاته ، وسيأتي ذكره بلفظ (حربة) بآخرة من هذه الترجمة .

ذكرتها ، ثم اختصرت منه كتابي المسمى : بـ « العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر » ، ذكرت فيه دولة جَدّيه بني طاهر ووالده ومآثرهم الحميدة ودولته المباركة الميمونة السعيدة ، فلما وقف عليه مولانا السلطان أضاف علي مواهب الجود والإحسان ، وأجازني من مواهبه الهنية بجائزة ميمونة سنية ، ثم حصل هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو إذ ذاك بمحروسته المقرانة مقيماً ، وقدمت إليه فأثابني بثواب عليه ، وأفاض علي من مواهبه وكرمه ما يقصر صوب الغمام عن غزير ديمه ، ولم أزل عنده في روض أريض وجود فياض عريض ، حتى أذن لي في الرجوع إلى وطني ، وخلع علي خلعة نفيسة وأكرمني ، وتصدق علي بيتاً من سلطانية بمدينة زَبيد للسكنى ، وأعطاني قطعة نخل بوادي زَبيد ، وصيرني لإحسانه قناً ، وتلافاني بعد الضعف وتدارك ، وجعل لي قراءة الحديث بجامع زَبيد على المنبر المبارك ، فرجعت مسروراً إلى الوطن في نعمة وافرة وحال حسن ، شاكراً لجوده وإحسانه ، معترفاً بفضله وامتنانه ، سائلاً الله تعالى أن يجمع الخلق على طاعته ، وأن يمد في أيام دولته ، وأن يعز بمتابعته كل صبار شكور ، ويذل بمخالفته كل ختار كفور ، ويجمع له بين نصره العزيز وفتحه المبين ، ويجعل كلمة الحق باقية فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، آمين . [من البسيط]:

آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ ... حتى أضيف إليها ألف آمينا

وهذا محصل خبر مبتداه إلى منتهاه رحمه الله تعالى . أخذ عنه الأكابر كالعلامة ابن زياد ، والسيد الحافظ الطاهر بن حسين الأهدل ، والشيخ أحمد بن علي المزجاجي وغيرهم . وأجاز لمن أدرك حياته أن يروي عنه فقال : [من الوافر]:

أجزتُ لمُدْركي وقْتي وعَصْري ... روايةَ ما تجوز روايتي لَهْ

من المقروء والمسموع طرّاً ... وما ألفتُ من كُتُبٍ قَليلَهْ

وما لي من مجاز من شيوخي ... من الكُتُب القَصيرةِ والطّويلَهْ

وأرجو الله يختمُ لي بخيرٍ ... ويرحمني برحمته الجَزيلَهْ

وسمعت صاحبنا العلامة الفقيه محمد بن أحمد الجابري رحمه الله يقول : أخبرنا شيخنا السيد الطاهر بن عبد الرحمن بن الأهدل قال : أخبرنا شيخنا الضياء وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الدَّيبع بما لفظه قال : أخبرني شيخنا القاضي العلامة العدل الفقيه محمد بن عبد السلام الناشري كان الله معه وزاد فضله قال : أخبرني الفقيه كمال الدين محمد بن عبد الله فقيش وهو رجل ثقة صالح [قال : أخبرني الفقيه عمر بن محمد الملاح وهو ثقة صالح][1] قال : تزوجت امرأة شابة وأنا رجل كبير ، وكان أهلها يحبوني ويعتقدوني ، وهي كارهة بباطنها لصحبتي من حيث كبري ، وتظهر الود من أجل أهلها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليها خفية مني ، وأنا أسمع وهي لا تشعر بي ، وكانت كلما تكلمت كلمة كتبتها في ورقة عندي ، ثم إنَّ المرأة أرادت أن تخرج فقالت لها زوجتي : اصبري نقرأ الفاتحة كما يفعل الفقيه وأصحابه ، فقرأت هي والمرأة ، فكتبت أيضاً قراءتهما الفاتحة ، ثم ذكرت لأخوتها وقلت لهم : لا تكرهوها ، وأردت أن أفارقها فكرهوا ذلك وعتبوا عليها ، فأنكرت جميع ما صدر عنها ، فقلت لهم : قد كتبت كلامها في ورقة ، ثم جئت بالورقة لأريهم كلامها ، فلم أجد في الورقة شيئاً سوى الفاتحة . وهذا من بركات الفاتحة .

قال الحافظ [ابن] الدَّيْبع ، قال شيخنا جمال الدين : هذا ما أخبرني به الفقيه محمد فقيش ولعمري إنَّ هذا من فضلها قليل ، وقد قال ﷺ « إنها رقية »[2] ، وذلك حقيقة أنها رقية الظاهر والباطن .

قال الفقيه محمد بن عبد السلام : ولقد أخبرني الفقيه محمد بن عطيف أيام وصل إلينا زَبيد : أنَّ رجلاً رأى أنَّ القيامة قامت ، وأن منادياً ينادي : يا أهلَ

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .
(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٢٢٧٦) ومسلم رقم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ .

اليمنِ قوموا ادخلوا الجنة ، فقيل للمنادي : بمَ أعطوا هذه المنزلة؟ قال : لقراءتهم الفاتحة . وكان إخباره لي بذلك أنَّا كنّا إذا دخلنا عليه نتحدث عنده ساعة ، فإذا أردنا الخروج طلب منا قراءة الفاتحة ، وكذا كلُّ من دخلَ عليه من أهل زَبيد يعجب من هذه القاعدة ، وذكر هذه القصة ، والحمد لله الذي ألهمنا ذلك وتفضل علينا بفضله سبحانه .

ووجدت بخط شيخنا الشيخ أبي السعادات الفاكهي المكي قال : وجدت بخط شيخنا الحافظ وجيه[1] الدين عبد الرحمن بن علي [ابن] الدَّيْبع ما لفظه : الحمد لله ، مصنف كتاب « مولد النبي ﷺ » المفتتح بالحمد لله الذي شرف الأنام بصاحب المقام الأعلى هو الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن قاسم المالكي البخاري الأندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحريري ، وهذا المولد هو الفصل التاسع من كتابه الذي صنفه في الوعظ والرقائق ، ووقفت على الجزء الأول منه يشتمل على خمسة وعشرين فصلاً بعد طول البحث عن مؤلف هذا المُؤَلَّف ، وعدم معرفته عند أكثر العلماء ، وهذه فائدة تساوي رحلة . انتهى ما وجدته .

قلت : وبذلك يعلم عدم صحة نسبة هذا المولد إلى ابن الجوزي ، فإنّي سمعت كثيراً من الناس ينسبونه إليه ، والله أعلم .

ومن شعره في اللغات الّتي نزلَ بها القرآن : [من الكامل]:

نَـزَلَ القـرانُ بلفـظِ سَبْـعِ قبـائـل ... وهُـمُ قـريـشٌ مـع خُـزاعـة واليَمَـنْ

وتميـمُ ثـمَّ هُـذيـلُ والسَّعـدان سَعْـ ... ـد هُزيم معْ سعد بنِ بكرٍ فاعلمنْ

وله في مصنفات النووي : [من الرمل]:

أيُّهـا السّـالـكُ نَهْـجَ المُصْطفـى ... تـابعـاً سنّتـه فـي كـل حيـن

غيـرَ كتـب النّـووي لا تَعْتَمِـدْ ... وتنـزّهْ فـي رِيـاضِ الصّـالحيـن

---

(١) في (ط) : « وحيد » وما أثبتناه في (م) .

وله في « الأربعين النووية » : [من الخفيف]:

أيُّهـا الطّـالبـون عِلْـمَ حـديـث ... هــذه أربعــون حقّــاً صحيحــةْ
كلّهــا غيــرَ سبعــةٍ فحِســانٌ ... فــاعتمــدهــا فــإنّهــا لَصَحيحــة

ومنه في « صحيح البخاري » و« مسلم » : [من الطويل]:

تَنـازَعَ قـومٌ فـي البُخـاري ومُسلـم ... لـديَّ وقـالـوا أيُّ ذيـن يُقـدَّمُ
فقلـتُ لَقَـد فـاقَ البخـاريُّ صحّـة ... كما فاق في حُسنِ الصّناعة مُسلمُ

ومنه أيضاً فيهما : [من مجزوء الكامل]:

قــالــوا لمسلــم سبــقٌ ... قلــتُ البُخــاري جَــلاّ
قــالــوا تكــرّر فيــه ... قلــتُ المكــرّر أحْــلا

ومن شعره : [من الطويل]:

كفـانـيَ مِـنْ عَجْـزي وفخـريَ أننـي ... جُبلْتُ على التَّوحيد واخترته طَبْعا
وأنّـيَ لـم أشْـرِكْ بـربّـيَ غيـره ... وأنّـيَ للـرّحمـنِ عبـدٌ لـهُ أُدْعـى

ومنه قوله : [من السريع]:

يـا ربِّ كـمْ أنعمـتَ مـن نعمـة ... علـيَّ مـعْ عجـزي وتَقْصيـرِي
إذا لـم تقبـلْ عَمَلـي لـم يكـنْ ... بنـافعـي جـدّي وتَشْميـري

ومنه قوله :

أذْنَبْـتُ والـرَّحمـنُ ذو منّـة ... بـالعفْـوِ والغفـرانِ للمـذنبيـنْ
أوقعنـي فـي الـذّنـبِ تقـديـره ... وهْـوَ تعـالـى أرْحَـم الـراحميـنْ

ومنه قوله : [من البسيط]:

أعضـا ابـنِ آدم فيهـا مـا بـأولـه ... كـافٌ وعـدّتهـا عشـر هـي الكـوع
كـف وَكِتْـفٌ وكَبـدٌ كـاهـلٌ وكِـلاَ ... وكمـرة كَفـلٌ كعـبٌ وكَـرسـوعُ

ومنه : [من السريع]:

قَـالـتْ لـي النفـسُ أمَـا تَسْتحـي ... فقلـتُ تـوفيقـي علـى خَـالقـي
قـدْ أحسـنَ الـرّحمـنُ فيمـا مضـى ... لا بـدَّ أنْ يحسـنَ فيمـا بقـي

وله وقد اشترى جارية اسمها حرير : [من الطويل]:

حـريـرٌ لعمـري جنّـة لـي وجنّـة ... بهـا اللهُ أغنـانـي وكنْـتُ فَقِيـراً
صبرْتُ فساقَ اللهُ لي أحسن الجَزا ... علـى حُسـنِ صَبـري جنّـة وحَـريـرا

وله في الزبيب الرازقي : [من الكامل]:

يـا أهـلَ صنعـا قـد رُزِقْتـم جنّـةً ... أنهـارهـا حفّـتْ بُلطْـفِ الخـالِـقِ
ورُزِقْتـمُ فيهـا زَبيبـاً أبيضـاً ... وبِـلا نـوىً فتنعمـوا بـالـرَّازقـي

ومنه في « مقامات الحريري » : [من الطويل]:

أحـبُّ مقـامـات الحـريـري لأنهـا ... لدى مسمعي أحلى من المنِّ والسّلوى
ولسـتُ بهـذا القـول أول قـائـلٍ ... بريتُ إلى الرّحمن من كذب الدعوى
فقد قال قبلي ابن العجيلِ لَصَحْبه ... بغيـر تحـاش هـذه طبـق الحَلْـوَى
وكـان إمـامـاً لا يجـازف فـي الّذي ... يَفـوه بـه فُـوْه وحـاشـاه أن يَغْـوى
ومـا قـالَ إلاّ الحـقَّ والله إنَّهـا ... لأحلى من الحلوى ومن وصل[1] من أهوى

وبلغه من فضلاء عصره أنه ﷺ خضب لحيته ، فأنكر ذلك عليه وكتب بهذه الأبيات : [من البسيط]:

والله ِمـا وقَّـرَ المختـار مـن مُضَـر ... مـن ادّعـى أنّـه للشَّيـب قـد خَضَبَـا
لم يبلغِ الخضبَ فيما قاله أنسٌ ... وهو الخبيرُ به مِن دونِ من صَحِبا
إذ كـان خـادمـه دهـراً مـلازمـه ... ليـلاً وصُبْحـاً مقيمـاً عنـده حقَبـا
قالوا له احمرّ منه الشّعر قال نعم ... من كثرةِ الطّيبِ تلك الحمرة اكتسبا

---

(١) في (ط) : « من وضع . . » .

ما شابَ شَيْباً إلى فعل الخِضاب دعا | بل كان يدخل تحتَ الحصر لو حسبا
إذا تـدهّـن وارى الـدّهـن ذاك فلَـمْ | يَـرى لـه أثـراً مـن رامَ أو طَلَبـا
ومن يقل قد أرتني أمّ سلْمَة مخـ | ـضوباً من الشَّعر أي من طيبه انخَضبا
إذ لم يقل إنها قالت له خَضَبَ النّـ | ـبيّ هـذا مقـالُ الحـقّ قـد وَجَبـا
ومن روى صَبغه بالصُّفرة اعتبروا | مـا قـال فـي ثـوبـه أو فِعْلـه أدبـا
لا في الشّعور وقِس ما قيل فيه على | مـا قيـل إنّ رسـولَ الله قـد كَتَبـا

وكان ثقةً صالحاً حافظاً للأخبار والأثار متواضعاً ، انتهت إليه رئاسة الرحلة في علم الحديث ، وقصده الطلبة من نواحي الأرض .

ومن مصنفاته « تيسير الوصول إلى جامع الأصول » مجلدين ، « مصباح المشكاة » ، و« شرح دعاء ابن أبي حربه » وكتاب « غاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب وتوجب به الجنة » ، وله كتاب « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » وكتاب « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » ، وله « مولد شريف نبوي » وله كتاب « المعراج » . إلى غير ذلك من المؤلفات .
ولم يزل على الإفادة وملازمة بيته ومسجده لتدريس [الحديث][١] ، والعبادة واشتغاله بخصوصيته عما لا يعنيه إلى أن توفي رحمه الله ، واجتمع به سيدي الوالد بزَبيد سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، وأخذ عنه ، رحمهم الله الجميع آمين .

* * *

(١) ما بين قوسين من (ط) فقط .

سنة خمس وأربعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الجمعة آخر يوم من شهر صفر الخير سنة خمس وأربعين توفيت أم والدي السيدة الشريفة الصالحة فضل الله بنت السيد الشريف الصالح المجود للقرآن العظيم محمد بن حسن بن أحمد بن عمر با علوي ، وذلك بعد وفاة زوجها السيد عبد الله بنحو ستة أشهر ونصف ، وهي أم سائر أولاده خلا رقية رحمها الله تعالى .

● وفيها : في ليلة الأربعاء ثامن عشرين المحرم كانت ولادة شيخنا السيِّد الكبير والعلم الشهير العارف بالله تعالى عفيف الدين الشيخ عبد الله العيدروس ـ فسح الله في مدته ـ بتريم ، وتاريخ ذلك العام يجمعه « ذرهم » وكان جعل هذا التاريخ والده نفع الله به ثم نظمه فقال [من الرجز]:

« ذرهم » إشارةٌ لكْ عَنِ العِبارة تُفْصِحْ بميلادك مع البشارة
الله قال ذرهم في الحَرارة في ضمنه التّوحيد مع الإشارَة

ونشأ على قدم العفاف والتقوى ، وقرأ على جماعة من علماء عصره ، وشارك في كثير من الفنون مع عقل وجود وتواضع وحلم وحسن خلق .

وما أحسن قول شيخنا الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير المكي رحمه الله تعالى فيه : [من الطويل]:

هو القُطْبُ عبدُ اللهِ نخبة حَيْدَرٍ ربيُّ العلا والمجد والأصْلُ هاشِمُ
تفرّدَ بالمعروف والدّين والتُّقى وليس له في عَصْرِه مَنْ يُقَاوِمُ
له همّة فوق السّماكينِ[1] قد عَلَتْ وحُسْنُ اتّضاع زيّنته المَكارِمُ

---

(١) السّماكان : نجمان نيِّران أحدهما السِّماك الأعزل والآخر السِّماك الرامح ، « اللسان » (سمك) .

فيـا بـنَ رسـولِ الله يـا سـرَّ سِبْطِـه ... ويـا بِضعـةَ الـزّهـراء جاهـك قـايـم

ورِثْتَ العُلا والمجد لا عن كَلالة ... فـآبـاؤك الأطْهـارُ أسْـدٌ ضَـراغِـمُ

فيا قطبُ يا ابن القُطبِ يا أوحدَ الورَى ... رقِيـتَ مَقـامـاً ليسَ فيـه مُـزاحِـمُ

بِصـدر رَحيـب واسـع قَـد وسِعتَهـم ... وجُـود حَكـاهُ الـوابِـلُ المُتـراكِـمُ

وسعـت الـورى حلْمـاً وبشـراً بهيبةٍ ... وبَـذْلِـكَ للمعـروفِ والثّغْـرُ بـاسِـمُ

ثنـاءٌ جميـلٌ عنـك يُثْنَـى معطّـر ... ووفْـرك مبـذولٌ وعِـرْضُـك سـالـمُ

دمـاثَـةُ أخـلاق عطيّـة خَـالـق ... وخِيـم[1] كـريـم أصلـه مُتَقـادمُ

جمعت خِصالاً يا بن شيخ حميدةً ... بـواحـدة يسمـو الفَتـى ويُسـاهِـمُ

حيـاءً ومعـروفـاً وجُـوداً بشـاشـة ... وعِلْماً وحِلْماً جلّ من هوَ قاسِمُ

وهو والله كما وصفه شيخنا وفوق ذلك ، فكم قد اجتمع في ذاته الشريفة من الأخلاق المحمودة المنيفة كالحياء والمروءة والسخاء والفتوة .

وبالجملة : فهو جواد كريم ، عالم بالكتاب والسنة عامل بهما ، قائم بما جرى عليه سلفه من الأوراد والأذكار وإكرام الوافدين وإطعام الفقراء والمساكين ، وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين وإصلاح ذات بينهم ، حتى إنّه لو حلف الحالف أنه لم يكن أكرم منه ولا أعقل منه في زمنه لم يحنث ، إلى غير ذلك من الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة ومقامات الرجال وصفات الكمال . ورحم الله الشيخ عبد المعطي حيث يقول فيه من قصيدة [من الخفيف] :

يـا خليلـيّ يَمّمـا أرض نَجْـد ... واسْلُكـا كـل فَـدْفَـد[2] وقِفـارِ

واقصـدا حَضـرمَـوْتَ نحـو تـريـم ... بُقعَـة الخَيْـرِ مَنبـت الأخيـارِ

وانـزلا سـاحـةَ المَمجّـد عبـد اللـ ... ـه مَعْـدن الأسـرارِ[3]

---

(١) الخيمُ : الشيمة ، والطبيعة ، والخُلُق ، والسجية ، والأصل ، « اللسان » (خيم) .

(٢) الفَدفَدُ : الفلاة الّتي لا شيء فيها .

(٣) هكذا في (م) و(ط) : « معدن الأسرار » وهو مختل الوزن .

الشّريف المنيف غَوْث البرايا كامل الوصْفِ عالي المِقْدارِ
عيدروس الهدى إمام المعالي مستباح النّدى منيع الجارِ
وسعَ الوافدين حِلْماً وجُوداً قد حكى شيخ في اقتفا الآثارِ
خُلُقٌ كالنسيم سهلٌ وجودٌ في يديه كالوابلِ المِدْرارِ
هِمّةٌ زاحمتْ نجومَ الثريّا واتضاعٌ مزينٌ بوَقارِ
لك يا عيدروسُ ذِكْرٌ جميلٌ وثناءٌ في سائرِ الأعصارِ
خصّك الله بالسّماحة والبرِّ وبذل المعروفِ للزوّارِ
وبفضلٍ جم وخِيمٍ كريمٍ فِطرَة اللهِ الواحدِ القهّارِ
لا برحتمْ يا آلَ شيخٍ هُداةً وحِماكُمْ مُسْتَوْدَعُ الأسرارِ
منكم القُطْبُ والوليُّ ومِنكم كل قَرْمٍ[1] يسمُو على الأقمارِ

وأمه الولية الصّالحة فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر . وأثنى عليه جماعة من الكبراء ، وأشار إليه غير واحد من الصلحاء . وكان والده يحبه ويجله ويعظمه ويحترمه حتى إني سمعته مراراً يقول : ما أحد يعرف قدري مثل ولدي[2] عبد الله ، وكان بعض أولاد السيد عبد الله المذكورين يقرأ عليه بعض المدائح التي قيلت في سيدي الشيخ عبد الله العيدروس ، فقال له عند ذلك : لا تشهد هذا إلا في أبيك أو كما قال . وكان بُنى المساجد والنخيل التي اتخذها والدي بحضرموت كلّها على يديه ، وكان والدي قد جعله وكيلاً مطلقاً في كل ما يتعلق به لما رأى من نجابته وكياسته ، ولم يسافر من بلده تريم إلاّ مرةً واحدة ، فإنه قد دخل فيها إلى الهند لزيارة والده وذلك سنة ست وستين ورجع إليها في عامه . وله من المصنفات « شجرة آل با علوي » وضعها على أسلوب بديع .

---

(١) القرم من الرجال : السيّد المعظم .
(٢) في (ط) : « والدي » .

ومن كراماته : أنه كان أمرني بالسفر إلى بَرْوَج[1] والإقامة بها إلى أن يأذن الله ، وما كان في ذلك مصلحة من حيث الظاهر ، وامتثلت إشارته ففتح الله علي من فضله بأشياء ما كنت أتوقعها . ومنها : أنه كان في بعض السنين كتب يأمر بالاهتمام في عمارة قبة على ضريح والده نفع الله به ، وما كان يتيسر ذلك بسبب قلة توفيق أهل الزمان ، وعدم مساعدتهم في فعل الخير . ثم وقع الشروع فيها بعد ذلك وتيسر بناؤها على أحسن ما يكون ببركته نفع الله به آمين . وكان كُفَّ بصره الشّريف منذ سنوات ، ثم ردَّ الله عليه بصره ، وعُدَّ ذلك من خَرقِ العادات ، وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن علي البسكري مهنئاً له بهذه الأبيات : [من السريع]:

حَمْداً لما أولاك مَوْلاك من ... نعمائِهِ الظّاهرةِ الخافِيهْ
قد نوّرَ الأبصار من نُورِهِ ... فالعينُ كالسّمْعِ غدتْ واعيهْ
وسَلَّ سَيْفاً كان في غِمْدِهِ ... على عُتاةٍ حُسَّدٍ طاغِيَهْ
يهني عفيف الدين غوث الوَرى ... قطب المَلا أنوارُه الزّاهِيَهْ
يهناك نورُ الحقِّ ها قد أتى ... من فضْلِ ربٍّ عينُه راعِيهْ
فالحمدُ للهِ وشكراً له ... على زوالِ العِلَلِ الماضيهْ
قد سَرّنا والله ما قَدْ أتى ... من صحّة تَبْقى ومن عافيَهْ
وسَرّ ساداتٍ وأهل ومَن ... قد كان في الحضرِ وفي البادِيهْ
وسرّ أهل الجودِ ثمّ التُّقَى ... وخصّ مولى ذاته سامِيَهْ
غوثُ الوَرَى فخرُ العُلا سَيِّد ... إلى المعالي نَفْسُه راقِيَهْ
عبد الإله القادر الفخرُ من ... يُمناه بالجود غَدَتْ سارِيَهْ
ذو غرّةٍ كالبدرِ في تَمّهِ ... ترتاحُ منه الندّ والغالِيَهْ
والمِسْكُ والكافور والعَنْبرالـ ... ـرّطب إذا وافى مع النّاغِيهْ

---

(١) بَرْوَج : بفتح الواو ، وجيم ـ ويُقال : بَرْوص ، بالصاد المهملة : من أشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وأطيبها . « معجم البلدان » (١/ ٤٠٤) .

كـذا شهـابُ الـديـن ذو الحـال مـن — كـل المَـلا منـه الـدّعـا راجيـهْ
والعيـــدروسُ القطـــب ربّ النـــدا — حـاوي العُـلا ذو الأنفـس الـزاكيـةْ
قـــد ســـرّهـــم والله أخبـــاركـــم — مـــن كـــلِّ مكتـــوبٍ ومـــن نـــاحيـــةْ
فَـــدُم مـــدى الأيـــام فـــي نعمـــةٍ — تبْقـــى لكـــم فـــي عيشـــةٍ راضِيَـــهْ
والعبـــدُ يـــرجـــو منكـــمُ دعـــوة — بـــأن ينـــالَ الأمـــن فـــي الفـــانِيَـــهْ
في الدِّين والدُّنيا وفي الأهل ما — كـانـوا بـذي الـدُّنيـا وفـي الثـانيـةْ
وصـــلِّ يـــا ربّ علـــى المصطفـــى — وآلـــه مـــا دامَـــتِ العَـــالِيَـــهْ

(انتقل إلى رحمة الله عشية يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة الحرام سنة تسع عشرة بعد ألف ، وهو في صلاة سنة العصر هاوياً للسجود ، ولم يدفن إلاّ في مثل ذلك الوقت من يوم الجمعة لشدة ما وقع عليه من الازدحام ، وحضر الصلاة عليه خلق كثير من سائر القرى القريبة والبلدان ، ودفن في الموضع الذي اختاره لأهله وجماعته قبلي قبة العيدروس وشرقي مسجد النور ، فهو ما بينهما إلا أنّه إلى المسجد أقرب)[١] .

* * *

(١) ما بين القوسين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

سنة ست وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة ست وأربعين توفي الشّيخ الكبير الولي شهاب الدين أحمد بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن الشيخ أبي بكر با علوي ، وكان من المشايخ المشهورين .

وحُكي أنه اجتمع بحجة الإسلام الغزالي يقظة في غرفة بداره في بلدته تريم ، فاستجاز منه كتبه فأجازه ، وأذن له في إجازتها . روي ذلك عن الشيخ الولي عبد الرحمن بن عمر العمودي نفع الله به . وروى أنه زار مرة قبر جدّه السيّد أحد بن عيسى وهو متوجه إلى « بور » لأخذ شيء من النقاول[1] منها ، فحصل له وهو جالس عند قبره المعروف الآن ذهول وغيبة ، ثم أفاق وأخبر أنه استحضر روحانيته وسأله عن قبره أهو ذلك حقيقة؟ فقال : نعم ، ثم ذكر أنه طلب ـ وهو في تلك الحالة ـ أن يحصل له من أهل بور أربعمائة نقيل من غير طلب وقال : إن حصل لنا ذلك منهم من غير طلب فذلك حق ، ثم دخل بور ، وقصد جامعها فَهُرِعَ الناسُ إليه ، وكان كل من سلم عليه منهم قال : عندي لكم من النقاول ما هو كذا وكذا ، حتّى وفتِ الأربعمائة ، فأراد أن يحقق ذلك أيضاً ، فأمر من يطلب منهم غير ذلك ، فاجتهدوا في ذلك فلم يحصل ، فزالت الشبهة . ومنها أنه قدم بعض قرى حضرموت وكان قد شرع في بناء بيت له بتريم ، فطلب بعض أهل تلك القرية وقال : نريد منك حاجة ، فقال له ذلك الرجل : وأنا أريد منك حاجة ، فقال الشيخ : تتم إن شاء الله تعالى ، ثم قال : نريد الخشبة التي عندك نجعلها باباً للبيت ، وأنت ما حاجتك؟ قال أريد

---

(١) في (ط) : « التفاؤل » وما أثبتناه في (م) .

أن أقرأ [القرآن][1] بظهر الغيب . قال له : افتح فمك [ففتحه][2] ، فتفل فيه ثلاثاً ، فحفظ القرآن لوقته . ورأيت في مجموع مناقبه لفقيره الولي الصالح الشهير يحيى خطيب أنه سمعه يقول : دخلت على جدّي الشيخ يوماً في حياته ولي من العمر سبع سنين ، فقال : تعالَ ، فجئت إليه ، فمدَّ لسانه وقال لي : مصها ، فمصصتها ساعة طويلة ثم قال لي : يا ولدي أنت وارث سري . وفيه أيضاً من كلامه أنه نفع الله به قال : من نظر إلى المشايخ بعين العظمة[3] حُرِم بركتهم ، ومن نظرهم بعين التعظيم رُزق بركتهم ولحق بهم وإن لم يعمَل بعملهم . وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة .

● وفي هذه السنة سار الشيخ أبو بكر العيدروس نفعنا الله ببركاته من بلده تريم للحج وهي الحجة الأخيرة ، ولم يعد إلى تريم ، بل أقام بعدن وتوطنها إلى أن مات بها رحمه الله .

* * *

(١) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .
(٢) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .
(٣) في (م) : « العصة » تحريف ، وما أثبتناه في (ط) .

سنة سبع وأربعين بعد التسعمائة

● [سادس شهر المحرم أوله][1] سنة سبع وأربعين توفي **العلامة الطيبي ابن الفقيه الإمام العلامة عفيف الدين عبد الله بن أحمد مَخْرَمَة**[2] بعدن ، ودفن في قبر جده لأمه القاضي العلامة محمد بن مسعود أبي شكيل بوصية ، وذلك في قبة الشيخ جوهر رحمهم الله تعالى ، وكثر الحزن والتأسف من الخاص والعام ، وكان من محاسن الدهر ، جمع الله فيه من محاسن الصفات من التواضع وحسن الخلق والبشاشة ولين الجانب وكرم النفس وصلة الإخوان والصبر والرفق ومداراة الناس وحسن التدبير والمواظبة على الطاعة .

ولد بعدن ليلة الأحد ثاني عشر شهر ربيع الثاني سنة سبعين وثمانمائة ، وأخذ عن والده ، وعن الفقيه محمد بن أحمد فضل وانتفع به كثيراً ولازمه ، وكذلك أخذ عن غيرهما كالقاضي العلامة محمد بن حسين القماط ، والقاضي العلامة أحمد بن عمر المُزَجّد ، وذلك في أيام قضائهما بعدن . وتفنن في العلوم وبرع ، وتصدر للفتوى والاشتغال ، وكان من أصحِّ الناسِ ذهناً ، وأذكاهم قريحة ، وأقربهم فهماً ، ومن أحسن الفقهاء تدريساً حتى إن جماعة من الطلبة وغيرهم يذكرون أنّهم لم يروا مثله في حسن التدريس وحل المشكلات في الفقه ، وصار في آخر عمره عمدة الفتوى بعدن هو ومعاصره[3] العلامة محمد بن عمر با قضام ، وأبو قضام المذكور كثير الاستحضار للفروع

---

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٨٢-٣٨٣) و « الأعلام » (٤/ ٩٤) واسمه فيه الطيب ، وفي حاشيته عن « هدية العارفين » (١/ ٤٣٣) أنّ اسمه (طيب بن عبد الله) ويُنظر تعليق العلامة الزركلي على الترجمة فهو مفيد نافع .

(٣) تحرفت الكلمة في (م) « مصريّه » .

وحسن التصرف فيها ، وليس له في غير الفروع يد .

وأما المذكور : فإنه مشارك في كثير من العلوم منها : الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة وغيرها ، وروي عن تلميذه العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر الحكيم أنه كان يقول : سمعت شيخنا يعني شيخه المذكور يقول : إنِّي أقرِىء في أربعة عشر علماً ، أو كما قال يقرأ في أربعة عشر علماً ، والله أعلم .

وولي القضاء بعدن ، وحدث به في آخر عمره وجع عطَّله عن الحركة ، وذلك يبس قوي في عصبه وتشنج في بدنه ، ولم يزل يتزايد به حتى منعه من الصلاة إلا بالإيماء برأسه ، ومكث كذلك نحو سنتين أو أكثر ، واستمرت به هذه العلة إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ولابن أخيه الفقيه عبد الله بن عمر مخرمة فيه مرثية عظيمة مطلعها : [من الكامل]:

انْهَدَّ رُكْنُ الدّين وهو قويمُ ... وانْهارَ طَوْدُ المَجْدِ وهو صَميمُ
وتغيّرَتْ شمْسُ البلادِ وأظلَمَتْ ... وتناثَرت من أفقهنّ نُجومُ
والأفقُ منعكر الظّلامِ كأنّما الـ ... ـدُخانُ في جوِّ السّما مَرْكومُ
هذه علاماتُ القِيامَةِ هذه الـ ... أشراطُ هذا الموْعِدُ المَحْتُومُ
هذا الإمامُ قَضَى عليه نَحْبهُ ... الطَّيِّب العلاَّمةُ المَرْحُومُ
شيخُ العلومِ ونَاشِرٌ أعلامها ... محيي الفهوم إذا تموتُ فهومُ
علم الأئمة واحدٌ في عَصْرِه ... ولكلِّ عصْرٍ واحِدٌ مَعْلومُ
مَنْ للعلوم الزّهرِ بعد وفاتهِ ... هيهاتَ قد رَمَسَتْ وراهُ عُلومُ

ومنها :

مَوْلاي أوحشت الدِّيار فهذه ... أطْلالكم فيها تَصيحُ البُومُ

لا عَيْشَ يصفو بعدَكم كلاً ولا   تلك الرّسوم وإن عَظمنَ رسومُ
قَد كانتِ الدّنيا تزيَنُ بذِكركم   منها العِراقُ ومِصْرها والرّومُ
واختصّ ذا اليمن المُبارك بالّذي   قد خصّه واليمنُ فيه قَديمُ
لا سيّما عَدَنٌ فقد فَخَرتْ   فخراً على وجهِ العُلى مَرْقومُ
والثّغرُ منها كان يبسمُ ضاحكاً   فاليوم يبْكي واعْتَرَتْهُ هُمومُ
لَهفي على تلك المحاسن إنّها   كالزّهْرِ وهو الطيِّبُ المَشْمومُ
وسعَ الأنامَ فكلهم أولاده   راضُون عنه كأنّه مَعْصُومُ
كَثُرَتْ فضائله فطابَ لِقائِلٍ   في وصْفِهِ المنْثُورُ والمَنْظومُ

وله رحمه الله تعالى تصانيف حسنة منها : « شرح صحيح مسلم » غالب استمداده فيه من « شرح الإمام النووي » ، بل هو في الحقيقة شرح النووي مع زيادات وتحقيقات في بعض المواضع ، و« أسماء رجال مسلم » ، و« تاريخ » مطول مرتب على الطبقات والسنين ، وابتداء التاريخ المذكور من أول الهجرة ، وكتاب في « مشتبه النسبة إلى البلدان » وهو مفيد في بابه جداً .

* * *

سنة ثمان وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وأربعين توفي أحمد بن الطيب[1] ابن شمس الدين الطّنبداوي[2] ، البكري الصديقي الشافعي شهاب الدين شيخ الإسلام الحبر الإمام العارف بالله القانت الأواه واضح المحجة والسنن ، بلغ غاية من العلم ما ارتقى إليها أهل ذلك الزمن . كان مع أهل عصره بمنزلة الشمس مع النجوم وتميز عليهم في معرفة المنطوق والمفهوم ، شديد التصلب في الدِّين والصَّدع بالحقِّ لا يخاف في الله لومة لائم .

مولده بعد السبعين وثمانمائة تقريباً . تفقه بالنور السَّمْهُودي ، والقاضي أحمد المُزَجَّد ، والكمال الرَّداد ، والجمال القماط ، والعلامة شيخ الإسلام محمد بن عبد السلام الناشري ، وأحمد بن الطاهر جعمان وغيرهم . وأخذ عنه خلق كثير منهم شيخ الإسلام ابن زياد ، والحافظ شهاب الدين أحمد الخزرجي ، والغريب الأكسع ، وعبد الملك بن النقيب ، وعبد الرحمن البجلي ، وصالح النماري وغيرهم . وانتهت إليه رئاسة الفتوى والتدريس بمدينة زَبيد ، وولي التدريس في كثير من مساجدها ، وأقام بذلك أتم قيام ، وانتفع به الخاص والعام . وله « فتاوى » مشهورة عليها الاعتماد بزَبيد ، و« شرح التنبيه » في أربع مجلدات .

قال الفقيه العلامة مفتي الوقت ، العبد الصالح شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الناشري : كان أبو العباس ـ يعني المترجم له ـ يقول لشيخنا ابن زياد تلميذه : أنتم نفعكم أحمد المُزَجَّد بلحظه ، ونحن بلحظه ولفظه . انتهى .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٩٠ـ٣٩١) .

(٢) في (ط) : « الطبنداوي » وما أثبتناه من (م) وهو في « الشذرات » بالذال المعجمة .

وله على « العُباب » حاشية علقها على نسخته وأفردها بعض تلامذته في كراريس ، وهي موجودة مفيدة .

قال الشيخ صالح النّماري : ومن عجيب ما سمعته منه أنه قال : طالعت جميع « الإيضاح شرح الحاوي » للقاضي الطيب الناشري في ليلة واحدة وهو مجلدان ضخمان ، قال : وعلقت من كل باب فائدة . وهذا خرق عادة . وقال الخولاني : سمعته يقول : كانت الفوائد التي كتبتها تلك الليلة ثلاثة كراريس . انتهى .

وكان يقول : قراءتي « للإرشاد » سبع مرات وما صحَّ لي إلاَّ في المرة السابعة . مع أنه كان يحفظه .

وكان رحمه الله مفرط الذكاء ، صافي الخاطر ، نقي الذهن ، ألمعياً ، مسدداً في فتواه وبحوثه ، شديد الاعتقاد في أهل الله من المتصوفين .

حكى العلامة الحافظ جمال الدين محمد بن المعروف أفلح محدث الديار اليمنية قال : كنت أيام قراءتي عليه أخرج معه في الأسبوع يوماً نزور السَّبعةَ المشهورين المسمين بالأعلية ـ جُمِعَ على غير قياسٍ لأنهم يريدون جمع عليٍّ ـ فكلما وصل إلى قبر واحد منهم قرأ ما شاء الله تعالى وأهدى ذلك إلى روح صاحب القبر ، ثم يأمرني أن آتيه بإناء من ماء فيضع من تراب القبر فيه ويشرب ، ثم يأمرني أن أفعل مثله ويقول لي : هو ترياق مجرب .

وهو ممن أفتى بحلية القهوة ، وله في حلِّها وإباحتها فتاوى متعددة قال في بعضها : وأما القهوة فليس فيها إلاَّ روحنة[1] يسيرة وتقوية قليلة .

قال : وقد سمعت شيخ الإسلام المجمع على تجديده للقرن التاسع زكريا الأنصاري أنه كتب إليه بعض المالكية بتحريم شرب القهوة وساعده من لا بصيرة له على ذلك ، ومنع الناس من شربها ، فانتشر الخبر إلى مصر

---

(١) تحرفت الكلمة في (م) « رونحة » .

والقاهرة ، فكتب المولعون بها سؤالاً إليه ، فكان جوابه أن قال : أحضروا إلي جماعة من المتعاطين لها ، فسألهم عن عملها ، فذكروا له أنها لا عمل فيها سوى ما قدمناه من التَّقوية ، فأراد الاختبار ، فأحضر قشرَ البن ثم أمر بطبخه ، ثم أمرهم بشربها ثم فاتحهم في الكلام ، فراجعهم فيه ساعة زمنية فلكية ، فلم ير منهم تغيراً ولا طرباً فاحشاً ، بل وجد منهم انبساطاً قليلاً ، فلم يؤثر ، ثم زاد فلم يؤثر ، فصنف في حلها مصنفاً قاطعاً بالحل .

قلت : لله درّه! لم يقدمْ على التحريم بمجرد ما نقل إليه ، بل اختبرها ، فلما لم ير فيها شيئاً من أسباب التحريم فأفتى بحلِّها رحمه الله . وقد أفتيت قديماً بحلِّها واستدللت على ذلك بدليل أجمع عليه الأصحاب وهو : أنَّ الشيءَ إنّما يحرمُ تناوله وأكله وشربه ، إما لأضراره كالسّم ، أو لإسكاره كالخمر والنبيذ مع نجاسته ، أو لنجاسته كالبول والغائط ، أو لتخديره وتخييله للعقل كالبنج والحشيش ونحوهما ، أو لاستقذاره كالمخاط والبزاق المنفصل من الآدمي ، فإنه يحرمُ بلعه بعد إخراجه من الأنف والفم ، كما يحرم تعاطيه من غيره مطلقاً ، سواء تناوله بعد انفصاله أو قبله لاستقذاره . وليس في القهوة شيءٌ من ذلك لأنّها ليست بمضرة ولا مسكرة ولا نجسة ولا مخدرة ولا مخيلة ولا مستقذرة . وهذه أسباب التحريم فانتفاء أسبابه[1] .

قال : وقد كنت كتبت هذا الجواب قديماً وأنا باق عليه مقدر له . فإن قيل : إنّ بعض الناس يضره شرب القهوة أو الإكثار منها؟ فالجواب أن نقول : إنها محرّمة في حقّه فقط ، لأنّ حجةَ الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي حبر هذه الأمة ـ رضي الله عنه ونفع به وبعلومه ـ قال في كتب متعددة : إنّ الشيءَ المجمعَ على حلِّه كالعسل قد يحرم في حق من غلبت عليه الحرارة ، وشهد علماء الطب بأنه يضره . فكذلك القهوة من باب أولى نقول

(١) هكذا في (م) و(ط) ولعل الصواب « فانتفاء أسبابه يستلزم الحِلّ » وكذلك ذكره في حاشية (ط) .

بتحريمها حيث أضرَّت بعض الناس لكنْ في حقه فقط . ثم قال : فينبغي أن يُقال في حقِّ من تعينه القهوة على التلاوة أو مطالعة العلم : إنّ تعاطيها مستحبٌّ لأنّ للوسائل حكم المقاصد ، وإن كان يستعان بها على مباح فتعاطيها مباح .

ومن شعر صاحب الترجمة رحمه الله تعالى : [من الوافر]:

شهــدْتُ بــأنّ ربّــي ذو اقتــدارِ … علــى كــلِّ الأمــور بغيــرِ شَــكِّ
وذو لُطْــفٍ وذو عِلــمٍ محيــطٍ … تعــالــى اللهُ عــن كيــفٍ ودَرْكِ
فــأســألــه يــلاطفنــي ســريعــاً … ويفْــرجُ كــرْبتــي ويــزيــلُ ضَنْكــي

ومنه : [من الوافر]:

ألا قُــلْ للحســودِ وللمُعــانــد … أقــلَّ عَنــاكَ فــالإحســان زائــدْ
يــزيــدُ عَــداوة ويــزيــدُ ربِّــي … فــزِدْني كــي يــزيــدَ لــيَ العَــوائــدْ

ومنه : [من مخلَّع البسيط]:

بجُــودك الجــمِّ ربِّ قَصْــدي … أنــزلــت يــا منتهــى المقــاصِــدْ
مــع اعتــرافــي بضَعْــفِ رأيــي … وقُبْــحِ فِعْلــي الــذي أكــابــدْ
فقُــمْ بحــالــي بحســب فَضْــل … وفُــكَّ عنِّــي عُــرَى الشّــدائــدْ
وأصلــحِ الشــأنَ ربِّ جمعــاً … ولا تكلنــي إلــى العــوائــدْ

ومنه : [من البسيط]:

يا ربِّ جد لي الذي ترضاه يا أملي … واصلحْ بفضلك جوداً فاسدَ الخللِ
وقم بحاليَ في الدّاريْنِ مرحمة … ولا تَكِلْني إلى عِلمي ولا عملي

وأخبرني سيدي الفقيه عمر بن زيد قال : سمعت شيخنا الشيخ بدر الدين المصري يقول : اجتمعت بالعلامة الطنبداوي في زَبيد سنة ست وثلاثين وتسعمائة وأنشدني من لفظه : [من الطويل]:

ومُذْ كنتُ ما أهديت للحبّ خاتماً … ومِسْكاً وكافوراً ولابست عَيْنَه
ولا القلمُ المبريُّ أخشى عَداوةً … تكون مدى الأيّام بيني وبيْنَه

قلت : ولا أعلم لهذه الخصال أصلاً من الكتاب والسنة ، وسمعت سيدي الوالد يقول : ليس لها تأثير . قلت : ولا بأس باجتنابها مع عدم اعتقادها .

ورأيت بخط الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر قال : وجدت بخط العلامة أبي العباس الطنبداوي أن من قرأ الفاتحة أربعمائة وتسعين مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت . مجرب مجرب .

● وفيها : في ظهر يوم السبت عاشر شهر ربيع الثاني توفي **أحمد بن الشمس بن محمد بن القطب محمد بن السرَّاج البخاري الأصل ، المكي الحنفي**[1] بجُدَّة ، وحمل منها لمكة ، ودفن فيها ثاني يوم تاريخه على أبيه بالمعلاة ، وخلف أولاداً رحمه الله . وكان مولده في صفر سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بمكة ، واشتغل بالعلم فقرأ على السخاوي في « سنن أبي داود » و« الشفاء » ودخل القاهرة مراراً ، وسمع الحديث فيها على جماعة منهم : الحافظ الدّيمي[2] والجلال السيوطي ، ولبس خرقة التصوف من بعض المشايخ ، وولي المناصب الجليلة كالقضاء والإمامة والمشيخة ، وأجازه بعضهم ، وقرأ الكتب الستة وغيرها ، واستمع[3] كثيراً في الفقه والحديث ، مع قوة حافظة وحسن كتابة وناطقية .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٣٩١) .

(٢) في (ط) : « الديلمي » وصوابه في (م) و« الشذرات » (١٠/ ٣٩١) .

(٣) في (ط) : « واسمع » وما أثبتناه في (م) وكذا في « الشذرات » (وسمع) .

سنة تسع وأربعين بعد التسعمائة

● وفي صبح يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين كان مولد سيدنا ومولانا الشيخ الكبير والعلم الشهير الولي العارف بالله ، شمس الشموس شهاب الدين أحمد بن الشيخ القطب شيخ بن عبد الله بن الشيخ القطب الغوث عبد الله العيدروس أبقاه الله تعالى آمين . وتاريخ ذلك العام يجمعه (ولي الله شمس الشموس) وجعل هذا التاريخ الوالد وأنشأ في ولده قصيدة وهي :

لله حَمْـــدي بمـــوْلـــود طـــالعُـــه سَعْـــدُ السّعُـــود
أحمـــد محمّـــدٌ محمـــود عبـــدُ الإلـــه المَعْبُـــود
فـــوقَ الخـــلائـــق يســـود بفضـــلِ ربّـــه يجُـــود
يعطيـــه ربّـــه أمـــان مـــن كـــلِّ حـــاسِـــد ظمـــآن
يفهـــمُ معـــانـــي القـــرآن والمعـــرفـــة والبُـــرهـــان
بـــالقلـــبِ والتّـــرجمـــان دائـــم وهـــو فـــي شُهـــود
تـــاريخـــه خطـــا ولـــدْ حصنـــت روحـــه بـــالأحـــدْ
وقـــل هـــو الله أحـــد محفـــوظٌ بـــالله الصّمـــدْ
ملحـــوظٌ مـــن عيـــنِ الأبـــد عنـــايـــة الله الـــوَدود
يـــا حـــافـــظ احفـــظ أحمـــد قـــولـــه وفِعْلـــه يُحْمَـــدْ
وفـــي العـــواقـــبِ يـــرشـــدْ وســـرّ طـــه[1] وأحمـــد
والعيـــدروس الممجّـــد نفحـــة لطفـــل مـــولـــود

أحد أولاد الوالد من السيدة الطاهرة فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن بن علي

---

(١) في (ط) « وسوطه » تحريف .

وشقيق أخيه عبد الله كلاهما نجل ذلك السيد الكريم ، وشبل[1] ذلك الأسد العظيم . نشأ بتريم ، ودخل الهند في سنة ثمان وستين وتسعمائة لزيارة والده ، ثم رجع إلى حضرموت معاوداً لوطنه وتجديد المعاهدة ، ودخل الهند مرة ثانية في سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، وبقي بها إلى الآن ، ورزق القبول العظيم مع الناس وصار لهم فيه اعتقاد ، ورُويت عنه كرامات ، وحصل له حال غيبه عن إحساسه[2] وقلت فيه شعراً :

أيُّهـــا الشِّهـــاب المُفَـــدَّى ... أنـــت هـــو الفَـــردُ الأوحَـــدا
أعطـــاك المهيمـــنُ منحـــاً ... تفـــوقُ المنـــحَ وأزْيَـــدا
اللهُ أقـــامـــك مقصـــدا ... يـــا فـــوزَ مـــن لـــك يَقْصُـــدا
تهـــن بـــالشّهـــود ذي نلتـــه ... فيـــا سعـــدَ مـــن لـــك يَشْهَـــدا
أتيـــت مـــراتبـــاً بعضهـــا ... إذا نـــالَهـــا الشّخـــص ســـوّدا
فبيـــن الأوليـــاء بـــأســـرهـــم ... مقـــامـــك الأحمـــد يـــا أحمـــدا

وما أحسن قول العلامة حميد بن عبد الله السِّندي فيه : [من البسيط]:

اللهُ آتـاك فضـل العلـمِ والعَمَـلِ ... يـا أحمدَ الخَلْقِ هـذا غايـة الأملِ
مـواهـبٌ لـك دون النـاس قـد خُبِئـت ... في لوحك المودع المحفوظ في الأزلِ
للهِ فــي الخَلْــق أســرارٌ تـدقّ ولا ... نكْـر إذا جمـع الأسـرارَ فـي رَجُـلِ
فمـن يسـاميـك لا ينفـك مستفـلاً ... وأنت أنت على رغم الحَسود علي
وأنت في الفضل بحرٌ لا انتهاء له ... وأنـت أشبـه وقـت الحلـم بـالجبلِ

---

(١) في (م) : « ونسل » وما أثبتناه من (ط) .

(٢) في (م) بجانب هذا الموضع حاشية كتبت بخط مغاير ، وهي في حاشية (ط) أيضاً وفحواها « توفي صاحب الترجمة القطب الرباني السيد أحمد العيدروس قدس الله سره يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ١٠٢٤ ببروج من أرض الهند ودفن في صحن بيته بها ، وأحواله باهرة وكراماته ظاهرة ، وبنيت عليه قبة عظيمة في سعة نفع الله به وبعلومه وأعاد علينا من بركاته آمين .

والخَلْقُ منك حَكَتْه رَوْضة أُنُفٌ[١] | تفترُّ أكمامها في زَهْرِها الخَضِلِ
ولـم تكـن عنـدك الـدّنيـا لهـا خَطَـرٌ | فليس إهمالك الدّنيا مِنَ الخطلِ
لو أن زهرتَها في الكفِّ منك وقد | سُئلتهـا كنـت تعطيهـا ولـم تَسَـلِ
عطـاء مـن لـم يَضِـقْ صـدراً بقلّتهـا | ولا بكثـرتهـا تلفيـه ذا جَـدَلِ
وقد صَفا القلبُ منه عن تكدّرها | لما تولاّه قطب الوقتِ خيرُ ولي
شيـخ الشـريـف بـن عبـد الله والـده | فهو العريقُ إذاً في السادة الكُملِ
أطـاع خـالِقـه فـالخلـقُ أجمعهـا | في طَوْعه لم تحل عنه ولم تَزَلِ
وكم له من كراماتٍ قد اشتُهِرَتْ | في الشرْق والغرْبِ أيضاً شهرة المَثَلِ
ربّـىٰ وهَـذّبَ أقـوامـاً وأرشـدهـم | فصـار طَبْعهـم مـا فيـه مـن ميلِ
وأصبحـوا كلّهـم أعيـان وقتهـم | وأنـت إنسـان تلـك الأعيـن النُّجلِ
لله درّك أخـلاقـاً عـرائسُهـا | تجلى محـاسنُهـا فـي أفخر الحِللِ
بقيْـتَ بحـر فيـوضٍ مـن جـواهـره | تبدي تصاريف قد أضحى بهن مَلي
ودمـتَ بـالعلـمِ مشْغـولاً وملتهيـاً | عمّـا يعـانيـه أهـل اللّهـوِ مـن شُغـلِ
ودمت [تجلى][٢] بِحفظ قد حفظْتَ به | حـدودَ ملّـة جَـدّكْ خـاتـمِ الـرّسـلِ
أزكـى الصـلاة عليـه والسّـلام معـاً | والآل ما عزَّ ذو شرفٍ وصار ولي

* * *

(١) في (ط) : روضة أنَقٌ » . وروضة أنف : لم ترْع .
(٢) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .

سنة خمسين بعد التسعمائة

● **وفي سنة خمسين توفي السيد الجليل صاحب الكرامات الخارقة والآيات الصادقة الشيخ شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الشيخ عبد الرحمن السقاف**[1] بالشِّحْرِ ، وكان من المشايخ الكبار رحمه الله .

وحُكي عنه أنه قيل له : ها هنا رجل تحصل له حالة عظيمة عند السَّماع ، فقال : ليس الرّجل الّذي يحتاج إلى محرك يحركه إنّما الرّجل هو الّذي لا يغيب عن الشّهود حتى في حالة الجماع فضلاً عن غيره . فيحتمل أنه أشار بذلك إلى نفسه نفع الله به . وكان يعظم الشيخ أبا بكر العيدروس .

وبلغني أن له ديوان شعر ، ومن نظمه في القهوة :

ذي قهْــوة مــا مثلهــا قهــوة ... سَلْ فيهـا بـالسّيـن مـن ياسيـنِ
أبــو الفقــراءِ بــالله تجبــرنــي ... تقــرأ لــيَ ثلثــاً مــن يــاسيــنِ
وإن زدت أربعــاً فــذا قَصْــدي ... عــدّ أركــان البيــت بــالتّمكيــنِ
فــي الحضــرة دائــم فتقــرأهــا ... والقَهْــوة تكــون فــي التّسكيــنِ
إن دامــت [و] هــذا بهــا سـدنـا ... زاد النّــور فــي البَصَــرِ والعَيــنِ
والفقــراء مــايــة مــايــة جمعــاً ... بصــلاةٍ علــى البَهــا فــي العَيْــنِ
الشّــافــع المُصْطفــى النّــافــع ... يـا غـوثـي مـن كـلِّ هـمٍّ[2] أو دَيـنِ

● **وفيها : توفي الشريف الصالح الولي حسين بن أحمد با علوي صاحب** «قسم» بَها ، وكان من الأولياء الكبار أهل المقامات والأنوار .

ومن كراماته ما حكاه أخي السّيد عبد الله قال : أرسلني وَالِدِي إليه ، فجئنا

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٠٣) .

(٢) في (ط) « . . . كلِّ كرب . . » .

ولم نجده ، فنادت بعض نسائه وهي عندنا بصوت خفي كثير وقالت : حسين حسين ثلاث مرات ، فحسب أن يجيء الجائي من المسجد إلى البيت إلاّ وهو يدق البابَ ويقول : أنتم طلبتمونا؟ قالوا : نعم ، وأخبروه الخبر .

● وفيها : **توفي الصالح الشريف عبد الرحمن بن[1] زين با فقيه با علوي** ، وكان من الأولياء الكبار[2] ، وذكروا عنه كرامات رحمه الله .

● وفيها : في النصف الأخير من ليلة السبت ثاني عشر صفر **توفي الشيخ الإمام والحبر الهمام وليّ الله تعالى ، العلامة محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد ، أبو عبد الله الرُّعيني[3] الأندلسي الأصل ، الطّرابلسي المولد المالكي** ، نزيل مكة ، ويعرف هناك كسلفه بالحطاب[4] ، ويتميز عن شقيق له أكبر منه اسمه محمد أيضاً بالرُّعيني وذلك بالحطاب ، وإن اشتركا في ذلك لكن للتمييز ، ويعرف في مكة بالطرابلسي .

وُلِدَ وقت صلاة الجمعة من العشر الأخير من صفر سنة إحدى وستين وثمانمائة بطرابلس ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و« الرائية » و« الجزرية » في الرسم والضبط ، ثم « الرسالة » ، وتفقه فيها يسيراً على محمد القابسي وربما يُحذف ألفه ، وعلى أخيه في « المختصر » ، ثم تحول مع أبويه وأخيه وجماعتهم إلى مكة سنة سبع وسبعين فحجوا ورجعوا . وقد توفي بعضهم ، فأقاموا بها سنين ، ومات كلٌّ من أبويه في أسبوع واحد في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين بالطَّاعون ، واستمر هو وأخوه بها إلى أن عادا لمكة في موسم سنة أربع وثمانين فحجا ، ثم جاورا بالمدينة النبوية في السَّنة التي تليها ، وعاد الأخ بعد حجه منها إلى بلاده وهو إلى المدينة ، وقرأ بها على الشمس العوفي في العربية ، وكذا حضر عند السراج معمر في الفقه وغيره ، وعاد لمكة ،

---

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وردت في (م) فقط .
(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .
(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٤٠٨ـ٤٠٩) .
(٤) في (ط) : « الخطاب » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه في (م) و« الشذرات » .

فلازم الشيخ موسى الحاجبي ، وقرأ فيها القراءات على موسى المراكشي ، وصاهر ابن خرم[1] في سنة إحدى وتسعين على ابنته ، بل أخذ عن الشهاب بن حاتم مع كونه أفضل منه ، وكثر انتماؤه بعبد المعطي ، وسمع من الحافظ السخاوي ، وجلس للإقراء في الفقه والعربية وغيرها ، وولي مشيخة رباط المؤلف ، وباشر في عمارة وقف الطرحا . كل ذلك مع الفاقة والعفة ونعم الرجل .

قال الشيخ جار الله بن فهد : أقول : وقد فتح عليه في آخر عمره وصار من المعتقدين في العلم والدين ، وظهر له ثلاثة من الأولاد وهم : الجمال محمد ، وزيني بركات ، والشهاب أحمد ، وزوّجهم في حياته ورأى أولادهم مع نجابتهم ، وصار أكثرهم من المفتين والمدرسين بحرم الله الأمين . وقدمه والده في جميع جهاته لعجزه عن الحركة لكونه بلغ من العمر تسعين سنة إلا عاماً ، وانقطع بمنزله عدة سنين وهو يدرس فيه ، ورُتِّب له مرتَّبٌ في الجوالي ، واعتقده الناس في الآفاق ، وقصد بالفتوحات والودائع ، وناله الضرر من الدولة بسببها وهو متقنع متعفف مجتهد في عمارة الأوقاف التي تحت نظره ، وكذلك ولده الأكبر من حياته ، وتحمل لذلك كثيراً من الديون ، وقاسى شدة في مرضه حتى قضى نحبه رحمه الله .

* * *

---

(١) في (ط) « حزم » .

سنة إحدى وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وخمسين توفي **الولي الصالح الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي تلميذ الشيخ أبو بكر العيدروس بأحمد آباد** ، وكان قد تحكم للشيخ العيدروس المذكور ، وأخذ عنه وتخرج به ، واختص بنظره ، ومكث في ملازمته نحواً من عشرين سنة ، ثم أمره بالدخول إلى الهند والإقامة بها فدخلها ، وأخذ عنه جماعة كثيرون ، وانتفع به خلائق لا تحصى ، وكان قبل دخوله في هذا الطريق من أعيان التجار ، فآثر زيَّ الفقر ، وترك ما كان عليه من أسباب التجارة ، وكان حسن الخط .

وحكي أنه كان بمكة وكان يعاني تعلم الخط ، فلقيه رجل بالمسعى وقال له : اذهب فقد أعطيناك الخط والحظ ، قال : فلما لقيت الشيخ أبا بكر وتلمذت له قال لي : أتذكر ما قال لك ذلك الشخص ، وتدري من هو وما عناه بذلك ؟ ثم قال الشيخ : هو الشيخ أبو العباس الخضر ، وما أشار إليه من الحظ فهو نحن ، نفع الله بهم .

● وفيها : في يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول **توفي الفقيه العلامة الفروعي جمال الدين محمد بن عمر با قضام[1] أبو مَخْرمة** ، يجتمع مع الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد مخرمة في الأب السادس .

ولد ببلده الهجرين[2] ونشأ بها ، ثم ارتحل إلى عدن لطلب العلم ، وأخذ

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤١٧ـ٤١٨) .

(٢) الهَجَران : مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين تطلع إليه في منعة من كل جانب . والهَجر ـ بلغة أهل اليمن : القرية . « معجم البلدان » (٥/ ٣٩٢) وقد ذكرها المقحفي في « معجم المدن والقبائل اليمنية » قال : « بلدة عامرة بحضرموت ، تقع بين صقع (الكسر) ووادي (دوغن) ص (٤٤٥) » .

عن إماميها الفقيه عبد الله بن أحمد مخرمة ، والفقيه محمد بن أحمد فضل ، ثم ارتحل إلى زَبِيد وأخذ عن علمائها ، ثم رجع إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد مخرمة ، وولده العلامة شهاب الدين أحمد ، وانتفع بهما وتخرج عليهما . ولما أن وصل العلامة محمد بن حسين القماط قاضياً على عدن ثم بعده العلامة أحمد بن عمر المُزَجَّد قاضياً أيضاً لازم كلاً منهما ، ولم يزل مجتهداً حتى فاق أقرانه في الفقه ، وصار في عدن بعد موت الإمامين عبد الله بن أحمد مخرمة ومحمد بن أحمد فضل هو الإمام في الفقه المشار إليه ، والعالم المعول عليه ، واحتاج الناس إلى علمه وقصدوه بالفتاوى من النواحي البعيدة ، لكنه قد كان يتساهل في الفتاوى ويترك المراجعة لا سيما في أواخر عمره ، فاختلفت أجوبته وتناقضت فتاويه ، وكان ذلك مما عِيب عليه .
ثم كان السلطان عامر بن داود ـ وهو آخر ملوك بني طاهر بعدن ـ استماله في آخر عمره وأحسن إليه لأغراض فاسدة عزم عليها ، وكان إذا عزم على أمر فاسد يتعلق بالشرع أرسل إليه من يشاوره في كتب سؤال في القضية على أنه يجيب عليها فيجيبهم إلى ذلك ، ويكتب على سؤالاتهم أجوبة توافق أغراضهم ، فيتوصلون بها إلى مفاسد لا تنحصر ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .
وحكي أنّ النّاس تركوا فتاويه رأساً .

● وفيها : مات شير شاه البتان[1] يجمع ذلك عدد حروف « شيرمات » .

* * *

(١) في (م) : (التبان) بتقديم التاء على الباء .

سنة اثنتين وخمسين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين : توفي الشيخ الإمام والحبر الهمام العلامة أبو السعود [بن] محمد بن مصطفى بن عماد الإسكليبي[1] نسبة إلى إسكليب[2] قصبة في أماسية[3] الرومي المشهور، قاضي السلطان سليمان سلطان الروم ، صاحب التفسير .

قال الانقشاري في تاريخ وفاته :

أمسى بجوارِ ربّه ذي الحِلْمِ مفتي الإسلام بل سميّ الاسمِ
والعِلْمُ بكى مذ قيلَ في تاريخه قد ماتَ أبو السعود مَوْلى العِلْمِ

وُلِدَ في إسكليب تاسع عشر صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة ، ووالدته بنت أخي العلامة مولانا علاء الدين علي القوشجي ، وكان والده من أهل العلم والصلاح كذا قيل ، وتربّى صاحب الترجمة في حجر والده المرحوم مرتضعاً ثدي الكمالات في مهد العلوم فحفظه والده كتباً منها : « المفتاح » للسكاكي ، فامتاز في صغره بفصاحة العرب العرباء ، واشتغل بفنون الآداب ودخل إلى الفضائل من كل باب ، وأخذ عن جماعة من علماء عصره ، وانتهت إليه رئاسة الفتيا والتدريس ، ولما جمع السلطان سليمان رحمه الله العلماء بمجلسه وأمرهم بالمناظرة رجح المشار إليه في بحثه وتبين فضله واستحق التقديم وكان

---

(١) ترجمته ومصاردها في «شذرات الذهب» (١٠/ ٥٨٤) وما بين الحاصرتين مستدرك منه، والصواب أنه مات سنة (٩٨٢) هـ.

(٢) (م) : « سكليب » بإسقاط الألف من أولها ، وما أثبتناه من (ط) .

(٣) أماسية : إحدى مدن جبال الأناضول بآسيا الصغرى ، قال القرماني : (مدينة كبيرة بسور وقلعة شاهقة عاصية ، وهي خرشنة المشهورة. .) « أخبار الدول وآثار الأول » (٣/ ٣٠٦) وانظر : « تاريخ الدولة العلية » ص (١٤٨ـ١٩١) .

أهله ، وكان قبل ذلك قد ولي التدريس في مواضع متعددة ، ثم ولي قضاء بروسا[1] ، ثم ولي قضاء اسطنبول[2] .

قال الشيخ قطب الدين المفتي : واجتمعت به في الرحلة الأولى وهو قاضي اسطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ، فرأيته فصيحاً وفي الفن رجيحاً ، فعجبت لتلك العربية ممن لم يسلك ديار العرب ولا محالة أنها منحُ الربِّ ، ثم ولي في سنة أربع وأربعين قضاء العسكر ، وصار يخاطب السلطان في الأمر والنهي ، ثم في سنة إحدى وخمسين ولي منصب الإفتاء ، وكان سلوكه لا عوج فيها ولا أمتا ، وسمعته يقول : جلست يوماً بعد صلاة الصبح أكتب على الأسئلة المجتمعة ، فكتبت إلى صلاة العصر على ألف وأربعمائة واثني عشر فتيا .

وكان له في الألسنة الثلاثة شعر بديع ، ومن قصائده التي سارت بها الركبان قصيدة ميمية غريبة الشأن وهي طويلة ومطلعها هذه الأبيات : [من الطويل]

أبعْد سُلَيْمى مطْلبٌ ومَرامُ ... وغيرُ هَواها لوعةٌ وغَرامُ

وفوق حِماها ملجأٌ ومَثابة ... ودون ذراها موقِفٌ ومقامُ

وهيهاتَ أنْ يُثْنى إلى[3] غيرِ بابها ... عِنانُ المَطايا أو يُشدّ حِزامُ

هي الغايةُ القُصْوى وإن فات نَيْلُها ... فكلّ من الدُّنيا عليَّ حَرامُ

شدا[4] النّفسَ عنها واطمأن لبابها ... سُلَوّ رضيعٍ قد عَراهُ فِطامُ

---

(١) بروسا : مدينة عظيمة ببلاد الروم ، ذكر القرماني أنها عمُّورية ، وهي التي فتحها المعتصم ، قال : (وهي أحسن بلاد الروم قاطبة ، ذات بساتين وأشجار وأنهار . . . كانت قاعدة ملك بني عثمان) « أخبار الدول وآثار الأول » (٣/ ٤٥) .

(٢) إسطنبول : مدينة كبرى عرفت بـ(القسطنطينية) وبـ(الآستانة) سابقاً ، وكانت عاصمة الدولة العثمانية ، وتكتب بالسين والصاد (إستانبول) و(إصطنبول) « معجم البلدان » (١/ ٢١٢) و (٤/ ٢٤٧) .

(٣) في (ط) : « . . أن يُثْنى غير . . . » وبه يُكسر الوزن ، وصوابه في (م) .

(٤) في (ط) : « سلوا » .

وصبٍّ سقاه الرّشد سلوان رشْدِه فأمسى وما في القَلْبِ منه هيامُ
صَحا عن سُلافِ الغيِّ بعد انهماكه عليه فبانَ الكأسُ منه وجامُ
محوْتُ نقوشَ الجاه من لَوح خاطري فأضحى كأنْ لم تجرِ فيه قلامُ

ومنها :

وقَد أخلق الأيّام خلعة حُسْنها فالهم ضحت وديباجُ البَها رمامُ[1]
على حين شَيْب قد ألمَّ بمفرقي وغادرها الشّعر وهو ثَغامُ[2]
فللّه درّ الهمّ حيث أمدّني بطول حياتي في الهموم سِمامُ
فسبحان ربِّ العرشِ ليس لملكه تَناهٍ وحدّ مبدأ وخِتامُ

قال : ولم يزل في عزة إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وأتى نعيه إلى الحرم ، فنودي بالصلاة عليه من أعلى زمزم ، وصلي عليه صلاة الغائب ، ورثاه جماعة من أهل مكة منهم : الإمام الشيخ رضي الدين محمد بن أحمد القازاني الشافعي بقصيدة ذكرها القطب الحنفي ، وإنما لم نأت بها هنا طلباً للاختصار .

* * *

(١) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و(ط) وهو غير مستقيم الوزن ، ومعناه غير واضح تماماً .
(٢) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و(ط) وهو غير مستقيم الوزن . . والثَّغام : نبت إذا يبس ابيضَّ ابيضاضاً شديداً فشبه الشَّيبُ به .

سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة توفي السيد **الجليل عبد الله بن علوي بن الشيخ عبد الله العيدروس** (زوج السيدة الولية مزنة بنت الشيخ أبي بكر العيدروس)[1] صاحب عدن بتريم ، وقُبِر في قبر أبيه ، وهو والد السيد الولي وحيد عصره وفريد دهره شمس الشموس عمر بن عبد الله العيدروس الآتي ذكر بعض محاسنه البهية وطرف من أوصافه الرضية .

● وفيها : لستّ ليال بقين من شهر ربيع الثاني قُتِل **الأمير الكبير الخواجة صفر سلماني الرومي المخاطب بخداوندخان** ، ويجمع تاريخ موته « نبأ مقتل صفر » . وكان مشهوراً بالشجاعة والرأي وفعل الخير والإحسان رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) .

سنة أربع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سحر ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الثاني عام أربع وخمسين توفي **الشيخ جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي**[1] **المكي**، ويعرف كسلفه بابن فهد، وسنّه أربع وستون سنة، وخلف أولاداً. وكان مولده في ليلة السبت لعشرين من شهر رجب سنة إحدى وتسعين وثمانمائة بمكة، ونشأ بها في كنف أبويه، فحفظ القرآن، وكتباً كـ « أربعين النووي » « ومنهاجه »، وسمع من السَّخَاوي والمحبِّ الطَّبري، وأجاز له جماعة كعبد الغني بن البِسَاطي، وغيره، ولازم والده في القراءة والسماع، وتوجه معه للمدينة وجاور بها سنة تسع وتسعمائة، وسمع بها من لفظ والده تجاه[2] الحجرة الشريفة الكتب الستة، و« الشفاء » لعياض، وغيره، وعلى السيد السّمهودي بعضها وتاريخه « الوفاء » وفتاواه. وألبسه خرقة التصوف، وقرأ على أبيه فيها « العمدة » و« الشمائل » وغيرهما.

ولما عاد لمكة أكثر عليه من قراءة الكتب الكبار والأجزاء الصغار وانتفع بإرشاده، وخرج الأسانيد والمشيخات لجماعة من مشايخه وغيرهم، واستوفى ما عند مشايخ بلده من السماع، ورحل إلى مصر والشام وحلب وبيت المقدس واليمن وأخذ بها وفي غيرها من البلدان نحو السبعين على جماعة من المسندين، وأجازه خلق كثيرون جمعهم في مجمع حافل، واشتغل في فنون، وأخذ الفقه والنحو والأصلين عن الشيخ عبد الله با كثير،

---

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٣/ ٥٢) و« درّ الحبب » (١/ ١/ ٤٣٤-٤٣٦) و« الكواكب السائرة » (٢/ ١٣١) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤٣٢-٤٣٣) و« معجم المؤلفين » (٣/ ١٠٧) و« الأعلام » (٦/ ٢٠٩).

(٢) في (ط) : (تجار) تحريف، وما أثبتناه في (م).

وقرأ عليه « المنهاج » للنووي وغالب شرحه للمحلي ، و« ألفية ابن مالك » وغيرها ، وبعض شرح الورقات ، وقسم « المنهاج » على الشّيخ شهاب الدّين اليسري مرتين ، وعلى الشّيخ عبد الحق السّنباطي مرة ولازمه في قراءة كتب الحديث ، وخرج له مشيخة اغتبط بها ، وكذا الخطيب محب الدين النُّويري وغيرهما من الأكابر ، ودخل الروم عوداً على بدء ، وتزوج ورزق الأولاد ، وحدّث بالحرمين الشريفين وغيرهما .

* * *

سنة خمس وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وخمسين : وصل من مكة المشرفة **الخان الأعظم آصفخان الكجراتي** إلى كجرات ، وأقام بها في منصب الوزارة إلى أن قُتِل مع مخدومه السلطان محمود في الليلة التي قُتِل فيها ، وهي ليلة ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وتسعمائة رحمه الله ، وكان الوزير آصفخان رجلاً صالحاً جواداً ممدوحاً شريف النفس عالي الهمة ذا تهجد وأوراد .
وكانت ولادته في ليلة الخميس ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع أو تسع وتسعمائة ، واشتغل بالعلم حتّى مهر في كثير من الفنون ، وزر للسلطان بهادر شاه ، ولما جاء السلطان همايون خشي السلطان بهادر على حريمه ونفائس خزائنه ، فأمر المذكور على الحريم والخزائن وأرسله بها إلى مكة المشرفة ، فمكث بها أكثر من عشر سنين مشتغلاً بالعبادات وأنواع الطاعات ، حتّى حُكِي أنّه أقام بمكة تلك المدة لا يعرف أنه ترك الجماعة فيها مع الإمام بالمسجد الحرام في فرض واحد من غير مرض ونحوه ، وكان محباً لأهل العلم محسناً إليهم مؤلفاً لأهل الفضل مشفقاً عليهم ، حتى نفق العلم في زمنه بمكة نفاقاً عظيماً واجتهد أهله فيه اجتهاداً بالغاً ، وثاب الطلبة وعكفوا عكوفاً باهراً عليه ، وبحثوا عن الدقائق لينفقوها في حضرته ، وتحفظوا الإشكالات ليتقربوا بها إلى خواطره ، كل ذلك لإسباغه على المنتسبين إلى العلم من صنوف الإحسان وواسع الامتنان وهوامع الأنعام وواسع الإكرام ما لم يسمع بمثله عن أهل زمنه ومن قبله بمدة مديدة حتى قال بعض العلماء : قد أذكرنا ذلك ما يحكى عن الخلفاء والبرامكة وأبان لنا حقيقة ما في التواريخ عنهم، حتى قيل: إنه أنفق بمكة في نحو سنة مائة وخمسين صندوقاً ذهباً . حتى ألبس أهل مكة نساءهم وخدمهم حلي الذهب الذي لم يعهدوا مثله ، وتوسعوا في الملابس والمعاش

بما لم يعرفوه قبل ذلك ، فجزاه الله خير الجزاء ، وأكمله وأتمه وأشمله وأفضله بمنه وكرمه ، ولما بلغ أهل مكة خبر مصابه حزنوا جداً لما كان ينالهم من الإحسان بسببه ، ورثاه الشيخ العلامة عبد العزيز الزمزمي[1] المكي بهذه القصيدةِ العظيمةِ وهي : [من البسيط]:

أيُّ القلوبِ لهذا الحادثِ الجَلَلِ ... أطواده الشّمّ لم تُنسَفْ ولمْ تَزلِ

وأيُّ نازلةٍ في الهِندِ قد نَزلَتْ ... بلفحها كلُّ حبْر في الحجازِ صلي

أعظم بنازلةٍ في الكون طار بها ... برّاً وبحراً مسير السُّفنِ والإبلِ

أخبارها طرقت سمعي فحملني ... طُروقها عبءَ رزءٍ غير مُحْتملِ

أهدَتْ لأهلِ الحجاز اليأسَ بعد رجا ... واليأسُ بعد الرجا كالظلِّ بالأسلِ[2]

فأصبحَ الناسُ في وهْج وفي فِكر ... كثيرة ومزاج غير مُعْتدِلِ

خطب على كلِّ معروفٍ ومكرمةٍ ... ونعمةٍ قلّدت جيدَ الزّمان حلي

أصمَّ أذني به النّاعي وأسمعني ... أمراً به صرْتُ مثل الشّاربِ الثّملِ

وهو البشيرُ بضدِّ الأمرِ ربّتما ... أُصيْبَ من هوْلِ هذا الخطبِ بالخَطَلِ

عمري لقد جمع الضّدين في نسقٍ ... وقرّبَ البُعدَ بين الحُزْنِ والجَذَلِ[3]

في حال إشراق شمس البشر قد غربت ... فصار وقتُ طلوعِ الشّمس كالطّفلِ

يا صاح سلْ عن فؤادي بالحديثِ وعن ... سكري بطافح همٍّ فيه لا تسلِ

على آصفخان وجْدي لا يُفارقني ... أو تبلغ الرّوحُ منّي مُنتهى الأجلِ

لهفي ولهف رجالِ العلم قاطبةً ... على إمام بتحقيق العُلوم ملي

على الجواد الّذي فاضَتْ مكارمُه ... للآملين بما أربى على الأملِ

مضى شهيداً إلى دارِ البقا ليرى ... ما قدّمتْ يده من صالحِ العملِ

لقد أعدَّ له عند النّزُولِ بها ... ربٌّ غفورٌ رحيمٌ أكرمَ النّزلِ

---

(١) ستأتي ترجمته في أحداث سنة ٩٧٦ هـ .

(٢) الأسَل : الرماح .

(٣) في (م) : « الخذل » بالخاء ، والمثبت من (ط) . ومعناه : الفرح .

بكتْ عليه السّما والأرضُ إذ فقدتْ ... تهجّداً عند طولِ الدّهر لمْ يَحلِ
ووردَ صـــومٍ ظمــاه فيــه أدخلــه ... جنّاتِ عَدْنٍ من الرّيّان في عجلِ
وفعــلَ خيــرٍ وإحســانٍ ينيــل غــداً ... قــرارَ سجْســاجِ ظــلٍّ غيــر مُنتقــلِ
لها بهاتيكمُ الطاعاتِ قد شَهِدَتْ ... بطــاحُ مسجــدِ طــه خــاتــم الـرّسُــلِ
ومسجدُ القدسِ والمكيّ لا برحتْ ... أرجاؤهم من غمام الأمن في ظُلَلِ
وكــم طــوافٍ ببيــت الله كــان لــه ... وكــم وقــوفٍ ببــاب الله فــي وَجَــلِ
وبــالمعــرّف أعــوامــاً متــابعــة ... بها استتمّ فروضَ الحجِّ عن كَمَلِ
سلـوا مشـاعـر جمـع كيـف ليلتهـا ... كــانــت تضــيء ببــدرٍ منــه مكتمــلِ
وكـان شمسـاً بهـا لمـا يحـلّ منـىً ... أيّــام تشــريقهــا إشــراقهــنّ جلــي
سقيــاً ورعيــاً لأيّــامٍ سلفــن بهــا ... ونحن في مجلسٍ سامٍ لديه علي
إذِ الــزّمــان عــزيــزٌ وجهــه خضــلٌ ... بغــرة مــن محيّــا وجهــه الخضــلِ
والعيشُ غضّ بما يوليه من نِعمٍ ... لَـذْن الحواشـي بـأنـسٍ منـه مقتبـلِ
والـدّهــرُ يلحظنــا شـزْراً ويـوهمنــا ... خــديعــةً أنّــه عنّــا لفــي شُغُــلِ
فحيــن ردّ إلينــا طــرْفــه ارتجعــتْ ... يــداه منّــا الّــذي أولاه مــن نحــلِ
فشتّـت الشّمـل بعـد الالتئـام ولـم ... يقنــعْ بنــوحٍ مقيــمٍ إثــر مُــرْتحــلِ
حتّــى رَمــانــا فــأصمتْنــا رمــايتــه ... عمداً بأسهمِ هذا الحادثِ الجللِ
أيا « آصفخان » لا يحصى تأسفنا ... عليــكَ ضبــط بتفصيــل ولا جُمــلِ
لقـد فقـدنـاك فقـدان الـرّبيـع ولـم ... نجدْ لنا عنك بعد الفقْدِ من بَدَلِ
تفـديـك منّـا ألـوف لـو فـديـت بهـا ... من خيرنا لا من الدّهماء والسفلِ
إنّي لأبكيك للجودِ الذي فضحت ... أنــواؤه كــلَّ وسمــيٍّ وكــلّ ولــي
أبكيك للعلمِ والعقْلِ اللذينِ هما ... عمــاد دُنْيــا وديــن الحــازمِ الـرَّجــلِ
وللحجــاز وأهليــه إذا فقــدوا ... مــألــوف بــرٍّ إليهــم منــك مُتّصِــلِ
وللصيــامِ وإحيــاء الظّــلام إلــى ... حيـن الممـاتِ بـلا وَهـنٍ ولا مللِ

مسـافـراً ومقيمـاً مـا كَسِلْـتَ ولا عَجِزْتَ حاشاك[1] من عجزٍ ومن كسلِ

قد كنْتَ بَحْرَ علومٍ زاخراً وندى من فيْضه كل بحرٍ كان في خجلِ

ففاضَ ما فاض من أمواجه وطَغا منهـا وروّى الـوَرى عـلاً على نهلِ

بموته مات ذكر الجُود واندرَستْ منه الرّبوع ورسم المكْرمات بلي

عَـذَلْـتُ في قتلـه دهـري فقـال أمـا أحطت علماً بسبق السّيفِ للعَذَلِ

لبّـى نـداء المنـايـا عنـدمـا هَتَفَـتْ بـه وسـار بهـا يمشـي علـى مهلِ

لاقَتْـه وهـي كميـن فـاستكـان ولَـوْ بـدتْ لـه لـم تجـده كـان ذا فَشَـلِ

فـإنّـه كـان ثَبْتـاً حـازمـاً حَـذِراً ولـم يكـن رأيـه يـؤتـى مـن الـزّلَـلِ

أبـاد أحمـد آباد[2] هـولُ مَصْـرعـه وبـاد بعـد الإبـا مـن فيـه بـالـوَجَـلِ

فـدم محمـود بـاد النّـاس حيـن بَـدا منهـا عنـا مـا بـه للنّـاس مـن قبـلِ

وريـحُ نكْبـة كبتـايـت عـواصفهـا نكبـاء هبّـتْ خـلال الـدّور والحَلَـلِ

والنّـار شبّـت بشبّـانيـن[3] مـن فِتَـنٍ تموجُ كالبَحْرِ ملءَ السهل والجبلِ

والدّيو[4] أودت بها أدواؤها وبدَتْ فيهـا أراجيـف أهـل الغـلّ والنّقـلِ

فلا ملام على سَرات[5] إن لبست ملابسَ الحُزنِ بعد الحليِ والحُلَلِ

أوفى وسلطانه السامي المقام معاً على انتها الأجلِ المحتومِ في الأزلِ

---

(١) في (م) و(ط) : « حوشيك » .

(٢) أحمد آباد : من مدن الشّمال الغربي للقارة الهندية ، انظر مجلة المجمع العلمي الهندي العدد (١٤٨) ص (٣٩) . وسيأتي قول المؤلف فيها ص ٤٨٥ .

(٣) في (ط) : « . . بشنبانير » وما أثبتناه في (م) . وكان المؤلف ذكرها بلفظ مماثل لما ورد في (م) في أحداث سنة ست عشرة ، وذكر أنها في أصلها قلعة للكفار استولى عليها محمود شاه وحولها إلى مدينة .

(٤) في (ط) : « والديرُ . . . » تصحيف وما أثبتناه في (م) . والديو من مدن الشمال الغربي للهند ، ذكرها المؤلف في أحداث سنة ثلاث وأربعين .

(٥) سَرات : من المدن المجاورة لأحمد آباد ، وسيأتي ذكرها في مواضع مختلفة من الكتاب (أحداث سنة ثلاث وستين وسبع ستين) وغيرها .

كـذا الخليفـةُ والفتـحُ الـوزيـرُ لـه ... كـانـت وفـاتهمـا فـي أعصـرٍ أولِ
عـزَّ العـزاء وأزمـان المسـرّة قـد ... ولّـت وكـلُّ خليٍّ بـالهُمـومِ ملـي
عبـد العـزيـز عـزيـز مـا أصبـت بـه ... علـى الممـالـك والأديـان والمِلَـلِ
عبـد العـزيـز عـزيـز مـا أصبـت بـه ... علـى شهـامـةِ أهـل المُلْك والـدُّوَلِ
عبـد العـزيـز عـزيـزٌ مـا أصبـت بـه ... علـى المشـايـخ والطّلاب والملَـلِ
عبـد العـزيـز عـزيـزٌ مـا أصبـت بـه ... على مجالس أهل البَحْثِ والجدلِ
كـانـت تتـوقُ لأرض الهنـدِ أنفسنـا ... كيمـا تحقـق أنّ العـزَّ فـي النّقـلِ
فمذ نُعِيتَ نأتْ عنها المُنى وغَدَتْ ... أبـوابُ نيْـل الغِنـى مسـدودة السُّبُـلِ
يلـومنـي فيـكَ أقـوامٌ ولـو عَلِمـوا ... عذري لما أكثروا لَومي ولا عَذلي
محببٌ كلُّ من يولي الجميل وقَدْ ... أوليتنـي جُمـلاً منهـا علـى جُمـلِ
إنْ ساءَ مصرعُه أهلَ الحجازِ فكم ... قد سرَّهمْ بالعطايا الغُرِّ والنّحلِ
يعطيك والبشرُ يكسو صفحتيه فقُلْ ... بُعْداً لتقطيب وجه العارض الهطلِ
أفعـالـه صـدّقـت مـا قـد تكـذّبـه ... أسماعنا من حديثِ الجود في الأولِ
فـانظـرْ إلـى فعلـه واتـرك حـديثَهـمُ ... «في طلعة الشّمس ما يغنيك عن زُحلِ»
يلقـاكَ لابِـسَ بُـرْدٍ مـن تـواضعـه ... مـا قـطُّ دَنَّسَـهُ بـالـذُّلِ والفَشَـلِ
فـي عِـزّة لـم يشبْهـا كِبْـر ذي حمـقٍ ... يظـنّ بـالكِبْـرِ تعلـو رتبـةُ السّفـلِ
بـالعلـمِ كـان وفعـلِ الخيْـرِ مشتغـلاً ... ولم يكن عنهما باللّهو في شُغلِ
ولـم يـزلْ بـرجـالِ العِلْـمِ محتفـلاً ... لكنّـه بسـواهـم غيـر مُحْتفـلِ
تـأثّلـوا[1] المـالَ فـي أيّـامـه وبـهِ ... نـالـوا مكـانـاً مـن العَليـاء لـم يُنَـلِ
فـي حضـرةٍ ومغيـبٍ كـان يمنحُهـم ... مـا لـم يكـن لهُـم والله فـي أمـلِ
منـه أتتنـي سنيّـات الهبـاتِ ومـن ... تمـامهـا أنّهـا جـاءت ولـم أسـلِ
مـدحتـه كـي أوفّـيْ شكـرهـا فـأبـى ... مـزيـدُ فـائـضِ إحسـانٍ لـه هَطِـلِ

(١) تأثّل مالاً : اكتسبه واتخذه وثمّره .

والآن عَلَّي أوفّي بالرِّثاء له ... حقّاً فإنّي وفيٌّ بالحقوقِ ملي

قد كنت آمل هذا الدّهر يمتعُنا ... به ويبقيهِ غوثاً للعفاة وَلي

وما توهّمتُ أنَّ الدّهرَ ينزعُه ... نزعاً ويجفؤه[1] بالقتْلِ والغِيلِ

شلَّتْ يمينُ الّذي بالقتلِ فاجأه ... عَمْداً وشَيّنَ كفَّ المجدِ بالشَّللِ

ملاحمٌ حكم المولى بها وقَضَى ... وجودها سابق في علمه الأزلِ

يا من يُسائل عن تاريخ مَصْرعه ... عنه الجوابُ «انقضى» فاكفُفْ ولا تسلِ

عليه والله لا أنفكّ ذا أسَف ... أهدي إليه الدّعا ما امتدّ في أجلي

هَمتْ على روضِ قبرِ حلّهُ ديمٌ ... من الرّضى ما هما دمعٌ مِن المُقَلِ

ثُمّ الصّلاة على المختارِ من مُضَرٍ ... خير البريّة طه خاتم الرّسلِ

والآل والصّحب ما أوفى الحجيج على ... بيت الإله وحيّا الركن بالقُبلِ

* * *

(١) وجفأ الرّجلَ جفأً : صرعه .

سنة ست وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة ست وخمسين توفي السّيد الشريفُ الصالحُ الفاضلُ الشّيخُ **حسن بن علي** ، وكان من المشايخ العارفين وعباد الله الصالحين ، صاحب هيبة عظيمة لا يراه أحد إلاَّ هابه ، وكان يصلي إماماً في مسجد والده الشيخ علي بن أبي بكر ، وكان إذا دخل في الصلاة وأحرم ارتعدت فرائص الحاضرين لهيبته ، فهمَّ بالصلاة معه الولي الشريف عبد الله بن الفقيه با علوي ، فلمّا سوّى الصّفوف وكبّر طَاشَ لبّه ، ودُهِشَ عقله وقال : ما هؤلاء إلاّ بقرٌ - يعني الحاضرين - وحَملَ ثوبَه وخرج هارباً ولم يصلِّ معه .

قُلْتُ : وحضَرَ وفاةَ ابن عمه[1] الشّيخ أبو بكر العيدروس بعدن ، وصلَّى على جنازته إماماً . كذا قاله العلامة جار الله بن فهد المكي رحمه الله في معجمه .

* * *

(١) في (ط) : « محمد » وما أثبتناه في (م) .

سنة سبع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وخمسين توفي الولي العارف بالله تعالى الشريف عمر بن شهاب الدين بن الشيخ عبد الرحمن بن علي با علوي ، وكان مشهوراً بالصلاح والمكاشفات .

● وفيها توفي العلامة القاضي أحمد شريف بن علي بن علوي[١] (خرد با علوي)[٢] ، وكان مولده يوم الجمعة تاسع شهر ذي الحجة سنة [أربع][٣] أو خمس وثمانمائة ، واشتغل بالفقه على جماعة كالعلامة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن با فضل صاحب « المختصر » المشهور ، وكالعلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي وغيرهما ، وجدّ واجتهد حتى برع فيه وأشير إليه بالرئاسة والفتوى ، وذكره أخوه المعلم خرد في « طبقات فقهاء آل با علوي » قال : وولي قضاء (وادي)[٤] ابن راشد وهو مشتمل على مدن متعددة من قرى حضرموت أشهرها تريم ، لم يعارضه معارض ولم ينقض عليه مناقض . انتهى .

قلت : ولم يلِ أحد من آل با علوي القضاء غيره رحمه الله ، وبلغني : أنه لم يكن من القضاة الورعين سامحه الله وإيانا آمين .

وفي « تاريخ شنبل »[٥] أنّه وأخاه عبد الله شريف ولدا توأمين في بطن .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٥٢-٤٥٣) .
(٢) ما بين القوسين سقط من (ط) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من (م) .
(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) .
(٥) في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٥٣) : « تاريخ سنبل » .

وعزل من القضاء وقال : أنا لا أعزل وإنْ عزلني السلطان بسبب أنه ليس في الجهة من هو أعلم مني .

قلت : وهذا الّذي ذهب إليه القاضي أحمد شريف لا أدري أهو له وجه ضعيف في المسألة ، أو أراد به النكتة والمطايبة ؟ وقريب من هذا أنَّ الصاحب بن عبّاد قال لقاضي قم :

أيهـــا القـــاضـــي بقُـــم   قـــد عـــزلنـــاكَ فقُـــم

فكان القاضي يقول : أنا معزول السّجع . قلْتُ : وذكرْتُ بقوله « أنا لا أعزل وإن عزلني الوالي » قول بعضهم : [من مجزوء الكامل]:

إنَّ الأميـــرَ هـــو الـــذي   يضحـــي أميـــراً يَـــوْمَ عَـــزْلِـــهْ
إنْ زالَ سُلْطـــانُ الـــولا   يـــةِ لـــم يـــزلْ سُلطـــانُ فَضْلِـــهْ

وما أحسن قولهم في الحكم : إن أردت أنْ لا تُعْزلَ فلا تَتَولَّ .

* * *

سنة ثمان وخمسين بعد التسعمائة

● [وفي شعبان][1] في سنة ثمان وخمسين : توفي الشيخ الصالح العلامة الفقيه ، عبد الله بن الفقيه محمد بن الشيخ الفقيه حكم سهل بن الفقيه الولي عبد الله بن الفقيه الجليل الإمام محمد بن الشيخ حكم با قشير الشافعي الحضرمي[2] بحضرموت في العُجْز[3] ببلدة « قسم » وقبره بها معروف يزار ، وكان من الأئمة المحققين والعلماء العاملين والفقهاء البارعين . صاحب تصانيف مفيدة ، وحيد زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً . جمع بين معالم الشريعة وسلوك الطريقة وعلوم الحقيقة .

ومن تصانيفه المشهورة في الفقه : كتاب « قلائد الخرائد وفرائد الفوائد » في مجلد ضخم ، ذكر أنه جمع فيه ما لا يوجد صريحاً في الكتب المختصرة في الفقه مما أخذ من المبسوطات والفتاوى المتفرقات ، ومنها « القول الموجز المبين » ، ومنها كتاب « السعادة والخير في مناقب السادة بني قشير » ، و« رسالة صغيرة في الفرج » .

ومن مشايخه : الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب الرّباني شمس الشّموس أبو بكر عبد الله العيدروس ، والولي الصّالح الشّيخ عبد الرّحمن بن علي با علوي ، والفقيه الصّالح العلامة عبد الله بن عبد الرّحمن الحاج با فضل .

ومن كراماته : أنَّ والدي رحمه الله لما استودع منه في دخول الهند في

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٦٢) و« الأعلام » (٤/ ١٢٨) و« معجم المؤلفين » (٦/ ١١٧) .

(٣) في (م) : « الغجر » بالغين المعجمة وآخره راء ، تصحيف ، وصوابه في معجم البلدان (٤/ ٨٧) وفيه أنها قرية بحضرموت ، وأنّ ضبطها بالعين المهملة والزاي كما أثبتناه .

سفرته الأخيرة قال له : أظنُّ أنَّ هذا آخر عهدكم بحضرموت ، فكان كذلك .

● وفيها : وقع من أمير الحاج الفاجر مما سولت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السّيد الشّريف صاحب مكة محمد أبي نمي (ببيته بمنى)[1] يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة ، فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنوده ، لكنه ـ أعني السَّيد أبا نمي ـ أشفق على الحاج أن يقتل عن آخره فلا يعقل منه عقال ، فأمسك عن قتاله ، ثم ذهب ليلة الغد إلى مكة والنّاس في أمر مريج ، فلم يزدد ذلك الجبار إلاّ طغياناً ، فنادى أنَّ الشريفَ معزولٌ ، فلما سمعت الأعراب ذلك سقطوا على الحاج ونهبوا منهم أموالاً لا تعد ، وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج والأمير وجنده ، فركب الشّريف ـ جزاه الله تعالى عن المسلمين خيراً ـ وأثخن في العرب الجراح ، وقتل البعض فخمدوا ، واستمر ذلك الجبار بمكة والنّاس في أمر مريج بحيث بطلت أكثر مناسك الحج ، وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسمع بمثله ، ثم رحل ذلك الجبار بأن يسعى في باب السلطان بعزله وقتله .

قال بعض الصّالحين من أهل اليمن : فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جُدّة وأنا في غاية الضيق والوجل على الشّريف وأولاده والمسلمين ، فلما قربت من جدة قبل الفجر نزلْتُ أستريح ساعة حتى يفتح سورها ، فرأيت في النوم النبي ﷺ ومعه علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، وفي يده عصى معوجة الرأس ، وكان يضرب على الشريف أبي نمي ويقول : أخبره أنّه لا يبالي بهؤلاء ، وأن الله تعالى ينصره عليهم . فما مضت إلا مدةٌ يسيرة وإذا الخبر يأتي من باب السلطان بغاية الإجلال والتعظيم للشريف ، فنصره الله تعالى على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك ، وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوا من الأمن الذي لم يعهد في غير ولايته .

● وفيها : كانت وقعة الجرْب ـ بجيم موحدة بينهما راء ساكنة . المشهورة

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) .

وهي أنّ جماعة من القبائل مفتنين يقال لهم عبيد آل يماني ، وكان السلطان لا يقدر عليهم لكثرتهم ولشجاعتهم وشيعتهم ، فاتفق أنهم اجتمعوا كلهم في قرية تسمى « الجزْب » بأسفل حضرموت ، فأخبر السلطان بذلك ، فجهز إليهم عسكراً وحاصرهم في تلك القرية مدة إلى أن أضر بهم الجوع والتعب من شدة الحصار حتى أكلوا الجلود والميتة ، ودخلوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم ، وكانوا نحو خمسمائة رجل وطهر الله الأرض منهم ، وصار قتلهم تاريخاً مشهوراً عند أهل حضرموت يقال « سنة وقعة الجرب » .

● وفيها : دخل والدي الهند ، وأقام فيها إلى أن مات رحمه الله تعالى .

* * *

سنة تسع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وخمسين : كانت عمارة البيت الشريف زاده الله تعظيماً ، وتاريخ ذلك للشيخ عبد العزيز الزمزمي في المصراع الأخير من هذا البيت : [من السريع]

وقَدْ أتى تاريخُ ترميمه رَمَّمَ بيتَ اللهِ سُلْطَانُنا

● وفيها : سافر الولي الشهير الشريف عبد الله بن الفقيه با علوي من حضرموت بنية العزم إلى مكة بأهله ، فأدركه يوم عرفة وهو باللحيّة .

● وفيها : عمَّر السلطان بدر بن السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري مدرسة لطلبة العلم بالشِّحْر ، وجعل عليها[1] وقفاً معلوماً ، فقال الفقيه أحمد الجابري ـ برّد الله مضجعه ـ مؤرخاً لذلك العام : [من الخفيف]:

شادَهُ البَدْرُ مَسجِدٌ قَدْ تعالى بعُلاه على النّجوم المُضيَّةْ
ربّ مَن قال أرخوه فقلنا[2] مسجداً شيّدوه للشافعِيّةْ

* * *

(١) في (ط) : « فيها » وصوابه في (م) .
(٢) في (ط) : « فقلت » .

سنة ستين بعد التسعمائة

● وفي سنة ستين توفي الشريف الفاضل جمال الدين محمد بن علي بن علوي خرد با علوي[1] صاحب كتاب « غرر البها » .

● وفيها : وقعت عمارة ميزاب الرحمة من البيت الشريف عظمه الله تعالى ، ومن غريب الاتفاق أن جاء تاريخ ذلك « رحمة من ربك »[2] وكان قد جعل هذا التاريخ الشيخ أبو بكر اليتيم المكي ثم نظمه في بيتين فقال : [من الكامل]:

يا أيُّها المولى الجليلُ ومَنْ له الـ ـمجـدُ الأثيـلُ الفـائـقُ المـرِّيخـا
ميـزابُ بيـتِ الله جُـدِّد فـاقتبسْـ ـنـا رحمـةً مـن ربّـك التّـاريخـا

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧١) و« الأعلام » (٦/ ٩٢) و« معجم المؤلفين » (١١/ ٢٩) .

(٢) العبارة ممحوة في (م) ، وهي في (ط) مبدوءة بحرف النفي (لا) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه على حساب الجمل .

سنة إحدى وستين بعد التسعمائة

● وفي ليلة ثلاثة عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين قتل السلطان محمود شاه بن لطيف شاه صاحب كجرات شهيداً . وسببه أنّ بعض خدمه سولت له نفسه قتل السلطان ، فدبر الحيلة في ذلك ، وواطأ بعض الوزراء ، وواطأ أيضاً بعض حرسة السلطان وخدمه ، وكان ذلك الخادم هو المتولي لمأكول السلطان ومشروبه ، فقيل دس له سمّاً في شرابه ، وقيل في نحو حلو[1] وقيل غير ذلك . فشكى السلطان عقيب تناوله حرارة عظيمة اشتعلت بباطنه فاستغاث ، فقيل : بلّ له سكراً نباتاً ودسَّ له سمّاً أيضاً ليعجل موته قبل أن يشعر به ، وقيل : بل طلب السلطان الطبيب فبادر ذلك الشقي وذبح السلطان ، وذبح أيضاً الطبيب كذلك ، ولم يُشْعِرْ أحداً ، ثم أرسل رسل السلطان المعتادين إلى وزرائه وطلبوهم على لسان السلطان ، فقدم كل على انفراده من غير شعور له بشيء مما وقع واحداً بعد واحد وذلك الشقي وجماعته واقفون والسلطان عندهم مقتول ، فكل من دخل من الوزراء قتلوه بأسلحتهم ، فلما كثر القتل وقع الإحساس ببعض ما جرى .

● وفي زمنه أخذ الإفرنج (لعنهم الله)[2] الدّيو[3] من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : مات السّيد أحمد بن أبي نميّ صاحب مكة ، وهو الذي دعس بساط سلطان الروم سليمان ولم يدعس غيره من سلاطين مكة . وشوكته

---

(١) في (ط) : « علو » تحريف ، وما أثبتناه في (م) و« الشذرات » (١٠/ ٤٧٤) .
(٢) ما بين القوسين سقط من (ط) .
(٣) في (ط) : « الدير » وما أثبتناه في (م) وهو الصواب .

استقرت في حياة أبيه ، وحكاياته مشهورة[1] .

● وفيها : مات سليم شاه[2] بن شير شاه البتان .

● وفيها : مات برهان نظام شاه[3] سلطان الدكن .

● وفيها : قُتِلَ السلطان با يزيد بن سليمان العثماني[4] . قتله شاه طهماز بأمر أبيه السلطان سليمان . فهؤلاء خمسة سلاطين اتفق موتهم في هذه السنة ، فقال بعضهم مؤرخاً لذلك « زوال خسروان » .

* * *

---

(١) خبره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٥) .

(٢) خبره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٥) .

(٣) خبره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٥) .

(٤) خبره في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٧٥) . و« تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص (٢٤٧) .

سنة اثنتين وستين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وستين توفي الشّيخ الإمام العلامة الهمام الشّيخ حامد بن محمود الجبرتي[1] . نزيل مكةَ المشرفة ، وكان إليه النهاية في العلم والعبادة ، ورثاه الشيخ عبد العزيز الزمزمي بهذه القصيدة العظيمة وهي : [من الخفيف]:

أيُّها الغافلُ الغبيُّ تنبّهْ ... إنّ بالنومِ يقظةَ الناسِ أشبهْ

وتأمّلْ فإنّما النّاسُ سفْرٌ ... دار دنياهمُ لهمْ دار غُربهْ

كلّ يوم تحلّ في السّوح[2] منها ... عصبةٌ منهمُ وترحلُ عصبهْ

كيفَ يهنا الفتى بها وهو فيها ... يشتكي دائماً فراق الأحبّهْ

واحدٌ إثر واحد يتداعوا[3] ... للفنا يا لكربة إثر كرْبهْ

كلّ حُلوٍ بعد الأحبّة مُرٌّ ... فحياتي من بعدهم غير عَذْبهْ

يا خليليَّ فرقةُ الخلّ واللـ ... ـه على الأنفسِ الكريمة صَعْبَهْ

سيّما خلّك الخصيص الّذي لم ... يزل الجنب منك يلصق جَنبهْ

الوفيُّ الّذي يسرّك فعلاً ... إن يسؤك الزّمان يوماً بنكْبهْ

الحبيبُ الذي حوَى كل وصْفٍ ... حين يملا يملا القلوب محبّهْ

ذاك واللهِ حامدٌ خيرُ خلٍّ ... قط ما ذمّ صاحبٌ منه صحْبهْ

قد مضى حامدٌ حميداً فما لي ... بعده في الحياة والعيشِ رَغْبَهْ

---

(١) في (م) : « الجبروتي » وما أثبتناه في (ط) وانظر ترجمته في « شذرات الذهب » (٧٠٦/١٠) .

(٢) في (ط) : « السرج » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) والسوح : جمع ساحة .

(٣) حذف نون الرفع في « يتداعو » من غير ناصب أو جازم وهو ضرورة وله نظائر . انظر « ضرائر الشعر » لابن عصفور الإشبيلي ص(١٠٩) وما بعدها .

صاحبي من قريب خمسين عاماً ... ما تراءت لي في محيّاه غَضبَهْ
مُزِجَتْ روحه بروحي فأضحى ... منطقي نطقه وقلبي قَلْبَهْ
يبتَديني بما به أبتديه ... من حديث لم ينتقص منه حبّهْ
ذو حفاظٍ تلفيه في الهَزلِ والجِدِّ صَدوقاً عليه ما عُدّ كذْبهْ
طاهرُ الذّيلِ لم يزنَّ بسوء ... صيِّن ما عليه تؤثر سبّهْ
لم يكن فاحشاً بسب ولم يُلـ ... ـقَ من النّاسِ واحدٌ قطّ سبّهْ
حازمُ الرّأي ثابتُ الجأش شهمٌ ... فيه مع عزمه أناة ودربهْ
أيّ حفظ وأيّ إيراد لفظ ... مستلذٍّ يُنسِي أخا[1] الكرب كربهْ
من جميع العلوم حازَ فنوناً ... فتسامى بها لأرفع رُتبَهْ
نازعَتْه إلى سمو المراقي ... همّة أنزلت من الأفق شبههْ[2]
بَلَغَتْ غاية المطالب والأغـ ... ـراض أحبابه الجميع وصَحْبهْ
لم يكن راهباً سوى الله لكنْ ... كان فيه لله أعظم رَهْبَهْ
كان يحيي إلى الممات اللّيالي ... آخذاً بالنَّصيب من كلّ قربهْ
كم صلاة يطول وصفيَ فيها ... قام عن فرشه لها وتنبّهْ
وطواف ما غبّه منه ورد ... شكر الله سَعيهُ فيه غبّهْ
ومن الذكر والتلاوة أورا ... دٌ بها لم يزلْ يرتّب حِزْبهْ
بكَتِ الأرضُ والسّما فقدَ عبدٍ ... كان يعصي الهوى ويعبد ربّهْ
وسيبكيه حين يفقد منه ... رمضان إذا أتى أي أهْبهْ
طالما قامه وشمّر فيه ... مئزراً واستحثّ قوماً وأنبهْ
كيف لا يدخلُ الجِنانَ من الرّيـ ... ـان ريّانَ والمعاطفُ رطْبهْ
كيف يظما غداً وفي كلِّ يومٍ ... كان والله ماء زمزم شرْبَهْ
يا رَعَى الله أعْصُراً وبقاعاً ... جَمَعَتْنا في عُنفوانٍ وشيبهْ

---

(١) في (ط) : « يُنسي أخاه . . . » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) « . . . في الأفق شبيه » .

حيث نُدعى إلى الدروس ونلقى ... كلَّ شيخٍ ربَّى المريد وربَّهْ
من رضاعِ العلوم أيُّ إخاء ... بيننا بيننا به أيُّ نسبهْ
يا أخي يا أبا محمّد عهْدِي ... بك تهوى لقيا أخيك وقربَهْ
كيف فارقتني وكنّا جميعاً ... فرقدي إلفة صَفَتْ ومحبّهْ
كنديمي جَذِيمَةٍ نتعاطى ... من كؤوس الودادِ أعذبَ شُرْبهْ[1]
كلّ يومٍ نزداد حبّاً إذا ملـ ... ـلَ سوانا من الأحبّاء حبّهْ
فجعتني فيه المنون فنفسي ... للتّفاني من بعده مُشْرَئبّهْ
في فنا التربِ للّبيتِ نذير ... أنّه لا حق على القرب تِربَهْ
إنْ أعِش بعده لعمريَ إنّي ... خنته في وِدادِهِ والمحبّهْ
إنّه الموت ليس فيه وفاءٌ ... فيه ضاهى إلى الفنا من أحبّهْ
وبعيد إذا انقضى نخب شخصٍ ... أنَّ شخصاً يقضي لذلك نَحْبَهْ
يا جليسي الّذي على كل خيرٍ ... فعله دلّ والمقال ونبّهْ
يا صديقي الّذي يكافح عني ... زمني إن عدا ويدفع خَطْبَهْ
يا سميري لقد تقرَّحَ جفني ... سهراً مذ أتى الرّدى إن تنبّهْ
نَمْ هنيئاً فطالما في اللّيالي ... سهرت مقْلتاك ديناً وحسبَهْ
وسلامٌ عليك ما حنّتِ الوُر ... قُ فأبكت على حبيب محبّهْ
روّحَ الله منك في الخلدِ روحاً ... وسقى صيّب الحيا منك تربَهْ

---

(١) جذيمة ، أراد جذيمة الوضاح الملك ونديميه المعروفين ، وبهما ضرب المثل في طول الصحبة ، كما ضرب بالفرقدين ونخلتي حُلوان ، والمعنى مما سُبق إليه الشاعر ، فمن ذلك قول متمم بن نُويرة في رثاء أخيه مالك :

وكنّا كندمانَيْ جَذيمة حِقبةً ... من الدهر حتّى قيل : لن يتصدعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبتْ ليلة معا

قال الثعالبي : « وهو من الأمثال السائرة » . « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » (١/٣٠٦-٣٠٧) .

● وفيها كان موت السّلطان همايون بن بابور[1] ، وكان سبب موته سقوطه من سقف ، فقال مؤرخ وفاته بالفارسي « همايون باد شاه ازبام افتاد » .

* * *

(١) رُوي الخبر في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٨٣) .

سنة ثلاث وستين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثلاث وستين وصل الوزير الأعظم الفخان الكبير ياقوت سلطان في جمادى الثاني مكسوراً من بيرم كام إلى سرت . كذا ذكره العلامة أبو السعادات الفاكهي المكي في رحلته .

● وفيها : قُتِلَ السّيد مرتضى رحمه الله .

● وفيها : سافر الشّيخُ أبو السعادات من أحمد آَباد إلى سرت ، ثم جاء بعده بأربعة أشهر الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير المكي ، والخطيب أبو السعادات بن ظهيره ، وعبد الله العراقي من أحمد آباد إلى سرت بأهلهم وتديَّروا[1] بها .

* * *

(١) تديَّروا بها : اتخذوها دار إقامة .

سنة أربع وستين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الأول من سنة أربع وستين توفي **الشيخ الولي الصالح العلامة المحقق العارف المدقق ، بحر الحقيقة وإمام الشريعة والطريقة ، بقية السلف الصالح ومرشد الخلق إلى النهج الواضح ، أبو العباس أحمد بن علي المزجاجي الحنفي**[1] **شهاب الدين** ، ودفن بجوار مسجده بتربة الظاهر الذي أنشأه جدّه الشيخ الصديق بن عبد الله المزجاجي الصوفي قدس الله أرواحهم .

وُلِدَ ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وقرأ القرآن وحفظه ، وسمع الحديث على جماعة منهم الحافظ عبد الرحمن بن علي الدَّيبع رحمه الله ، وكتب له الإجازة والأسانيد بخطه ، وتفقه بجماعة من الحنفية ، وقرأ في كتب الرقائق ، وسمع على الشيخين الوليين الكاملين المحققين نور الدين القطب الرباني يحيى بن الصديق النور وبه تخرج وانتفع ، والشيخ العلامة الحافظ القدامة بقية المحققين العارفين الصادقين المكملين أبي الضيا وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي أعلى الله أنواره وأسمى مناره ، وقرأ في أصول الدين على الشيخ العالم المصقعي المفنن شرف الدين دامغ الملحدين إسماعيل أبي الذّبيح شرف الدين بن إبراهيم العلوي أخذ عليه كتاب « النكت » لأبي القاسم القشيري[2] ، وسمع عليه بقراءة غيره شيئاً كثيراً من كتب الأصول وغيرها ، ولبس الخرقة من والده ، ثم ألبسه مرة أخرى أخوه لأمه الشيخ إسماعيل بن المشهور المزجاجي ، وأذن له في إلباسها من استحقها ، وكانت له اليد الطولى في كتب القوم وهو شاب ، وأفاد وأملى

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٤٩٥) .

(٢) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي. توفي سنة (٤٦٥هـ) . انظر « الرسالة القشيرية » (١/ ١٤) و« الأعلام » (٤/ ٥٧) .

وأجاد ، واستمدّ فأمدّ ، وبلغ في كلِّ فضلٍ الأمدَ ، تخرج به ولده العلامة الحافظ المجتهد الولي المقرب العارف بالله تعالى شيخنا ومولانا أبو الحسن علي شمس الدين ، وحقق وانتفع انتفاعاً عم الخلق نفعه ، وأخذ عنه شيخنا الأستاذ الإنسان الكامل المحقق خاتم الأولياء مولانا السيد الشريف حاتم بن أحمد الأهدل ، وخلائق لا تحصى ، والشيخ كمال الدين أحمد بن إبراهيم العلوي . وله أتباع بلغوا مبلغ الكاملين ، ومكنوا في الولاية أي تمكين .

وبالجملة : فكان فريد دهره ، ونادرة عصره ، ونسيج وحده ، ولزيم أبده أبده علماً وعملاً وإفادة وسيادة ، وله كلام في الحقائق يشهد له بحيازة علم . وكان علماء وقته يجلونه غاية الإجلال ، ويشهدون له بالتقدم على الأمثال ، من رآه ذكر الله ، وقال : تبارك الله ، يقصده الخاص والعام والقضاة والحكام للزيارة والتبرك به والتماس الدّعاء منه إذا نزل بهم مهم ، وكان يُبْسَطُ له في الوقت ويُمدّ له فيه بحيث أنه يقرأ مائة شرف القرآن في نصف نهار أو دون ذلك .

وحكى لي فقيره الصّادق محمد قحطان ـ وكان رجلاً صدوقاً من أهل الخير والصلاح وتلاوة القرآن وكتبه وكتب القوم ـ قال : بلغ سمع شيخنا رحمه الله أن رجلاً يحوك الثياب بجواره يقرأ ستين ختمة[١] من بعد الشروق إلى بعد الظهر ، فعظم أمره على الشيخ ، وقال : هذا في جوارنا ولا نطلع عليه أو كما قال ، فلما كان اليوم الثاني بكر إليه ، فجاء وهو يسدي خيوطه ويهذبها وينقيها ، فلما وقع نظر الرجل على الشيخ سرّ سروراً عظيماً بدخول الشّيخِ منزله ، فرحب [به][٢] وانبسطت نفسه . فقال له الشيخ : يا فلان ما حديث حدثته عنك من تلاوتك القرآن كلَّ يوم كذا وكذا ختمة؟ فقال : نعم كل يوم ستين ، فقال له : هل شرعْتَ اليوم في القراءة؟ قال : بلى الآن أفرغ من التسديد وأقعد للعمل

---

(١) في (م) : « خيمة » وهو تصحيف .
(٢) سقطت الكلمة من (م) .

وأشرع ، فقال الشيخ : أحب أن أشرع أنا وأنت فمتى تفرغ من الستين؟ قال : وقت كذا من النهار ، فلما قعد للعمل شرعا معاً وفارقه الشيخ ، فلما كان الوقت الذي عينه الحائك للشيخ جاءه الشّيخُ ، فقال له : كيف أنت؟ قال : حصل لي ببركة دخولكم علي في هذا اليوم زيادة ست ختمات . فقال له الشيخ : وأنا أتممت المائة . رضي الله عنهما . وهذه من باب خرق العادة وتوسعة الوقت ، فقد حكى الفرغاني في تائية ابن الفارض ما هو أعظم من ذلك فيطلب من هناك .

وكان الفقيه إسماعيل العلوي المذكور من أكبر المنكرين على الشّيخ المذكور ، وكان المقوي لإسماعيل على ذلك صالح النيماري[1] ، وكان إسماعيل يعنف أخاه أحمد على كثرة تردده إلى الشّيخ أحمد وصحبته له ، فقال أخوه أحمد : يا أخي أنت أخي وشيخي ووالدي ، ولك عليَّ حق وطاعتك واجبة ، فهلم نذهب أنا وأنت الليلة إلى راتب الشيخ ونقعد من وراء وراء ونباشر حال الشيخ وعمله ، فإن وجدت على طريقة مرضية دخلنا عليه وإلا رجعنا ولا أصل بعدها إلى الشيخ ، وكان هذا من أحمد كيد خفي ، لأنه يعلم أنه متى وقع بصر أخيه على الشيخ انصبغ[2] وإن لم يره الشيخ بعين الرأس ، فطمع أخوه إسماعيل فيه ولم يدر أن للبيت رباً يحميه ، فذهبا معاً فحضرا درس القرآن ، فكاد إسماعيل يحترق من ذلك ، فلما ختم الدرس والدعاء أنشد المنشد ، وشرع صاحب السماع في الإسماع قال له أخوه أحمد : نذهب إلى البيت؟ قال : لا . بل ندخل على الشيخ ، فهو على قدم صدق ، فسرَّ بذلك أحمد ، ودخلا على الشيخ أحمد ، فلما رآه الشيخ سُرّ به وحصل له من الأنس والبسطة ما لا مزيد عليه ، فعاد إسماعيل من أكبر المحبين الآيبين إلى الله تعالى .

---

(١) في (م) : « النماري » وما أثبتناه في (ط) وقد أعاد رسمه بهذه الصورة أكثر من مرة .
(٢) في (ط) : « الصبغ » تحريف ، وما أثبتناه في (م) .

وكان صالح النَّيماري في جهة الجبل ، فلما نزل بلغه قصد الفقيه إسماعيل المذكور فجاء إليه ، وقال له يا فقيه إسماعيل : انتظمت في سلك فلان ، ثم تكلم في حق الشّيخ وطريقته ، فقال : لا تقل هكذا ، وجدنا الرّجل على خير كبير نحن في حجاب عنه ، لكن الموعد بيني وبينك الليلة وقت صلاة المغرب الجبرتية مسجد إسماعيل الجبرتي ، فتواعدا على ذلك ، فحضرا معاً صلاة المغرب بالمسجد المذكور ، فلما أذّن وأقيمت الصلاة دخل الفقيه الصالح الولي الفالح عبد الرؤوف المشيم يصلي بالنّاس ، فكاد أن يفوت الوقت بكثرة الخشوع في القراءة ، فلما فرغت الصلاة قال الفقيه إسماعيل لصالح : رأيت حال هذا الرجل وعظم توجهه ورقة قلبه ، والله لو تلوت أنا وأنت كذا وكذا ختمة ما قطرت لنا دمعة . قال : نعم مع قوة معرفتنا أنا نقرأ أحسن منه . قال له إسماعيل : هكذا القبول؟ قال : نعم . وإن هذا من أولياء الله تعالى . قال له إسماعيل : هذا من أصغر أصحاب أحمد بن علي مقاماً ، فما زاده ذلك إلاّ نفوراً حتى أفضى الأمر إلى منافرة ومناقرة وأهاجي بينهما ، والله المستعان .

* * *

سنة خمس وستين بعد التسعمائة

● وفي يوم السبت الحادي عشر شهر المحرم سنة خمس وستين توفي **الشيخ الكبير والقدوة الشهير الولي العارف بالله تعالى الإمام العلامة شهاب الدين أحمد (ابن)[1] الفقيه عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ الكبير الولي المربي سعيد بن عيسى بن أحمد الشهير بالعمودي**[2] بتعز ، وكان من كبار أهل العلم وأهل الفتيا والتدريس ، مع الورع التام والزهد العظيم ، والإقبال على الطاعة ، وكثرة العبادة ، والسلوك على نهج السلف الصالح ، ولزوم الخمول ، وترك ما لا يعني ، والإحسان الدائم إلى الفقراء والمحتاجين والطلبة والملازمين . وكان مع ذلك من أهل الولاية العظيمة والتصريف النافذ في الوجود ، وقيل : إنّه كان يعرف اسم الله الأعظم ، وكان ينفق من الغيب ، وكان الباشوات تعظمه وتخضع لهيبته ، وكان من محفوظاته « الإرشاد » في الفقه ، وكانت تجيء إليه الفتاوى من البلاد البعيدة فيجيب عنها ، وكان ولي مدرسته بتعز ، وكان ينفق جميع ما يصير إليه من وقفها على الفقراء والطلبة ولا يمسك منه لنفسه شيئاً ، ولم يزل على ذلك حتى مات .

وبالجملة : فإنه كان أوحد عصره علماً وصلاحاً ، ولم يخلفه بعده مثله ، وكانت ولادته بزبيد ، وما وقفت على تاريخ مولده إلا أنه مات وهو ابن خمسين سنة تقريباً ، وبنيت عليه بعد موته قبة عظيمة رحمه الله تعالى .

● وكان والده الفقيه عثمان بن محمد من أهل العلم والصلاح ، وكان

---

(١) سقطت الكلمة من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٤٩٩) .

انتقل من بلاده قيدون[1] إلى زَبِيد وهو شاب لتحصيل العلم ، فأخذ عن جماعة حتى برع في العلم ، وتزوج هناك امرأة فولدت له صاحب الترجمة هذا ، وهو الذي أخذ عنه وتخرج به الفقيه الصالح علي بن علي با يزيد الدَّوْعني صاحب « النكت » على الإرشاد وصاحب « الفتاوى » المشهورة ، وكانت وفاة الشيخ عثمان في هذا القرن ، وتاريخ مولده لم أعثر عليه ، ولهذا لم أفرده بالذكر في هذا التاريخ وإلا فهو حقيق بذلك .

● **فائدة :**

اعلم أن في قلبي حسرة عظيمة إذ لم يتيسر إليَّ الوقوف على تواريخ جماعة من الأعيان المشهورين كطائفة من الأولياء الكرام ، وجملة من العلماء الأعلام مثل : الشيخ الإمام والحبر الهمام مجتهد زمانه وعارف أوانه الشيخ أبي الحسن البكري[2] والشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السّنباطي المصري ، والولي العارف سراج الدين الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة الحضرمي ، والشيخ الكبير والولي الشهير عمر بن أحمد العمودي والد الشيخ عبد الرحمن الآتي ذكره ، والشيخ الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الحباني ، والشيخ العلامة علي بن أحمد البسكري المالكي المغربي المكي والد صاحبنا الشيخ أحمد البسكري ، والشيخ الفاضل محمد الحطاب[3] سمي أبيه ، والشيخ العلامة علي بن عراق ، وأخوه الشيخ عبد النافع ، والشيخ الكبير العلامة المفنن أحمد بن عبد الغفار المالكي ، والولي الصالح الشيخ أحمد بن عبد القوي با فضل الحضرمي ، والشيخ الكبير والولي الشهير

---

(١) قيدون : بلدة بوادي دَوْعن بحضرموت ، (معجم المدن والقبائل اليمنية) ص(٣٣٩) .

(٢) توفي سنة (٩٥٢) هـ ، وانظر سائر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٢/ ١٩٤ـ١٩٧) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٤١٩ـ٤٢١) واسمه في هذين المصدرين (علي) ، وترجم له العلامة الزركلي باسم (محمد بن محمد) « الأعلام » (٧/ ٥٧) .

(٣) توفي سنة (٩٥٤هـ) وانظر سائر ترجمته في « الأعلام » (٧/ ٥٨) .

أحمد بن سهل با قشير ، والولي الصالح المعلم با جابر صاحب عندل ، والشيخ العلامة عبد الرؤوف الواعظ تلميذ الشيخ ابن حجر الهيتمي ، والعلامة الشهير الشيخ محمد الرملي المصري ، والعلامة الطبلاوي[1] ، وآخرين يطول ذكرهم ويتعذر حصرهم ، مع أني قد أذكر بعضهم في ترجمة غيره بطريق الاستطراد ولكني لم أستوعب أخباره كما ينبغي ويُراد ، والمرجو أن يمنّ الله علي بذلك حتى أشفي الغليل بشرح مناقبهم العديدة وسيرتهم الحميدة ، والله ولي التوفيق ، والمسؤول ممن وقف على هذا الكتاب من الإخوان الفضلاء وظفر بشيء من ذلك ، فليضفه إليه على هذا النمط والسياق ، ويرجى لمن فعل ذلك إن شاء الله ببركتهم الاندراج في المسرعين إلى الخيرات السباق . انتهى .

● وبنو العمودي أهل إصلاح وولاية ، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الظاهرة ومقامات الولاية الفاخرة ، ويقال : إن نسبهم يرجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأما خرقتهم فهي ترجع إلى الشيخ أبي مدين المغربي رضي الله عنه ، فإنّ جدّهم الشيخ الكبير والعلم الشهير تاج العارفين ومربي المريدين الشيخ سعيد بن عيسى العمودي قدس الله روحه أخذها عن الشيخ عبد الله الصالح رسول (رسول)[2] الشيخ أبي مدين ، فهي كخرقة قطب العارفين وإمام الأولياء المتمكنين الشيخ فقيه محمد بن علي مقدم التربة .

وحُكيَ أنَّ الشيخ أبا مدين أرسل تلميذه الشيخ عبد الرحمن المقعد من المغرب نائباً عنه ، وأمره بالذهاب إلى حضرموت وقال له : إنّ لنا فيها أصحاباً سِرْ إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ، وأخبره بأنه سيموتُ في أثناء الطّريق ، فكان كذلك ومات بمكة المشرفة ، ثم أرسل تلميذه الشيخ عبد الله الصّالح كما أمره شيخه ، وقال له : اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي

---

(١) توفي سنة (٩٦٦هـ) وانظر سائر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٢/ ٣٣) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٠٦ـ٥٧) و« معجم المؤلفين » (١٠/ ١٧) و« الأعلام » (٦/ ١٣٤) .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

يقرأ في العلم على الفقيه علي بن أحمد با مروان وسلاحه على رجليه موضوع فاطلبه من عنده وحكمه ، ثم اذهب إلى قيدون تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى العمودي فحكمه ، فلما قدم إلى تريم وجد الفقيه بتلك الصفة التي ذكرها له شيخه ، ففعل ما أمره ، وذهب إلى قيدون كذلك .

وكان الشيخ سعيد أحد كبار مشايخ حضرموت مشهوراً بالولاية الكاملة والكرامات العظيمة ، وكان كاملاً مربياً مسلكاً ، وبه انتفع الشيخ أبو معبد وغيره ، وله في ناحيته ذرية مباركون وأتباع وزاوية لهم مشهورة .

وروي عنه أنّه قال : زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي . وروي عنه أيضاً أنه قال : من أحبني أو أحب من أحبني أو زارني أو زار من زارني أو صافحني أو صافح من صافحني ، فأنا ضمينه بالجنة . وحكي أنه عمّر في القطبية ثمانية عشر يوماً . وروي عنه أنه قال : من رضي بي شيخه فليشهد الله على نفسه أنه رضي بي شيخه دنيا وأخرى ، وأنا شيخه ولا يمدّ يده إلى أحد . وروي عنه أنه قال : من زارني ثلاث مرات يتعنى ما له حاجة إلاّ زيارتي فأنا ضمينه بالجنة .

وكان الشّيخ سعيدٌ رضي الله عنه أميّاً ويردّ على الفقهاء في المسائل الفقهية وعلى القارىء إذا غلط أو لحن ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وتربته مقصودة[1] للزيارة والتبرك نفع الله به آمين ، وطبقت تاريخ وفاته بحساب الجمل على أحرف « ساء معشر » ثم نظمته فقلت :

سعيـــد الّـــذي شـــاعَ فَضْلـــه « ســـاء معشـــر » نَقْلـــهْ

وكذا طبقته على أحرف « شعر سما » ثم نظمت ذلك أيضاً فقلت :

هـو العمـودي الشّيـخ سعيـد العُلَمـا تـاريـخ عـام نقلتـه « شِعْـرٌ سَمَـا »

---

(١) في (ط) : « مقصورة » .

وقال بعض الفضلاء من الصّالحين في ذلك أيضاً : [من الطويل]:

بستّ مئين كان تاريخ شيخنا وإحدى وسبعين بذلك فاعْلَما

سعيدُ بن عيسى القطب واحدُ عصرِه عمودٌ لدين الله قدرٌه معظما

ويجمع ذا التّاريخ أعداد أحرف إذا شئت فاعددها تجد « عرْش سما »

* * *

سنة ست وستين بعد التسعمائة

● وفي سنة ستٍّ وستين توفي الإمام عبد القادر الشافعي رحمه الله ، ورثاه صاحبه الأديبُ الفاضلُ السيّد محمد السّمرقندي نزيل طيبة المشرفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السّلام ـ بهذه القصيدة وهي : [من البسيط]:

مـاتَ الإمـامُ فعيشـي بعـده كَـدَر ... ودمـعُ عينـيَ لا ينفـكّ ينحـدِرُ
قضى ولم يقض لي من ودّه وطَرٌ ... وأصبحت دُوره بعد العُلا الحُفَرُ
يـا ليتـه علّنـي مـن بعـد نهلتـه ... عـلاً بـه تشرف الأسماعُ والبصَرُ
قد كنتُ أحذر هذا اليوم من عمري ... لـو كـان ينفعُ في مقدوره الحَذَرُ
حتّى رميتُ بسَهْمٍ ليس يمنعني ... منـه صـديقٌ ولا خِـذْنٌ ولا وَزَرُ
مـالي ومـا لليالي كلما جَنَحَتْ ... سـالمتها وهـي لا تُبقـي ولا تَـذَرُ
حملْتُ من جهلها ما ليس يحْمله ... قلبٌ وما عجزت عن دركه الفِكَرُ
وأنـت يـا رائحـاً عنّـي وتـاركنـي ... ونـارُ وجْـديَ فـي الأحشـاء تَسْتَعِرُ
إن جئـت داراً أعـزّ الله جـانبهـا ... وجـادَهـا المُـزْنُ لا ينفـكّ ينهَمِـرُ
بَلِّغْ سلامي إلى من بالتراب ثَوَى ... مـا كـان ظنّـي فيـه ينـزلُ القَمَـرُ
بلِّـغْ تحيّـة محـزونٍ إلـى جَـدَثٍ ... بـه الّـذي عـفّ منـه الفـرجُ والأُزُرُ
بلِّـغْ تحيـة محـزونٍ إلـى جَـدَثٍ ... بـه الّـذي طـابَ منه الخبر والخبـرُ
إمـامُ مكّـة عبـد القـادر بـن أبـي الـ ... ـيمن الّذي خيرُ من قد أنجبت مضَرُ[1]

(١) في (م) : « .. طبر » تحريف ، وصوابه في (ط) .

من نبعة المُصطفى الهادي أرُومتُه ... أكرم بفرعٍ بذاك الأصل يَفتخِرُ
يا ابن الأئمةِ والقوم الذين هُمُ ... على الحقيقة فينا الأنجمُ الزّهرُ
يا صاحب الرّتبةِ المعذور حاسِدُها ... إنّ الحسودَ على مرماك يَنْعذِرُ
إليكَ قد كان يُعزى الفَضْل منتسباً ... واليوم فيك يعزّى البَدْو والحَضَرُ
قد كان وجهك في الإقبال قِبْلَتنا ... به تعزّزت الحِجّات والعُمَرُ
أنت الّذي كنْت نِعْمَ المُستشار بهِ ... إذا دَهَتْني في دنيايَ الغِيَرُ
جعلت فضلك فيما بيننا نَسَباً ... إذ كان في الأمّ والآباء مُنْحَصرُ
أرضعْتني ثديَ أنسٍ منكَ آلفه ... واليوم عنك رضيعُ الأنسِ مُنقَصِرُ[1]
تبدي التواضع للإخوان منبسطاً ... ولو وُضِعْتَ على هامٍ لهم شَكَروا
كم خُطبةٍ لك عند البيت فائقة ... بها يسلسل عن خَير الورى الأثَرُ
لله كم من مقامٍ بالمقام لكمْ ... حلّت بترديده الآيات والسُّوَرُ
يبكي المقام على هذا الإمام كما ... يبكيه منبرُ بيتِ الله والحَجَرُ
أبكي عليه وهل يَشفي البُكا كبداً ... كادت لموقع هذا الخَطْبِ تنفَطِرُ
قد كان يجدي التّأسّي عنك دمع أسىً ... لو كان مثلك في أمّ القُرى بَشَرُ
برغم أنفي أن يدعوك ذو أملٍ ... فلم يجبْه سوى الأطباق والسّترُ
وأن يرى ربعك العالي وليس به ... لكلِّ ذي مقة[2] وردٌ ولا صَدرُ
ماتت بموتك غُرْبٌ كنت غَيْثهمُ ... فكيف حالُ غريب ما لهم مَطَرُ
سقى ضريحك صَوْب المُزْنِ منتحباً ... حتّى يضاحك أقصى تُربه الزّهرُ
تاريخه « جنّة الفرْدَوْسِ مَنزلهُ » ... ثمّ الصّلاة على من حفّه الحجَرُ
والآل والصّحب والأزواج ما نظموا[3] ... أهلُ القريضِ مديحاً فيه أو نَثَروا

---

(١) في (ط) : « ... منقهر » .

(٢) المِقة : المحبة .

(٣) في قوله « .. نظموا » ألحق بالفعل علامة الجمع ، وحقه الإفراد ، وربّما اضطره الوزن إلى ذلك . =

● وفيها : قتل الوزير عماد الملك رحمه الله يوم سبع وعشرين في رمضان ، وقتل معه جمع منهم مصطفى القرماني عيدل خان وغيرهم ، قتلهم رجب خداوند خان ولد الخواجا صفر .

* * *

سنة سبع وستين بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة تاسع عشرين من شهر رجب الحرام سنة سبع وستين : **توفي الشيخ الكبير والولي الشهير ، قدوة العارفين ، وحجة الله على السالكين ، وجيه الدّين عبد الرّحمن بن الشّيخ عمر بن الشّيخ أحمد بن محمد بن عثمان بن محمد العمودي**[1] ـ وهو الذي يلتقي فيه نسبه مع ابن عمه الشّيخ أحمد بن عثمان الذي تقدم ذكره ـ[2] بمكة المشرفة ، ودُفِن بالمعلاة ، وكان من الأولياء الصّالحين والمشايخ العارفين ، كثير العبادة والاجتهاد ، عظيم الورع والزهد والمثابرة على الأعمال الصّالحة مع الاشتغال بالعلوم النافعة لوجه الله تعالى ، وكان مشاركاً في كثير من فنونها ، وكان يحفظ « الإرشاد » في الفقه .

ومن مشايخه : الشّيخ أبو الحسن البكري ، والشّيخ الحافظ شهاب الدّين ابن حجر الهيتمي . وما أحسن قول الشّيخ عبد القادر الفاكهي فيه حين ذكر أنه أخذ عن الشّيخ ابن حجر : أخذ عنه رواية أخذ شيخ عن شيخ كما قيل في أخذ أحمد عن الشّافعي ، ثم قال : ولعمري إنّ شيخنا العمودي هو أجلّ من أن يقال في حقّه بعد انتهائه تلميذ[3] ويطلق ، وإن جلَّ الشّيخ يعني ابن حجر ، وحسبك بما أشرت إليه في التنبيه في أخذ أحمد عن الشافعي فإنه بديع يدريه أهله إذ فيه توقير لمنصب [المشبه و][4] المشبه به . انتهى .

ومن تصانيفه : « حاشية على الإرشاد » ، وكان أراد محوها فمنعه الشيخ

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٥٠٩ـ٥١٠) و« معجم المؤلفين » (٥/ ١٦٠) .
(٢) ينظر في أحداث سنة (٩٦٥هـ) .
(٣) في (ط) : « تقيذ » وما أثبتناه في (م) .
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من (ط) .

ابن حجر من ذلك ، ومنها « النّور المذرور » .

وكان كثير التعظيم لأهل العلم مع الخمول المفرط والتواضع الزائد والاستقامة والانقطاع إلى الله تعالى ، فلم يتزوج لذلك مدة عمره مقبلاً على الطاعة مذ نشأ .

وحكى الفاكهي أنه سمعه يقول : طلب مني الشّيخ أبو الحسن البكري الحضور في اللّيل ساعة لاستماع درسه العام ، فما وافقته إلاّ امتثالاً لأمره الأكيد ، قال : فقلت له : ما سمعت؟ فقال : وقفت ساعة وأنا مشغول ولم أدر ما يقول ، وإنما وقفت امتثالاً أي لشغله بالأوراد التي لا رخصة عنده في تركها .

ورُوي أنّه قَدِمَ إلى تريم لزيارة من بها من المشايخ ، فاجتمع بالشّيخ الكبير الولي العارف بالله شِهاب بن الشّيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي با علوي ، فأخبره بأنه اجتمع بالإمام الغزالي في غرفة بداره يقظة من طريق الكشف ، واستجاز منه كتبه فأجازه بها ، فطلب منه الشّيخ عبد الرحمن أن يجيزه بها بالإجازة المذكورة ، فأجازه بذلك .

وكانت له أحوال فاخرة ، وكرامات طاهرة . قال الفاكهي : ومناقبه أفردتها برسالة .

قلت : وهو الذي طلب من الشيخ ابن حجر أن يشرح مختصر الفقيه عبد الله با فضل في الفقه .

جاور بمكة المشرفة سنيناً ، ومات بها رحمه الله تعالى ، وكان لا يقبلُ من أحد شيئاً .

وحُكي أن الشَّريف أبو نميّ سلطان مكة أرسل إليه بمائة دينار فلم يقبلها ، واستحى الرسول أن يردها على الشريف فبقيت عنده حتى مات الشيخ عبد الرحمن رضي الله عنه ، فأخبر الشريف عند ذلك ، فأمره بأن يدفعها إلى الشريف عبد الله بن الفقيه الآتي ذكره .

قال الفاكهي : وسمعت من لفظ شيخنا صاحب الكرامات الباهرة والمجاهدات المعلومات الظاهرة ، ولي الله عبد الرحمن العمودي نفع الله به يقول : إنَّ شخصاً من آل العمودي يخرج من مقبرة المعلاة وهو من السبعين الألف الشافعة ، ولا أعلم في المعلاة من العموديين أجلّ منه وإن كان بها عمه وآخرون منهم . بل سمعت منه أيضاً ما دلَّ دلالة صريحة : أن أباه الشَّيخَ عمر المدفون بالقنفذة من السَّبعين الألف الشافعين ، ولا يستعظم هذه المنقبة عليه وعلى أبيه إلا جاهل بحالهما ولو من مخالطيه ، ومن أراد الوقوف على عنوان مناقبه وعلي مراتبه ، فليقف على كتابي « إرشاد المغني والفقير إلى فضل التقشف والرضا باليسير » ، فإنّي شرحت فيه بعض أحواله وأشرت إلى جمع كراماته الدّالة على قطبيته وكماله ، بل إن أراد أوسع منه فليتطلبه فربما يعثر عليه ، فإنّي أرجو جمع كتاب واسع في كراماته بعد تتبعها من أهل جهاته وخصوصياته ضاماً ذلك إلى ما عندي من كثير ، ولا ينبئك مثل خبير .

ومن نظمه هذه الأبيات في القهوة : [من البسيط]:

أسـرارُ قَهْـوتنـا خُـذْهـا مبيّنـة ... تُعينُ سالكنا في اللّيـل مـا سَهِـرا
وتشـرحُ القلـبَ والأعضـاء تبسطهـا ... وتـذهـبُ الهـمّ والأحـزانَ والكَـدَرا
فاشربْ فَدَيْتك منها ما قدرت له ... وقُـم نصحتـك بـالأسحـارِ مـا يَسـرا
واخلص لدى نيّة مهما شربت لها ... وكُن كُيَيْساً[1] بها الخيراتِ مدّخِرا
واقتـد بشـربهـا ممّـن مضـى خَلَفـاً ... ذوي الصّلاحِ ولا تقتد بمن خَسِرا
واسـألْ إلهـك أن يفضـلْ بـرحمتـه ... علـى نبيّـك خيـر الخَلْـق والبَشَـرا

وكان والده الشيخ عمر نفع الله به من كبار أهل العلم ، وكان يدرس ببلده قيدون ويفتي بها ، وحكي أنه ارتفع إليه اثنان في دعوى ، وكان أحدهما على الحق والآخر على الباطل ، فأشار عليهما الشّيخ أن يصطلحا ستراً للحال ، فأبى ذلك الرّجل الّذي كان مبطلاً وقال : لا أرضى إلا بحكم الشّرع ، فغضب

---

(١) في (م) : « كن كيساً. . . » وفي (ط) : « وكن كيئيساً » ولا يستقيم الوزن في الروايتين .

الشّيخ عند ذلك وقال : أما إذا كان هكذا فشهود الملاحف ما يجوزوا عندي ، وكان ذلك الشّخص أعطى اثنين كل واحد ثوباً حتى يشهدا له ، فكاشفه الشّيخ بذلك .

وحُكي أنّه دخل عدن في زمان الشّيخ أبي بكر العيدروس ، فأضافه الشيخ أبو بكر وبالغ في ذلك ، فلما رأى الشّيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف ، فالتفت إليه الشّيخ أبو بكر عند ذلك وقال : أكرمناهم . قالوا : إسراف . فقال الشيخ عمر عند ذلك : أستغفر الله ، ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك حتى حكى لهم الشيخ عمر بخاطره الّذي خطر له ، وكاشفه الشّيخ به .

وحكى ولده الشيخ عبد الرحمن العمودي رحمه الله عنه : أنه كان في مجلس وفيه جماعة من أهل الكشف ، فصدر من أحدهم سوء أدبٍ عليه ، فعوقب ذلك الرجل بالسّلب في الحال .

وحكي أن الشيخ عمر رضي الله عنه بلغ رتبة القطبية وكان قد ولي المشيخة ببلاده قيدون بعد أبيه على طريقة سلفه ، فلما آل الأمر في ذلك إلى سفك الدماء ونحوه ورجوع أمر تلك المرتبة إلى قوانين الملك ترك ذلك وعزل نفسه زهداً فيها ورغبة فيما عند الله من الثّواب . وكان في زمنه يسوس الخلق إلى قوانين الشّرع الشّريف ولا يحابي في الحق القويَّ على الضعيف ، فكرهته العامة لذلك وعزموا على أن يقتلوه ويولوا مكانه أخاه عثمان ، فأخبره بذلك فقال : ما يحتاج إلى هذا ، وتركهم وما يريدون وعزم إلى مكة المشرفة ، فلما قفل منها مات بالقنفذة ، وقبره بها مشهور وعليه بناء عظيم رحمه الله تعالى . وقيل : إنه دعا عند ذلك عليهم أن الله تعالى يبتليهم بسبع مثل سبع يوسف ، فاستجاب الله ذلك فمنعوا القطر هذه المدة حتى أقحطت الأرض ، ولاقى الناس بسبب ذلك شدة عظيمة ، وكانا صاحب الترجمة وأبوه هذا يكرهان ما يفعله بنو عمهم من حمل السلاح ونحوه ، وكانا ينكران عليهم أشد الإنكار . أعاد الله علينا من بركتهما في الدارين آمين .

وكانت وفاته في هذا القرن ولم أعلم تاريخه ، ولهذا لم أترجم له كما وقع لي في غيره ، وقد ذكرت السَّببَ في ذلك ، وإلا فهو حري بأن يذكر على الاستقلال ، كيف وهو أحد من تتنزل الرحمة عند ذكره ، وهو غني بفضله وشهرته عن الإطناب في أمره وترجمته .

● وفيها : كانت **وفاة أحمد شاه** بأحمد آباد قتيلاً .

● وفيها : جاء جنكيز خان إلى سرت وحرق دورها وخربها ، وخرب أهلها واستأسر ، ثم صالحه صاحب سرت خداوند خان وذهب إلى بلده بروج .

* * *

[سنة ثمان وستين بعد التسعمائة][1]

ثم جاء[2] إلى سرت أيضاً عام ثمانية وستين وخرب جانباً من الكوت ، وأخرب جمعاً من أهل سرت ومنير وغيرهما من التجار والرعية ، ثم ذهب إلى بروج في أواخر شهر رمضان ، وكان ذهب من الكوت خفية ليلاً صاحب سرت خداوند خان ، فذهب إلى بلاد الكفار ، ثم وصل إلى أحمد آباد ثاني شوال ، ثم قتل آخر يوم من ذي القعدة يوم الثلاثاء بعد العصر ، قتله بجليخان[3] وأغا ريحان ورستم خان مع عسكرهم ، وفي العسكر جمع من عبيد خداوند خان هربوا منه من رهبته . وقد قلت في الواقعة المذكورة :

سميّ حرام ذاقَ الحِمامَ في مثله ‌ ‌ ‌ ‌ وفعلُ حَرامٍ في حرامٍ من أعظم الوزرِ

ومعنى البيت : أنَّ سمي شهر حرام ـ يعني رجب ـ ذاق الحِمام ، وهو الموت ، في مثله يعني في شهر حرام أيضاً وهو القعدة ، وفعل حرام وهو القتل . في شهر حرام هو القعدة من أعظم الذنوب . ولا شك أن المعاصي إذا وقعت في مكان عظيم كمكة أو زمان شريف كالأشهر الحرم تتضاعف من الله سبحانه وتعالى العقوبة على مرتكبيها وهذا ظاهر .

وكان خداوند خان رحمه الله تعالى أميراً كبيراً ، جليل القدر ، رفيع المنزلة ، حسن الأخلاق ، كثير الإنفاق ، جميل الصورة ، طيب السيرة ، جواداً سخياً وشهماً أبياً شديد البأس ، محبباً إلى الناس ، متواضعاً مملاحاً ، لين الجانب ، مشهوراً في المشارق والمغارب ، كثير الإحسان والإفضال ،

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وما أثبتناه من (ط) .

(٢) يعني جنكيز خان .

(٣) رسم الكلمة في « شذرات الذهب » : « جلنجان » .

مقصوداً بشد الرحال ، محباً لأهل الخير والفلاح ، مجمعاً لأهل العلم والصلاح ، حسن العقيدة في الأولياء والصالحين ، محسناً إلى الفقراء والمساكين ، عظيم الصدقة والمعروف ، كثير الاحتفال بالوفود والضيوف ، وكان عريق الرئاسة ، حسن السياسة ، ظريفاً لطيفاً ، وفي آخر الأمر اعتراه نوع من الوسواس حمله على الاستيحاش من الناس اختل به نظام تدبيره ، فخذله وزيره ومشيره ، وقل معه معاونه وناصره ، وتفرقت بسببه عنه عساكره ، والكمال لله . فكان هذا هو السبب في زوال الملك عنه وظفر العدو به ، ونفور الناس منه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وللشيخ العلامة أبي السعادات الفاكهي فيه مرثية عظيمة وهي : [من البسيط]:

الدّهرُ في يَقْظَة والسّهو[1] للبَشَرِ ... والموْتُ يبدو ببطش البَدْوِ والحضَرِ

والسّامُ أصعب كأسٍ أنت ذائقُه ... قبلَ التَّدثُّر للأجسادِ بالحُفَرِ

لامين فيما أقول لا ولا ريب ... إن كنتَ ذا ريبٍ فاسأل عنه واذكرِ

واسأل زمانَك عن كسرى وقيصرِه ... كذا السلاطين والأقيال من مُضَرِ

أفناهم الدّهر حتى صارَ ذِكْرهم ... كانوا وكانوا وهذا أعظمُ العِبرِ

يا ويحَ ناعٍ أتى يوماً يخبِّرُنا ... أجْرَى دموعاً على الأخداد كالمطرِ

أتى برأس رئيس كان مفخرنا ... كأصْله منبع الإحسانِ والظّفَرِ

أبو الأراملِ والأيْتامِ والغُربا ... بموْته ما صَفَتْ أرواح من كَدَرِ

أبو المشايخ والأشرافِ والنّجبا ... أبو الرعيّة من أنْثى ومِن ذَكَرِ

خان عظيم له رَجبٌ سمى رَجَب ... مرجَّب قد بَراه الله من صَفَرِ

أكرم به وفروع منه قد بَسَقت ... وبيت سَلْمان أهل الخيْرِ والظّفَرِ

هُمُ الأكابرُ أصلاً ثمّ فَرْعُهُمُ ... أصلُ الفَخارِ إلى حينٍ منَ الدّهرِ

---

(١) في (ط) : « . . والسّهر للبشر » تحريف ، وما أثبتناه عن « م » .

تبّاً لناعِقِ بَيْنٍ صاح ينبئنا ... أبكى الدماء وأبكى الجنّ معْ بشَرِ
أبكى الفحولَ مع الأبطالِ أجمعها ... أبكى الخيولَ كذا الأفيال فاعتبرِ
أبكى الأسودَ مع النّمورِ مع الظّبا ... أبكى الدّيار وأعماها مع البَصَرِ
أبكى الرعيّة والفتوّة والنّدى ... أبكى البريّة من ساه ومدّكرِ
أبكى المواكبَ والأملاكَ قاطبةً ... أبكى المراكبَ والأفلاكَ ذو الدّسرِ
أبكى الرمالَ كذا الأطلالَ نادبةً ... أبكى القفارَ مع الأنهارِ والبحرِ
أما التّجارُ فقد صاروا بأسْرهم ... كالشّاةِ تَخْشى شرور[1] كلِّ ذي أَشرِ
يا ويحَ « سِرْتَ » ما سرّت لساكنها ... الله يحفظها من طارقِ الغِيَرِ[2]
لبس السّواد رعاياه ولم يُلَمُّوا ... لكنّ حكمَ القَضَا جارٍ بلا نكرِ
كانت شجاعتُه في كل مُعْتَرَكٍ ... كيومِ ميرانَ أسنى من سنا القَمَرِ
وكم خصائص فيه ما لها عدد ... ومكرمات بلا عدٍّ لمستطرِ
لو كان يسمعُ أهل الروم كيف جَرى ... لجهّزُوا الجيش للغارات في الأثرِ
لكنّ نصرَ إلّه جلّ ناصرُنا ... يكفي ويجعلُ من عاداه في عِبرِ
تاريخُ ميْتَتِه سلخٌ لقَعْدَتِنا ... يوم الثلاثا مساء منه فادّكرِ
أما السنون فإني سوف أرقمها ... بحمرةٍ بحساب الجمَّلِ البهرِ
لا غروَ أن « الشهورَ حازها رَجَبٌ » ... فَرْدٌ كفردِ عظيمِ القدرِ في الشّهرِ
خوطبَ كاصل له مذ كان في صغر ... خان خداوند ساد الناس في كِبَرِ
فاعجب لهذي الدّنا لا تحتسم أحداً ... قد أسست صفوها دأباً على كَدَرِ
فقلْ لمن غرَّ في دُنياه كنْ يقظاً ... لها المصارعُ في غفلات مُحْتَذِرِ
كيف التّحذرُ والأقدار سابقة ... لا بدّ منها على الأرواح والصّوَرِ

---

(١) رواية الشطر الثاني من البيت في (م) و(ط) : « .. تخشى شر ذي. . . » وبه يُكسر البيت ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) رواية الشطر الأول من البيت في (م) و(ط) مختلة الوزن ، ولعل صواب الرواية « يا ويحها سِرْت. . . » .

لو كان يفدى من الأموات سيّدُنا ... كنّا فديْناه بالأسماع والبَصَرِ
يا ربّ ترحمه تغفر لمعشره ... تجعل مآثره أبهى من الدّررِ
ورضّ عنه خصوماً أنت تعلمهمْ ... وخصّه بعلا الجنّات والسّررِ
وعمَّ أهلاً وأحباباً وكل فتى ... يهوى لخيْرٍ وبالخيرات مُشْتَهرِ
وخصَّ أصلاً له أيضاً قرابته ... الله يحفظهم بالعِلْمِ والسّوَرِ
يا ربّ وارحمْ لميْتهم[1] وميّتنا ... يا ربّ واعممْ بخيرٍ منكَ وانتصرِ
يا رب واحرس لكُوت ثم ساكِنه ... واحفظ لحافظيه وصفيهم من الكَدَرِ[2]
واغفرْ لمنشئها حقاً وسامعها ... وارحم لراقمها في الطّرسِ والسّطرِ
يا ربّ احمي الإسلامَ وحوْزَته[3] ... من الضّلال وأهل الكُفرِ والفُجرِ
يا ربّ وانصر لدينك كلَّ ناصره ... يا ربّ وانعِم بجبرٍ كلّ مُنْكَسرِ
يا ربّ يا ربّ أنت الله مُقْتَدر ... أنت الغنيُّ فأغنِ كل مُفْتَقرِ
يا ربّ واستر بفضل كل معترف ... بالهفوِ فيما فاه من عورٍ أو من عَثرِ[4]
مِنَ الفعالِ مع الأقوالِ أجمعها ... يا ربّ يا ربّ يا ساتر على العثرِ
يا ربّ يا ربّ يا رحمن يا صَمد ... اغفر لمن قد مضى في غابرِ الدّهرِ
واحفظ لمن قد بقي وابقيه في رَغد ... وجمّل الكلّ واحمل كل ذي العُسرِ
ثمّ الصّلاةُ على المُختارِ صَفْوته ... خير البريّةِ من فهرٍ ومن مُضَرِ
كذا السّلام عليه دائماً أبداً ... صلى عليه إلّه الخَلْقِ والفطَرِ
وخصّ من بعده آلاً وعترته[5] ... والتابعين له في كل مُفتخرِ

---

(١) أقحمت بعدها في (ط) لفظة « فضلاً » وبها يختل الوزن .

(٢) كذا رواية هذا الشطر في (م) و(ط) وهو مختل الوزن .

(٣) كذا رواية هذا الشطر في (م) و(ط) وهو مختل الوزن .

(٤) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و(ط) وهو مختل الوزن .

(٥) تصحفت في (ط) إلى : « وعشرته » .

وكان الشيخ أبو السعادات المذكور من المشمولين بعنايته والمنتظمين في سلك نعمته كغيره من العلماء والصلحاء ، فإن « سرت » في أيامه السعيدة كانت طافحة بالمشايخ والفضلاء ، ومشحونة بأكابر الناس من سائر الأجناس ، مملوءة بأعيان التجار والأكابر وشجعان الجنود والعساكر ، وكانت عامرة أشد العمارة ، يجلب إليها سائر البضائع والنفائس للتجارة ، وكان يسافر منها عدة من المراكب والسفن إلى سائر النواحي كمصر وغيرها من المدن ، وكانت الرعية في أعظم أمان وسرور دائم بلا أحزان ، والناس في أرغد عيش وأنعم بال ، والوقت في أطيب صفاء وأسر[1] حالٍ ، والقلوب مطمئنة والشرور مستكنة[2] . حتى قال بعضهم [سرت][3] سرَّت الخواطر وقرت النواظر ـ يعني لكثرة ما كان بها في زمنه من الأفراح وأسباب الانشراح . وبلغني أنه كان يجعل لكل من يدخل إليها من الغرباء مرتباً بحسب حاله ، وإذا أراد الذهاب كذلك زوده من ماله .

وبالجملة : فمحاسن هذا الرجل كثيرة ، وأخباره معروفة في الناس شهيرة ، رحمه الله تعالى وإيانا آمين .

● وفيها : في سابع جمادى الأولى توفي **الشيخ الكبير القطب العارف بالله تعالى أحمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الله العيدروس**[4] بتريم ، وكان من سادات مشايخ الطريقة المكاشفين بأنوار الحقيقة ، جُمع له بين كمال الخلق وحسن الأخلاق وبسط المعرفة وصحة النية وصدق المعاملة . مناقبه كثيرة وأحواله شهيرة .

ومن كراماته رضي الله عنه : كان مرة بمسجد في سماع عظيم وبيده سبحة

---

(١) في (ط) : « في أطيب سناء وأستر حال » وما أثبتناه في (م) .
(٢) في (م) : « ساكنة » وما أثبتناه في (ط) .
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .
(٤) ترجمته في « شذرات الذهب » ص(٥١٣ـ٥١٤) .

يسر ، وكان كلما قال سبحان الله وبحمده ودرج الحبة فانفلقت أربع فلق وأقل وأكثر فأخذوها منه وقد انفلق منها أكثرها كذلك ، وأصاب بعض الحاضرين شيء من ذلك في بدنه فآلمه .

وروى الولي الصالح الشهير أحمد بن عبد القوي با فضل أنه رأى الشيخ عياناً واقفاً بعرفات ، وشاهده مشاهدة يطوف بالبيت العتيق ويسعى بين الصفا والمروة .

ولسيدي الشيخ الوالد فيه مرثية عظيمة وهي : [من الكامل]:

تَقْضـي فتمضـي حُكمهـا الأقـدارُ	والصفـوُ تحـدث بعـده الأكْـدارُ
والـدهـرُ أبلـغُ واعـظ بفعـالـه	وكفـى لنـا بفعـالـه إنْـذارُ
نـادى وأسمـع لـو وعَـتْ آذاننـا	وأرى العـواقـب لـو رأت أبصـارُ
قـل للـذي يغتـرُّ منـه بـرونـقٍ	لا تغتـررْ فخطيـره أخطـارُ
مـن ينظـرِ الـدّنيـا بعيـنِ فـؤادهِ	كشفـت لـه مـن خُبْرهـا أخْبارُ[1]
ما كنت قلت بأنْ « تريم » تضعضعتْ	أرجـاؤهـا أو أنهـا تَنْهـارُ
حتـى نَعَـى نـاع شِهـابـاً أحمـداً	ابـن الحُسيـن مـن العفيـف مـزارُ
العيـدروس سـرا سـرا الله مـن	أسـراره تسـري بـه الأدوارُ
رفع الوليّ ابن الوليّ ابن الولي	مـن جـدّه خيـرُ الـورَى المختـارُ
أرواحهـم بـالعـرشِ قنـديـل يضـي	كشعـاعِ شمـسِ زادهـا الأنـوارُ
مـا إن ذكـرت فضـائـلاً فـي أحمـد	إلا وهيّـجَ حُـزنـيَ التَّـذكـارُ
فسقـى الحيـا تـابـوت قبـرٍ قـد ثَـوَى	وتعـاهـدت تـابـوتـه الأمطـارُ
آهٍ علـى وادي ابـن راشـد بعـده	واستبهمـت مـن بعـده الأسـرارُ
قـد كنـت نـوراً فـي تـريـم ظـاهـراً	تُقْضـى بـه الحـاجـاتُ والأوطـارُ
هيهـات مـا إن للمنيّـة دافـعٌ	أبـداً ولا لحيـاتنـا استقـرارُ

---

(١) في (م) : « ... أعبار » .

قـد قـال لـي بلسـان حـالٍ مُفْصـح   لمّـــا احتسبـت لــربّنـا القهّـارُ
هــوّنْ عليــك فكـلّ حــيٍّ ميّـتٌ   والـــدَّهْـــرُ فـــي أبنـــائــه دوّارُ
فلينظـــرنَّ أهلّـــةً منكـــم فقــد   طلَعـت فـي سمـا العُـلا أقمـارُ[1]
لا زالَ منكـم فـي الــولايـة سيّـدٌ   مـا غـرّدت فـي أيكِهـا الأطيـارُ

وقد ضمنها التاريخ في قوله « العيدروس سرا سرا لله » .

* * *

(١) كذا الشطر الثاني من هذا البيت ، وهو مختل الوزن .

سنة تسع وستين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السبت خامس عشر صفر الخير سنة تسع وستين توفي **الشيخ الكبير والقدوة الشهير العارف بالله تعالى أبو محمد معروف**[1] **بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذن ابن عبد الله بن محمد بن أحمد جمال بدَوْعَان**[2] ، وكانت ولادته بِشِبَام[3] في ليلة الجمعة حادي عشر شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وكان كبير الشأن ، ذا كرامات ظاهرة وآيات باهرة ، وبلغني أن مناقبه أفردها بعض الفضلاء بتصنيف رحمه الله . وكان من المشايخ المشهورين والأساتذة الكبار المذكورين بتربية المريدين وتخريج السالكين ، وكان ذا جاه عظيم وقبول عند الخاص والعام . وسبب خروجه من بلده إلى دوعان أنه كان وشي به إلى السلطان بدر الكثيري في أشياء منها : فرط اعتقاد الناس فيه وامتثالهم لأوامره ونواهيه . فأمر بنفيه من البلاد بعد الإشهار بإهانته بين العباد ، فنودي هذا معبودكم يا أهل شبام ، وجعل في عنقه حبلاً وطيف به بين الأنام .

ومن غريب الاتفاق أن السلطان أمر بعض أمرائه أن يتولى فعل ذلك منه بنفسه ، وكان ذلك الشخص من معتقدي الشّيخ المذكور ، فتوقف لذلك ، فأرسل إليه الشيخ معروف قدس الله سره : أن افعل ما أمرت به وأنا ضمينك

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٢٠ـ٥٢١) .

(٢) دوعان : موضع بحضرموت ، وذكره ياقوت ، بعين مهملة بعدها نون مباشرة ، « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٤) .

(٣) شِبَام : جبل عظيم فيه شجر وعيون ، وشرب صفاء منه ، انظر خبره في « معجم ما استعجم » (٢/ ٧٧٨) و« معجم البلدان » (٣/ ٣١٨) وفيه أن في اليمن أربعة مواضع اسمها شبام : شبام كوكبان ، وشبام سُخَيم ، وشِبَام حراز ، وشِبَامُ حضرموت ، وهي إحدى مدينتي حضرموت ، والأخرى تريم ، ولعل شِبَام الأخيرة هي بلد المترجم له .

على الله بالجنة . فانظر إلى مشهد هذا الشيخ العظيم الذي يرى الأشياء كلها من الله الحكيم ، وما وقع عليه من الامتحان له فيه أسوة بغيره من الأعيان أراد الله أن يرفع به في درجاتهم ويضاعف بسببه في ثوابهم وحسناتهم ، على أن هذه الطائفة العلية كما قيل في نعوتهم السنية : إنهم رضي الله عنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

● وفيها : صار بحضرموت حريق البرد المشهور[١] .

● [**وفيها توفي الفقيه محمد بن حسين بن الشيخ محمد النهاري دعسين** ، وكان فقيهاً عالماً محصلاً ، وكان أكثر إقامته بجهة إصاب وغيرها من الجبال وأقام بحصن المصباح[٢] عند الفقيه شِهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى الجهمي الأشعري نحو ثمانية عشر عاماً ثم انتقل من عنده إلى بني جعفر العبدريين أصحاب جبل ريمة[٣] . ذكره شيخنا شيخ الإسلام عبد الملك بن عبد السلام في كتابه « قرة العين بمعرفة بني دعسين » . قال : وإنه قرأ الفقه أولاً على الفقيه الإمام العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن العلامة أبي القاسم الحكمي ببيت الفقيه ابن حشيبر وختم عليه « التنبيه » و« المنهاج » ثم انتقل إلى تلك الجبال المصاقبة لتلك الجهة ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وانتفع بهم ، ثم انتقل بعد ذلك إلى جهة إصاب وأخذ على من بها من الفضلاء ، وأنه ألف كتاباً مختصراً في المسائل التي خالف الشيخين الإمام الرافعي والإمام النووي فيها القاضي الإمام العلامة صفي الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد

---

(١) الكلام الذي سيأتي ، مما وُضع بين الحاصرتين ، لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٢) وهو حصن في وصاب (إصاب) السافل ، ويطل على مدينة زَبيد من شرقها . ذكره في « معجم المدن والقبائل اليمنية » ص(١٥٤) باسم (الداشر) .

(٣) ريمة : اسم مشترك بين عدد من البلدان ، أشهرها : ريمة الأشايط ، وريمة جَبْلان ، وهو من أشهر جبال اليمن خصباً ، انظر « معجم المدن والقبائل اليمنية » (١٨٧ـ١٨٨) .

الرحمن بن القاضي العلامة الكبير نجم الدين يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان المُزجَّد ـ بفتح الجيم ـ السَّيفي الزَّبيدي في « عبابه » وأنه عزا كل مسألة إلى من خالفهما فيها أولاً ثم ذكر من تبعه من المتأخرين ، وذكر أنه مجلد لطيف وسماه « فتح الوهاب فيما خالف فيه الشيخين صاحب العباب » ، وأنه وصل إلى المَخَا مرتين الأولى سنة أربع وستين وتسعماية ، والأخرى سنة تسع وستين وتسعماية ، وأنه لم يلبث بالمَخَا أولى المرات ولا عشرة أيام وفي أخراها أقام بها نحو ثلاثة أشهر ، وقرأت عليه في مدة إقامته من أول كتاب « الإرشاد » في الفقه إلى أثناء استقبال القبلة ، وأعطاني جملة من كتبه وفيها الكتاب الذي صنفه وسماه « فتح الوهاب » ثم عزم إلى قرية التُّرَيْبَة[1] ومرضَ مرض الموت ، فنقله بنو عمه إلى جنة المَعاصِلة[2] فتوفي عندهم][3] .

* * *

---

(١) بلفظ التصغير . بلدة عامرة بالشرق من زَبيد ، المصدر السابق ص(٦٩) .

(٢) المَعاصِلة : عزلة كبيرة من ناحية زبيد ، «معجم المدن والقبائل اليمنية» (٦٩) .

(٣) إلى هنا نهاية النقل عن (م) ، ويبدو أن هذا (السقط) لم يقف عليه ابن العماد الحنبلي فيما وقف عليه من مخطوط هذا السفر ، وإلا لكان ترجم للفقيه محمد بن حسين دعسين صنيعه مع من ترجم لهم من الفقهاء الذين ذُكروا في هذا الكتاب .

سنة سبعين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبعين ثاني يوم من شوال : كان السيل العظيم الهائل بحضرموت الذي لم يُسْمَع بمثله ، أخرب كثيراً من النخيل ، وأهل تلك الجهة يذكرونه إلى اليوم ويؤرخون به ، وهو المسمى عندهم سيل الإكليل[1] ، وقد ضمن تاريخه صاحبنا الفاضل الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي في بيتين هما : [من الكامل]:

سَيْـلٌ بـوادي حضـرمَـوْت أذاه عـم ... فـي نـوء إكليـل النجـوم أخـذ نسـمْ

وضعـوا لـه تـاريـخَ نـاسـبَ جَـورهُ ... يلقاه من يطلبْه في أحرفْ « ظلمْ »

ويقال إنّه في قديم الزمان كان قد وقع سيل أو سيلان مثله أو قريب منه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

---

(١) ذكر خبره ابن العماد في « الشذرات » (١٠/ ٥٢٢) .

سنة إحدى وسبعين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين توفي **الشيخ الكبير والعلم الشهير تاج العارفين وبقية الأولياء الكاملين وجيه الدين الشريف عبد الرحمن بن حسين بن الصديق الأهدل اليمني**[1] قدس الله روحه بِزَبيد ، وقبره بها مشهور مَزُورٌ وعليه قبّة ، وكان من كبار المشايخ أرباب الأحوال الفاخرة والكرامات الظاهرة ، نهد إليه الزائرون من سائر الأقطار ، وقصد التّبرك بفضله الخاص والعام من القرى والأمصار ، دائره مهبط الوفاد ومحط رحال القصاد ، ما قصده قاصد إلا وأحرز غاية المراد ، وفاز بالمدد المعنوي والمحسوس من فضل الله الجواد .

ولد رضي الله عنه سنة إحدى وتسعين وثمانمائة ، نشأ بمدينة زَبيد ، وقرأ بها القرآن العظيم ، وصحب جماعةً من المشايخ ، وحكّمه شيخ المعروف ابن إسماعيل الجبرتي ، ونصبه شيخاً وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فقال للشيخ : يا سيّدي أنا لا أقدر أقوم بما تقوم به المشايخ ، فقال له الشيخ : أنت حظك مطلق . وظهرت عليه آثار بركة المشايخ الصالحين ، وفُتح عليه فتوح العارفين حتى لحق من قبله وساد أهله وتضاءلت له[2] المشايخ الأكابر ، وشهد له بالتقدم على الأوائل والأواخر ، فأصبح فريد دهره ووحيد عصره ، منقطع النظير متصلاً مجده بالأثير ، كثرت أتباعه [و][3] أصحابه من المشايخ والعلماء والقضاة والأمراء والوزراء والأغنياء والفقراء . وكان رحمه الله تعالى كثير الإنفاق ميسرة عليه الأرزاق ، ما قصده سائل فخاب ولا أمّه وافد إلاّ ورجع

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٣٠) .

(٢) في (ط) « تضالت عليه » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) الحرف زيادة في (ط) وهي مما يناسب تمام المعنى .

بزلفى وحسن مآب ، يعطي مما يُعْطى ويجيب داعيه بغير إبطاء ، يفرق ما يلقى إليه من الفتوح ، فكل ينال منه ما قُسم وخُط له في اللوح من ذهب وفضة وفلوس وكساء وغير ذلك .

وكان رضي الله عنه دأبه الإنفاق على الفقراء والمساكين خارجاً عن صدقات مخصوصة بأقوام ، وعن صلة ذوي القربى والأرحام ، وهو مع ذلك على قدم التوكل والفتح الرباني . وكان محباً للعلم وأهله ، معظماً مشاركاً في كثير من العلوم ، وجمع كتباً كثيرة في فنون شتى . وكان من حسن الخلق ولين الجانب ولطف الشمائل وسلامة الصدر وطلاقة الوجه والبشر ما يجل عن الوصف . وكان إذا خرج من بيته يزدحم عليه[1] الناس ويلتمسون بركته ، ورزق من القبول والمحبة والوجاهة ما يشهد أن له عند الله أعظم من ذلك ، وحببه الله إلى خلقه ، واعتقده الخاص والعام ، وانتشر صيته ، واشتغل به الناس اشتغالاً عظيماً ، الرجال والنساء والصغار والكبار ، حتى كان لا يكاد يخلو عنهم ساعة واحدة ، يتبركون به ويلتمسون دعاءه ، وكانت شفاعته لا ترد عند أولي الأمر فمن دونهم .

وكان صاحب كرامات خارقة وأحوال صادقة ، وانتفع به الناس انتفاعاً عظيماً ، وعلى الجملة فترجمة هذا الرجل لا تسعها الأوراق . ومن كراماته : أنه جاء إليه مريض وقد عظم بطنه من الاستسقاء ، فقرب إليه طعاماً وأمره أن يأكله جميعه ، فحسب أن فعل ما أمره زال عنه ذلك المرض في الحال واستوى بطنه . وكراماته كثيرة لا تنحصر .

وبالجملة : فإنّه كانَ وحيدَ عصره وفريدَ دهره ، لم يخلفه مثله في مصره . وشهرته تغني عن ترجمته .

ومن شعر والده الحسين : [من السريع]:

قد كانَ في سنَّة خيرِ الوَرَى ... صلّى عليه الله طولَ الزّمن

---

(١) في (ط) : « فيه » .

أنْ لا يـــردّ الطيّـــبَ والمُتكـــا والتّمـــرَ واللّحـــمَ كـــذاك اللّبـــن

ومنه : [من السريع]:

لا أعتـــب الـــدهـــر ولا أهلـــه فـــي حـــظٍّ مقـــدار ولا مَنْـــزِلـــهْ
نحـــن قسَمنـــا بينهـــمْ قـــالـــه إلّهنـــا والفضـــلُ والعـــدلُ لَـــهْ
الحمـدُ والشّكـرُ لمـن قـد جَـرَت أحكـــامـــهُ بـــالقسمـــة العـــادِلَـــهْ

رحمه الله تعالى .

● **وفيها : توفي الشريف العالم الفاضل النسابة نور الدين علي با جبهان با علوي .**

● وفيها : فاضت أودية بمكة المشرفة بسيول عظيمة ، فدخل السَّيل الحرم الشريف[1] وعلا على الركن اليماني ذراعاً ، فقال مؤرخاً لذلك الأديب صلاح الدين القرشي رحمه الله تعالى في بيت مفرد وهو : [من السريع]:

يـــا سَـــائلـــي تـــاريـــخ سَيْـــلٍ طَمـــا عـــلا علـــى الـــرّكـــنِ الـيَمـــانـــي ذِرَاعْ

● وفيها : عمر والدي رحمه الله مسجده « بسرت » . فقال الشيخ الأديب عبد المعطي بن حسن با كثير المكي في تاريخ ذلك هذه الأبيات وهي : [من المتدارك]:

هـــذه بقعـــةٌ شَـــرفـــت فـــي الأزَلْ قـــد حَـــوَتْ قبـــة نـــزهـــت عـــن مثـــلْ
شَقّ فيها ضريح الشريف الأجلّ ميم حاميم ذا مصطفى فيه حلْ[2]
الـــولـــيُّ الكبيـــرُ للجنـــانِ انتقـــلْ نجلُ من قد سَما فوق هام القُللْ
الشريف شيخ شيخ الشيوخ الأولْ سيّدي العيدروس غيثُ فضل هَطَلْ
الصّفـيُّ الـولـي سرّ خيرِ الـرّسـلْ قطبُ هـذا الزّمـان الرّفيعُ المحلْ

---

(١) ذكر ابن العماد الحادثة في « الشذرات » (١٠/ ٥٢٥) .

(٢) في (م) و(ط) : « . . ذاك مصطفى . . » وبه يختل الوزن .

يـا لهـا بقعـة سـرّهـا قـد حصـلْ وبهـا مسجـد فضلـه لـم يَـزَلْ
جـاء تـاريخـه رافـلاً فـي حلـلْ « مسجد خالص لوجه الله جَلْ »[1]

* * *

(١) في (ط) « . . تاريخه « رافلاً . . . » وضع إشارة التنصيص من أجل تاريخ بناء المسجد على حساب الجمل بدءاً من كلمة « رافلاً » وهو خطأ على مبادىء هذا الحساب ، وصوابه كما أثبتناه من قوله « مسجد . . . إلى قوله : جل » .

سنة اثنتين وسبعين بعد التسعمائة

● **وفي سنة اثنتين وسبعين توفي الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي الشافعي**[1] وأمّه أم ولد حبشية ، وكان مولده سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، وكان من كبار العلماء ، مشاركاً في جميع العلوم ، وله مصنفات مفيدة ، منها « شرح الأجرومية » و« شرح على متممتها » للحطّاب[2] أجاد فيها كل الإجادة ، وشرح على « قطر ابن هشام »[3] في غاية الحسن وصنفه سنة ست عشرة وتسعمائة ، وكان عمُره حينئذ ثماني عشرة سنة ، وشرح على « الملحة » واستنبط حدوداً للنحو ، وجمعها في نحو كراسة ، ثم شرحها أيضاً في كراريس ولم يسبق إلى مثل ذلك .

وبالجملة : فإنه لم يكن له نظيرٌ في زمانه في علم النحو ، فكان فيه آية من آيات الله حتى قيل : إنه سيبويه عصره ، رحمه الله .

وحُكي أنّه حضر في الجامع الأزهر وقارىء يقرأ « شرح القطر » على بعض المشايخ ، فأشكل عليهم بعض العبارات فيه ، فحلّها المذكور ، وذكر أنه هو الشارح فلم يصدقوه حتى أقام البينة على ذلك ، وشهد له من كان هناك من أهل مكة بذلك .

● **وفيها : في ليلة الاثنين لعشر ليال مضت من شهر رجب الحرام توفي الفقيه العلامة عبد الله بن الفقيه الصوفي عمر بن الإمام العلامة عبد الله بن أحمد**

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٥٣٦) . و« الأعلام » (٤/٦٩) و« معجم المؤلفين » (٦/٢٨) .

(٢) في (م) : « الخطاب » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه في (ط) و« شذرات الذهب » (١٠/٥٣٦) .

(٣) هو المعروف بـ« قطر النّدى وبلّ الصَّدى » .

مخرمة[1] بعدن ، وعمره خمس وستون سنة ، وكان آية في العلم خصوصاً الفقه والفلك . أخذ عن والده الفقيه الولي عمر ، وعمه العلامة طيِّب ، والقاضي العلامة عبد الله بن أحمد با سرومي ، وكان يقول : إنّي استفدت من هذا الولد أكثر مما استفاد مني . وجدَّ واجتهد حتى برع ، وانتصب للتدريس والفتوى ، وصار عمدة يرجع إلى فتواه ، وانتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في جميع جهات اليمن ، وقصد بالفتاوى من الجهات النازحة والأقاليم البعيدة ، وكان عمه الطيب يقول : لا أستطيع ما يستطيع عليه ابن أخي في حل المشكلات ، وتحرير الجوابات على المسائل العويصات الغامضات .

وكان الشَّيخ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن الإمام عبد القادر الحباني يعظمه جداً ويرجحه على والده ، وكان معظمُ تحصيله عليه ، وجلُّ انتفاعه به . وممن أخذ عنه أيضاً من العلماء الأعلام وشيوخ الإسلام سيدنا وشيخنا الشّيخ العلامة الصّالح الفقيه محمد بن عبد الرحيم با جابر .

ومدحه الأديب أبو زكريا الدِّمشقي ببيتين وهما : [من الرجز]:

يـا عُمَـري الأصـلِ أنـت مـالكـي ... ونـافعـي بفضلـه بيـن البَشَـرْ

هـا قَـدْ رفَعْـتُ مسنـدي إليكـمُ ... لمـالـك لنـافـع لابـنِ عُمَـرْ

وبالجملة : فكلامه وأبحاثه في كتبه وأجوبته تدل على قوة فطنته وغزارة مادته ، وكان مع ذلك يغلب عليه الحرارة حتى على طلبته ، وكان فيه على ما قيل بأو[2] مفرط والكمال لله ، وكان فصيحاً بليغاً فاضلاً في الأدب نادرة الوقت في النظم[3] والنثر ، وكان قد ولي قضاء مدينة الشِّحْر مرتين ، وفي آخر عمره أقام بعدن ، وولي بها مشيخة التدريس في مواضع متعددة .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٥٣٦-٥٣٨) . و« الأعلام » (٤/١١٠) و« معجم المؤلفين » (٦/٩٥) .

(٢) البأو : الكبر والفخر ، « لسان العرب » (بأي) .

(٣) في (ط) : « النظر » وهو تحريف وصوابه في (م) .

ومن تصانيفه : كتاب ينكت فيه على « شرح المنهاج » للشيخ ابن حجر الهيتمي في مجلدين ، و« فتاوى » كبيرة في مجلد ضخم ، و« المصباح لشرح العدة والسلاح » و« شرح الرحبية » ، و« ذيل على طبقات الشافعية » للإسنوي ، ورسالتان في الفلك والميقات ، ورسالة في الربع المجيب ، وغير ذلك . ومن شعره : [من السريع]:

قُلْتُ سلامُ الله من مُغْرَم ... ما إنْ سَلا عنكم فقالوا سَلاَ

فقُلْتُ هلْ تَرْضَونَ لي وقْفَةً ... قالوا : فما تطلب؟ قلتُ : الكلا

ومنه : وقد بلغه موت بعض أصحابه بالشِّحْر : [من الطويل]:

وكيف يقيمُ المرءُ في سُوْح بلدةٍ ... وقد كان منها مَوْتُها وفَناؤها

لئن صَحّ هذا العلم فالشّحْر بعدكمْ ... حَرامٌ علينا ظلّها وفِناؤها

ومنه :

يا قريبَ الفرج عَبْدك ... على البابِ واقِف

كلما آيس تُرْجى ... من جَنابِكَ لطائِف

ومنه : [من البسيط]:

يا سادةً عَوَّدوني كلَّ مَكْرمةٍ ... لا تقطعوا البرّ عن مملوككم وصلُوا

وجمِّلوا الحالَ فالدُّنيا مجاملةٌ ... والخيرُ أبقى وكلُّ المالِ مُنْتقلُ

ومنه : [من الكامل]:

لا تنسَ من لم ينسَ ذكرك ساعةً ... وانظرْ إليه بعينِ ودٍّ واعطفِ

أَوَلَيْسَ منسوباً إليك وأنّه ... فرضٌ عليك « عرفتَ أم لم تعرفِ »

ومنه : [من الطويل]:

وقائلةٍ بالله صِفْ لي متيَّماً ... أضرَّ به طولُ النّوى كيف حالُهُ

فقلت على نوعين : أمّا نهاره ... فيبكي ، وأمّا لَيْله لا كَرى لَهُ

ومنه ـ قاله وهو ببدر الموضع المبارك المشهور : [من البسيط]:

ذكرْتُ في بدرٍ بدري عندما غَرُبتْ شمسُ النهارِ وضاء البدرُ بالأفقِ
فقيل : بدرُك هذا؟ قلْتُ : بينهما فرقٌ وشاهده في اللّيل والشّفَقِ

ومنه هذان البيتان ـ وقد ضمنهما قول أبي تمام « السيف أصدق أنباء من الكتب » : [من البسيط]:

الواو من صَدْغه في العطف تطمعُني والسَّيفُ من لحظه يومي إلى العَطَبِ
فحين ما حِزْت قامَ الهَجر ينشدني « السيف أصدقُ أنباءً من الكتُبِ »(١)

وأيضاً هذين البيتين ـ وقد ضمنهما قوله أيضاً « سيد قومه المتغابي » : [من الكامل]:

قالتْ أراك من الذّكا في غاية جلت عن الإسهابِ والإطنابِ
فعلامَ تبدي في الأمور تغابياً فأجبت « سيّد قومه المتغابي »(٢)

وأيضاً هذين البيتين ـ وضمنهما قول المتنبي « لكل امرىء من دهره ما تعودا » : [من الطويل]:

وعاذلة أبدت لفقري توجُّعاً وقالَتْ أتاك الفقرُ من جانبِ النّدا
فقلْتُ لها لا تطمعي في تغيُّري « لكلِّ امرىء من دهرِهِ ما تعوّدا »(٣)

---

(١) تمامه « في حده الحدُّ بين الجدِّ واللعب » وهو مطلع قصيدته المشهورة في مديح المعتصم إثر وقعة عمورية « ديوانه » (١/ ٤٠) .

(٢) البيت بتمامه :

ليس الغَبيُّ بِسَيِّد في قومه لكنَّ سَيِّدَ قومِهِ المُتَغَابي

« ديوانه » (١/ ٨٧) .

(٣) تمامه : « وعادة سيف الدولة الطعن في العدى » انظر « القول الطيب في شرح ديوان أبي الطيب » (٢/ ١٧٩) .

وأيضاً هذين البيتين في الاقتباس : [من المتقارب]:

وبـا لكهـفِ مـن حـاجـرٍ فِتْيَـةٌ فنـونُ الصَّبـابـةِ مـن وصْفِهِـمْ[1]
ترى الشمسَ شمسَ البَها والكمال تمـرُّ « تـزاور عـن كهفهـمْ »[2]

● **فائدة تتعلق بالاقتباس :**

ذكرها السبكي في « الطبقات » بعد أن أورد هذين البيتين للأستاذ أبي منصور البغدادي في الاقتباس وهما : [من الكامل]:

يـا مَـنْ عـدا ثـم اعْتَـدى ثـم اقْتَـرفْ ثـم انتهـى ثـم ارْعَـوى ثـم اعْتَـرَفْ
أبشـر بقـولِ الله فـي آيـاتـه « إن ينتهوا يغفرْ لهم ما قَد سلَفْ »[3]

قال : واستعمال مثل هذا الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره فائدة . فإنه جليل القدر والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز ، وقيل إنما ذلك يفعله الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون ، ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي . وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين وقد فعل هذا ، والحافظ أسند هذين البيتين عنه في كتاب « السنن » .

● **فائدة أخرى :**

في اصطلاح أهل المعاني والبيان أنه إذا ذكر المتكلم ـ ناظماً أو ناثراً ـ في كلامه كلام غيره لا على حكايته ؛ فإن كان ذلك الكلام من عبارات القرآن أو الحديث فهو الاقتباس ، وإن كان شعراً فهو التضمين ، على اصطلاح المتأخرين ، وإن كان المتكلم نظم نثراً فهو العقد ، وإن كان نثر نظماً فهو الحل ، وإن كان أشار إلى كلام غيره إيماء لا تصريحاً فهو التلميح ، وهي

---

(١) في (ط) : « ويا لكهف من محاجر . . . » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .
(٢) هي جزء من الآية (١٧) من سورة الكهف .
(٣) هي جزء من الآية (٣٨) من سورة الأنفال .

خمسة فنون : الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح .

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة المشتملة على المواعظ الجامعة والوصايا النافعة وهي : [من الكامل]:

زمَّ الرِّكابَ وحُلَّها عن عقْلِها[١] ... ودعِ المَطايا ترتمي في سُبلِها

وابعدْ عنِ الأوطان في طَلبِ العلا ... واترك ديارَ الذُّلِّ عنك وخَلِّها

لا ترض من دون النّجوم بمنزلٍ ... وترقَّ من طَلٍّ لطائلِ وَبْلِها[٢]

لا ترجعنّ القَهْقَرى مثلَ الّتي ... نَقَضَتْ وحلّتْ بعد عزم غَزْلِها

واسمعْ أُخيَّ نصيحةً من ناصحٍ ... إنَّ النَّصيحةَ ليس يخْفى فَضْلُها[٣]

انظرْ إلى اللهِ الكريمِ ولُذْ بهِ ... واقْصدْهُ في جُلِّ الأمورِ وقلِّها

وإذا الأمورُ تَضايقَتْ وتعقّدَتْ ... فاضرعْ إليه فإنّه المَرْجُو لها

واجهدْ على الخيراتِ تحظَ بخيرِها ... واحذر يفوتك فرضُها أو نَفْلُها

ودعِ المعاصي والغَوايةَ واستقلْ ... فاللهُ يقبلُ من أنابَ إذا لَها

والنّفسُ إنْ تدعو فخالفْ أمرَها ... ودعِ الهوَى إنَّ الهوى من فِعْلِهَا

فإذا بدا لكَ من رفيقِك زلّةٌ ... فاغْفِرْ ولا تجزِ المُسيءَ بمثلِها

والرِّفقَ رافقْ في أمورِك واصطبرْ ... فالصَّبرُ من خيرِ العُرى وأجَلِّها

وإذا بُليتَ بشدّةٍ فاثبتْ لها ... حتّى تُرى مُسْتَبْشِراً بمحلّها

نظراً إلى أنَّ المقدّرَ كائنٌ ... فعلامَ تجزعُ يا فَتى من أجْلِها

والصّدْقَ فالزمْ في حديثِك كلِّه ... والوعدَ أوف بِهِ فذاكَ أجلُّها

واتركْ مصاحبةَ الكذوب ومن تكن ... عاداتُه عند النميمةِ حَمْلَها

وتغاضَ عن عيبِ الأنام فإنّ مَنْ ... يَطْلبْ معايبها رماه بنبْلها

---

(١) العَقْل : الحَبْسُ .

(٢) في (ط) : « .. وَبْكَها » تصحيف . والطَّل : المطر الصغار القطر الدائم . والوبْل والوابل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٣) رواية الشطر الأول في (م) : « واسمع نصيحة ناصحٍ في قولهِ » .

عـوّدْ لسـانَـك كـلَّ قـولٍ طيّـبٍ فـالقـولُ مـن عقـلِ الـرِّجـالِ ونُبْلِهـا
واحفظْ حقوقَ الوالدينِ وقمْ بها والأهل والأصحاب واحملْ ثقْلَها
وتـرقَّ فـي العلْيـا إلـى غـايـاتهـا فبجمعـك الخيـرات تجمـع شَمْلَهـا
وانصبْ لكسبِ المال كي تكفى به مِنَـنَ اللّئـامِ فـي الاحتيـاجِ لبَـذْلِهـا
فـركـوبُـكَ الأهـوالَ فـي تحصيلـه عينُ الرَّجالةِ إن تكن من رَجْلِها[1]
بالمالِ يصفو الدّينُ والدُّنْيا معاً والمالُ في أيدي الرجال كَعَقْلِها
فيـه المكـارمُ والمـآثـرُ فـي الـورَى وبـهِ الصِّـلات النّـاميـات ووصْلهـا
فـانْهـضْ لـه ودعِ الكَسـالـة إنّهـا بئـسَ الضّجيـع فـلا تنـمْ فـي ظِلِّهـا
واحـذر كـلام عصابةٍ مـن عَجْـزها رضيـتْ لبـاسَ الإفتقـار وذلّهـا
تحتـجّ فـي تفضيلـه بـأَدلَّـةٍ جهِلَتْ حقائق شَرْطِهَا في نَقْلِها
إنْ كُنْتَ تَقْوى أنْ تقومَ بشـرطِهَا طُـوبـى وإلاّ خـلّ عنهـا لأهْلِهـا
فالفقرُ كاد يكونُ كُفْراً في الوَرَى قد قال ذلك فيه خاتمُ رسلهَا[2]
والنَّهـيُ عـن جمـعِ الحطـامِ محلّـه من ليس يقصد عند ذلك عَذْلَها
أمّا الذي ينوي الحلالَ لكي يَصُنْ عـن وجهـه ولكـي يمـنّ بفضْلِهـا
مـن غيـرِ مـا حـرصٍ وغيـرِ تكـاثـرٍ فثـوابـه متعيّـن فـاقصـدْ لَهـا

* * *

(١) قوله : « من رَجْلها » اي من رجالها . والرَّجْلة جمع رجال . « اللسان » (رجل) .
(٢) في (ط) « .. خاتم رُطلها » تحريف . وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني : (٢/١٠٧-١٠٨) .

سنة ثلاث وسبعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين توفي **الولي الصالح العابد الزاهد أحمد بن علوي**[1] **بن المعلم بن محمد بن علي جحدب بن عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علوي بن الشيخ الفقيه المقدم با علوي** نفع الله به ببلده تريم ، وكان يعد في حكم رجال الرسالة لشدة ورعه وتقشفه واستقامة طريقته ، روي ذلك عن الشيخ الولي عبد الرحمن بن عمر العمودي نفع الله به .

وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات لعله لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها ، ولم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان .

ومن كراماته : أنّه لمّا عزم بنية الحج في البحر رئي يشرب من مائه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أليس كلُّ أحدٍ يشربه؟ فأخذ بعضهم ما بقي في الإناء فشربه فإذا هو حلوٌ . وكُفَّ بصرُه آخر عمره ، وحصل عليه قريب انتقاله جذبةٌ من جذبات الحق اندهش بها عقله ، وتحير لبه ، وانغمر بها سره ، وأخذ عن نفسه ، فكان يقوم إلى الصلاة بطريق العادة وهو مأخوذ عن حسِّه ، وربما صلّى إلى غير القبلة ، وذلك لما استوى عليه من سلطان الحقيقة فتلاشت العبدية في كعبة العندية ، ونُودِي بفناء الفناء من عالم البقاء ، ورفعت القبلة وما بقي إلاّ الله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ومكث كذلك نحو أربعة أيام ، ومات رضي الله عنه . ولي فيه :

سـلامٌ مِـنَ الله علـى روحِ سيّـدي ... مغيثِ كلِّ ملهوفٍ ومكروبِ صفر اليدِ
أبا جحدب المشهور عوني وعمدتي ... شهـابٌ لـديـنِ اللهِ غـايـةُ مَقْصـدي

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٤٠) .

شبيهُ الفضيلِ بنِ عياض وأمثاله ... ومن كانَ في أسلوبه فرد مفْردِ
لقد حيّرَتْ أوصافُه كلَّ ناظرٍ ... وأزرى بالعبادِ في كلِّ مَشْهدِ
ومَن في أوامر ربّه كان أمةً ... فيا فَوْزَ من كان بآثارِهِ يَقْتَدي
فيا سيدي لا تنسني منك بنفْحَةٍ ... فليسَ بعدَ الله غيرك مُعْتَمَدي
وليس يخفى عليك مرادي سيّدي ... فحققْ رجائي وبرّد كَبدي
وقِرّ عيوناً لي وطيِّبْ خاطري ... وأسعفْ بما قد رمت منك وأسْعدِ
ألا يا أولياءَ اللهِ أجيبوا صارِخاً ... لبابكم يُهرع راج ومُجْتَدي
يريدُ أموراً أنتم أهلٌ لقضائها ... فقولوا حَبَيناه بالعزّ السرمدي

● وفيها : في ليلة الاثنين خامس عشر شوال توفي **العلامة الصَّالح الفقيه محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ علي بن الشيخ أبي بكر بتريم** ، وكان من العلماء العاملين والفقهاء البارعين ، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم سيما في الفقه والنحو ، وجاور بمكة لطلب العلم سنين . ومن محفوظاته : « الإرشاد » للمقري ، و« الألفية » في النحو . ومن مقروءاته : « المنهاج » ومقروءاته كثيرة . وكان متحلياً بالعبادة والنسك ، سالكاً على منهاج السّلف الصّالح ، مع السَّمتِ والصّلاح وحسن الأخلاق .

وبالجملة : فإنه كان وحيدَ عصرِهِ ، ولم يخلفه بعده مثله رحمه الله .

وللشيخ العلامة أبو السعادات الفاكهي فيه هذه المرثية وهي : [من الكامل][1]:

قلِقَ الفؤادُ وبالصُّدودِ يُروَّعُ ... والقلْبُ دأباً بالفِراقِ يُصدَّعُ
ألِفَ السّهاد مع الجفونِ مُجافياً ... للنَّومِ لا يدنو ولا يتوقّعُ
ما للهمومِ مع الغُمومِ تصاحبَتْ ... يوم النّوى وقتَ الجموع تجمَّعُ

---

(١) الأبيات الخمسة الأولى من البحر (الكامل) ثمَّ انتقل في سائر الأبيات إلى البحر (الطويل) .

تبـاً لشخـصٍ لا يـزالُ مُلَـذَّعـاً ... بـالنـارِ لا يهـدا ولا يتقلّـع
رغيـاً لأيّـامٍ مضَـتْ مـع سَـادةٍ ... كـانـت ليـالينـا بهـمْ تتلمّـعُ
لعَمْـرِي هـمُ القـاداتُ حقـاً وإنّهـمْ ... هُمُ الذّخرُ في الأخرى بهم نتشفّعُ
ولا غَزْوَ أن يشفوا عليلاً ويشفعوا ... وسيلتهـم جـدّ شفيـعٌ مشفَّـعُ
أسوّف نفسي بـالوصـالِ وبـاللقـا ... فيفجـأُنـي سَهْـمُ الفِصـال أُرَوَّعُ
فيا دهر كم تحرقْ وتغرقْ وتنتقي ... خيـاراً لنـا مـا آن أن تتـرجَّـعُ
صبـرت علـى حُلـو القضـاء ومـرّه ... وقـد عِيـلَ صبـري أختشـي أتجـزّعُ
وصـابـرت قلبـي عـلّ يظفـر بحبّـه ... فمـا راعـه إلاّ حِمـام مقطِّـعُ
فيـا ويـحَ نـاعٍ قـد أتـانـا مخبِّـراً ... بمـوت فقيـهٍ جـامـع ومجمِّـعُ
هـو السيّـدُ المفضـالُ حبْـرٌ وعـارفٌ ... هـو السَّنـدُ المطـوال رحْـبٌ مـوسَّـعُ
وأعني به بحراً من العِلْم جامعاً ... وبـرّاً رحيبـاً شـاسعـاً وممنَّـعُ
مقـدمُ سَـاداتٍ كبـار أئمـةٍ ... محـامـدُه تعلـو شيـوخـاً وركَّـعُ
كـذا حسـنٌ أصـلٌ لـه ثـمَّ حُسْنـه ... هو الحسن أصلاً ثم فرعاً مفرَّعُ
فبـالله يـا عينـي فجـودي بعنـدمٍ ... وبـالحـق يـا أجفـان للنـوم ودِّعُـوا
ويـا بـن حسـنْ منبـعَ العِلْـمِ والتُّقـى ... محـبٌّ لكـم أمسـى حـزينـاً مقطَّعُ
وذاك الفقيـرُ الفـاكهـيُّ عُبيـدكـمْ ... حيـاة لـه مـوت وقلـب مُلـذّعُ
لقد مات يا عالِم بموتك عالَمٌ ... وقـد ثُلِـمَ الـدّيـن القـويـم الممنَّـعُ
وقد نقَصَتْ أطراف أرضٍ لفقدكمْ ... فيـا ويـحَ قلـب بـالفـراق مجـذّعُ
فيـا ربّ يـا الله تحسـن عـزاءنـا ... وتعظـم لنـا أجـراً كثيـراً مـوسَّـعُ
وصلَّـى إلهـي ثـمّ سلّـمَ دائمـاً ... على المصطفى جدّ لشيخي مشفّعُ
وآل وصحـب ثـمّ زوج وتـابـع ... وحمْـدٌ لـربِّـي بـالختـام مـودّعُ

● وفيها : توفي الشهاب القباني الحادي الشهير ، وله اليد الطولى في علم الموسيقى ، وقد أرَّخ نقلته صلاح الدّين القرشي بقوله : [من مجزوء الكامل]

الأنس من بعْدِ الشهاب لقَدْ توفى شيخُهُ
والبسط قالَ لموتهِ القبض لي تاريخُهُ

● وفيها : عمَر القاضي حسين رحمه الله سبيلاً بأعلى مكة شرفها الله ، وأرّخ ذلك بعض الفضلاء فقال هذه الأبيات : [من الخفيف]:

عين هذا الزمان أنشا محلاً وسط رَوْضِ الجنانِ عاليَ مَكّهْ
فيه كرمٌ وروض أنس ووزْدٌ ومياهٌ كالبَحْرِ تحمل فُلْكَهْ
وقلال تجري بوسط سبيل سلسبيل لا يسع الناس تَرْكَهْ
هو بذْرُ العُلا حسين بن طه مالكي المكيّ سيد مكّهْ
المنى والأمان بين يديه فلكم معسر من العسر فكّهْ
جانا تاريخُ ما بناه مَليكي يملكُ المجدَ خَلّدَ اللهُ مُلْكَهْ

● وفيها : سافر الفقيه الفاضل محمد بن أفلح المكي من الهند إلى مكة في مركب الوزير الغخان ، فغرق المركب ومن فيه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وكان ابن أفلح فاضلاً بليغاً فصيحاً أديباً ذا ملح وحكايات واستحضار لبعض الروايات . اشتغل بالعلم قليلاً ، وكان له فهم بالغ ، وسمعت من أثق به يقول : إنّه لو اشتغل بقدر فهمه في العلم لكان وصل فيه إلى ما لم يصل إليه غيره ، إلاّ أنه كان يميل إلى اللهو والبطالات ، ويعجبه التماشي والاجتماعات ، رحمه الله تعالى .

والظاهر أن أصله من اليمن ، وربما أظن أنّه من زَبيد ، ومن ذرية الشيخ أفلح المشهور الذي هو من السَّبعة الذين من زارهم قُضِيت حاجته . وبلغني أنّه درسَ بالهند في الفقه ، وقرأ عليه جماعة منهم : الفقيه الصّالح علي بن صبر اليافعي مع أنه لم يكن فيه بذاك حتّى إنّ الفقيهَ محمدَ بنَ سراجِ الحضرمي حضر عندهم ذات يوم ، وكان الدَّرسُ في باب استقبال القبلة ، فتوقف ابن أفلح في حل مسألة ، وحلها ابن سراج المذكور .

ولابن أفلح أشعار فائقة إلا أنّي لم أظفر من مقطعاته بشيء . نعم له قصائد متعددة في والدي وأخي السيِّد أحمد وهي في غاية ما يكون من الفصاحة والبلاغة .

وكان في ذلك المركب المذكور الفقيه محمد الزَّبيدي فغرق أيضاً ، وكان هذا الفقيه محمد من أهل الفضل والأدب ، وكان شافعي المذهب ، وقيل : إنه كان محققاً في علم الأصول . وله نظمٌ حسنٌ ، ورأيت له قصائد في مدح والدي . وكان ماخوذاً في ذلك المركب حسن علوان المشهور ، فغرق[1] أيضاً رحمهم الله آمين .

* * *

---

(١) في (ط) : « فخرق » تحريف وصوابه في (م) .

سنة أربع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين توفي **الولي الصالح المجذوب عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي بمكة** ، وكان يوم موته مشهوداً ، وقبره بالشبيكة معروف يُزار . وكان من الأولياء العارفين والأئمة المقربين السَّالكين المجذوبين ، أولي الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة ، والمقامات العلية والأحوال السّنية ، انتشرت مناقبه وعمت مواهبه ، وفاضت على الخليقة أسراره ونفحاته ، ووسعت البرية بركاته . انتقل بأهله وولده إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي بها ، وكانت مدة إقامته بمكة المشرفة أربع عشرة سنة ، وكان له بها جاه عظيم في الأنام وقبول عند الخاص والعام .

وحكي عن السَّيد الشَّريف شهاب الدِّين بن عبد الرحمن خرد با علوي : أن الشّريف أحمد با رقبة كان يصحب الشّيخ أحمد بن حسين العيدروس ، والسيد أحمد بن علوي با جحدب ، والسَّيد عبد الله بن الفقيه الأسقع . وربما أنه كان يأمره بعضهم بضد ما يأمره به الآخر ، فشق ذلك عليه وتحيّر فيه ، فخرج إلى ضريح العيدروس وآلى على نفسه أنه لا يذهب من عنده حتّى يعلمه بأحوال الثلاثة ، وبمن يقتدي به منهم ، فنام ، فكلمه الشّيخ عبد الله العيدروس ، قال له : جئت تسأل عن أحوال الثلاثة؟ أما الشّيخ أحمد بن حسين فبحر الحقيقة ، وأما السيّد أحمد بن علوي فأفرده الله ، وأما عبد الله بن الفقيه فله نوبة تضرب في السّماء ونوبة تضرب في الأرض ، وشرب من كأس الحميا حتى روي ، أو كما قال .

● وفيها : **في رجب توفي الشَّيخ [الإمام شيخ][1] الإسلام خاتمة أهل الفتيا**

---

(١) ما بين الحاصرتين في (ط) .

والتدريس ، ناشر علوم الإمام محمد بن إدريس الحافظ شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي[1] السَّعدي الأنصاري بمكة ، ودفن بالمعلاة في تربة الطّبريين ، وكان بحراً في علم الفقه وتحقيقه لا تكدره الدِّلاء ، وإمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون وانعقدت عليه خناصر الملاء ، إمام اقتدت به الأئمة ، وهمام صار في إقليم الحجاز أمة .

مصنفاته في العصر آيةٌ يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون [وفتاويه في الدهر غاية يقصر عن بلوغ مداها العالمون][2] فهم عنها قاصرون ، وأبحاثه في المذهب كالطّراز المذهب طالَ ما طاب للواردين من منهل تدريسه صفاء المشرب ، وطال ما طاف حول كعبة مناسكه من الوافدين من يريد وفاء المأرب ، فوقع له قلم الباري في إرشاد المقري والقاري ، كواكب سيارة في منهاج سماء الساري يهتدي بها المهتدون تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] . واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشّمس والبدر . من أقسمت المشكلات أن لا تتضح إلا لديه ، وأكدت المعضلات أليتها أن لا تتجلى إلا عليه ، لا سيما وفي الحجاز عليها قد حجر ، ولا عجب فإنّه المسمى بابن حجر .

ولد في رجب سنة تسع وتسعمائة ، ومات أبوه وهو صغير ، فكفله الإمامان الكاملان علماً وعملاً : العارف بالله شمس الدّين بن أبي الحمائل ، وشمس الدّين الشّنّاوي ، ثم إنّ الشّمس الشّنّاوي . نقله من بلده محلة أبي

---

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (٣/ ١١١/ ١١٢) و« شذرات الذهب » (١٠/ ٥٤١ـ٥٤٣) و« معجم المؤلفين » (٢/ ١٥٢) و« الأعلام » (١/ ٢٣٤) ومقدمة التحقيق لكتاب « تحرير المقال في آداب وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » ص (١٣ـ١٥) تحقيق محمد سهيل الدّبس ، بإشراف محمود الأرناؤوط . وثمة خلاف في سنة وفاة المترجم له ، ففي « النور السافر » أنه توفي سنة (٩٧٤) وفي « شذرات الذهب » أنه توفي سنة (٩٧٣) ولعل مصدر الخلاف في ذلك ما ذكره الغزي في « الكواكب السائرة » من أن وفاته كانت في مكة عام (٩٧٣) هـ وأن الخبر بوفاته وصل إلى دمشق عام (٩٧٤) هـ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

الهيتم إلى مقام القطب الشّريف سيِّدي أحمد البدوي نفع الله به ، فقرأ هناك على عالمين به في مبادىء العلوم ، ثم نقله في سنة أربع وعشرين ، وهو في سن نحو أربع عشرة سنة إلى الجامع الأزهر مسلماً له إلى رجل صالح من تلامذة شيخه الشّنّاوي وابن أبي الحمائل ، فحفظه حفظاً بليغاً ، وجمعه بعلماء مصر في صغر سنه فأخذ عنهم ، وكان قد حفظ القرآن العظيم في صغره .

ومن مشايخه الذين أخذ عنهم : شيخ الإسلام القاضي زكريا الشافعي ، والشّيخ الإمام المعمر الزيني عبد الحي السّنباطي ، والشّيخ الإمام الفقيه مجلى النّفس الشّافعي ، والشّمس بن أبي الحمائل ، والشّمس الشّهدي[1] ، والشّمس السّمهودي ، وابن العزّ الباسطي ، والأمين الغمري ، والشِّهاب الرّملي الشّافعي ، والطّبلاوي الشّافعي ، والشّيخ الإمام أبي الحسن البكري الشّافعي ، والشّمس اللّقاني الضّيروطي ، والشّمس الطّهرائي ، والشّمس العبادي ، والشّمس البدوي ، والشّمس بن عبد القادر الفرضي ، والشّمس الدّلجي ، والشِّهاب النّطوي . والشّهاب الرّكسي ، والشّهاب بن عبد الحق السّنباطي ، والشِّهاب البُلقيني ، والشّهاب ابن الطّحان ، والشّهاب ابن النّجار الحنبلي ، والشّهاب بن الصّائغ رئيس الأطباء ، وأذن له بعضهم بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين . وبرع في علوم كثيرة من التفسير والحديث وعلم الكلام وأصول الفقه وفروعه والفرائض والحساب والنحو والصرف والمغاني والبيان والمنطق والتَّصوف .

ومن محفوظاته في الفقه : « المنهاج » للنَّووي ، ومقروءاته كثيرة لا يمكن تعدادها . وأما إجازات المشايخ له فكثيرة جداً ، وقد استوعبها رحمه الله في معجم مشايخه . وقدمَ إلى مكة في آخر سنة ثلاث وثلاثين فحجَّ وجاور بها في السّنة التي تليها ، ثم عاد إلى مصر ، ثم حجّ بعياله في آخر سنة سبع وثلاثين ، ثم حجَّ سنة أربعين ، وجاور من ذلك الوقت بمكةَ المشرفة ، وأقام بها يؤلف

---

(١) في « شذرات لذهب » (١٠/ ٥٤٢) « المشهدي » .

ويفتي ويدرس إلى أن توفي ، فكانت مدة إقامته بها ثلاث وثلاثون سنة ، وذكر رحمه الله في معجم مشايخه قال : كنْتُ بحمد الله ممن وقفت برهة من الزَّمان في أوائل العمر بإشارة مشايخ أرباب الأحوال وأعيان الأعيان لسماعِ الحديث من المسندين ، وقراءة ما تيسر من كتب هذا الفن على المفسرين ، وطلب الإجازة بأنواعها المقررة في هذا العلم الواسعة أرجاؤه الشاسعة أنحاؤه مع النّاس ، والملازمة في تحصيل العلوم الآلية والعلوم العقلية والقوانين الشرعية ولا سيما علم الفقه وأصله تفريعاً وتأصيلاً إلى أن فتح الكريم من تلك الأبواب ما فتح ووهب ما وهب ومنح وتفضل بما لم يكن في الحساب ومراعاة نتيجة الاكتساب ، حتى أجازني أكابرُ أساتذتي بإقراء تلك العلوم وإفادتها ، وبالتّصدي لتحرير المشكلة منها بالتقرير والكتاب وإشارتها ، ثم بالإفتاء والتدريس على مذهب الإمام المطلبي الشافعي ابن إدريس رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه ، ثم بالتَّصنيف والتأليف وكتبت من المتون والشّروح ما تغني رؤيته عن الإطناب في مدحه والإعلام بشرحه ، كلُّ ذلك وسني دون العشرين بحلول نظر جماعة عليٍّ من العارفين أولي التصرف والشّهود والتمكين وأرباب الإمداد الوافر وكنوز الإسعاف والإسعاد الباهر .

ثم جرَّدْتُ صارم[1] عزمي وأرهفت حد فهمي في خدمة السُّنة المطهرة بإقراء علومها وإفادة مرسومها المستكتمة ، ولا سيما بعد الإتيان إلى حرم الله تعالى واستيطان بلده والتفرغ لإسماع المقيمين والواردين حيازة لنشْرِ العلم والفوز بعلاه ومدده صادعاً[2] فوق رؤوس الأشهاد ، ليعلم الحاضر والباد أن من يَبغِ نفسه لمولاها يقطعها عن سائر الأغراض إلى حيازة العلوم وأولاها التي آل التغافل[3] عنها إلى اندراسها ، والتَّشاغل بالحظوظ الفانية إلى تزلزل

---

(١) في (ط) : « صارف » .
(٢) في (م) : « صار » تحريف ، وصوابه في (ط) .
(٣) في (ط) : « التغفل » .

قواعدها وأساسها ، منادياً في كلِّ مجمع وناد وسمر عداد : عباد الله هلموا إلى شرف الدنيا والآخرة ، فإنّه لا طريقَ أقرب في الوصول إلى الله من العلوم الشرعية المنزهة من أن يشوبها أدنى شوب من المطامع الدنيوية ، ومن ثم قال أئمة الفقه والعرفان ، كالإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان : إن لم تكن العلماءُ أولياءَ فليس لله وليٌّ في زمن من الأزمان ، لكنهم لم يريدوا صور العلوم بل حقائق تطهير القلوب ، ثم ملأها من معارف القوم دون شقاشق أهل الرسوم ، وكما أنّ للصوفية سياحات لا بد منها كذلك لأئمة السُّنة رحلات لا يستغني أكثرهم عنها ، وشتان ما بينهما شتان . لأن نفع تلك قاصر على أهلها ، وهذه عامة النفع والإحسان ، ولذا دعا لهم ﷺ بأعظمِ دعوة وحباهم عن غيرهم بأفضل حبوة فقال : « نَضّر : الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها »[1] ، ومع هذا العلو الشّامخ والشّرف الرّاسخ تقهقر الزّمان فركدت الهمم ولا سيما عن هذا العلم العلي الشّأن ، حتى كاد أن يكون نسياً منسياً وأن يعدما كان أمره ظاهراً فعاد خفياً ، ولهذا كان النّاس بعد أن فقدت الرّحلة في طلبِ الإسناد إلى شاسع الأقطار يطلبون الإجازة بالاستدعاء بالكتابة من الأساتذة البعداء الدّيار ، وأما الآن فقد زال ذلك التقاحم في طلبه ، ونسي هذا التزاحم في نيل رتبه ، وتقاعدت عنه الهمم إلى الغاية ، فأخلدت إلى أرض شهواتها عن طلب الدراية والرواية ، وذهب المسندون الجلة ومن كانت تزدهي بوجودهم الملة : [من الطويل]:

كأنْ لم يكنْ بين الحجونِ إلى الصّفا   أنيسٌ ولم يسْمرْ بمكّةَ سامِرُ[2]

لكنْ بحمد الله تعالى قد بقي من آثارهم بقايا ، وفي زوايا الزمان ممن تحمل عنهم خبايا ، وأنا أرجو أن أكون إن شاء الله من متبعيهم بحق ، ووارثيهم

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٥٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وله روايات أخرى من حديث زيد بن ثابت ، وأنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، رضي الله عنهم ، وهو حديث صحيح .

(٢) البيت لمضّاض بن عمرو الجرهمي ، كما في « معجم البلدان » ٢/ ٢٢٥ (الحجون) .

بصدق ، لأنّي أخذته رواية وأتقنته دراية عن الأئمة المسندين ممن يضيق المقام عن استيعابهم ، ويجب الاقتصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم ، شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشّافعي ، ثم شيخنا الزّيني عبد الحق السّنباطي ، ثم شيخ مشايخنا بالإجازة [الخاصة ، وشيخنا بالإجازة][1] العامة ، لأنه أجاز لمن أدرك حياته ، وإنّي وِلِدْتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين ، فكنْتُ ممن شملته إجازته واشتملته عنايته ، حافظ عصره باتفاق أهل مصره الجلال السُّيوطي . انتهى .

ومن مؤلفاته « شرح المشكاة » نحو الربع ، و« شرح المنهاج » للإمام النووي في مجلدين ضخمين ، وشرحين على « الإرشاد » للمقري كبير ، وهو المسمى « بالإمداد » والصغير وهو المسمى « فتح الجواد » ، و« شرح الهمزية البوصيرية » وشرح الأربعين النووية و« الصواعق المحرقة في الرَّدِّ على أهل البدع والضّلال والزّندقة » و« كفّ الرُّعاع عن محرمات اللّهو والسّماع » و« الزّواجر عن اقتراف الكبائر » ، و« نصيحة الملوك » ، و« شرح مختصر الفقيه » عبد الله با فضل الحاج المسمى « المنهج القويم في مسائل التعليم » ، و« الأحكام في قواطع الإسلام » و« شرح العباب » المسمى « بالإيعاب » ، و« تحذير الثقات عن أكل الكفته والقات » وشرح قطعة صالحة من « ألفية ابن مالك » ، و« شرح مختصر أبي الحسن البكري » في الفقه ، و« شرح مختصر الرّوض » والأخير لم يتم ، وحاشية غير تامة على « شرح المنهاج » ، وحاشية على « العباب » ، واختصر « الإيضاح » و« الإرشاد » و« الروض » والأخير لم يتم ، « ومناقب أبي حنيفة » ، ومؤلف في الأصلين والتَّصوف ، ومنظومة في أصول الدِّين ، وشرح « عين العلم » في التصوف لم يتم .

والهيتمي : نسبة إلى محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر ، والسّعدي نسبة إلى بني سعد بإقليم الشّرقية من إقليم مصر أيضاً ، ومسكنه بالشرقية ، لكن انتقل إلى محلة أبي الهيتم في الغربية .

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) فقط .

وأما شهرته بابن حجر فقيل : إنّ أحد أجداده كان ملازماً للصمت لا يتكلم إلاّ عن ضرورة أو حاجة فشبهوه بحجر ملقى لا ينطق فقالوا حجر ، ثم اشتهر بذلك . وقد اشتهر بهذا اللقب أيضاً شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، وكاد صاحب التّرجمة يشبهه في فنه الّذي اشتُهر به وهو الحديث مع ما منحه الله به من الزِّيادة عليه من علم الفقه الّذي لم يشتهر به الحافظ العسقلاني هذا الاشتهار كيف وهو سميه ، فأشبهه اسماً ووصفاً ، وزادته نسبته إلى جوار الحرم الشريف شرفاً . وقد كنت نثرت فيه قديماً مشيراً إلى هذا الاسم الشريف فقلت : ابن حجر في البشر كالياقوت في الحجر ، يشاركها في الاسم ويفارقها في الوسم .

وللشّيخ العلامة عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي فيه شعر : [من البسيط]:

منك المعارفُ فاضَتْ عَذبةً ولكمْ ... عذباً زُلالاً فاضَ من حَجَرِ[1]

ولصاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه الصّالح محمد با جابر : [من الكامل]:

قد قِيلَ من حجر أصم تفجّرَتْ ... للخلْقِ بالنصِّ الجلي أنْهارُ

وتفجّرت يا معشرَ العلماء من ... حَجَرِ العُلوم فبَحرها زَخّارُ

أكرم به قُطْباً محيطاً بالعُلا ... ورحاؤه حقاً عليه تُدَارُ

● وفيها : توفي السّلطان الأعظم سليمان بن سليم سلطان العثمانيين[2] ، وكان عادلاً فاضلاً . وللأديب مامية الانقشاري في تاريخ وفاته شعر :

انتقلَ العادلُ من دُنْيَتِه ... جاوَرَ الرحمن والمولى الرّحيم

قالتِ الأقطابُ في تاريخه ... « مات سليمانُ بن سلطان سَليم »

وله فيه مرثية أجاد فيها كل الإجادة منها هذه الأبيات : [من الطويل]:

---

(١) كذا رواية هذا الشطر في (م) و(ط) وهو مختل الوزن .

(٢) الكلمة في (م) : « الروم » وما أثبتناه في (ط) . وانظر ترجمته في « العقد المنظوم » ص(٣٧٥ـ٣٨١) و« شذرات الذهب » (١٠/٥٤٩ـ٥٥١) و« تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص(١٩٨ـ٢٥١) .

لقـد جـدّدَ البيـتُ العتيـقُ حـدادَه وقد وشّحَتْ طُرْزَ السَّوادِ المحامل[1]

كـأنَّ بني العبـاس سَنّتْ سوادَهـا عليـه وبـالأعـلام قـاسَـتْ دلائـلُ

وكان عمادَ الدّينِ في كلِّ حادثٍ وسلطـانُـه بـالنّصْرِ للشّرعِ حـافِـلُ

وما كان عِلمي قبل فقد سما العُلا بـأنَّ الثّـرى للنّيـريـنِ مَنـازِلُ

على عـدِّ حـم حمى مُلكهُ حمى وعـن قـولـه كـم قـالَ راوٍ ونـاقـلُ

وجثّتـه فـي الأرضِ أضحـتْ دفينـةً ومن شأنها تحوي الكنوزَ الجَنادلُ

بسبـعِ أقـاليـمِ بكـى النـاس واحـداً على السّبع يطوي في الوغى وهو حائلُ

فصبري وغفو العينِ سارٍ وسارحٌ ودمعي على الخدّين هامٍ وهاملُ

فكم حيٍّ قلبٍ قد تقلّب في الغَضا عليـه وكـم عَقـلٍ غـدا وهـو ذاهِـلُ

وكم أنفقَ الأموالَ في الغَزْو قائلاً ألا فـي سبيـلِ الله مـا أنـا فـاعِـلُ

شيـاطيـنُ أهـلِ الكُفـرِ ولّـتْ لأنّهـا سليمان وافى وهو للشّرك خاذِلُ[2]

غزاهُم بعزمٍ كالشّهاب[3] وقد سَما ومـن حـولـه عـدّ النُّجـومِ جَحـافِـلُ

أسودٌ لها كهف[4] الدّروع مواطِنٌ وغـابتُهـا سُمْـرُ القَنـا والعـوامِـلُ

وهي طويلة وأولها :

لَعَمْـرك مـا الأعمـارُ إلا مـراحـلُ وفيهـا مـرورُ الحـادثـاتِ مَنـاهِـلُ

ولحسنها ذكرت منها هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى بعض مآثره رحمه الله ، ولولا خشية التطويل لأتيت بها جميعها ، فإن قاعدتنا في هذا التاريخ البسط في ترجمة العلماء والصلحاء دون غيرهم من السلاطين ونحوهم .

وحكي أنه لما مات السلطان سليم ، وتولى ولده سليمان سمع قائلاً

---

(١) في (ط) : « ... المحامد » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (م) : « ... وهي للشرك خاذل » وما أثبتناه في (ط) وهو المناسب للسياق .

(٣) في (ط) : « ... كالشهام .. » تحريف .

(٤) في (ط) : « .. لهف .. » تحريف .

يقول : [من السريع]:

قُــلْ لشيــاطيــنِ البُغــاةِ اخْسَــأوا   قــد أوتــيَ المُلْــكَ سليمــانُ

ولاميةَ الانقشاري أيضاً هذان البيتان : [من الرمل]:

لــو يقــاسـي قيسُ مــا قــاسيتـه   لَشَكــى للنّــاسِ ضــرّ الضُّــرّتيــنِ
ذاك مجنــونٌ بليلــى وحْــدَهــا   وأنــا المجنــونُ بيــن الليْلتيــنِ

قال بعض الفضلاء وقد وقف عليهما : عجب من رومي هذه الفصاحة .

قلت : ومثله أن الخليفة النّاصر لدين الله لما سمع هذين البيتين : [من الطويل]:

إذا مــا رآنــي العــاذلــون وغــرّدت   حمــائــمُ دَوْحٍ أيقظتهــا النّســائــمُ
يقــولــون مجنــونٌ جَفَتْــه سَــلاســلٌ   وممســوسُ حــيٍّ فــارقَتْــهُ التّمــائــمُ

وهما لتاج الطَّرمي[1] الأصفهاني تعجب من ذلك وقال : ما ظننت أنَّ أحداً من العجم يصل كلامه إلى هذا الحد ، وبعث إليه بخلعة .

وكان الشاعر مامية الانقشاري المذكور حج في سنة خمس وستين وتسعمائة ، وحصل له قبول عظيم ، وطارح أدباء مكة بأشعاره .

قال الشَّيخ عبد الرَّؤوف بن يحيى الواعظ تلميذ الشَّيخِ ابن حجر الهيتمي في وصفه : إنّه ممن توحَّد في عصره بصناعة الشِّعر وبرع في الصّناعتين في الغزل والنّسيب ، وكاد أن يكون ثاني الحاجري في الرِّقة والتّشبيب .

ومن شعره أيضاً في القهوة ، وهو تشبيه حسن : [من الخفيف]:

طــافَ يَسْعــى بقهــوةٍ فــي مَقَــامٍ   شمــسُ حُسْــنٍ سَمــا بصُبــح المحيّــا
كــأسُهــا البــدرُ والحَبــابُ نُجــومٌ   وهــي ليــلٌ تُجْلــى بكــفِّ الثُّــريّــا

ومنه : [من الخفيف]:

قــد شَــرِبنــا قهــوة بنيّــةً   ولهــا شــربنــا غــداً بــالنيّــهْ
لــونُهــا قــد حَكــى أذايــبَ مِسْــكٍ   أو زبــاد وســط الــزّبــاد الجليّــهْ

---

(١) في (ط) : « الطرقي » وما أثبتناه في (م) .

ومنه : [من الوافر]:

أتَتْنـا قهـوةٌ مـن قشْـر بـنٍّ ... تُعيـنَ علـى العبـادة للعبـادِ
حكَتْ في كفِّ أهل اللُّطفِ صِرْفاً ... زبـاداً ذائبـاً وسـطَ الـزّبـادِي

ومنه أيضاً على لسانها : [من مجزوء الوافر]:

أنـا المعشـوقـةُ السّمـرا ... ء أُجلـى فـي الفنـاجيـنِ
وعُـودُ الهِنْـدِ لـي عِطْـرٌ ... وذكـري شـاعَ فـي الصّيـنِ

ومنه أيضاً [من السريع]:

مـا زلـتُ أبكـي جيـرةَ الأجْـرعِ ... حتّـى استغـاثَ الغيـثُ مـن أدمعـي
وددتُ [من][1] توديعَ أهل اللّوى ... يـوم النّـوى لـو أنّ قلبـي معـي
يـابيْـنُ مـا شئـتَ امتحـنْ إنّنـي ... لـولا فـراقُ الجـزع لـم أجـزعِ
قـد مسّنـي ذكـر عبيـرِ الحمـى ... حتّـى لقـد مـسّ معـي مَسْمعـي
وانقطـعَ الصّبـر وضـاعَ القِـوى ... لكنمـا مـدّ معـي مَـدْمَعـي
يـا حـادي البَيْـنِ تـراءى الحِمـا ... فلعلـع الأصـوات فـي لَعْلَعـي
لـم أدرِ هـل صُبْـحٌ بـدا بـالسّنـا ... أم أسْفَـرتْ ليلـى عـن البُـرْقـعِ

ومنه : [من البسيط]:

سَبـا العقـول بصـادٍ جـلّ فـاطـرهُ ... وصـادَ قلـب المعنَّـى وهـو فـاطِـرُهُ
غـزالُ رَبْـرب بغـزلِ الجَفـنِ غـازلنـا ... وقـد غَـزانـي ببيـضِ السّـودِ نـاظِـرُهُ
فـريـدُ وصْـفٍ تثنـى قـدّه هيفـاً ... وماسَ تِيهاً على الأغصانِ ناضِرُهُ
[إن صـال بـاعينـه أسْـدٌ فـرائسـه ... أو مالَ مايسه فالقلبُ طائِرُهُ][2]
نبـيُّ حُسْـنٍ بـدت أنـوارُ طَلْعَتِـهِ ... تهـدي الّـذي قـد أضلّتـه غـدائِـرُهُ
مـا مثلـه بشـرٌ فـي ثَغْـره دُرَرٌ ... فـي طَـرْفه حَـوَرٌ هـاروت سـاحِـرُهُ

---

(١) سقطت من (م) .
(٢) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

لم أنسَ حين وَفا والوقت فيه صَفا ... والصَّبّ بعد جفا قد سرّ خاطرُهُ
والهــمُّ منفــرجٌ والقلــبُ منبلــجٌ ... والــرّوضُ مبتهــجٌ تــزهــو أزاهِــرُهُ
وبـاتَ ينشـدنـي والكـأس فـي يـدهِ ... « باكر[1] صَبوحك أهنا العيشِ باكِرُهُ »

ومنه : [من الكامل]:

كـلُّ الـوجـودِ تجليـات جمـالـهِ ... لكــنْ بــدا متحجّبـاً بجــلالِــهِ
نــورٌ ولا شــيء سِــواه وإنّهــم ... ظنّـوا السّـوى لتشكُّـلات خيـالِـهِ
لا تشهــدنّ النّقــصَ لــو فــي ذرّة ... فجميع ما في الكونِ فيضُ كمالهِ
وإذا رأى الإنســانُ نَقْصــاً إنّمــا ... مــرآتــه تُجْلــى عليــه بحــالــهِ
فـاطلـب ولـو أفنيـتَ عمـرَك طـالبـاً ... فعســاكَ أنْ تحظـى بكنـزِ وِصـالِـهِ

ومنه : [من الخفيف]:

زمـن الـوردِ روح جسـم الـزَّمـانِ ... وحيــاة النُّفــوسِ نبــت الــزّمــانِ
فــدعــانــي وأَودعــانــي بحـانٍ[2] ... والقيــانــي بيــن القنــان القِيــانِ
كــلّ حــوراءَ تفتــنُ الحــورَ حسنــاً ... وجمــالاً تــزهــو علــى الــوِلــدانِ
بــدرُ تــمٍّ يــديــرُ هــنَّ نجــومٌ ... في هلالِ الكؤوسِ شمس الدِّنانِ
فـي رياضٍ أرضـى الغمـامُ ثَـراهـا ... فتــراهــا قــد زُخْــرِفــت كــالجنــانِ
سيّمــا والــرَّبيــع حيًّــا فــأحيــا ... مَيِّــتَ الأرضِ بــالحَيــا الهتّــان[3]
وبــــذرّ السّحــــاب منثــــورُ درٍّ ... نظمتْــــهُ مبــــاســــمُ الأقحــــوانِ
وتغنّــت بــلابــلُ الــدّوحِ لمّــا ... أن تجلّــت عــرائــس الأغصــانِ
فتبــاهــت وشقّــتِ الأرض شَقّــاً ... وجَــلا الغصــن وردة كــالــدّهــانِ
مــا أحَيْلــى الصّبــوحَ بيــن صبــاح ... فــي صبــاح أتــى ببشــرى التَّهــانــي

---

(١) في (ط) : « بذكر . . . » تصحيف .
(٢) في (ط) : « . . وأودعاني بحسان » تحريف .
(٣) في (ط) : « . . . الفتّان » وما أثبتناه في (م) .

فـــي ريـــاضٍ تجننـــت فلهـــذا سلسلتهـــا ســـلاســـل الغـــدرانِ
فـــاغتنـــمْ فـــرصـــةَ الـــزّمـــان وبـــادِرْ قبـل أن تـدورَ نـوائـب الحَـدَثـانِ[1]
ولعَمْـــري مـــا العمـــرُ إلا زمـــانٌ قـــد مضـــى بـالمُنـــى وغـــرٍّ الأمـــانـــي

ومنه مورياً بالنَّغمات : [من الكامل]:

ركِبَ الحجاز نوى صعيد عِراقها فـأثـار نـارَ الشَّـوقِ مـن عُشّـاقِهـا
لمّـا سَـرى ليـلاً بسلمـى قـاصـداً أهـداه نـارٌ ضـاءَ مـن إشـراقِهـا
شمـسٌ إذا رفعَـتْ سحـابَ ردائهـا أبـدت لنـا القمـريـن مـن أطـواقِهـا
عجبـاً لعينـيْ كيـف أغـرقهـا البُكـا وجـوانحـي تشكـو لَظـى إحْـراقِهـا
مـا عَلَّـمَ القمـري ينـوحُ بشجْـوهِ إلاّ جـريـحٌ أنَّ مِـنْ أشـواقِهـا

ومنه هذا التخميس : [من الوافر]:

حبيبـي زارَ فـي روضٍ نـزيـهِ
وجـادَ بـرؤيـة الـوجْـه الـوجيـهِ
وحيـنَ سكـرْتُ بـالأشجـانِ فِيـهِ
سقـانـي خمـرة مـن ريـق فِيـهِ وحيَّـا بـالعـذار ومـا يليـهِ
وأنْعـم لـي بـوصـلٍ بعـد صـدٍّ
وقـرَّبنـي إليـه بعـد بُعْـدي
وبـتُّ وجيـده مـن فـوق زنْـدي
وبـات معـانقـي خـدّاً بخـدٍّ غـزالٌ فـي الأنـام بـلا شبيـهِ
وأمسى الدهر طوعاً في يديْنا
وعيـنُ السّعـدِ نـاظـرةٌ إلينـا
وبـاتَـتْ شمسُنَـا تُجْلـى لـديْنـا
وبـاتَ البـدرُ مطَّلِعـاً علينـا سَلُـوه لا ينـمّ علـى أخيـهِ

---

(١) كذا الشطر الثاني ، وهو مختل الوزن.

ومنه هذا التخميس على البيتين المشهورين : [من الوافر]:

ألا طـاعـات نفسـك فـاجتنبْهـا

وسـاعـات الأمـانـي فـارتقبْهـا

وزبـــدة منحـــة أن تحتلبْهـــا

إذا درّتْ نيـــاقـــك فـــاحتلبْهـــا   فمـا تـدري الفَصيـلُ لمـن يكـون

تحـذّر مـن أمـورِك واحتكمْهـا

ومِـنْ دنْيَـاكَ فـاقطـع واتَّهمْهـا

وسفن الصّبر فاركب واستلمْها

فـإنْ هبّـت ريـاحُـك فـاغتنمهـا   فـإن لكـلِّ خـافِقـةٍ سُكـونُ

ومنه هذا التخميس أيضاً [من البسيط]:

يـا مَـنْ يـرومُ مـن الإنسـان رُفقتـهْ   ويـرتجـي مـن أهيـل الـودِّ صُحْبَتَـهُ

قد قالَ قبلك من عانى عَشيرتَهُ

مـا فـي زمـانـك مـن تصفـو مَـودّتُـهُ   ولا صديق إذا خان الزَّمان وَفا(١)

فلا تعاشرْ فتىً يرميك في نَكَدِ

وإن رآكَ بخيـرٍ مـات مـن كَمَـدِ

فما خلا جسدٌ في الدّهر من حَسد

فعـش وحيـداً ولا تـركـن إلـى أحـدِ   إنّـي نصحتـك فيمـا قلتـه وكَفَـا

● وفيها : في رجب ختم « صحيح البخاري » عند الأمير الصَّالح الفخان الحبشي بقراءة العلامة القاضي جمال الدِّين محمد المهايمي وعمل الفخان لختمه ضيافة عظيمة ، وأنشأ القاضي المهايمي في فضل البخاري خطبة ، وذكر في آخرها : الفخان قرأها ذلك اليوم على رؤوس الأشهاد .

---

(١) في (ط) : « ما في زمانك تصفو. . . » بإسقاط « من » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

● وفيها : سافر والدي من بروَج إلى أحمد آباد ، وأقام بها إلى أن توفي ، وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً ، وخرج لاستقباله منها من كان بها من الوزراء .

● وفيها : صنع الأستاذ شيخ الإسلام جمال الدِّين محمد بن الأستاذ شيخ الإسلام أبي الحسن البكري ضيافة عظيمة لتطهير أولاده الكرام ، واتفق في ذلك الوقت إتمام دار عمرها الأستاذ أيضاً ، فأنشأ الأديب البارع إبراهيم بن المبلط المصري في ذلك قصيدة بديعة في بابها ، فائقة بين أترابها ، مشتملة على المعاني الغريبة ، وما وقع في ذلك من الأمور العجيبة ، مع رقّة الانسجام والجناس التّام : [من الخفيف]:

وافقَ السّعدُ في حماك السُّرورا ... وأمان الزّمان أرخى السُّتورا
فتمتّع ونَم وقُم في قصورٍ ... لم يَصِلْ واحدٌ إليها قُصُورا
إنْ رآها الحسودُ يوماً بعينٍ ... ينقلبْ طَرْفه إليه حَسيرا
إنَّ ربّ السَّماء أعطاك فيها ... فرحاً عاطفاً عليه سُرورا
ودحَى عنك حادثاتِ اللّيالي ... وبنى بينها وبينك سُورا
لا تخفْ إن سمعت طارق ليلٍ ... فهو بالخير قد أتاك بَشيرا
ما لهذا البِناء في الحُسْنِ واللّطْـ ... ـفِ وإن كانَ واسعاً وَكَبيرا
أسَّسوهُ على التّقى فلهذا ... هو بالخير لم يزلْ مَعْمُورا
شكر الله سَعْي من قَد بناه ... إنّه كان سعيُه مَشْكورا
ستوفّى لك الأجور بما وفَّـ ... ـيتَ للصّانعين فيه الأجورا
فبإتمامه أقم في هناء ... وبختنِ البنين عِش مَسْرورا
قُطِعَتْ سرّةٌ لهم قبلَ هذا ... لكنِ الآن طُهِّروا تَطْهيرا
وسيأتي زَواجهم عن قريبٍ ... فتأهبْ له وأعط المُهُورا
صاحبيّ احضرا وليمةَ ختنٍ ... ودعا عنكما محالاً وزورا[1]

---

(١) في (ط) : « . . . وسرورا » تحريف لا يستقيم به المعنى ، وصوابه في (م) .

وانظـرا مجْمعـاً لهـم ضـمّ خلقـاً ... ليـس يحصـى أعـدادهـم تكثيـرا
عـالمـاً صـالحـاً أميـراً كبيـراً ... قـاضيـاً شـاهـداً غنيّـاً فَقيـرا
فيقـول الفقيـه عنّـي استنيبـوا ... فـي جهـاتـي وعطّلـوهـا شغـورا[1]
فجهـاتـي مشغـولـةٌ عـن جهـاتـي ... ولـي العُـذْر إن تـركـت الحُضـورا
والأصـولـيُّ قـائـلٌ بـي اضطـرار ... وتبيـح الضـرورة المحظـورا[2]
ويقـولُ الخطيـبُ للنّـاس جَهـراً ... يـا أولـي الجـدّ شمّـروا تَشْميـرا
ويقـول القـاضـي ولـلأكـل يـومـي ... « كان ذلك في الكتابِ مَسطورا »[3]
قـد دَعـانـي ولـيُّ أمـري وعنـدي ... يستحـقُّ المخـالـف التعـزيـرا
وتقـولُ الشُّهـود جئنـا نـؤدي ... مـا علينـا ونَتـركُ التّـأخيـرا
وتقـولُ القـراء عنـوان خيْـرٍ ... نحـن فـي رِزْقنـا نـرى التّيسيـرا
ويقـولُ المجيـدُ علْـمَ لغـاتٍ ... بـل لجـوعـان تعـرفـونَ نظيـرا
والعـروضـيُّ لا يُقَطِّـع إلاّ ... فـي لحـومٍ ولـم يُقطِّـعْ بُحـورا
وأخـو النّحـو قـد عـلاه اختـلاطٌ ... فهـو يُبْـدي ضميـره المَسْتُـورا
ويجـرّ المنصـوب مـن غيـر سـوغ ... ثـمّ مـن بعـدُ يـرفـعُ المجْـرورا
جملـة الأمـر أنّهـم أبصـروا مـا ... حيّـر العقـلَ منهـمُ تَحْيِيْـرا
رقّ قلبـي علـى رغيـف سبـوط[4] ... حيـن أبصـرت قلبـه مَكسـورا
وقِبـابُ الحَلـوى التـي عـرضـوهـا ... عـن جمـوع السّـلامـة التّكسيـرا
والعـزيـزي مـن أيـاد طِـوال ... خـاف فـازداد لـونـه تَصْفيـرا
ولَكَـم فـي السّمـاط رأسٌ سميـط ... وسليـخ قـد استـوت تخميـرا[5]

---

(١) في (ط) : « . . . شهورا » .
(٢) في (ط) : « . . . المحضورا » تصحيف .
(٣) في (م) : « . . . لي مسطورا » والشطر في الحالين لا يستقيم وزنه .
(٤) في (ط) : « . . . سيواط » تحريف ، وصوابه في (م) .
(٥) سَمِيط ، من سَمَط الجديَ والحَمَلَ يَسْمِطُه ، فهو مسموط وسَمِيط : نتف عنه الصوف ، ونظفه من الشعر بالماء الحار ليشويه « اللسان » (سمط) .

ودجـــاجٌ معلـــوفـــةٌ وأوزٌّ كانَ منها الصُّدورُ تشفي الصّدورا
جمـع الطيّبـات طـولاً وعـرضـاً ولعمـري يستـوجـبُ التّصـديـرا
شبـعَ النّـاسُ كلّهـم منـه أكـلاً وانتهـابـاً ولـم يـزل مَنْثـورا
والـذيـن اعتنـوا بنقـلِ قـراهـم[1] ينقلـون الصّحيـحَ والمشهـورا
رضـي الله فيـه عـن نقبـاء قـد أجـادوا التصريـفَ والتّـدبيـرا
فـإذا أبصـروا بـأيـدي نـاهيـ ـبـهِ[2] لـم يظهـروا لـه تـأثيـرا
وإذا قـال قـائـلٌ لنقيـبٍ مـا تـراهـم يقـول كـنْ ستّيـرا
إن هـذا رزقٌ حـلال مبـاحٌ وأرى منعـه لهـم مَحْظـورا
فجميـعُ الأنـام راضـون عنهـم شـاكـرو الفَضْـلِ غيبـة وحُضـورا
كـم ألـوفٍ مـن فضّـة وكـذا مـن ذَهَـبٍ قُـدِّرت لـه تَقـديـرا
لـم يكـنْ درهـم ولا دينـارٌ مُسْتَعـداً لهـم ولا مَضْـرورا
بـل مِـن الله قـد أتـت وبحمـد أنفقت في الهنا وعادت حبورا[3]
ولكـم أوقـدت مصـابيـح نـورٍ فيـه حتـى بـدا الصّبـاح مُنيـرا
تشبـه النجـم كثـرةً وارتفـاعـاً وضيـاء علـى الأنـام ونُـورا
فـي ليـالٍ بـدا بهـا قمـرُ الأفـ ـق منيـراً فـزادهـا تَنْـويـرا
وشمـوع كـأنّهـا ألفـات في طُروس الظّلام خطّت سُطورا
كلمـا مـسّ نـوره الـريـح أمسـى كلسـانٍ بيـن الشّفـاه أديـرا
والحـراقـات فـي المـراكـب تـرمـي شَـرَراً مـن قـراضـة مُستطيـرا
صنعـة الكيميـاء فـي الـرّفـع والخفـ ـض تـريـنـا التّصعيـد والتّقطيـرا
كمـروق السِّهـام دفعـاً ورفعـاً وبـروقِ السَّمـاء لاحـتْ ظُهـورا
أو كمـا فـرَّ طـائـر ملّ حَبسـاً فعـلا شـاهقـاً وجـاوز سُـورا

---

(١) في (م) : « . . . بنقد قراهم » .
(٢) في (ط) : « نابصية » .
(٣) في (ط) : « أجورا » .

أو كحلي في رأسه شربوش[1] ... قد تبدّا مقرعاً مَنْشورا

أو كما قرّطت سلاسل درٍّ ... وبدا حَبُّ عِقْدها مَنْثورا

أو كما تبذر الحبوب لزرعٍ ... أو كما تنفخ الشّفاة القُشُورا

أو كخشخاشةٍ بكفٍّ صغيرٍ ... لم يُجد أكلها فصبّ البُزورا

أو كما تنثرُ النّقود نقوطاً ... أو كما تخرج الرّياض زُهوراً

ولكم فُصِّلَتْ ثيابُ حريرٍ ... وغدا في اختلافها الأمر شُورا

ولكم أُطلِقَتْ صنوفُ بَخُورٍ ... وشمَمْنا نشراً لها وعَبيرا

ولكم سكَّر نقي مذاب ... في الأواني مكرراً تكريرا[2]

وترى النَّقلَ والفواكه والحلـ ... ـوى لجمع الوَرى أعدَّت فُطورا

ولكم قد أدير قهوة بنٍّ ... وسُقِينا منها شَراباً طَهورا

من تعاطى منها شهاراً جهاراً ... لا يرى في الورى عليه نكيرا

وخيامٍ منصوبة لا يرى مَنْ ... حلّ فيها شمساً ولا زَمْهَريرا

وتولى فينا مليك جديد ... دام فينا مؤيداً مَنْصورا

وله بالحليّ زيّنت الدّنـ ... ـيا وأثرت ملابساً وسُتورا

إن أردت اللّحاظَ تلقَ حريراً ... أو أردتَ لجلوس تلْقَ سريرا

واكتسى الرّوض من بدائع صَنعا ... ء موشى محبّراً تحبيرا

واكتست قُضبه من الخلع الخضـ ... ـر التي فضلُها غدا مجرورا

وأجادت رقصاً بأكمام زهرٍ ... عطّر الكون نشرها تَعْطيرا

وفصاح الطيور غنّت بلحنٍ ... وأجاب المطوّق الشّحرورا

ولجمعِ الأتراكِ يوم عظيم ... كان يحوي الأمير والمأمورا

والأغاوات والصناجق إلا ... صاحب السّعد ما استطاع الحضورا

ودعا السّادةَ البنين وأعطا ... هم من المال مبلغاً مَضْرورا

---

(١) الرواية في (م) : « شربوش » بالمعجمة في آخره ، وما أثبتناه في (ط) .

(٢) في (ط) : « ... مكوراً تكريرا » تحريف ، وما أثبتناه في (م) .

وكساهم ملابساً فاخراتٍ صيّرت خاطراً لهم مَجْبورا

بعد إجلالهم بحسن تلقيـ ـه وإحلالهم محلا أثيرا

ثمَّ قاضي القضاة جاء وأتبا ع له كان جمعُهم موفورا

والأميرُ المعظّم دفتر دار مصر يعطى الوقوف الكثيرا[1]

ويقول انظروا لعبد ولاكم خدمةً فالأمير ليس أميرا

أدباً منه واحتشاماً ولُطْفاً زادَه في مَقامه تَكْبيرا

ومماليك صاحبِ السّعدِ جاؤوا جلَّ من قد بَراهمُ تَصْويرا

نحو سبعين أو ثمانين شخصاً كلُّ شخصٍ يحكي القضيبَ النَّضيرا

بالحياصات والعصائب صيغت من نضار صفا وأشرق نورا

والمزاميرُ والطّبُولُ بأيدي من يجيد التطبيل والتّزميرا

فغدا يومُ جمعهم وهو يحكي بهمُ يومَ موكب مَشْهورا

ثم كانت لهم نهاراً وليلاً زفف تجمعَ الموالي الصّدُورا

من أولي الخيرِ والصّلاح وأهل الـ ـعلمِ زيدوا على الوَرَى تَوْقيرا

ومن السادة الموقعين أصحا ب الدّواوين كانَ جمّاً غفيرا

وجميع الكتّاب إلاّ قليلاً وجميع التجّار إلاّ يسيرا

ثمّ باقي الأنام إلاّ كبيراً أو رضيعَ ثدي صغيرا[2]

قلت لولا جمالهم بثياب لحكى البعث جمعهم والنُّشورا

وقصور الشُّموع والزَّهر فاقَتْ كثراً واستوت بها تقديرا[3]

وزهَتْ باختلاف شكلٍ ولونٍ زادها في جمالها تَزْهيرا

ثمّ فيها الجنائب الغرُّ تزهو بلبوس قد شُهِّرت تَشْهيرا

---

(١) البيت مختلٌ في وزنه .

(٢) الشطر الثاني من البيت مختل في وزنه .

(٣) في (ط) في الشطر الأول « وتصور. . . » وفي الثاني « . . واستوق. . » وما أثبتناه في (م) وهو الأقرب لصحة المعنى .

مـن خيـول مسـوَّمـاتٍ جيـاد ... عـاليـات وغـاليـات مَهُـورا
ولمـن زفّ مـع بنيـه صِغـاراً ... وكسـاهُـم مـن اللّبـاس حَـريـرا
وتـولّـى أجـرَ الحِسـاب لهـم عـن ... والـديهـم يبغـي بـذاك الأجـورا
ثـم فـي سـابـعِ الخِتـان لهـم كـا ... ن مهـمٌّ ضـاهـى المهـمّ الكبيـرا
فـي اجتمـاع وفـي مصـابيـح نـور ... عمّـرت حيـن أشبعـت تعميـرا
وسمـاطِ مَـركّـبِ طبقـاتٍ ... كـم حَـوى طيِّبـاً وجـاء زخُـورا[1]
فيـه مـا لا يعبّـرُ الـوصـفُ عنـه ... فلـذا أطبقـوا عليـه حُبـورا
قـاسـه كـلُّ ذي ذراع طـويـل ... فـرآه محـرّراً تحـريـرا
أمنـوا عنـده رقيبـاً نقيبـاً ... وحسـوداً لآكـلٍ وغيـورا
والمشـاهيـر بـالـدخـول مـن القـرّ ... اء والـواعظيـن كـانـوا حُضـورا
يقـرؤون القـرآن طَـوْراً وطَـوْراً ... ينشـدون المـوشـح المشهـورا
فظفـرنـا معْهـم بـإحيـاء ليـلٍ ... كـان بـالخيْـر كلّـه معمـورا
كـان هـذا المهـمّ حـاوي مهمّـا ... ت عظـامٍ يحـتـاج شَـرْحـاً كبيـرا
نحـو شهـر يُقـام فـي كـل يـوم ... فـرحٌ كـمـلٌ عـديـمٌ نَظيـرا
مـغ غـلاء الأقـواتِ سعـراً وإذ لا ... يقتضـي حكـم حـاكـم تسعيـرا
يـا لتلـكَ اللّيـال حسنـاً وطِيْبـاً ... ليتهـا مـا انقضـت ودامـت شهـورا
تـمّ فيهـا السّـرور مـن كـل وجـهٍ ... ومحـى صَفْـوُ عيشهـا التّكـديـرا
وبلغنـا مـن الـزَّمـان الأمـانـي ... وأمنّـا المخـوفَ والمحْـذورا
لسـرورِ الأستـاذ مـن سخّـر اللـ ... ـه لـه الكـونَ كلّـه تسخيـرا
وأفـاض الإلـه منـه علينـا ... نِعَمـاً جمّـة وفَضْـلاً كبيـرا
وكـرامـاتُـه غـدَتْ بيّنـات ... ليـس تخفـى علـى الأنـام ظُهـورا
مـن أبـو بكـر الإمـام لـه جـدٌّ ... وقـد كـان للنّبـيِّ نَصيـرا
ورفيقـاً وصـاحبـاً وأنيسـاً ... مـن عـدو فـي الغـار يـأتـي مغيـرا

---

(١) في (ط) : « وحاز خُنورا » .

حــــاز إسنــــاده علـــوّاً ورفعـــاً درجـــاتٍ علـــى الأنـــام وفُـــورا
أخـذ العلـم عـن أبيـه عـن الصّـد يـق عـن سيّـد الـوَرَى مـأثـورا
لا تحـف عيـنُ عِلمـه عيـنَ ضـدٍّ فهـي عيـن قـد فجّـرت تفجيـرا
سيـدي هـذه هـديـة عبـدٍ من قريض قد غاصَ فيه البُحورا
لـو رأت درّة النفيـس الغـوانـي نظمتــه وقلّـــدتـــه النُّحُـــورا
فيـه لـبٌّ حُلـوُ المـذاقِ وقشـر فخــذ اللُّــبَّ منـه وارم القُشـورا
مـزج الجـدّ منـه بـالهـزل كيمـا بـــانتقـــالاتـــه يُـــرى محبـــورا
عــذره فـي تـأخيـره رمَـدٌ فـي عينــه لــم يــزل بــه مَعْــذورا
وشعـاري التـأخيـر دأبـاً ومعنـى لــم أزل فــي الــورى بــه مغيـورا
وعســى أن يحــلَّ بــي نظـرٌ منـ ـك فيلغـي التّقـديـمَ والتّـأخيـرا
دمْتَ فـي العـالميـن عمـراً طـويـلاً كــلّ عــامٍ تنشــي مهمَّــا كبيــرا
وبقيْــتَ الــزَّمــانَ مجتمـع الشَّمـ ـلِ بــأولادك الجميــع قَــرِيــرا
بـالمـوالـي أبـي السـرور وتـاج الـدِّ يـن والعـارفيـن عـاشـوا دُهـورا
ثـمَّ عبـد الـرَّحيـم أيضـاً وزيـن الـ ـعـابـديـن الـذي استحق الظُّهُـورا
وأخيهـم أبـي المـواهـب ثـمّ الـ ـأخـوات الإنـاث تِلْـوَ الـذُّكـورا
ورأيـت الجميـع بـالقـرب حـازوا عَمَـلاً صـالحـاً وعِلْمـاً غـزيـرا
قـد حضـرنـا ولائمـاً ليس تُحصـى وشهــدنــا جمـع الأنـام الكثيـرا
مــا رأينــا ولا سمعنــا بشـــيء مثـل هـذا واسـأل بـذاك خبيـرا
ولقـــد قيـــل أرّخـــوه فقلْنَـــا فـــرحٌ مبهـــجُ القلـــوب سُـــرورا
وصـــلاةٌ مـــن ربِّنــا وســـلامٌ لنبــــيّ إلــــى الأنــــام بَشيـــرا
مـا أقيمـت فـي شـرع طـه بمـوسـى سنّـــة للخليـــل يهـــدي الســـرورا

* * *

سنة خمس وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الأحد بعد صلاة المغرب حادي عشر رجب الفرد الحرام سنة خمس وسبعين توفي **شيخ الإسلام مفتي الأنام ، علم الأئمة الأعلام ، محرر المذهب وطراز المذهب ، أستاذ المحققين ، سراج الظلمة ، ناصر السّنّة المحمدية بالحجج السَّنية والبراهين المضيَّة ، أبو الضِّياء عبد الرَّحمن بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن زياد الغيثي المقصري**[1] ـ نسبة إلى المقاصرة بطن من بطون عك بن عدنان ـ الزَّبيدي بلداً ومولداً ومنشأ ، الشَّافعي مذهباً ، الأشعري معتقداً ، الحكمي خرقة ، اليافعي تصوفاً . وفي ذلك يقول رحمه الله تعالى [من الكامل]:

أنـا شَـافعـيٌّ فـي الفـروعِ ويـافِعِيْـ ـيٌ فـي التّصـوُّفِ أشعـريُّ المُعْتقـدْ
وبـــذا أديـــن الله ألقـــاه بِـــهِ أرجو بهِ الرضوانَ في الدُّنيا وَغَدْ

وصلَّى عليه ولده مفتي المسلمين مفيد الطَّالبين الشَّيخ الإمام عبد السَّلام بعد صلاة الصبح بالجامع المظفري بزَبيد ، ثم حمل على رؤوس الجمِّ الغفير ، وانسكب عليه الدمع الغزير ، ودفنَ إلى جنب والده بمقبرة باب القرتب من مدينة زَبيد ، وكان له مشهد عظيم لم تر الأعين مثله رحمه الله ورضي عنه آمين آمين ، وخلفه بعده على الإفتاء والتَّدريس ولده المذكور وقدمه في ذلك الجمهور ، وأفتى ودرس إلى أن أناخ بباب مولاه وعرّس .

كان الشَّيخ عبد الرَّحمن المذكور شافعي الزَّمان انتشر ذكر فضله في الآفاق ، قصدته الفتاوي من شاسع البلاد ، وضربت إليه آباط الإبل من كل ناد

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٥٢ـ٥٥٣) و« معجم المؤلفين » (٥/ ١٤٥ـ١٤٦) و« الأعلام » (٣/ ٣١١) .

للأخذ عنه والاقتباس منه . وُلِدَ رحمه الله في شهر رجب الحرام سنة تسعمائة رأس القرن ، حفظ القرآن عن ظهر الغيب على والده ، ثم « الإرشاد » في الفقه على العلامة محمد وأخيه أحمد ابني موسى الضّجاعي[1] ، وشيخ الإسلام أحمد المُزَجّد ، وتلميذه شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن الطيب الطنبداوي[2] ، وبه تخرّج وانتفع وأذن له في التّدريس والإفتاء فدرس وأفتى في حياته وصحح له أجوبته ، وأخذ في التفسير والحديث والسِّيَر على الإمام الحافظ الضابط وجيه الدين بن الدَّيبع ، وعلى الفقيه موسى بن عبد اللطيف المشرع ، وأخذ في الفرائض على الشّيخ العلامة فرد زمانه وشيخ شيوخ أوانه الصديق الغريب الحنفي ، وأخذ في الأصول على الفقيه الزاهد العارف بالله المفنن جمال الدّين يحيى قتيب ، والعربية عن الفقيه الصّالح الفاضل المقرىء محمد مفضل اللّحياني . وجد واجتهد إلى أن رأى النفع ووجد ، وطالع الكتب مختصرها ومبسوطها حتى صار عيناً من أعيان الزّمان يُشار إليه بالبنان وتعقد عليه الخناصر ، وتلمذ له الأكابر .

وفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة حج إلى بيت الله الحرام وزار قبر النّبيِّ عليه أفضل الصّلاة والسلام ، واجتمع بفضلاء الحرمين ، ودرس في الحرمين بمحضر من أعيان البلدتين الشريفتين كمفتي الحجاز شيخ الإسلام عبد العزيز الزمزمي وأمثاله ، وكان يقول : شربت من زمزم لثلاث : لأرجع إلى بلدي وأجتمع بوالدي ، وأشتغل بالإفتاء ، وليرضى الله عني ، فوجدت خصلتين : رجعت إلى بلدي واجتمعت بوالدي ، وعُمِّرَ بعد ذلك زماناً طويلاً واشتغل بالإفتاء من سنة ثمان وأربعين وتسعمائة [بعد][3] وفاة شيخه أبي العباس الطنبداوي ، وكان يقول : أرجو أن ألقى الثالثة ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) في (ط) : « الصنجاعي » تحريف ، وصوابه في (م) و« شذرات الذهب » (١٠/٥٥٢) .

(٢) في (م) : « الطنبذاوي » .

(٣) ما بين الحاصرتين من (ط) .

ولما مات شيخه المذكور تصدر للتدريس والإفتاء استقلالاً ، وصنَّفَ ودرس الفقه بالجامع الكبير بزَبيد بمدرسة الوهابية والأشرفية والواثقية [من][1] مدارس زبيد ، وله تدريس الحديث بجامع الباشا مصطفى النَّشار بزَبيد أيضاً .

وكان من الفقر على جانب عظيم بحيث لا يملك إلا شيئاً يسيراً من الكتب ، وكان غالب أوقاته ـ كما كان يخبر عن نفسه ـ أنّه يصبح وليس عنده قوت يومه ، وهو مع ذلك لا يترك التَّدريس ويسعى بعد تمام الدَّرس في تحصيل قوت يومه . وأخبر رضي الله عنه أن امرأته وضعت ليلة ، ولم يكن عنده مما يعمل لذات النِّفاس ولولدها حتى عجز عن المصباح في تلك اللّيلة وباتوا كذلك .

وكان تدريسه عن تحقيق ومباحثه في نهاية التدقيق ، لا يقعد للتّدريس حتى يطالعَ الكتبَ المبسوطة « كالوسيط » و« الخادم » و« الكوكب الوقاد » و« حاشية السمهودي » و« الروضة » . وقد يقعد أياماً يعتذر عن التَّدريس لعدم المطالعة ، وطريقته أن يجمع الدراسة على درس واحد من أول النهار إلى مضي ربعه بذكر الدليل والعلة ، وما تفهمه العبارة ، وما يرد عليها ، ومن وافق ومن خالف في المصنفات والفتاوى والنكت والحواشي ، وتحضر في الدرس[2] الكتب المبسوطة ، تورد عليه الطلبة الأبحاث والإشكالات فما رأى من صواب قرره وما لا فلا ، ويطول المجلس بالمناظرة[3] بين تلامذته [في][4] الأبحاث عن القواعد وعبارات الأصحاب ، وربما كان يجلس من أوله إلى آخره على مسألة واحدة ، وربما قام الشَّيخ من مجلسه وإشكال المسألة ما ارتفع فيحله في مجلس آخر ، لأنه كان وقافاً عند الإشكالات ، وربما تمرُّ أيامٌ في تحقيق مسألة ، وهو في الحقيقة تدريس المذهب لا كتاب لأنه كان يقول رحمه الله : أنا أدرس المذهب لا كتاب .

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : « التدرس » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) في (ط) : « بالمشاطرة » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٤) ما بين الحاصرتين من (ط) .

وكان تدريسه في الأسبوع : السَّبت والأحد والثلاثاء والأربعاء ، وله درس في الحديث بمنزله بعد صلاة العصر جميع الأسبوع لم يترك غير عصر الجمعة ، وختم عليه في ذلك المجلس كتب عديدة من التفاسير والحديث والسير وغير ذلك ، وفي شهر رجب وشعبان ورمضان يقرأ عليه « صحيح البخاري » بالجامع المظفري بزَبيد بحضرة الجمِّ الغفير من العلماء والطَّلبة وغيرهم بأيديهم النُّسخ العديدة نحو الأربعين نسخة وبين يديه هو « فتح الباري » ، وقد أخبر رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ بالعين الشحمية حاضراً في ذلك المجلس ، ويحصل له في ذلك المجلس الخشوع والخضوع والسَّكينة والرَّحمة ما لم ير في مجلس غيره ، ويكون ختم هذا الدرس صبح اليوم التّاسع والعشرين من رمضان ، ويحضر الختم جمع عظيم من الخاص والعام وأمير البلد وقضاة الشّرع ، وأجناس مختلفة من بوادي زَبيد ، ويكون جمعاً حفيلاً مشهود الخير والبركة ، وينشد فيه القصائد المبتكرة ، وتظهر بركة المجلس على من حضر . وكان يبتدىء مجلس الدَّرس بالفاتحة وآية الكرسي ويس وتبارك والإخلاص والمعوذتين والصَّلاة على النبي ﷺ والدّعاء . وقُصِدَ للفتوى المشكلة من الحرمين الشريفين وأرض الهند والحبشة وحضرموت ، وقد يُقصد لها من البلد التي هي زَبيد ، فلا يعجل بالكتب عليها ، ويمهل فيها مدة طويلة ، ويفتش الكتب لها [ويجتهد ولا يمل ، وإذا علم أن لأحد عليها كلاماً أو على نظيرها][1] يطلبه ، ولا يكتب عليها حتى يقف عليه ويبحث فيها مع أصحابه وغيرهم من أهل المذهب ، ويأمرهم بالتّفتيش والاجتهاد ويأخذ ما عند كل واحد وينازله على فهمه ، ويبحث معه فيرد ما يرد ويقبل ما يقبل ، ويدأب في ذلك ويدأب الطّلبة ، وإذا كانت المسألة مشكلة جداً أو مهمة جمع عليها كلام المتقدمين والمتأخرين وكتب عليها مؤلفاً ، وكل ما ذكرناه عنه من هذا الاجتهاد والتوقف والمهل والفحص والبحث والمناظرة والمنازلة والقبول

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) فقط .

والرَّد مِن الورع والاحتياط في الدين . وحصل بينه وبين جماعة من أهل عصره مخالفات ومشاحنات في مسائل ، ولشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي مفتي مكة وغيره ، وكل منهم ألف وبرهن على ما يقول ، وهو يؤلف ويردُّ عليهم في مؤلفاته وفتاواه ، ينقل عبارات الأصحاب برمتها وألفاظها ، ويعيب على من يحذف منها أو يلخصها ، حتى بلغت مؤلفاته في ذلك نيفاً وثلاثين مؤلفاً .

وفي سنة أربع وستين وتسعمائة نزل في عينيه ماء فَكُفَّ بصره فاحتسبَ ورضيَ وقال : مرحباً بموهبة الله . وجاءه قداح فقال له : أنقشك ويصطلح بصرك ، وقال بعض أهل الثروة : وأنا أنفق عليك وعلى عيالك مدة ذلك ، فامتنع وقال : شيء ألبسنيه الله به لا أتسبب في إبطاله ، ومع ذلك لم يفقد شيئاً من أحواله ، وكان على عادته[1] في التَّدريس والإفتاء والتَّصنيف يأمر ولده بالفتش ويشير إلى المظنات ويقرأ عليه فيقرر الحكم ، واستمرَّ على تدريسه على عادته في الجامع وغيره من المدارس التي ذكرناها قبل ، وإذا ورد عليه سؤال قرىء عليه ، فيتأمله ثم يأمر بفتش المظان وإسماعه إياها ، فينزل السؤال على ذلك ثم يأمر بالكتب ، وألف مؤلفات وهو على حالة العمى ، وله فتاوى مؤسسة على التّحقيق .

قال تلميذه العلامة القاضي عمر بن عبد الوهاب النّاشري رحمه الله تعالى : قرأتها عليه جميعها بحضرة الجملة من مشايخ العلم وغيرهم[2] من الطلبة ، وأمرني أن أتتبع ما شذ منها ولم يدخل في الفتاوى ، وقرأتها عليه وصححتها لديه . قال : وله مؤلفات قرأت عليه بعضها . انتهى .

قلت : أما مصنفاته : « فتحرير المقال في حكم من خبر برؤية هلال شوال » وحاصله وجوبُ الإفطار على من أخبر برؤية شوال إذا اعتقد صدق المخبر . وحصل بينه وبين العلامة إسماعيل العلوي في هذه المسألة منازعة ،

---

(١) في (ط) : « مادته » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (ط) : « وغيرها » .

وألف العلوي كتاباً في عدم الجواز لكن وافق ابن زياد أهل اليمن ومكة ومصر وغيرهم .

ومن مؤلفاته : « إثبات سنّة رفع اليدين عند الإحرام والركوع والاعتدال والقيام من الركعتين » ، وكتاب « فتح المبين في أحكام تبرع المدين » ، و« المقالة الناصة على صحة ما في الفتح والذيل والخلاصة » . وهذه الثلاثة التآليف بسبب ما وقع بينه وبين ابن حجر لم يوافق ابن زياد ، بل صنّف كتاباً آخر في عدم بطلان تبرع المدين ، فعند ذلك رد عليه وجيه الدين بكل من ثلاثةِ الكتب ، وله كتاب « النخبة في الأخوة والصحبة » ، وكتاب « فتح الكريم الواحد في إنكار تأخير الصلاة على أئمة المساجد » ، و« الأدلة الواضحة في الجهر بالبسملة وأنها من الفاتحة » ، وهو كتاب حافل مشتمل على مناقب الأئمة الأربعة والتقليد وأحكام رخص الشريعة ، وذلك مما لا غناء للفقيه عن تحصيله ، وكتاب « إقامة البرهان على كمية التراويح في رمضان » ، وكتاب « الردّ على من أوهم أن ترك الرمي للعذر يسقط الدم » ، وكتاب « تجديد أئمة الإسلام من تغيير بناء المسجد الحرام » ، و« الجواب المحرر في أحكام المسقط والمحذر » و« بغية المشتاق في تصديق مدعي الإنفاق » ، و« كشف الغمة عن حكم المقبوض عما في الذمة وكون الملك فيه موقوفاً عند الأئمة » و« مزيل العناء في أحكام الغناء » ، و« الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية » ، و« الجواب المتين عن السؤال الوارد من البلد الأمين » ، و« حل المعقود في أحكام المفقود » ، و« فصل الخطاب في حكم الادعاء باتصال الثواب » ، و« إيضاح النّصوص المفصحة ببطلان تزويج الولي الواقع على غير الحظ والمصلحة » ، و« إيراد النقول الذَّهبية عن ذوي التحقيق في أنت طالق على صحة البراءة عن صقيع المعارضة لا التعليق » و« إسعاف المستفتي عن قول الرجل لامرأته أنت أختي » ، و« سمط اللآل في كتب الأعمال » ، و« إفصاح الدّلالة في أن العدالة المانعة عن الشهادة بجامع العدالة » ، و« كشف النقاب عن أحكام المحراب » ، وله رسالة في القات والكفته والقهوة والبن وجميع

المخدرات المباحة والمكروهة والحرام ، وغير ذلك من المؤلفات العديدة والفتاوى المفيدة .

قال العلامة مفتي العصر أحمد بن عبد الرحمن[1] النَّاشري أبقاه الله تعالى : قال العلامة محمد بن أبي القاسم جغمان : مؤلفات ابن زياد أكثر تحقيقاً من كتب ابن حجر الهيتمي .

وبالجملة : فما كان إلا نووي الزَّمان وواحد هذا الشّأن ، ملازماً لبيته ومسجده لا يخرج إلاّ لصلاته وتدريسه ، منقطعاً عن النّاس ، محبوباً إليهم ، تزدحم النّاس على تقبيل يده بعد صلاة الجمعة والتّمسح به والتماس بركته ، وتقصده العلماء والكبراء والأمراء والوزراء والفقراء والأغنياء إلى منزله للتبرك به وبدعائه ، وكان مسموع الكلمة لا تُردُّ شفاعته ، وكان سريع الدَّمعة ، مجاب الدَّعوة ، حسن العقيدة في أهل الله الصوفية وصالحيهم ، إذا اجتمع بأحد منهم التمس منه الدّعاء والمؤاخاة ، ويعتقد بالمجاذيب إلى الله تعالى ، ويذاكر أهل التصوف في كلام القوم فيستفيدون منه ، ويعتقد بمحيي الدِّين ابن عربي ويثني عليه وعلى كلامه ، ويفتح عليه فيه بذوق عظيم ، وما جالسه أحد إلاّ واستفاد منه وتعلم وتأدب واتعظ ، وكان شديد التّأليف بين الطّلبة ، يؤدبهم بلسانه وحاله ، ويزهدهم في الدّنيا ويكره لهم الاشتغال بها ، ويزجرهم عن مجالسة الجهال وأهل الأهواء ، ولا يرضى لهم التّرشح لوظائف الأحكام والأوقاف ، ويأمرهم بالتّحلي بحلية الكمال ، ويحثهم على الاشتغال بالعلم ومطالعة الكتب المبسوطة ، ولا يرضى لهم بالاقتصار على المختصرات ، ويستعين بهم على المشكلات المدلهمّة والفتاوى المعضلة المهمّة ، وكلُّ ذلك بسبب الألفة لقلوبهم وإلاَّ فهم لا ينكرون استغناءه عنهم ورسوخ العلم في قلبه .

وقد بشّر به بعض الصَّالحين قبل مولده . أخبر والده عبد الكريم

---

(١) سقطت هذه اللفظة من (ط) .

رحمه الله ، أنه دخل مسجداً بزَبيد يُقال له مسجد الزَّيالع قال : قصدت ذلك المسجد لصلاة الضّحى به ، فلما فرغت منها إذ أنا بشخص معتكف في المسجد المذكور يتأملني من ورائي فقال لي : يا فقيه تقرأ في العلم؟ فقلت : لا ، فقال : لو قرأت لكنت مصنِّفاً ، فلمّا بلغ ولده ما بلغ وهو كان يحكي بهذه الحكاية ويقول : كأنّه رأى عبد الرّحمن في صُلبي .

قلتُ : ولا يبعد ذلك على أهل الله تعالى . فقد أذكرتني هذه الحكاية ما نقلته عن خط الحافظ المسند إمام الحديث النبوي بزَبيد أقضى القضاة مجد الدين الشّيرازي صاحب القاموس أحمد بن عبد اللطيف الشّرجي وصورة ذلك : وحكى [لي][1] حفظه الله وأبقاه - والإشارة بذلك إلى المجد المذكور - أنّه دخل في بعض السّنين مدينة قم ، فسمعت بأن كتباً تُعرض للبيع ، فذهبت إلى بيت صاحبها ، فأدخلني وأحضر الكتبَ بين يدي ، ومددت يدي إلى كتابٍ منها وفتحته فإذا هو بخط أبي فقلت : هذا خط والدي ، فقال : ما اسم والدك؟ فقلت : يعقوب بن إبراهيم الفيروزابادي . قال : فقام الرّجل إلي وقبل رأسي وقال : صدقت كان جاءني والدك في بعض السّنين إلى غار من مغارات هذا الجبل ، وأنا منقطع إلى الله فيه للعبادة ، فأقام عندي أيّاماً ونسخ لي هذا الكتاب فيه ، وكان يخدمني ويتعبد معي ، فاتفق في بعض الأيّام أن قلتُ له : يا شيخ يعقوب ما ترى ننزل إلى المدينة فتدخل الحمام وتتنظف؟ قال : الأمر إليك في ذلك ، فنزلنا ، فلما دخلنا الحمام قلت له : هات ظهرك لأحكه ، فامتنع علي وقال : أنا أولى بخدمتك ، فلازمته على ذلك وهو يمتنع ، فرأيت الحيلة في ذلك أن قلت له : لتصل بركة يدي إلى ظهرك ، فهنالك أعطاني ظهره ، فسمعت : حك في ظهره ، فقلت له : يا يعقوب في ظهرك أولاد . فقال : ما يدريك؟ قلت : أحسست بهم . قال : كم هم؟ قلت : أربعة . قال : سمهم ، فقلت على الفور : محمدٌ ويوسفُ وعليٌّ

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) .

وحسنٌ . قال : ثم فارقني وفارقته فمن أنت منهم؟ قال شيخنا مجد الدِّين : أنا محمد . قال : هل لك أخوة؟ قلت : نعم كما ذكرت يوسف وعلي وحسن . قال : وكلهم في الحياة؟ قلت : لا ، توفي علي وحسن ، فقال : الحمد لله ، فتعجبت من كشفه ، ومن غريب الاتفاق قال : واسم هذا الرجل أيضاً مجد الدين وهو من عباد الله الصالحين ، انتهى .

قلتُ : وقريب من هذا أنَّ الشَّيخ أبا بكر العيدروس قدس الله روحه قال لابن أخيه وهو جدّي عبد الله بن شيخ بن الشَّيخ عبد الله العيدروس : تمنَّ . فقال : ما أريد إلاّ البركة والدّعاء لي بذرية صالحة ، فقال له : يا عبد الله سيلد لك من الأولاد الذكور فلان وفلان وفلان وسماهم أبو بكر وشيخ وحسين ، وكان إذ ذاك جدّي لم يتزوج بعد ، ثم خرج إلى حضرموت بعد وفاة عمه المشار إليه وتزوَّج بها امرأة ، فولدت له أولاداً كما ذكر ، وسماهم بتلك الأسماء التي سماهم بها الشّيخ ، ثم وُلِدَ له بعد الثّلاثة ولدٌ سماه محمداً . أخبرني بهذه الحكاية الثّقة سالم بن علي با موجه رحمه الله ، وقد سمعتها من سيّدي الوالد قدس الله روحه بلفظ قريب من هذا .

وذكر سيِّدي الشَّيخ الوالد رحمه الله في كتاب « العقد النبوي والسر المصطفوي » أن جدّه الأعلى وهو الشّيخ الكبير والولي الشّهير علوي بن الشّيخ القطب الفقيه محمد بن علي أراد أن يترك التزوّج إيثاراً للانقطاع في العبادة ، فهتف به هاتف من ظهره : نحن في ظهرك ذرية صالحة تزوج وأخرجنا وإلاّ خرجنا من ظهرك ، فتزوج بعد ذلك ووُلِدَ له أولادٌ تناسلوا بذريّة طيبة مباركة صالحة حتى كان منهم من لا يحصى من المشايخ الكاملين والعلماء العاملين الذين شهرتهم تغني عن الإطناب في مدحتهم ، فكأنّما عناه القائل بقوله : [من مجزوء الرّجز]:

فهــوَ أبــو الآبـــاء خيـــــرُ مُنْجِـبٍ ومُنْســلِ
وهــو أبــو الأشبــالِ حيْـــيَــا قَبْــرَهُ كــلّ ولــي
أولاده الـــزّهـــر بهـــم يـــدفـــعُ كــل معْضــلِ

كَــمْ فيهــمُ مـــن قُطـــبٍ   كَـــمْ فيهـــمُ مـــن بَـــدَلِ
كَـــمْ كَـــمْ محـــدّث فقيـ   ـــــهِ ومحـــدّث ولـــيْ

وكأنّما عنى الآخر ذريته بقوله : [من البسيط]:

مَن تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيت سيّدهم   مثل النجومِ التي يَسري بها السَّاري

شُدَّتْ إليهم الرِّحال من أطراف البلاد ، وغنى بذكرهم الحداة في كلِّ سمر وناد ، طبق ذكرهم طباق الأرض ، وعمَّ نفعهم المشارق والمغارب بالطُّولِ والعرض ، ولو لم يكن منهم إلاّ الأستاذ الكامل القطب الشّيخ عبد الرّحمن السقاف وحفيده الأستاذ المحقق القطب الغوث عبد الله العيدروس الذين عقم الزّمان أن يجيء بأمثالهم ولا سمحت الدّهور بأشكالهم ، أعاد الله علينا من بركاتهم في الدّارين آمين آمين آمين .

قلت : وكان الشَّيخ علوي هذا من آيات الله الكبرى ، وهو من أمثال الشَّيخ ، ومن مناقبه : أنه كان يعرف الشقي من السعيد ، ويحيي ويميت بإذن الله تعالى ، ويقول للشيء : كن ، فيكون بإذن الله ، إلى غير ذلك من الكرامات العظيمة والخوارق العجيبة التي لا يشاركه فيها غيره ، نفع الله به وأعاد علينا من بركاته آمين .

ولبعضهم يمدح رسالة العلامة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن زياد صاحب التَّرجمة : [من الوافر]:

ألا إنـي وقَفْـتُ علـى الـرّسـالـة   ومـا حَـوَتِ الـرسـالـة مِـن مَقـالـةْ
فـألفيــتُ المقــالَ مقــال حــقٍّ   وتحقيــقٍ لمــن صــدق انتحــالــةْ
علــى أنَّ المصنّــفَ بَحْــرُ علــمٍ   لــه العُلمــاء تشهــدُ بــالجَـلالَـةْ
فمــا قــال الإمــام فَتــى زيــاد   فــإنّ الحــق فيــه لا مَحــالَــةْ
علـى تخـريجهـم فـافهـمْ كـلامـي   فــإنَّ العلــمَ لا يخفــي رِجَــالَــةْ
ولــولا أن للمكــيِّ فضــل   سَعَــتْ كتبــاً يــداه بــه وقــالــةْ
كتـابٌ فـي المنـاقـبِ فيـه عَـدْلٌ   وإنصــافٌ يــدل علــى الكَمــالَــةْ

لكنـتُ لمـا رأيـت لسـوء ظنّـي بجهلـي مـا عـرفـتُ مـن العـدالـةْ
ولا أرضـى لـه ينشـي خـلافـاً لمن في العِلمِ قد وَجَبَ امْتِثالهْ[1]
ولكنّـي سـألـتُ اللهَ ربّـي يمـنّ علـيَّ فضـلاً بـالجمـالَـةْ

● وفيها : في اليوم الثّاني عشر من شوال توفي **الشّيخ الإمام ، مفتي الأنام ، علامة الزّمان ، مقدم الأعيان عبد السّلام بن شيخ الإسلام وجيه الدّين بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم بن زياد**[2] واحد علماء البلاد ، وفاضلها باتفاق الحاضر والباد ، أبو نصر عزّ الدّين . ولد سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة نشأ في حجر والده ، وتغذى بدرِّ علومه وفوائده ، فظهرت ألمعيته وبراعته ، أقرت عين أبيه نجابته ، تفقه بوالده كثيراً ، ورأس على الأكابر صغيراً ، ودرسَ وأفتى في حياة أبيه ، وصنف مصنفاتٍ لا يستغني عنها فقيه ، وكتب معاصر أبيه على فتاويه ، وانفرد بعد والده بالإفتاء مع زحمة البلد بأئمة شتى ، ودرس بالمدارس التي كان والده يدرس بها المذكورة في ترجمته ، وكان من الولاية والعلم والفضل على جانب عظيم لا يجهل .

قال العلامة الشّاب الظّريف الفاضل بركات ابن الفقيه سعادات العطارد رحمهما الله تعالى : رأيت له مراسلة كتبها لبعض أصحابه يقول فيها : رأيت النبي ﷺ يبشرني بكَذا وكَذا ، ولوَّح بأمور ذكرها في الرّسالة المذكورة ، ثم قال : ووالله ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ [الطارق : ١٣ـ١٤] انتهى .

قال رحمَه اللهُ ورضيَ عنه : رأيت ابن الرّفعة نجمَ الدّين في النّوم ، فرأيته أوقفني على مسألة في « الوسيط » ، فعقيب ذلك نزل بي سؤالٌ هو عين تلك المسألة ، ولم يكن عندي نقل عليها غير ما نبهني عليه ابن الرّفعة ، فحمدْتُ الله تعالى على ذلك . انتهى .

وكلُّ هذا ببركة أبيه له وبركة أدبه مع العلماء ؛ فإنّه لم يذكر منهم أحداً في

---

(١) في (م) : « . . . امثاله » .
(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٥٣ـ٥٥٤) ، و« معجم المؤلفين » (٥/ ٢٢٥) .

مؤلفاته إلاّ وترضى عنه وأثنى على فضله ، وبالغ في تعظيمه والترحّم عليه ، كَثرَ ذلكَ منه في مؤلفاته وفتاويه . وله « شرح على مولد السّيِّد الحسين بن الصّديق الأهدل » و« شرح لوداع ابن الجوزي » مات عنهما مسودين ، وله كتاب سماه « تشنيف الأسماع بحكم الحركة في الذّكر والسّماع » ، وكتاب سماه « القول النّافع القويم لمن كان ذا قلب سليم » ، وكتاب سماه « التحرير الواضح والإكمال في حكم الماء المطلق والمستعمل » ، وكتاب سماه « المطالع الشّمسية في الأجوبة السّنية » ، وهو مشتمل على فقهٍ وحديثٍ تقبل الله ذلك منه ورضي عنه .

● وفيها : في ليلة الثلاثاء وقتَ السَّحر توفي **العالم الصَّالح الولي الشّهير العارف بالله تعالى علي المتقي بن حسام الدّين بن القاضي عبد الملك بن القاضي خان القرشي**[1] بمكة المشرفة بعد مجاورته بها مدة طويلة ، ودُفن في صبح تلك اللّيلة ، ومدفنه بالمعلاة بسفح جبل محاذ تربة الفُضيل بن عياض بين قبريهما الطَّريق المسلوك عند محل يُقال له ناظر الجيش ، وعمره سبعة وثمانون سنةً ، وقيل تسعون سنةً رحمه الله تعالى ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصّالحين ، على جانب عظيم من الورع والتّقوى والاجتهاد في العبادة ورفض السِّوىٰ ، وله مصنفات عديدة ، وذكروا عنه أخباراً حميدة رحمه الله تعالى آمين .

ومن مناقبه العظيمة أنّه رأى النبي ﷺ في المنام ، وكانت ليلة جمعة وسبع وعشرين في شهر رمضان ، فسأله عن أفضل النّاس في زمانِه ، فقال له : أنت . قال : ثم من؟ فقال : محمد بن طاهر بالهند . ورأى تلميذه الشّيخ عبد الوهاب أيضاً في تلك الليلة النّبيَّ ﷺ وسأله مثل ذلك ، فقال له : شيخك ، ثم

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٥٤) و« أبجد العلوم » (٣/ ٢٢٣ـ٢٢٤) طبع وزارة الثقافة بدمشق و« كنز العمال » (١٦/ ٧٧٦ـ٧٨٨) و« معجم المؤلفين » (٧/ ٥٩) و« الأعلام » (٤/ ٣٠٩) . و« حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي » ص (٨٠) .

محمد بن طاهر بالهند ، فجاء إلى الشّيخ علي المتقي ليخبره بالرؤيا ، فقال له قبل أن يتكلم : قد رأيت مثل الّذي رأيت .

وكان يبالغ في الرّياضة حتى نُقل عنه أنّه كان يقول في آخر عمره : وددت أنّي لم أفعل ذلك ، لما وجده من الضّعفِ في جسده عند الكبر .

قال الفاكهي : وكان لا يتناول من الطَّعام إلا شيئاً يسيراً جداً على غاية من التّقلل فيه بحيث يستبعد من البشر الاقتصار على ذلك القدر ، وما ذاك إلا لملكة حصلت له فيه وطول رياضة وصل بها إليه ، حتى كان إذا زيد في غذائه المعتاد ولو قدر فولة لم يقدر على هضمه . قال : وكذا كان قليل الكلام جداً . قال غيره : وكان قليل المنام ، مؤثراً للعزلة عن الأَنام .

قلتُ : وقد علمت أنَّ أصولَ التّصوف في الابتداء تدور على أربعة أشياء : قلة الطّعام ، وقلة الكلام ، وقلة المنام ، واعتزال الأنام .

قال بعضهم : جُعلَ الخيرُ كلُّه في بيت ومفتاحه الجوع ، وجُعِل الشَّرُّ كله في بيت ومفتاحه الشّبع . وقال يحيى بن معاذ : لو كان الجوعُ يُباع في السُّوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السُّوق أن يشتروا غيره . وقال سهلٌ : ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال : إخماص البطون ، والسّهر ، والصّمت ، والاعتزال عن النّاس . فقد قيل في صفة الأبدال : إنّ أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة .

قلتُ : هذا وإن كان تقليل الغذاء مستحسناً عند القوم بالجملة ، ولكنّه ليس بمقصود أصلي ، ولعله يتولد من الإفراط آفات مخلة بالمقصود الأصلي ، وإنما المقصود من التقليل كسر النّفسِ وتقوية القلب وتبييضه ، فإن الجوع يذيب شحم القلب ويقلل دمه فيبيضَ ويرق ويصفو فيستعد بصفائه لقبول نور الذكر وأنوار المعاملات الشرعية والواردات الغيبية ، ثم تنعكس الأنوار من مرآة القلب إلى أرض النّفس ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر : ٦٩] وتلاشت ظلمات صفات النّفس ، وانشق صدف ظلمة الشّهوة عن درَّةِ المحبة ، فإن

الشَّهوة مطية المحبة ، وهي المطلوب من الإنسان ، وبها فاق على الملائكة المقربين وسجدوا له ، فافهم جداً . فالإمساك المحمود عن الطّعام ما يكون محمياً عن طرفي الإفراط والتّفريط ، كما قال تعالى ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف : ٣١] فالمحميُّ من الإفراط نصف رطل إلى رطل كلَّ يوم ، أو قريبٌ من هذا ، فيزيد وينقص منه كلُّ طائفة على قدر قوتهم وصحة مزاجهم .

وكانت ولادته ببرهان فور[١] سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقيل : خمس وثمانين وثمانمائة . ومؤلفاته كثيرة نحو مائة مؤلف ما بين صغير وكبير[٢] ومحاسنه جمّة ومناقبه ضخمة ، وقد أفردها العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي في تأليف لطيف سماه : « القول النقي في مناقب المتقي » ذكر فيه من سيرته الحميدة ورياضاته العظيمة ومجاهداته الشّاقة ما يبهر العقول . ولعَمْري ما أحسن قوله فيه حيث يقول : طابق اسم شيخنا علي ولقبه المتقي موضع علاه ومسماه . وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : ما اجتمع به

(١) برهان فور من (بلاد الدكن ، بالهند) « الأعلام » (٤/٣٠٩) .

(٢) أهمها المصنفات التالية :

١ ـ « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » جمع فيه أهم مصادر الحديث النبوي فبلغت الأحاديث المودعة فيه (٤٦٦٢٤) حديثاً عليها مدار العمل في الغالب لدى المشتغلين بفن التخريج والتحديث . وقد طبع هذا الكتاب الجليل في مدينة حلب المحروسة عام ١٣٩٧هـ بعناية الشيخين الفاضلين بكري الحياني وصفوة السقا ، وهي طبعة جيدة نافعة ، وقام بإعداد فهارس شاملة لأطراف الأحاديث الواردة فيه الأستاذان الفاضلان نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، وصدرت في مجلدين كبيرين عن الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق عام (١٤٠٤هـ) .

٢ـ « مختصر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » وقد طبع قديماً على هامش « مسند الإمام أحمد بن حنبل » .

٣ـ « المواهب العلية في الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية » وهو مخطوط لم ينشر بعد .

٤ـ « نهج العمال في سنن الأقوال » وهو مخطوط لم ينشر بعد وتحتفظ مكتبة الرياض بنسخة منه تحت رقم (د٢٥٥) . قاله العلامة الزركلي .

أحد من العارفين أو العلماء العاملين أو اجتمع هو عليهم إلاّ وأثنوا عليه ثناء بليغاً كشيخنا تاج العارفين أبي الحسن البكري ، وشيخنا الفقيه العارف الزّاهد الوجيه العمودي ، وشيخنا إمام الحرمين الشّهاب ابن حجر الشّافعي ، وصاحبنا فقيه مصر شمس الدِّين الرّملي[1] الأنصاري ، وشيخنا فصيح علماء عصره شمس [الدين][2] البكري ، ولكلٍّ من هؤلاء الجلة عندي ما دلَّ على كمال مدحة شيخنا المتقي بحسن استقامته والاستقامة أجلُّ كرامة[3] ، وقول كل من هؤلاء معتمد[4] في شهادته : [من الوافر]:

إذا قـالَـتْ حَـذامِ فصـدِّقـوهـا ... فـإنّ القـولَ مـا قـالـت حَـذامِ[5]

قال : ومن ثمَّ اشتهر بإقليم مكة المشرفة أشهر من قفا ، وصار يقصده وفود بيت الله كما يقصد المشعر الحرام والصفا ، حتى بلغ صيته لسلطان الإسلام المرحوم المقدس سليمان بعد أن كان يفرغ على يديه بل قدميه ماء الطهارة محمود أعظم سلاطين الهند اعتقاداً فيما له من شأن قال : وشهرته في الهند وجهاتها أضعاف شهرته بمكة كما لا يحتاج في ذلك إلى إقامة برهان . قال : ومن مناقبه أن بعض أصحابه رأى النبي ﷺ في المنام في حياة الشَّيخ علي ، وكانت الرؤيا بمكة المشرفة قائلاً : يا رسول الله بماذا تأمرني حتّى أفعله؟ قال : تابع الشيخ علي المتقي فما فعل افعله . انتهى .

قلت : وفي هذا أدلُّ دليل على أن الشَّيخ علي المتقِّي نفعنا الله ببركاته كان له النّصيب الأوفر من متابعته ﷺ ، ولذا خصّه ﷺ بالذِّكر دون غيره من أهل زمانه ، وأمر الرائي بملاحظة أفعاله ومتابعته فيها إلى غير ذلك من الإشارات

---

(١) تحرَّفت الكلمة في (م) إلى « الرالي » .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

(٣) في (ط) : « كرمة » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٤) في (ط) : « معتمدي » .

(٥) البيت للجيم بين صعب ، وقيل : سحيم بن صعب . وهو من الشواهد النحوية .

كتسميته شيخاً ، وكان الشَّيخ أبو إسحاق الشِّيرازي نفعنا الله ببركاته يفتخر بمنام نبويٍّ فيه تسمية النبي ﷺ له شيخاً .

قلت : ورأيت في بعض التعاليق رسالة من إملاء الشَّيخ نفع الله ببركاته تشتمل على نبذة من أحواله التي لا تتلقى إلاّ عنه كالمشيرة[(١)] إلى كمال مبدأه ومآله ، فرأيت أن أذكر منها هنا ما دعت إليه الحاجة ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمّدٍ وآله وصحبه أجمعين . أما بعد : فيقول الفقير إلى الله تعالى علي بن حسام الدِّين الشَّهير بالمتقي : إنه خطر في خاطري أن أبيّن للأصحاب من أول أمري إلى آخره ، فاعلموا رحمكم الله أنّ الفقير لما وصل عمري إلى ثمان سنين جاء في خاطر والدي رحمه الله أن يجعلني مريداً لحضرة الشيخ باجن قدس [الله][(٢)] سره ، فجعلني مريداً . وكان طريقه طريق السَّماع ، وأهل الذَّوق والصَّفاء ، فبايعني على طريق المشايخ الصوفية ، وأخذت عنه وأنا ابن ثمان سنين ، ولقنني الذِّكر الشَّيخ عبد الحكيم بن الشَّيخ باجن قُدس سرّه ، وكنت في بداية أمري أكتسب بصنعة الكتابة لقوتي وقوت عيالي ، وسافرت البلدان ، فلما وصلت إلى المُلْتَان[(٣)] صحبت الشَّيخ حسام الدِّين ، وكان طريقه طريق المتقين ، فصحبته ما شاء الله ، ثم لما وصلت مكة المشرفة ، وصحبت الشيخ أبا الحسن البكري الصديقي قدس الله سرّه ، وكان له طريق التّعلم والتَّعليم ، وكان شيخاً عارفاً كاملاً في الفقه والتصوف ، فصحبته ما شاء الله ، ولقنني الذِّكر ، وحصل لي من هذين الشَّيخين الجليلين عليهما الرَّحمة والغفران من الفوائد العلمية والذَّوقية التي تتعلق بعلوم الصُّوفية ، فصنفت بعد

---

(١) في (م) : « كالمشيريت » تحريف ، وصوابه في (ط) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .

(٣) المُلْتَان : ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » (٥/ ١٨٩) قال « بالضم ، وسكون اللام ، وتاء مثناة من فوقها ، وآخره نون ، وأكثر ما يُكتب مولتان ، بالواو : هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم » .

ذلك كتباً ورسائل ، وأول رسالة صنفتها في الطريق إلى الله سميتها « تبيين الطُّرق إلى الله تعالى » وآخر رسالة صنفتها سميتها « غاية الكمال في بيان أفضل الأعمال » ، فمن كان من الطَّلبة حصل منهما رسالة ينبغي له أن يحصل الأخرى ليلازم بينهما في القصد . انتهى .

قلت : وبالجملة : فما كان هذا الر جل إلاَّ من حسنات الدهر وخاتمة أهل الورع ومفاخر الهند ، وشهرته تغني عن ترجمته ، وتعظيمه في القلوب يغني عن مدحه .

● وفيها : غرق مركب بالهند في خور كنباته ، كان فيه عشرة من السادة آل با علوي ، فكانوا من جملة من غرق ، وحصلت لهم الشَّهادة بسبب ذلك رحمهم الله .

* * *

سنة ست وسبعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الاثنين آخر النّهار ثامن شهر صفر سنة ست وسبعين توفي الولي الشهير شيخ بن الشّيخ عبد الله بن الشّيخ علي بن أبي بكر با علوي بتريم ، ودفن يوم الثلاثاء .

وحُكِي أنّه كان ببر سعد الدِّين في مجلس ، فكان يأتي إلى ذلك المجلس رجلٌ في زي سائل أو مجنون ويشتمه من بين الجماعة من غير موجب لذلك ولا سبق معرفة بينه وبينه ، وكأنه كان ـ والله أعلم ـ يريدُ اختباره وينظر صبره على المكروه واحتماله للأذى ، وتكرر منه ذلك ، وربما أراد الحاضرون أن يقعوا فيه فيمنعهم الشّريف من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام قال له : تعال إلى الموضع الفلاني واصحب معك دواة وقلماً وموسى ، ففعل ما أمره ووجده هناك وحده ، فقال له : هات الموسى نريدُ نذبحك بها ، فأعطاه إيّاها مستسلماً ، ثم طلب منه الدّواة والقلمَ وعلمه الوفقَ الثّلاثي وأراه وضعه ، وعلمه اسم الله الأعظم ، ثم ذهب ذلك الرّجل ولم يُر بعد ذلك ، فصار الشّريف إلى ما صار إليه من التّصريف بعد ذلك .

وأخبرني بعض الثِّقات قال : بينما أنا أسيرُ معه بتريم إذ أخذ من ورق بعض الأشجار وأكل منه وأعطاني ، فإذا هو ورق القات[1] ، وهو لا يوجد بحضرموت أصلاً .

● وفيها : توفي العلامة الشّهير الشّيخ عبد العزيز الزَّمْزَمي[2] المكي ، وقد

---

(١) جاء في « المعجم الوسيط » (٢/ ٧٩٥) ما نصه : « القات : نبات من الفصيلة السلسترية ، يزرع لأوراقه التي تمضغ خضراء ، قليله منبّه وكثيره مخدّر ، موطنه الحبشة ، ويزرع بكثرة في اليمن ، ويسمى : شاي العرب » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٥٨) .

طبق بعض الفضلاء تاريخ ذلك العام بعدد حروف « بجنان الخلْدِ قَدْ أَصْبَحْ » ثم نظم ذلك التاريخ في بيتين فقال : [من المديد]:

إنَّ مَـن أجـرى الـدُّمـوع علـى عـزِّ دِيـنِ اللهِ قـد أفلـحْ
قـد أتـى تـاريخـه ضَبْطـاً « بجنـانِ الخُلْـدِ قَـدْ أصبـحْ »

وكان مولده سنة تسعمائة ، وكان من أعيان علماء مكة وفضلائها وأكابرها ورؤسائها . وله قصيدتان عظيمتان في مدحِ النّبي ﷺ أجاد فيهما كلَّ الإجادة . إحداهما عارض فيها البردةَ وسماها « الفتح التّام في مدح خير الأنام » . والأخرى عارض فيها أم القرى وسماها « الفتح المبين في مدح سيِّدِ المرسلين » ، وحيث كانت أم القرى مرفوعة والقيراطية مكسورة جعل قصيدته مفتوحةً ، وما أحسن قوله فيها مشيراً إلى ذلك مع التَّورية بمزيد التَّواضع والاعتراف بالقصور عن تلك المسالك : [من الخفيف]:

فـازَ بـالـرّفـعِ مُقلـقٌ لـكْ وَشَـا كيـف تـرقـى وأفحـمَ الشّعـراءَ
وبخفـض الجَنـانِ جُـوزيَ منشـي ذكـر الملتقـى جـزاء وَفَـاءَ
جئـت مـن بعـد ذا وذاك أخيـراً فلهـذا نظمـي علـى الفَتْـحِ جـاءَ

وبالجملة : فإنّه كان أوحدَ الفضلاء ، وبقية العلماء ، حسن الشّعر والإنشاء ، وفيه يقول الشيخُ الكبيرُ والولي الشهير العارف بالله تعالى جمال الدّين محمد بن أبي الحسن البكري الصّديقي من أبيات [من البسيط]:

أجـلّ جيـرانِ بيـتِ الله قـاطبـةً علمـاً إذا وصفـوا فـي مكّـةَ العُلَمَـا

وله فيه أيضاً : [من البسيط]:

أنتَ الّذي بصفات الفَضْلِ أجمعِهَا فـي بلـدةِ اللهِ أولـى سـائـرِ العُلَمـا
فليهـنَ مكّـة بـل وليهـن سـاكنهـا وليهـن أبطحهـا والبيـت والحَـرَمـا

ومن شعره الحسن أبيات الفرج الّتي استغاثَ فيها بصاحب الخلق الحسن سيِّد المرسلين ورسول ربِّ العالمين وهي هذه : [من الرمل]:

يــا رســولَ اللهِ عجّـلْ بــالفَــرج قد تَوالى الكَرْبُ واشتد الحَرَجْ[1]
يــا رســولَ الله فــي جــاهِـكَ لــي سِعــةٌ إن ضــاقَ بــي كــل نَهــجْ
قَسَمــاً بــالله مــا لاذَ امــرؤٌ بــك فــي خَطــب رجــا إلاّ انْبَلَـجْ
أنت شمسُ الكونِ والهادي الّذي مــلأتْ[2] ملّتــه الــدُّنْيــا بلــجْ
أنــت للــرســلِ طــراز مُعْلــمِ بسنــى النّــور الإلهــيِّ انتسـجْ
كـلُّ وصـفٍ فـي معـاليك انطوَى كـلُّ لَفْـظٍ فـي معـانيـك انـدَرجْ
بضيَـا السُّـؤدد والفخـر انتهـى عنـد بَيْـتٍ فـاخـرٍ منـه خَـرَجْ
طيِّـبُ الأعـراقِ مـا فـاحَ لـه عَـرَقٌ إلاّ هَفـا طِيـبُ الأَرَجْ
حســن الخُلــقِ جميــلٌ مُشْــرِقٌ مــن رأى حســنَ محيّــاه ابتهــجْ
أبلـجٌ إن لاحَ فـي جنـحِ الـدُّجى خلـت مـن لألائـه الصّبـح انبلـجْ
وسِعَـتْ أخـلاقُـه الخَلْـقَ فلـم يـكُ فحّـاشـاً غليـظ القَلـب فـجْ
كـرمـاً يعفـو عـن الجانـي الّـذي سـدَّ عنـه ذنبُـه كـلَّ الفـرَجْ
ورمـاهُ الغـيُّ والجهـلُ علـى سـاحلِ البَحْـرِ وفـي البحـرِ وَلَـجْ
قـدمتـه الـرُّسـلُ فـي مـوقفهـا ليلـة الإسـرا فصلّـى وعَـرَجْ
وارتقـى السّبـع السّمـٰوات إلـى قـاب قَـوْسيْـنِ وفـي الأنـوار زُجْ
ولـه شفـاعـة الفَضـل لـذا قـامـه المحمـودُ فـي أعلـى دَرَجْ
وجهُـهُ حجّتنـا البيضـاء فـي يـوم تـأتـي النـاس فيـه بـالحُجَجْ
يـا وجيـهَ الـوجْـهِ طـالَـتْ غُـربتـي كـلَّ يـومٍ مـرّ منهـا كحِجَـجْ
إن يَطُـلْ هـذا المـدَى يَقْصُـر فـي أمـدِ العُمْـرِ وأقفـو مـن دَرَجْ
كـم جَـرَعْنـا كـأسَ هَـمٍّ مُتْـرعـاً خمـر خـوفٍ بـأذى البـرد امتـزجْ
خطـوه[3] فـي البَـرِّ والبَحْـرِ معـاً وسـرَى بيـن ثلـوجٍ ولُجَـجْ

---

(١) في (م) : « . . . أشد الحرجْ » وبه يكسر الوزن ، وصوابه في (ط) .
(٢) في (ط) : « مُلِئتْ . . . » وصوابه في (م) .
(٣) في (م) : « خطرة . . . » .

فــي وحــولٍ وجبــالٍ شُمّـــخٍ ... شــاهقــات مــا إليهــا مُنْعــرَجْ
قطـنَ الثَّلـجُ بهـا فهـو الـذي ... نَــدَفَ القُطْــن عليهــا وَحَلَــجْ
سفــرةٌ قــد بَعُــدَتْ شقّتهــا ... فتّتــتْ[1] منّــا قلــوبــاً ومُهَــجْ
أيـن أرض الـرّوم مـن أم القُـرَى ... جـادَهـا صوْب مـن الـوسمـي ثَـج
غَـرَبـاً فـي دار قـومٍ عنـدهـمْ ... عـربـيُّ الـدَّارِ مـن بعـض الهمـجْ
بينهـم كـلُّ فصيـحٍ نـاطـق ... بلســان عــربــيٍّ ذي عِــوَجْ
عَظُـمَ الكَـرْبُ ولكـن نـرتجـي ... بــرســولِ اللهِ يــأتينَــا الفَــرَجْ
قَــدْ تــوسلنــا إلــى الله بــه ... ولجــا كــلّ لمــولاه ولــجْ
شِــرْعَــةٌ آدمُ قــدمــاً سنّهــا ... لبنيــهِ فــانتهجنــا مــا انتهــجْ
يــا أعــزَّ العُــرْبِ يــا مَــنْ بــابــه ... قـط مـن سـائـل رفـد مـا ارتَتَـجْ
نســألُ الله يجلــي مــا بنــا ... حـلّ مـن كـرب شـديـدٍ وَحَـرَجْ
يــا إلهــي بــالنَّبــيِّ المُصْطَفــى ... خيــر مــن حــجّ ومــن ثــج وعــجْ
إطــوِ بُعْــدَ السّيْــرِ عَنــا سيِّــدي ... واجعــل العُقْبــى ســروراً وفَــرَجْ
وأنِـلْ كـل امـرىءٍ مـا قـد نَـوَى ... واطـفِ حـراً بيـن جنبـيَّ اعتلـجْ
واجبــرِ المَكْسُــورَ بــالعـود إلـى ... بيتك المحجوج كي يحظى بحجْ
ربّ قــربنــا إلــى أوطــاننــا ... فلنـار البُعـد فـي الأحشـا وهـجْ
ربّ واجعلنــا بجــاه المصطفــى ... فـي حمـى بيتـك لا نخشـى هَـرَجْ
نحــن جيــرانــك والجــارُ لــه ... جـانـب يُـرجـى علـى ألـف عِـوَجْ
أنـت أوصيـت علـى الجَـارِ فـلا ... تنـسَ جـاراً مسّـه الضّـرُّ فَهَـجْ
لا تعــذبنــا ببعــدٍ عــن فَنَــا ... حـرم يـؤتـى لـه مـن كـلٍّ فـجْ
إنْ ركبنا الـذنْبَ نجهـل مـا سوى ... عفْـوك اللّهـم فـي النّفـسِ اختلـجْ
فـاعـف عنـا مـا مضـى واغْفِـر لنـا ... تـوبـة شـدَّ التقـى منهـا السـرجْ

---

(١) في (م) : « فتلت . . . » وفي (ط) « فتّت . . . » وكلاهما تحريف .

واختـمِ الأعمـارَ بـالخيْـرِ فقـد ذهبـتْ فـي اللّهـوِ منهـنّ حجَـجْ
وصـــلاة وســـلام منهمــــا أرج المسـك علـى الهـادي نَفَـخْ
وعلـــى أصحــابــه والآلِ مــا أوب الــرّكــبُ إليـــه أو دلـــجْ

ومنه هذا التخميس على أبيات العارف الشيخ علي وفا : [من الكامل]:

يـا ربِّ بـاللّطـفِ الخفـيِّ لنـا تَـدارك
وارحم ضِعافاً جاوروا بيتك ودارَك
نـادوك حيـن الكَـرْب لازمهـم ودارك
ذو الجاه يحمي جارَه فاحمي جِوارَكْ لا تتركن في قبضة الأسواء[1] جارَكْ

جـارٌ بسـوْحِ فَنـاكَ دامَ حُلـولـهُ
لـم يخـشَ ضَيْمـاً فـي حِمـاكَ يهـولُه
لِـمْ لا وأنـت مِـنَ الهَـوان كَفيلُـه
حـاشـا جنـابـك أن يضـام نَـزيلُـه حاشا مهابك أن يهاب منِ استجارَك

بـالحـرْب آذنـنـا زمـان قـد عـدا
ولنـا فـوارسـه أعـدُّوا رصـدا
أعـداؤنـا صَـالـوا وشـرّهـم بَـدا
أنصرْ فـواغـوثـاه قـد عـدتِ العـدا لا قابلت فرسان نصرهم انتصاركْ

أرجـاء سـاحتـك التـي تسـع المـلا
تـركـت ضيـافـة مـن إليهـا أقْبَـلا
مـن ضيـقِ عيْـشِ سِعْـرُه[2] فيهـا غَـلا
يـا آمـراً بكـرامـة الأضيـاف لا تهمل ضيافة ضَيف مضيفك المبارَك[3]

---

(١) في (ط) : « . . الأسرى . . » وبه يكسر الوزن ، وصوابه في (م) .
(٢) في (م) « شِعره » .
(٣) الشطر الثاني مكسور في (م) و(ط) .

إنّـي عجـزت عـن احتيـال مُنْقـذي
مـن خـوْف أمـراض بهـا قلبـي غـذِي
فطـرقـت بـابَـك طَـرقـة المتعـوّذ
فامننْ بأمْنِ العاجزِ الوَجلِ الذي قُدّامَ بابك سائلاً يرجو اقتدارَكْ
بـرِّدْ بعفـوك حـر لاعـجِ حُـرْقتـي
أبـدل بتـوفيـر الإنـابـة وجْهتـي
إنـي صـرفـت لقصـد بـابـك وجْهَتي
بـاب إذا مـا أمّـه ذو لـوعـة[1] هـدَى لـواعجـه وجللـه وقـارَكْ
أنـت الـذي فـي الجُـود ليس كمثلـه
أي افتقـارك أختشـي[2] مـن كلّـهِ
وغنـاك يـا ذا الفضـل واكـف وبلـه[3]
مـن أمّـه نـادتـه ألسـن فَضْلـهِ أهـلاً وسهـلاً قـد كفينـاك افتقـارَكْ

وكانت له جاريتان إحداهما اسمها غزال ، والأخرى دام السرور ، فاتفق أنه باعهما ثم ندم على ذلك فقال : [من الوافر]:

بجـاريتـيَّ كنـت قـريـرَ عيْـنٍ وأفـقُ مسـرتـي بهمـا منيـرُ
فنفَّـرَ صـرْف أيّـامـي غـزالـي فـلا دامـت ولا دام السّـرورُ

● وفيها : كانت ولادة أخي محمد فضل الله بأحمد آباد ، وتاريخ ذلك العام بعدد حروف « فضل الله » وهذا من غريب الاتفاق ، وهذا التّاريخ للوالد رحمه الله ، ونظمه الأديب الفاضل عبد اللطيف المنشي في أبيات فقال : [من الطويل]:

بَـدا كـوكـبٌ مـن أفـق عـزٍّ وسـؤدد بـه يسّـر الله الأمـانـي كمـا نَشَـا
وزاهـت بـه الـدّنيـا وعـادَ لأهلهـا نشاطاً كمن عاطى المُدامة وانتشى

---

(١) في (م) « . . ذو لو عسر. . . . » وهو تحريف .
(٢) في (ط) : « . . خشى . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .
(٣) في (ط) : « . . ويله . . » تصحيف وصوابه في (م) .

ولا غَـروَ منـه إنـه خيْـرُ بضْعـةٍ   لخيـر عبـادِ الله إن قـام أو مَشـى
ومـن عجـب أن جـاء عـام ظهـوره   لقد وافق الاسم الشريف بلا غشا
وهـذا هـو الحـظُّ العظيـمُ بـلاَ مِـرا   وذلـك فضـلُ الله يـؤتيـهِ مـن يَشـا

وكانت وفاته سابع جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة في حياة الوالد ، وهو ابن سنتين وأربعة أشهر ، ودفنه الوالد داخل البيت ، ثمّ إنّ سيّدي الوالد دفن إلى جنبه ، وبنيت القبةُ عليهما بعد ذلك . وسمعت الشّيخ العلامة حميد بن عبد الله السّندي رحمه الله يقول : قلت للشيخ : لم اخترتم دفنه في البيت؟ فقال : لنا في هذا قصد ، فلما توفي الشّيخ ودفن هناك ظهر لي ما كان أشار إليه . وأخبرني بعض الثقات عن الشّيخ العلامة عبد المعطي با كثير أنه قال : وجدت في حال الغسل حركة ، فأخبرْتُ والده فقال : امضِ على حالك ولا عليك مما رأيت .

● وفيها : كانت ولادة الوزير العادل ميرزا شمس الدين ، فقلت مادحاً لجنابه الشّريف ومضمناً هذا التّاريخ اللّطيف وهو من [الطويل]:

أبو الفتحِ شمسُ الدّين كهف ومقصد   بـه حـوزة الإسـلام حـازت لمنعَـةِ
بـه نصـرَ الشّـرع الشـريـف وأهلـه   وتـمّ نظـام الملـك مـن حسـن نِيّـةِ
فـأيّـامُـه فـي الـدّهـر غـرّة وجْهـه   وطَلْعَتـه أخفـت لشمـس الظّهيـرَةِ
وتـدبيـره للمُلـكِ دلّ بـأنّـه   عليـه معـانٍ مـن إلّـه البـريّـةِ
لـه سيـرةٌ بـالعـدلِ والخيـر والتّقـى   ومعـروفُـه يُسـدَى لأهـل المـروءةِ
لـه المـولـدُ الأسنـى يظهّـر فَضْلـه   فمـن مثلـه قـد نـالَ تلـك الفَضِيلـةِ
وذلـك فَضْـلُ الله يـؤتيـهِ مـن يَشـا   خصـوصيـة منـه لـه بمـزيّـةِ
بهـا خصّـه الله المهيمِـنُ ربّـه   بـه جـادَت الـدّنيـا علـى حيـنِ فَتـرَةِ
فبشـرى مـن الله العـزيـز بنصْـرهِ   له الحمدُ منّي ثمّ شكري ومدحتي

وكان قد ولي أحمد آباد مدةً من الزّمان ، ثم فصل عنها وحصل بعده ما حصل من الظّلم والطّغيان فقلت في ذلك :

رأيتُ البلاد وقد عَلاها كسوفٌ فقلت عهدي بك وأنت ذاتُ[1] شمسي
قالتْ غاب نوري مُذ فَقَدتُ عَدله فإن تعد إليّ شمسي أكون كأمسي

قلت : وعلى ذكر موافقة التاريخ الاسم كان ولد لي ولدٌ في سنة خمس بعد ألف سميته عبد اللّطيف ولقبته تاج العارفين ، وجعل تاريخ ذلك العام صاحبُنا الشّيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن علي البسكري « بدا تاج العارفينا » ثم نظمه في أبيات فقال رحمه الله : [من الوافر]:

بدا تاجُ الجميعِ العارفينا ولـيُّ الله فاعلمه يَقينا
بدا عبدُ اللطيفِ بكلّ لُطْفٍ يعمّ به الأقارب والبَنينا
بدا فأضا الوجود له بحقٍّ وأشرق نوره في العَالمينا
وعمّ الكلَّ مظهره سروراً وخصّ الأهل ثمّ الوالدينا
هو الشّيخُ ابن شيخٍ وابن شيخٍ إلى رأسِ الرُّؤوس على روِينا
فيا للهِ ما أعلاه شأناً وأنور وجهه الزّاهي المبينا
وأسأل من إلّه العَرْشِ فَضْلاً بأن ينشيه نشو الصّالحينا
ويحميه من الأعداء دوماً ويحفظه ويجعله مَكِينا
بحقّ محمد والآل طُرّاً وكلِّ الأوليا والمُرْسلينا
وتاريخ له بدءاً وختماً أتى يا صاح في نظمي مُبينا
فعاينه بفضل منك واسأل من المولى الدّعاء له مُعينا
تراه جاء في ذا اللّفظ طَبْقاً وها هو القطب « تاج العارفينا »

وتوفي في شهر ذي القعدة سنة ست بعد ألف ، وعمره نحو سنة وشهرين ، فإنه وُلِدَ في رمضان من السّنة الّتي قبلها ، ومات في هذا التاريخ فليعلم ، وقبره داخل قبة سيّدي الوالد .

* * *

---

(١) في (م) « . . ذا . . » وما أثبتناه في (ط) .

سنة سبع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي آخر شعبان سنة سبع وسبعين توفي **السّلطان الأعظم والملك الأكرم السّلطان بدرُ بن السّلطان عبدِ الله بن السُّلطان جعفر الكثيري**[1] سلطان حضرموت ، وكان مولده سنة اثنتين وتسعمائة وولي السّلطنة وهو شاب ، وكان حسنَ الأخلاق ، جواداً ، كثيرَ الإنفاق ، وافرَ العقل ، ظاهرَ الفضل ، عريقَ الرّئاسة ، حسنَ السّياسة ، طيّبِ السّيرة ، جميلَ الصّورة ، حتّى كان كما قال بعض الفضلاء : كان كاسمه بدراً منيراً أينما طلع سطع ، وغيثاً غزيراً كيف ما وقع نفع ، وكان في زمنه بدر الصّدور وصدر البدور ، وكان لطيف المعاشرة ظريف المحاضرة [شجاعاً][2] مقداماً وهِزبراً ضرغاماً ، فكم اباد أحزاب الضّلال ومزقها ، وكم أزال فرق الفساد وفرقها ، وكان محظوظاً جداً حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلاّ انفتح ، ولا يقدم على أمر مبهم إلاّ اتضح ، ولا يتوجه إلى مطلب إلاّ نجح ، وهو الّذي دار[3] البلاد وخضعَتْ له العباد ، وأول من أظهر بحضرموت هيبة الملك بسعده ، وأسس قواعد السّلطنة ومهدها لمن بعده ، وطالت دولته حتّى لم يعلم أنّ أحداً من السّلاطين مكثَ في الملك هذه المدة .

وكان يقال : إنّ ثلاثةً من السّلاطين كانوا في عصر واحد ، وكانوا متقاربين في السّن والولاية ، وكانوا رزقوا السّعد والإقبال وطالت أيّامُ ملكهم : أحدهم صاحب التّرجمة هذا ، والثّاني الشَّريف أبو نمي بن بركات ، والثالث السّلطان سليمان صاحب الرّوم .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٦٠) .
(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .
(٣) في (ط) « دان » .

وحُكي أنَّ جماعةً نالوا من السّلطان بدر بحضور بعض الصّلحاء الكبار من السَّادة آل با علوي فنهاهم عن ذلك وقال : هو خير من الأروام وما يروى من ذلك عنهم ، ولولاه ما سلمت حضرموت منهم ولاستحلوا الحرام ، وظلموا الأنام . وكان ذلك الصّالح يدعو بطول بقاء السّلطان المذكور ، وكانوا يرون أنّه حام[1] له بحاله المشهور ، فما حصل عليه ما حصل من سابق المقدور ، إلا بعد موت ذلك الرّجل المذكور .

وقد مدحه بعض العلماء الأعلام بهذه القصيدة البديعة وهي : [من الطويل]:

أشبِّبُ لكن بالمَفاخرِ والمَجْدِ ... ولي صَبْوةٌ لكن إلى مطلع[2] السّعْدِ

ولي طَربٌ لكن إلى حضرةِ العُلا ... ولي ظمأٌ لكن إلى الكَوْثَرِ العَدِّ

إلى حضرة العليا إلى مُنتهى المُنى ... إلى المَقْعَدِ الأسْنى إلى جنّة الخُلْدِ

إلى الطّاهر الأزكى إلى عَلَمِ الهُدى ... إلى العُرْوَةِ الوُثقى إلى الجوْهر الفَرْدِ

إلى الأمجدِ المولى إلى مَلِك الوَرى ... إلى مَنْبع الحُسنى إلى الأسَلِ الورد

إلى ذي العُلا والفضْلِ والفَخْرِ والحجى ... وذي النَّسَب الوضّاح والحظِّ والجدِّ

إلى علم الأجواد صفوةِ جعفر ... أبي عُمَر المعطي المطهمة الجُرْدِ

فمدح ابنِ عبد الله أولى فإنّه ... هو الملك الشّهم السّبوق إلى الجدِّ

أخو هِمَمٍ جاوزن أبعدَ غايةٍ ... وجزمٍ وحزمٍ يغنيانِ عن الحَشْدِ

فما جعفرٌ ما المستعين وواثق ... ومستنصر والمستضيء وما المهدي

وما الملك المنصور والمكتفي وما الـ ... ـأمين وما المأمون ما صاحب الرّشْدِ

وما المرتضي ما المقتدي ثم طائع ... وما المقتفي في ساعةِ البَذلِ والرِّفدِ

وما قاهر ما قائم متوكل ... ومستعصمٌ بالله في الحلِّ والعقدِ

وما طاهرٌ مسترشد ثم راشدٌ ... وما الحاكم المعروف في الناسِ بالقصْدِ

ومستنجد إلاّ كعقد مفصّلٍ ... بدرّ وبدر الملك واسطة العِقْدِ

---

(١) في (م) و(ط) « أنه حامياً » .

(٢) في (ط) : « . . إلى طالع » وكلا الروايتين صحيح .

حَوى كل فَضْلٍ مجملٍ ومفصّلٍ وهذا الّذي أبديت معشار ما عندِي

فطاعتُه فرضٌ وصحبتهُ غِنًى مجانبته حَرْبٌ وخِصْمته تردي

فسبحانَ من أعطاه ملكاً على الورى وألزمهم في أمره خدمة العَبْدِ

فلا زلتَ مَحْروساً وقَدْرك سامياً ومُلكك محفوظاً وعيشك في رَغْدِ

وصيتُك مَنشوراً وعَدلك شاملاً وجُودك مبسوطاً على الشَّام والهِنْدِ

يساعدك المَقْدور فيما تريده وتخدمك الأملاك في القُرْب والبُعْدِ

ثمَّ تولى بعده ولده السّلطان عبد الله ، وهو الّذي قبض على أبيه وحجر عليه حتى مات ، وغلب على الملك ووثب على السّلطنة ، وكان رأى بعض الصّالحين في المنام رؤيا حاصلها : أنه رأى أربعة من الصّالحين عرف منهم الولي الشّهير الشيخ محمد با وزير ، كلٌّ منهم قد مسك ركناً وقالوا : نريد نولي عبدَ الله ، فلم تمض بعد ذلك إلاّ مدةٌ يسيرة ، وهجم المشار إليه على أبيه واستولى على الملك ، وذلك دليل على ما روي أنه لا يقوم سلطان في هذا العالم عالم الشّهادة إلاّ بعد أن ينصبه أولياء الله تعالى بإذن الله تعالى في عالم الغيب . وكانَ حسنَ الاعتقاد في الأولياء والصّالحين ، محباً للفقراء والمساكين رحمه الله .

وتولى بعده ولده السّلطان جعفر ، ولم تطل أيامه ومات مقتولاً في سنة تسعين .

ثمَّ تولّى بعده عمه السّلطان العادل والملك الكامل السّلطان عمر بن السّلطان بدر سلطان العصر وأعجوبة الدهر ، جمُّ الفضائل ، حسنُ الشّمائل ، وافر العقل ، كثير العدل ، ذو سيرة مرضية في الرّعية ، وسلوك حسنٍ مع سائر البرية ، حسن السّياسة ، صادق الفراسة ، صاحب أخلاق ألطف من النّسيم وأبهج من الدُّر النظيم ، قلّ أنْ وردَ عليه أحد من الغرباء إلاّ وصدر يثني عليه الثّناء الجميل ، أو وفد إلى ساحته بعض الفضلاء إلاّ وانصرف يشكر ما أسداه إليه من البر الجزيل [من الطويل]:

ثناءٌ جميلٌ عنك يُثني معطّرٌ ... ووفرك مبذولٌ وعِرْضك سالمُ[1]

وسعتَ الوَرى حلماً وبشراً بهيبةٍ ... وبذلك للمعروف والثّغر باسِمُ

بصدرٍ رحيب واسع قد وسِعْتهم ... وجوداً حكاه الوابِلُ المُتراكِمُ

دماثةُ أخلاقٍ عطيّةُ خالقٍ ... رحيم كريم أصله مُتَقادمُ

جمعتَ خصالاً يا ابن بدر حميدةً ... بواحدها يسمى الفتى ويُساهمُ

حياءً ومعروفاً وجوداً بشاشة ... وعلماً وحلماً جلّ من هو قاسمُ

فالله تعالى يمتع المسلمين ببقاء ذاته الطّاهرة ، ويديم أيام دولته الزّاهرة آمين . وأمه أم ولد حبشية . ولا يفهم من هذا أن مثل هذا نقيصةٌ في جلالة قدره الرّفيع ، وعلو شأنه الشّامخ المنيع .

وحُكيَ أنّ هشام بن عبد الملك قال لزيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم أجمعين : بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنّك ابن أمة . فقال له زيد رضي الله عنه : إنّ الأمهاتِ لا يضعن شيئاً من الأبناء ، وليس أحد أولى بالله ولا أرفع منزلة عنده من نبي بعثه ، وقد كان إسماعيل عليه السّلام من خير الأنبياء ، وولد محمداً خيرهم ، وكان ابن أمة وأخوه ابن حرة مثلك ، فاختاره الله عليه فأخرج منه خير البشر ، وأم إسحاق سارة ، فمن ولده القردة والخنازير ، وما على أحد جدُّه رسول الله ﷺ ما كانت أمه . فخجل هشام .

[ذكر المبرد في « الكامل » قال : يروى عن رجل من قريش لم يُسمَّ لنا قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فقال لي يوماً : من أخوالك؟ فقلت : إنّ أمي فتاة ، قال : فكأني نقصت من عينه ، قال : فأمهلت عليه حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج من عنده ، فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ فقال سبحان الله تجهل مثل هذا من قومك! هذا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قلت : فمن أمه؟ قال : فتاة . ثم أتى القاسمُ بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، فجلس عنده ، ثم نهض ،

(١) في (ط) الروي مكسور ، وهو خطأ ـ كما لا يخفى ـ والصواب ما أثبتناه .

فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ قال : ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا من قومك ؟! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، قلت : فمن أمه ؟ قال : فتاة . وأتاه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ قال : الذي لا يسع مسلماً أن يجهله ، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قلت : فمن أمه؟ قال : فتاة ، قلت : يا أبا عبد الله ، إنّي رأيتني نقصت في عينك لما علمت أني لأمّ ولد ، فما لي في هؤلاء أسوة ؟ قال : فجللت في عينه جداً][1] .

وتزوج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه أمةً له أعتقها ، فلامه عبد الملك على ذلك وكتب إليه : أمّا بعد ، فإنه بلغني عنك أنك أعتقت أمتك وتزوجتها ، وقد كان لك في أكفائك من قريش ما تستكرم به في الصّهر ، فلم تنظر لنفسك ولا لولدك ونكحت في اللّؤم .

فكتب إليه : أما بعد ، فإني أعتقتها بكتاب الله ، وارتجعتها بسنة رسول الله ﷺ وإنّه ما فرق رسول الله ﷺ من تقي لأحد في مجد ، إنّ الله قد رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم النّقيصة ، وأكرم به من اللّؤم ، فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله ﷺ تزوج أمته وامرأة عبده . فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين تشرف من حيث يتضع النّاس .

ومن غريب الاتفاق أن ثلاثةً سادوا الأنام في زمانهم ، وانفرد كلٌّ منهم بالفضل الظّاهر ، والعقل الباهر ، ومزيد الصّلاح ، والهمة العالية ، والسّيرة الحميدة ، والذّكاء العجيب ، والفهم الغريب ، والنّظم الحسن ، والإنشاء البديع ، وكانت أم كلٍّ منهم أم ولد حبشية .

أما أحدهم : فالشّريف الفاضل الصّالح وجيه الدّين عبد الرحمن بن أحمد البيض با علوي ، وكانت وفاته بالشّحر سادس جمادى الأولى سنة إحدى بعد الألف . والثاني : صاحبنا الشّيخ العلامة أحمد بن العلامة علي البسكري

---

(١) هذا الخبر برمته سقط من (ط) وما أثبتناه عن (م) .

المكي ثم المغربي المالكي . وسيأتي ذكره في ترجمة صاحبه الشّيخ محمد بن عبد الحق المالكي . والثالث : الشّيخ الرّئيس ذو الكرم الجمّ والفضل الكثير جمال الدِّين محمد بن الشّيخ الشّهير عبد اللّطيف المكي الحنفي الشهير بمخدوم زاده ، أبقاه الله تعالى .

قلت : وكذلك كانت أم أخي السَّيد محمد مصطفى الّذي ينوه سيّدي الوالد بذكره ويشير إليه كثيراً أم ولد حبشية واسمها نور الصَّباح ، وكانت وفاته في يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين وتسعمائة « بسورت » وعليه قبةٌ ومزارٌ ، وكان مولده في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان سنة سبع وستين .

وكانت أم أخي السَّيد محمد فضل الله المولود في المحرم سنة ست وسبعين وتسعمائة ، والمتوفى في سابع جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة أم ولدٍ هندية ، وكانت من الصّالحات العابدات ، وكانت تقرأ القرآن العظيم ، توفيت يوم الاثنين ثاني شهر شعبان سنة اثنتي عشرة بعد الألف رحمها الله .

ويقرب من هذا ما ذكره ابن الصّلاح رحمه الله في رحلته قال : روينا عن الزُّهري أنّه قال : « قدمت على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يا زُهري؟ قلت من مكة . قال : فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قال : قلت : عطاءُ بن أبي رباح . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فبمَ سادهم؟ قلت : بالدّيانة والرّواية . قال : إنّ أهل الدّيانة والرواية ينبغي أن يسودوا النّاس؟ قلت : نعم . قال : فمن يسود أهل اليمن؟ قال قلت : طاووس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فبمَ سادهم؟ قلت بما سادهم به عطاء . قال : من كان كذلك ينبغي أن يسود النّاس؟ قلتُ : نعم . قال : فمن يسود أهلَ مصر؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب : قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . فقال : كما قال في الأولين معه . قال : فمن يسود أهلَ الشّام؟ قلت : مكحول

الدِّمشقي . قال : فمن العرب أمْ من الموالي؟ قلت : من الموالي ، عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هُذيل . فقال كما قال : ثمّ قال ، فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت : ميمون بن مهران ، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي ، فقال : كما قال . ثم قال : فمن يسود أهل خراسان؟ قلت : الضّحاك بن مُزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . فقال : كما قال . ثم قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : من العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت : إبراهيم النَّخعي . قال : من العرب أم من الموالي؟ قلت : من العرب . قال : ويلك يا زُهري فرجت عنِّي ، فوالله لتسودن الموالي على العرب حتّى يُخطب لها على المنابر ، وأنّ العرب تحتها . قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنّما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط » .

فائدة :

● كان أبو السّيد الجليلِ الكبيرِ المقدار صاحبِ المقامات والأنوار الإمام العالم العابد عبد الله بن المبارك ـ قدس الله روحه ـ عبداً هندياً كما ذكره القزويني في كتاب « أخبار البلاد وآثار العباد »(١) ، وكان هذا الرّجل من أولياء الله تعالى وممن تستنزل الرّحمة بذكره ، وترتجى المغفرة بحبّه كما قاله ولي الله الإمام النّووي رحمه الله ، فلا بد أن نشنف الأسماع بذكر شيء من أوصافه الفاخرة رجاء أن ينفعنا الله ببركته في الدّنيا والآخرة .

حكي أنّه كان بمرو قاض اسمه نوح بن مريم ، وكان رئيسها أيضاً ، وكانت له بنتٌ ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر ، وكان له غلام هندي ينظر بستانه ، فذهب يوماً إلى البستان وطلب من غلامه شيئاً من العِنبِ ، فأتى بعِنَبٍ حامضٍ ، فقال له : هات عِنَباً حلواً! فأتى بحامض ، فقال [له]

---

(١) انظر « آثار البلاد وأخبار العباد » ص (٤٥٧) .

القاضي : ويحك! ما تعرف الحلوَ من الحامض ؟ فقال : بلى ، ولكنّك أمرتني بحفظها وما أمرتني بأكلها[1] ، ومن لم يأكل لا يعرف . فتعجب القاضي من كلامه وقال : حفظ الله عليك أمانتك ؟ وزوج ابنته منه ، فولدت عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع ، وكان يحج [في] سنة ويغزو في سنة أخرى .

وحُكِيَ عنه رحمة الله عليه قال : خرجت للغزو مرةً ، فلما تراءت الفئتان خَرج من صف التّرك فارس يدعو إلى البراز ، فخرجت إليه فإذا قد دخل وقت الصلاة ، قلت له : تنحَّ عنّي حتّى أصلي ثم أفرغ لك! فتنحى ، فصليت ركعتين وذهبت إليه فقال لي : تنحَّ عني حتى أصلي أنا أيضاً! فتنحيت عنه ، فجعل يصلي إلى الشمس ، فلما خرَّ ساجداً هممت أن أغدر به فإذا قائل يقول : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] فتركت الغدرَ ، فلما فرغ من صلاته : قال لي لِمَ تحركت؟ قلت : أردت الغدرَ بكَ ، قال : فلمَ تركته؟ قلت : لأنّي أمرت بتركه . قال : الّذي أمرَك بترك الغدر أمرني بالإيمان ، وآمنَ والتحق بصفّ المسلمين .

وحُكِيَ أنّه كان معاصراً لفضيل بن عياض رحمة الله عليه ، وفضيل قد جاور بمكة وواظب على العبادة بمكة والمدينة ، فقال عبد الله بن المبارك[2] : [من الكامل]:

يا عابدَ الحرمينِ لو أبْصَرْتَنا ... لعَلِمتَ أنّك بالعبادةِ تَلْعَبُ
من كان يخضبُ خدّهُ بدموعهِ ... فنُحورنا بدمائنا تتخضّبُ

---

(١) كذا في (م) و« آثار البلاد وأخبار العباد » : « بأكلها » وفي (ط) : « بالأكل منها » .
(٢) الأبيات أشهر من نار على علم ، وذكرها صاحب « آثار البلاد وأخبار العباد » مع الأخبار وما بين الحاصرتين في الأخبار مستدرك منها ص (٤٥٧ـ٤٥٨) وقد اختلفت روايتها بعض الاختلاف في المصادر التي ترجمت لعبد الله بن المبارك ، وقد أثبتنا ـ هنا ـ ما ورد في « النور » في المخطوط والمطبوع لصحته ، وإن اختلف بعض الشيء عن الروايات الأخرى لهذا الشعر .

وغبارُ خيلِ الله في أنفِ امرئٍ ودخانُ نارِ جهنّمٍ لا يذهبُ
هذا كتابُ الله يحكُمُ بيننا ليسَ الشّهيدُ كغيره لا يَكْذِبُ

وحكى الحسن بن الرّبيع أنّه خرج ذات سنة في جيوش المسلمين إلى الغزو ، فلما تقابل الصّفان خرج من صف الكفار فارسٌ يطلب القرنَ ، فذهب إليه فارس من المسلمين ، فما أمهل المسلمَ حتّى قتله ، فخرج إليه آخر فما أمهله [حتى قتله] ، ثم آخر فما أمهله ، فأحجمَ النّاس عن مبارزته ، ودخل المسلمين منه حزنٌ ، فإذا فارس متلثم خرج إليه من صفّ المسلمين ، وجال معه زماناً ثم رماه وحزّ رأسه ، فكبّر المسلمون وفرحوا ، ولم يكن يعرفه أحد ، فعاد إلى مكانه ودخل في غمار النّاس . قال الحسن : فبذلت جهدي حتّى دنوت منه وحلّفته أن يرفعَ لثامه ، فإذا هو عبد الله بن المبارك ، فقلت [له] : يا إمام المسلمين أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الّذي يسّره الله على يدك ، فقال : الذي فعلت له لا يخفى عليه .

وحُكِيَ أنَّ عبد الله بن المبارك عاد من مرو إلى الشام لعلم رآه معه بمرو وصاحبه بالشّام .

ورئي سفيانُ الثّوري رحمة الله عليه بعد موته في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : رحمني . فقيل : ما حال عبد الله بن المبارك؟ قال : هو ممن يدخل على ربّه كلّ يوم مرتين .

ولد سنة مائة وعشرين ، وتوفي سنة مائة وإحدى وثمانين ، عليه رحمة الله ورضوانه .

* * *

سنة ثمان وسبعين بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الخميس لعشرين خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين : كان مولد مؤلف هذا الكتاب[1] بلغه الله من الخير أمله ، وختم بالسّعادة عمله ، وقد عمل سيّدي الوالد قُدِّسَ سِرّه لضبط العام المذكور تواريخ كثيرة منها « بخ بمولود سيد قطب زمانه » ، ولا يَخْفى ما فيه من الإشارة المتضمنة للبشارات من هذا السَّيِّد الجليل والوليِّ الكبير ، وقد نظم بعض التواريخ التي جعلها سيدي الوالد صاحبنا الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن عبد اللطيف الجامي المكي الشهير بمخدوم زاده في مقطعات له متعددة ، وقال سيّدي الوالد عند ذلك : [من الطويل]:

بدَا النور من نجْدٍ ومن شعْب عامرٍ ... بطلعةِ بي بكر الفتى عبدِ قادر
بشهرِ ربيعٍ ليلة الجمعة الغرّا ... لثالثِ عشرين زهَتْ بالبَشائرِ
لعام ثمان بعد سبعين سنوة ... من الهجرة الغرّاء ذات الأشايرِ
وتسع مئين صحّ ميلاد سيّد ... دُعي بأبي بكرٍ محمد باقرِ
من المصْطفى المختار مشكاة نُوره ... إلى العيدروس المُجتبى بالسّرائرِ

وقد خمس هذه الأبيات الفقيه الصّالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وخمسها أيضاً الشّيخ محمد بن عبد اللّطيف مخدوم زاده المذكور [وأيضاً

(١) في حاشية (ط) : « وقد وُجد بهامش الأصل ما نصه : توفي سيدنا وشيخنا القطب محيي الدين عبد القادر العيدروس مصنف هذا الكتاب عاشر محرم سنة سبع وثلاثين بعد الألف بأحمد آباد ، من أرض الهند ، ودُفن بجنب والده في القبة المنورة نفع الله بهما » . ووفاته في « الأعلام » (٤/٣٩) سنة (١٠٣٨ هـ = ١٦٢٨م) . وانظر حاشيته والتعليق عليه.

صدرها وعجزها][1] ، وصدرها وعجزها أيضاً صاحبنا الشّيخ الصّالح العلامة شهاب الدّين أحمد بن العلامة علي بن محمد البسكري المكي المالكي المغربي تغمده الله برحمته .

وكان والدي رحمه الله رأى في المنام قبل ولادتي بنحو نصف شهر جماعة من أولياء الله تعالى منهم : الشّيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، والشّيخ أبو بكر العيدروس رضي الله عنه وغيرهما ، وكان الشّيخ عبد القادر يريد حاجة من الوالد ، فذلك هو الّذي حمله على تسميتي بهذا الاسم ، وكناني أيضاً أبا بكر ، ولقبني محيي الدّين ، وتقرر عنده أنه سيكون لي شأن ، وكان قلّ أن يسلم له أحد من الأولاد بأرض الهند فما عاش له منهم غيري ، وكان يحبني جداً ، قال لي مرة : إذا وقع زمانك افعل ما شئت . وكم لي منه من إشارات تضيق عن بسطها العبارات ، والأولى الآن طي حكايتها ، والمرجو من الله عود ثمرتها وبركتها .

وحكى بعض الثّقات قال : جاء بعض الوزراء الكبار إلى والدك يطلبُ منه الدُّعاء في أمر من الأمور وأنت إذ ذاك صغير جداً ، وكنت جالساً بين يديه فقرأت في الحال هذه الآية : ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف : ١٣] . فقال الشّيخ لهم : يكفيكم هذا القال . هذا مثل الوحي . قال : ثمّ قُضِيت تلك الحاجة بإذن الله تعالى .

وكانت أمي أم ولد هندية وهبتها بعض النساء من أرباب الخير وبيت الملك المشهورة بالصّدقات الجليلة والهبات الجزيلة والكرم والإحسان والفضل والامتنان لأبي رحمه الله ، وأعطتها حينئذ جميع ما تحتاج إليه من أثاث البيت ، وأخدمتها جملة من الجواري ، وكانت تنظرها مثل ابنتها وتزورها في الشّهر مرات ، وكانت هي إذ ذاك بكراً ، ولم تلد له أحداً من الأولاد غيري ، وكانت من الصّالحات ، على جانب عظيم من التّواضع وسلامة الصّدر ،

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من (م) .

وحسن الأخلاق ، وكثرة الإنفاق . توفيت ضحى يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان سنة عشر بعد الألف ، وكان آخر كلامها لا إلّه إلا الله ، وقبرُها بجوار سيدي الوالد خارج قبته الشّريفة رحمها الله تعالى ، وقرأَت القرآن العظيم حتّى ختمته على يد بعض أولياء الله تعالى وذلك في حياة الوالد تغشاه الله بالرّحمة ، واشتغلت بعد قراءة القرآن بتحصيل طرفٍ من العلم ، وقرأت عدة من المتون على جماعة من العلماء الأعلام ، وتصدَّتْ لنشرِ العلم ومزاحمة أهله ، وذلك بكرم الله وفضله والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم ، ومعرفة فضلهم وتعظيمهم ، مع التّطفل معهم بالأقوال والتّشبه بهم في الأفعال ، وتكثير سوادهم ورعي ودادهم ، وشاركت في كثير من الفنون ، وتفرغت لتحصيل العلوم النّافعة لوجه الله تعالى ، وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة ، وبالغت في طلبها من أقطار البلاد البعيدة ، مع ما صار إليَّ من كتب الوالد رحمه الله ، فاجتمع عندي منها جملة عديدة ، ولمّا بلغني أنّ سيّدي الشّيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال : من حَصَّل كتاب إحياء علوم الدين وجعله في أربعين جلداً ضمنت له على الله بالجنة ، فحصلته كذلك بهذه النيّة ولله الحمد ، ووقفت لاستماع الأحاديث النبويّة ، واشتغال الأوقات بها مع صدق النِّية ، وطالعت كثيراً من الكتب بإعانة الله تعالى ، ووقفت على أشياء غريبة فيها وفيما تلقيته عن المشايخ الأفراد وفضلاء العصر الأمجاد وغيرهم من الثِّقات ، فلم تفتني بحمد الله سبحانه إشارة صوفية ، أو مسألة علمية ، أو نكتة أدبية ، ولكني مع ذلك أظهر التّجاهل في ذلك لأن الكلام على إشارات التصوف ومقامات الصّوفية لا ينبغي الشّخص أن يصفها إلاّ إذا كان متحققاً بها ، ومع ذلك فلا يجوز له أن يتكلم فيها مع غير أهلها ، لأنها مبنية على المواجيد والأذواق ، لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق .

وأمّا نكتُ الأدب فلا يحسن بعاقل أنْ يشتهر بمعرفة علمها ، والله المسؤول أن يجعل ذلك مقرباً إليه ، وموجباً للزلفى عنده ولديه ، وأنْ يتمَّ لنا كمال السّعادة بأن يرزقنا حسن الخاتمة عند الموت ، حتّى نظفر بالحسنى وزيادة مع

والدينا وأحبابنا ومشايخنا وأصحابنا وإخواننا وذرارينا ، إنّه أكرم مسؤول قريب مجيب ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب . ثمّ منّ الله عليَّ بعد ذلك وله الحمد لا أحصي ثناءً عليه بما لا كان لي قطُّ في حساب ، فسبحان المتفضل المنعم المعطي الوهّاب ، حتّى سارت بمصنفاتي الرِّفاق ، وقال بفضلي علماء الآفاق ، ورُزِقْتُ محبةَ أربابِ القلوبِ من أولياء الله تعالى ، وحظيت بدعواتهم الصّالحة ، وعظمني العلماء شرقاً وغرباً ، وخضع لي الرؤساء طوعاً وكرهاً ، وكاتبني ملوك الأطراف ، وأرفدوني بصلاتهم الجليلة وهباتهم الجزيلة ، ووصلَتْ إليَّ المدائح من الآفاق كمصر وأقصى اليمن وغيرهما من البلاد البعيدة ، وأخذ عني غير واحد من الأعلام ، وانتفع بي عدةٌ من الأنام .

وممن لبس منّي خرقة التّصوف من الأعيان : السّيد الجليل العلامة جمال الدّين محمد بن يحيى الشّامي المكي ، والشّيخ الكبير العلامة الشّهير بدر الدّين حسن بن داود الكوكني الهندي ، والشّيخ الصّالح العلامة الفقيه أحمد بن الفقيه الولي محمد بن عبد الرحيم با جابر الحضرمي ، والشّيخ الفاضل شِهاب الدّين أحمد بن ربيع بن الشّيخ الكبير ، والعلامة الشّهير أحمد بن ربيع ابن الشّيخ الكبير ، والعلامة الشهير أحمد بن عبد الحق السّنباطي المكي المصري وغيرهم . وأما الّذي لبسها من الملوك والتّجار وطوائف الناس ، فجماعة كثيرون وخلائق لا يحصون .

وألّفت جملة من الكتب المقبولة التي لم أُسبق إلى مثلها ، ووقع الإجماع على فضلها ، فلا يكاد يمتري في ذلك إلا عدوٌّ أو حاسد ، وهي لَعَمري على ما أنعم الله به من فضله عليَّ أعظم شاهد ، ككتاب : « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » ، وهو كتاب نفيس لم يؤلف قبله أجمع منه ، وهو مجلد ضخم ، وقرظه جماعة من العلماء الأعلام وسادات الأنام حتّى إنّ التّقاريظ التي كتبوها عليه جاءت في كراريس ، ومن غريب الاتفاق أنّ تاريخه جاء مطابقاً لموضوعه وهو « لبس خرقة » وكان جعل هذا التّاريخ الشّيخُ الفاضلُ محمد بن عبد اللّطيف مخدوم زاده ونظمه في أبيات ، منها : [من الوافر]:

ولمّـا كـان ذا التّـأليـفُ فيمـن تشـرّف فـي الأنـام بلبسِ خِـرقَـهْ
فـلا عجـب ولا بـدع إذا مـا أتـى تـاريخ ذلـك « لبس خِـرْقـهْ »

وكتاب « الحدائق الخضرة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة » ، وهو أول كتاب ألفته ، وكان سني إذ ذاك دون العشرين ، وكتاب « إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السير الوجيزة » ، وهو على نمط كتاب الحدائق إلاّ أنّه أصغرُ منه ، وهو عجيب في بابه ، وقرظه بعض الفضلاء ، وكتاب « المنتخب المصطفى من أخبار مولد المصطفى » ، واستحسن أسلوبه بعض الصّلحاء من أهل العلم جداً ، وكتاب « المنهاج إلى معرفة المعراج » ، وكتاب « الأنموذج اللّطيف في أهل بدر الشّريف » ، ولم أعلم أن أحداً تقدمني إلى إفراد مناقب أهل بدر رضي الله عنهم ، وهذا الكتاب الشريف من أعظم الأعمال التي أعتمد عليها وأرجو بها من فضل الله الجنة ، وكتاب « أسباب النجاة والنّجاح في أذكار المساء والصّباح » ، وكتاب « الدّر الثّمين في بيان المهم من علم الدّين » ، ذكرت فيه كل ما يجب على المبتدىء من معرفة العقائد ، ثم ما يحتاج إليه بعد ذلك من أمر دينه كالصّلاة والصّيام والزّكاة والحج ، ثم بينت بعد ذلك الأخلاق المذمومة حتّى يجتنبها الطّالب ، والأخلاق المحمودة ليجتهد في طلبها كلُّ راغب ، وهو كتاب نفيس جداً ، ومفيد في بابه إلى أقصى الغاية ، وكتاب « الحواشي الرّشيقة على العروة الوثيقة » ، وكتاب « مِنَح الباري بختم صحيح البخاري » ، وكتاب « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء » وباعثه أن سيّدي الشّيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال : غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي ، فرجوت أن يتناولني دعاه ، وأردت إسعاف والدي بتحقيق رجاه فإنّي سمعته يقول : إنْ أمهل الزّمان جمعت كلام الشّيخ عبد الله في الغزالي في كتاب وأسميه : « الجواهر المتلالي من كلام الشيخ عبد الله في الغزالي » ، وقد اشتمل هذا الكتاب على جملة من كلامه في الثّناء عليه وعلى كتبه ، وكتاب « عقد اللآل بفضائل الآل » ، وكتاب « خدمة السّادة آل با علوي باختصار العقد النّبوي » ، وأرجو أن يوفقني الله لإتمامه ، وكتاب « بغية المستفيد في شرح تحفة المريد » وهو مختصر جداً ، وكتاب « النفحة العنبرية

في شرح البيتين العدنية » ، وكتاب « غاية القُرَب في شرح نهاية الطَّلب » ، اعتنى به الناس كثيراً وحصلوا منه نسخاً عديدة نحو الأربعين فيما علمْتُ ، وكان بعض العلماء أمر ولده بحفظه عن ظهر القلب على جاري العوائد في حفظ المتون ، وقد أشار إليه العلامة الحباني مع المولد في بعض القصائد التي امتدحني بها بقوله : [من الكامل]:

وبغايةِ القُرب العُلوم تفتحَتْ وبما أتانا نخبة في المولدِ

و« شرح على قصيدة الشّيخ أبي بكر العيدروس صاحب عدن النونية » ، وهو كتاب في غاية الحسن بديع الترتيب غريب التأليف والتهذيب حسن السّبك والانسجام بحيث يفهمه الخاص والعام مشتمل على فوائد جمة ومحتو على مقاصد مهمة ، وكتاب « إتحاف إخوان الصفا بشرح تحفة الظرفا بأسماء الخلفا » ، وكتاب « الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي » ، وكتاب « صدق الوفاء بحقّ الإخاء » ، وهو مع اختصاره عجيب في بابه غريب في وضعه وأسلوبه ، وكتاب « النّور السّافر عن أخبار القرن العاشر » وهو هذا ، وتقريظ على شرح قصيدة البوصيري الّتي عارض بها بانت سعاد لشيخنا شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفقيه عبد الله بن عبد السّلام دعسين الأموي اليمني الشافعي ، وآخر على رسالة صاحبنا الشّيخ العلامة أحمد بن علي بن محمد البسكري في تنزيه الإمام مالك رحمه الله تعالى عن تلك المقالة الشنيعة التي نسبها إليه من لا أخلاق له ، وإجازة للفقيه الصّالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وديوان شعر جمعه بعض الأصحاب وأضاف إليه المدائح التي في النّاظم . واسمه « الروض الأريض والفيض المستفيض » . ومن نظمي :

إذا ما اشتدّ ليلُ الهموم ودجا جعلْتُ إلى أهل بدرِ الالتجا
وما خابَ عبدٌ لهم قد رجَا ومتى توسّل بهم لله فرجا

ومنه :

قَسَمَاً ببديعِ جماله وبيان لسانه إنّي لمعاني آداب صفاته رقُّ

فقهتُ من منطقهِ العذب حديثه وفهمتُ من دقّة خصْره سر يرقُّ
وأينَما كنْتُ فقلبي طائرٌ نحوه ومتى أردت صرفه رأيته يشقُّ

ومنه :

شافعي أحمد لي عند مالكي وما خابَ من أحمد له شافعُ
بل حقيقٌ أن يغفرَ له زلاّته وينعم عليه بالّذي هو طامِعُ

ومنه :

أيُها العاذلون اقصروا عن عِتابي إنَّني استعذبت في العِشق عذابي
ليسَ لي غير الغرام شَرْعاً إنَّني فيه مرسل بالكتابِ

ومنه :

يا رسولي إذا وصلت إلى سو لي فهنّ هناك نفسك بالوصولِ
وإذا جزْتَ حَيَّهمْ أجرِ ذكري والْطفِ القولَ كي يرقوا لنحولي

ومنه :

مريدي اصدق تَنَلْ ما تريدهُ فكل ذا على الله ليس ببعيدِ
تريدُ قربَ مولاك يا صاحبي تقرّب فهو أقرب من حبلِ الوريدِ

ومنه :

لما كان حبيبي أصل مبدأ الوجود وكان في الخلْقِ للرسل ختام
صحّ أنّهم بيت حُسنٍ بدا لكنّ حبيبي كان لحسنهم التَّمام

ومنه :

قالت محاسنه تطيق فِراقي ناديتها لا صبرَ لي لا صبر لي

ومنه :

أنا شيعي لآل محمدِ ومن مذهبي حبُّ شيعتهِ

واستحسن غالبَ هذه المؤلفات جماعةٌ من أهل العلم والصّلاح الّذين شهرتهم تغني عن الإطناب في مدحهم ، كالشّيخ الصَّالح ولي الله العلامة جمال الدّين الفقيه محمد بن عبد الرحيم با جابر الحضرمي ، والشّيخ الكبير قدوة العلماء ودرة تاج الفضلاء الفقيه محمد بن الإمام عبد القادر الحبّاني ، والشّيخ الإمام علم العلماء الأعلام شيخ الإسلام ومفتي الأنام شافعي زمانه على الإطلاق صاحب المصنفات الّتي اشتهرت في الآفاق الفقيه عبد الملك بن عبد السّلام دعسين الأموي الشّافعي اليمني ، والفقيه المحقق العلامة جمال الدّين محمد بن عبد المولى القرطبي المغربي .

وكان المذكور قدم اليمنَ ، فاجتمع فيها بالفقيه عبد الملك ووقف عنده على مجلد فيه جملة منها فأعجب بها جداً ، وقال : إنّه ما بقي لمؤلفها في هذا الزّمان نظير ، وإنّي لأدعو له بطول العمر حتى يبدو منه مثل هذه الفوائد المستجادة لينتفع بها من أراد الله هدايته من أهل السّعادة ، وكتب الأكابر بعضها بخطوطهم ، وكان أخي السّيد الكبير والولي الشّهير العارف بالله تعالى الشّيخ عبد الله كان الله له يعجب بها إلى الغاية ، وله في طلبها واقتنائها أشد عناية ، وكان يحثني على إرسالِ كلِّ ما تجدد لي منها ، ويذكر أنّه أعجبه أسلوبها جداً ، وأنّه لم يجد لي مثلاً في ذلك ، ورأيتُ في بعض أوراقه إلى خادمه سالم بن علي با موجة وقد ذكرني فيها وقال : إنّا ما نراه إلاّ في منزلة والده . وكتب إليَّ الفقيه الصّالح محمد بن عبد الرّحيم با جابر في بعض الأوراق في أمر يطلب مني أنْ أفعله وكان فيه نوع صعوبة فقال : ولا تستبعد هذا يا شيخ عبد القادر ، فإنّك من الّذين يتصرفون في الكون ، وتنفعل لهم الأشياء بإذن الله تعالى . وكان الفقيه عبد الملك رحمه الله يتمنى الاجتماع بي كما حكاه عنه بعض الثّقات ، وهو الّذي يقول في ذلك أيضاً في قصيدةٍ امتدحني بها : [من الوافر]:

إذا مثلتُ شخصكم بفكري	أُوالي زعْقةً في إثرِ زَعْقَهْ
ومهما تذكروا عندي تُصبني	لواعجُ صعْقةٍ من بعد صعْقهْ
ويجري دمعُ مقلتيَ استباقاً	بخدي دفْقَةً من بعد دفقهْ

فمنـــوا بـــاللّقـــاء ولـــو منـــامـــاً لعـلَّ مـريـضَ شخـصٍ منـأيَ ينقـهْ

وأحظـــى بـــاجتمـــاعٍ فـــي محـــلٍّ يضـيء الأنـسُ بـالأفـراح أُفقـهْ

بحضـرةِ مـن حـوى كـلّ المعـالـي وأحـرز مـن مجيـد المجـدِ فـرقـهْ

وحـــاز السّبـــق فيمـــا يبتغيـــهِ ولا عجـبٌ إذا مـا حـازَ حقّـهْ

تغـــذّى بـــالمعـــارف وهـــو طفْـــلٌ وفـي سـنٍّ الكهـولـة مـا أحقّـه

حَبَـــاه الله بـــالعلـــم اللّـــدنـــي فـأضحـى فـاتقـاً بـالفهـم رتْقَـهْ

وذاك الشّيـــخُ عبـــد القـــادر العيـ ـدروس أخـو الفهـوم المستـدقّـهْ

سليـــلُ الأكـــرميـــن ومنتقـــاهـــم وأحظـاهـم بفخـر حـاز سبقـهْ

تبـوّأ فـي الفضـائـل قصـر فضـلٍ لـرايـات الجـلال عليـه خفقَـهْ

وخـصّ ببسطـةٍ فـي العلـم خلـت لـه جمـل المعـارف مسترقـهْ

فـــآتـــاه الإلـــه فنـــون علـــم بـلا تعـب لـديـه ولا مشقّـهْ

وأعطـــاه العطـــاء الجـــمّ فضـــلاً وحسَّـن بعـد حسـن الخلْـقِ خُلْقـهْ

فـأدرك فـي العلـوم مقـام بسـط وأعجـز مَـن تصـوّف أو تفقّـهْ

وصنّـف فـي فنـون العلـم[1] كُتبـاً جليـلات أبـانَ بهـن حـذقَـهْ

وخـرقـة أهلـه قـد جـاء فيهـا بتصنيـف غـدا الإتقـان طبقـهْ

وسلسلهـا إلـى أصـلٍ أصيـلٍ بتنقيـحٍ أصـاب الضبـط وفقـهْ

وأمـا فـي التّصـوّف فهـو فـردٌ إمـامٌ قـد حـوى بـالجمـع فـرقـهْ

لقـد ورثَ الـولايـة عـن أبيـه بتعصيـب وفـرضٍ إستحقّـهْ

فـأنفـق مـن كنـوز العلـم عفـواً وخـصّ بكـل فـنٍّ مستحقّـهْ

فيهنيـه الّـذي أولاه مـولا هُ مـن تحـف العطـايـا المستحقّـهْ

---

(١) في (ط) : « . . في فنون العلوم . . » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه عن (م) .

قلت : وذكري لهذه الأشياء إنّما هو من باب التّحدث بنعمة الله ، ولأن الّذي حكيْتُ عنهم ذلك من أهل الدِّين والصَّلاح تيمناً بأنفاسهم الطَّاهرة ، على أنِّي ما ذكرْتُ من ذلك إلا القليلَ مع أنَّ ما ذكرته من أنواع لطفهم بي دون ما تركته بكثير ، جزاهم الله عني أفضل ما جزى أستاذاً عن تابعه ، ولم أر في نعم الله الّتي أنعم بها عليَّ بعد الإسلام والنّسبة إلى رسول الله ﷺ نعمة أجل منه ، فلذلك ذكرْتُه في هذا التّأليف واخترت بقاءه فيَّ وفي عقبي وأصحابي إلى آخر يوم من أيّام الدّهر ، وقد سبقني إلى ذلك من العلماء المقتدى بهم جماعة لا يحصون ، كالعلامة شيخ الشّيوخ إمام المحدثين وقدوة المحققين ابن حجر العسقلاني ، والعلامة الحافظ السّخاوي ، والعلامة السّيوطي ، والعلامة شرف الدّين إسماعيل المقري اليمني صاحب « الإرشاد » ، والعلامة الحافظ الدَّيبع ، والعلامة الفاسي ، وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر الهيتمي ، وغيرهم .

● وفيها : فاضت بأحمد آباد بعض البرك حتّى خرجَ عنها الماء الذي كان فيها وصارت فارغة .

● وفيها أيضاً : رُئي الدَّم في بعض برك الماء بأحمد آباد .

* * *

سنة تسع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ربيع الثاني سنة تسع وسبعين توفي **الفقيه الصُّوفي الجامع بين الشريعة والحقيقة حسين ابن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج با فضل الشافعي الحضرمي**[1] بتريم ، ولصاحبنا الأديب الفاضل الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي في تاريخ ذلك بيتان وهما :

شيخُنا حيٌّ تجدده ضابط العام الّذي مات
فيه حسين بن الفقيه با فضل بالحاج ذي الكرامات

وكان من كُمّلِ المشايخ العارفين الجامعين بين علوم الشّريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة ، صاحب أحوال سنية ومقامات عليّة وفراسات صادقة وكرامات خارقة . وله في التّصوف رسالة سماها : الفصول الفتحية والنفثات الروحية فيما يوجب الجمعية وعدم البراح من جانب الحق والفناء والبقاء به بالكلية والجزئية .

ومن كراماته : أنّه كان مرة في مجلس وبين يديه مريده فضل بن إبراهيم ، فكان يتكلم بأشياء بطريق الكشف كعادته ، وكان في ذلك المجلس أخي السّيّد عبد الله ، فالتفت إليه فضل المذكور وقال : إنّ والدك ركب في بعض الخشب وسرى هذه السّاعة ، فقال الشّيخ حسين : ما خرج من الهند أصلاً ، فتراجعا ، فقال الشّيخ حسين : إما عليَّ كذا أو عليك كذا من باب البسط ، ثم اتفقا على أنّه ما خرج ، فاتفق أنّ أخي كتب هذه القصة في كتاب ووقع عزمه إلى الهند في تلك السّنة ، وكان الكتاب المذكور في صحبته ، فلما رآه والده قال : صدق الاثنان الشّيخ حسين ومريده إلاّ أنّ الشّيخ حسين كان نظره يشرف على حقائق

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٦٧) .

الأشياء ، وأخبر أنّه كان في ذلك الوقت في ذلك اليوم في ذلك الشهر عزم من أحمد آباد بنية بر عرب لأنّ الوزير وهو عماد الملك الذي كان يعوق عليه ذلك خرج في تلك السّنة للصيد ، فلما كان في أثناء الطريق لحقه الوزير المذكور فصدّه عن ذلك . قال : وأما قول فضل أنّه ركب في بعض الخشب وسرى هذه السّاعة ، فإنَّ البُهلَ[1] . إذا مشى به البقر يشبه سراية الخشب في البحر . وبينما هو في بعض اللّيالي يسير في الطّريق إذ وجد والدي رحمه الله ، فوقفا يتذاكران واستمرا كذلك إلى الصّباح .

وحُكي أنّه قال : ما عندنا من الأعمال الّتي نعتمد عليها شيئاً إلاّ ذرة من حبِّ آلِ محمد ﷺ ، فبلغ ذلك الشّيخَ أحمد بن الحسين العيدروس ، فقال : هنيئاً له ، هذا هو الّذي عناه الشّيخ أبو بكر العيدروس بقوله : [من الرجز]:

لـك الهَنـا إن حـلّ فيـك ذرّةٌ	مـن حبِّهـم أو لاحَ منـك حظـره
بـذكـرهـم مـا أعظـم المسـرّة	طُـوبـى لقلـبٍ حـلّ حبهـم بـهِ

وكان مولعاً بكتب الشّاذلية ، وكان يميل إلى طريقتهم السّنية ، حتّى قيل فيه : إنه شاذلي زمانه . روي ذلك عن الشّيخ الكبير والولي الشّهير أحمد بن سهل . وكان يعظم الشّيخ محيي الدين بن عربي ، ويقرىء كتبه ، وكان له في اقتنائها أشد عناية حتّى إنّ كتابَ « الفتوحات المكية » كان لا يوجد بحضرموت إلاّ عنده ، ولما كتب والدي إلى ولده السّيِّد عبد الله أن يحصله له طلبه من الشَّيخ حسين فامتنع أولاً ، وسأل بعض الثقات أنَّ السّيِّد عبد الله يريد يحصله لنفسه أو لوالده ؟ فقال : لا بل لوالده ، فأعطاه إياه .

وحكي أنَّ الشّيخ بَلّ النّسخة التي كانت عنده عند وفاته ما خلا باب الوصايا منه وقال : إنّما فعلته تعظيماً لشأنه ، لأن النّاس لا يفهمون معانيه ، فيقعون في الغلط بسبب ذلك .

---

(١) البُهل : الإبل المهملة ، مفردها : باهل .

قلت : وكان الشيخ [حسين][(١)] من المشايخ المربين ، وكتبُ الشّيخ ابن عربي اشتملت على علوم لا يفهمها إلا أهل النّهايات وتضرُّ بأرباب البدايات .

قال الحافظ السّيوطي : والقول الفصل عندي في ابن عربي : طريقة لا يرضاها فرقنا أهل العصر لا من يعتقده ولا من يحطّ عليه . وهي اعتقاد ولايته وتحريم النَّظر في كتبه .

قلت : وحكى الشّيخُ الإمام العلامة بحرَق أنّه سمع الشّيخ أبا بكر العيدروس يقول : لا أذكر أنّ والدي ضربني ولا انتهرني إلا مرةً واحدة بسبب أنه رأى بيدي جزءاً من كتاب « الفتوحات المكية » لابن عربي فغضب غضباً شديداً ، فهجرتها من يومئذ . قال : وكان والدي ينهى عن مطالعة كتابي « الفتوح » و« الفصوص » لابن عربي ويأمر بحسن الظّن فيه وباعتقاد أنّه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين ، ويقول : إنّ كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات وتضرّ بأرباب البدايات .

قال الشيخ بحرَق : وأنا أيضاً على هذه العقيدة ، وأدركت عليها جماعة من المشايخ المُقْتَدى بهم .

قلت : وهذا مقتضى كلام السّيوطي رحمه الله ، وأنا أيضاً على هذه العقيدة ، وهذه الطّريقة أسلم والله أعلم . ووجدت بخط صاحب التّرجمة سيّدي الشيخ حسين بن الفقيه عبد الله بالحاج با فضل رضي الله عنه ونفع به آمين : أنَّ الشّيخ الإمام وليَّ الله تعالى محيي الدِّين النّووي لمّا رأى كلامه وطالعه قال : الكلام كلام صوفي . ثم قال الشّيخ حسين : وهو كما قاله هذا الإمام أن كلامه كلام الصّوفية ، وإنّما هو بسط العبارة في موضع الإشارة وما يحمله من ينكر على الصّوفية . ووجدت بخطه أيضاً ما صورته هذه الأبيات تصلح في الشّيخ محيي الدِّين : [من الوافر]:

---

(١) ليست الكلمة من (ط) .

دعُــوه لا تلــومــوه دعُــوه فقــد عَلِـمَ الـذي لـم تعْلمـوه
رأى علــم الهــدى فسمَــا إليــه وطــالــب مطلبــاً لــم تطلبُــوه
أجــاب دعــاءه لمّــا دعَــاه وقــام بحقّــه ووضعتمــوهُ
بنفسـي ذاك[1] مـن ممنـوح قُـرْبِ وطــاعــم مطعمــاً لــم تطْعمُــوه

قلت : وعلى بالي حكاية غريبة وقعت للشيخ ابن عربي تدلُّ على فضله العظيم أذكرها هنا تيمناً بذكره واستشعاراً بعظيم قدره ولأن المؤرخين يقولون : من ذكر إنساناً وعلم له نادرة فلم يذكرها فقد ظلمه . ذكر بعض المعتنين بأخباره والمدونين لمحاسن آثاره : أنَّ صاحب إشبيلية أرسل مالاً عظيماً إلى مكّة شرفها الله تعالى ، وأوصى الوكيل أن لا يفرق هذا المال إلا أعلمُ أهلِ الأرض ، واتفق أنّه اجتمع تلك السنة بمكة شرفها الله تعالى من المشايخ والعلماء والفقهاء ومن كلِّ ذي فن من العلوم ما لم يجتمع في عصر من الأعصار ، وهي السَّنة التي اجتمع فيها الشّيخ شهاب الدين السّهروردي بالشّيخ محيي الدِّين رضي الله عنهما ، وقال كلُّ واحد منهما في شأن صاحبه ما قال ، فأجمع الكلُّ على الشّيخ محيي الدِّين رضي الله عنه ، وأن لا يفرق المال سواه ، ففرقه ، فلما فرغ من تفريقه قال : لولا أنَّ خوفي خرق الإجماع لامتنعت ، فقال له بعض أصحابه : لِمَ يا سيدي؟ قال : ما أريد به وجه الله ، بل أريد به التّفاخر ، فقال له : بيِّن لي ذلك . فقال : إنّ صاحب الغرب أراد أن يفتخر بي على سائر ملوك الأرض إذ قد علم أنه لا يفرقه سواي ، فما أراد به وجهَ الله تعالى بل أراد التّفاخر ، فبلغ ذلك المجلس إلى صاحب إشبيلية ، فبكى وقال : صدق الشّيخ ، هذا أردت .

ومن شعر ولده محمد وكان قد جاور بالمدينة الشّريفة فطلب منه بعض الأصحاب العود إلى وطنه وكتب إليه هذه الأبيات : [من الكامل]:

لو قيلَ لي في حضرموت جواهرٌ تُعْطـى بــلا مــنٍّ لكــلِّ طليــبِ

---

(١) سقطت هذه اللفظة من (ط) .

أو قيلَ لـي مـا تشتهيـهِ[1] ومـا تَهْـوى تجـده غـايـةَ المطلـوبِ
لاختـرتُ منهـا نظـرةً فـي طيبـةٍ والمـوتُ يـأتـي بعـدهـا بقـريـبِ
هـذا خـلاصـة رغبتـي فـي غُـربتـي فـافهـمْ فـديتـك شـرحَ حـالٍ كئيبِ
مـاذا يُـراد ويُشْتَهـى فـي غيـرهـا لـي جنّـة فـي روضـةِ المحبـوبِ
صلّـى عليـه الله ربّـي دائمـاً مـا بـانَ نجـمٌ أو هـوى بغـروبِ

ومنه : [من الطويل]:

أتينـا قُبَـاء قـال مسجـده لنـا مقالاً فصيحاً وهو بيتٌ من الشِّعرِ
لقد ضعتُ في قفْرٍ فما لي عائدٌ فوا حسرتا إذْ كنت في جانب البرِّ

ولهذين البيتين قصةٌ عجيبة ، وهي أنَّ المشار إليه كان يختلف كثيراً إلى مسجد قباء ، وكان وقف المسجد إلى جهة الشّيخ أبي اللطيف البري ، وما كان يقوم بخدمة المسجد ، وما يحتاج إليه من العمارة وغيرها كما ينبغي ، فكتب هذين البيتين على مسجد قباء .

وبالجملة : فإنّه كان لطيف النّظم رقيقَ الطّبع ، وكان صاحبُنا الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر قد اجتمع به بالمدينة الشَّريفة فحكى عنه من النّوادر المُسْتظرفة والحكايات المُسْتطرفة شيئاً كثيراً ، وله مشاركة في كثير من العلوم ، وتقرأ عليه الطّلبة في غير واحد من الفنون ، وهو إلى الآن موجود ، وله أخ ثانٍ بحضرموت اسمه زين على قدم والده يُشار إليه بالصّلاح .

● وفيها : في ضحى يوم الأربعاء ثاني عشر شهر جمادى الأولى توفي **الفقيه عبد القادر بن الفقيه عبد الله بن الفقيه الصّالح أحمد بن محمد با فضل** بعدن ، ودفن داخل دائرة مقبرة جدّه الفقيه محمد بالقرب من قبره ، وكان رجلاً لبيباً عاقلاً فاضلاً أديباً بليغاً نحوياً يقول الشعر ، وكانت له مشاركة في الفقه والحديث . أخذَ عن الفقيه عبد الله بن عمر مخرمة ، والعلامة شهاب الدِّين

---

(١) في (م) و(ط) : « تشتهي » ولا يستقيم بها الوزن .

أحمد بن عمر الحكيم ، وأخذ النّحو واللّغة عن الفقيه محيي الدِّين عبد القادر الحموي وذلك ببلده عدن ، وكان قائماً بوظيفة مسجد الدّرسة ، وولي نيابة الشّافعية بمدينة عدن ، وكانت سيرته حسنة محمودة رحمه الله تعالى .

● وفيها : مات قاضي القضاة محمد حاجي بمكة المشرفة ، فقال الأديب عبد الرحمن الخفاجي المكي مؤرخاً لذلك : [من الوافر]:

لقد رحمَ المهيمنُ قبر قاضٍ ... عزيزاً قد سما عزّ افتخارهْ
إمامٌ عالمٌ حبرٌ تقيٌّ ... به الشّرع الشّريف علا منارهْ
فدلّ على سعادته انطراحٌ ... ببابِ اللهِ من قد عزّ جارهْ
له عدلٌ به الركْبَان سَارتْ ... وزان جماله الأسنى وقارهْ
بميزان يحلُّ بخيرِ أرضٍ ... فكان بمكّة الغرّا قَرارهْ
فتاريخُ الوفاة له بضبطٍ ... وتحرير جنان الخُلْدِ دارهْ

● وفيها بنى والدي بأحمد آباد بيتاً ، وجاء تاريخه « بيت السعادة » وجعل هذا التّاريخَ الشّيخُ عبد المعطي با كثير ثم نظمه في أبيات فقال : [من الكامل]:

أكرم بأرفعِ روشنٍ قد زيِّنت ... أرجاؤه إذْ صار في غُرفاتهِ
قد أتقن الأستاذ صنْعةَ وضعهِ ... فَزَها وفاقَ بذاته وصفاتهِ
أنشاه مولانا الشّريف بقصره الـ ... ـعالي المنيف فشادَ من بركاتهِ
شمسُ الشّموس العيدروس المجتبى ... شيخُ بن عبد الله شهمُ حماتهِ
قطبُ الوجود وغوثنا وملاذنا ... يا ربّ متّعنا بطول حياتهِ
يا حسنَهُ من روشن في غرفة ... قد زُخرفت منه بحسن سماتهِ
بالعيدروس سَمَا وجاز نضارةً ... مُذْ حلّ فيه بنفسه وبذاتهِ
ومن السّعادة قد أتى تاريخه ... « بيت السّعادة » فهو من آياتهِ

* * *

سنة ثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمانين توفي العبد الصّالح الشّيخ عبد الرحيم بخضر خادم سيِّدي الشّيخ الوالد فقير الشّيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي ، وكان له حسن ظن مفرط في الوالد حتى إنّه كان يبتلع بصاقه ، وكان مجذوباً ، ورويت عنه كراماتٌ رحمه الله آمين .

● وفيها : أخذ السّلطان أكبر بن همايون كجرات ، وهو من أولاد تيمورلنك بينه وبينه أربعة آباء ، وكان عظيمَ الشّأن ، ورزق السّعد في أيامه ، وطالت مدة ولايته واتسع ملكه جداً ، وكان عادلاً حليماً عاقلاً حكيماً . والكلام فيه يطول والمسائل في شأنه تعول ، فلنقبض العنان والله المستعان . وكانت مدة سلطنته خمسين سنة ، وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة بعد الألف ، وتاريخ العام يجمعه « غدي » بالياء وهي لغة غير فصيحة في غدا ـ بالألف ـ أي ذهب ، وقلت في ذلك :

غـــدي أكبـــر فـــي الـــذاهبيـــن   وذي سنّــة الله فــي الغـابـريـن[1]

وتولى بعده ولده سليم شاه .

● وفيها : وقع ختم « إحياء علوم الدِّين » بحضرة سيِّدي الوالد ، فأنشأ الشَّيخُ عبد المعطي با كثير قصيدة وهي : [من الكامل]:

يا سيِّدَ السادات يا بن المصطفى   يـا نسـلَ حيْـدر يـا عظيـمَ الشّـانِ
يا قطبُ يا غوثَ الورى يا من حوى   بـالعلـم والتقـوى أعـزّ مكـانِ
يا شيخ يا بن العيدروس ومن سَما   ذاتـاً وأوصـافـاًبكـلِّ زمـانِ

---

(١) كذا رواية البيت في (ط) وقد ورد الشطر الثاني في (م) بلفظ : « والحمد لله رب العالمين » .

يـا خـادمَ العِلْـمِ الشـريـف بقلبـه ... ولســانــه وبســائــر الأركـــانِ

أكملْـتَ إحيـاءَ العلـومِ قـراءةً ... بـالبحـث والتّصحيـح والإتقـانِ

أبـديـت فيـه فـوائـداً وفـرائـداً ... بفصيـح نُطْـق مـعْ صحيـح بيـانِ

أبـرزْتَ دُرّاً مـن مكـامـن وضعـه ... كعــرائــس تُجْلـى علـى الآذانِ

قــرَّرت كــلَّ دقيقــة وجليلــة ... بعبــارة عــذبــتْ بحســن بيــانِ

فكــأنّ حضـرتـك العليـة جنـةٌ ... فقطــوفُ أثمــار الفــوائــد دانِ

أو روضــةٌ قـد أينعـت أزهـارهـا ... أو مظهـرُ المعـروف والإحسـانِ

وكأن ذاتك إذ جلست بمجلس التّـ ... ـدريس تلقي الدّرسَ كالسلطانِ

من حـولـك الأشـراف يمنة يسرة ... خيـر البـريّـة مـن بنـي عـدنـانِ

مـن آل بـا علـوي أعـلام الهـدى ... أهـل التقـى والـدِّيـن والقـرآنِ

متمسكيـــن بسنّـــة وجمـــاعـــة ... متـــزينيـــن بـــزينـــة الإيمـــانِ

هـذا هـو الفخـر المنيـف إذا تعدّ ... مفـاخـراً بـالـدِّيـن لـلإنسـانِ

بالعلم والنّسب الشَّريف وبالتّقى ... والسّعـي دأبـاً فـي رضـا الـرَّحمـان

فتهنّ يا بن العيدروس بختمك الـ ... إحيـا تمـامـاً فـي أقـلِّ أوانِ

ختـمٌ عليـه مـن المهـابـة رونـقٌ ... زينتـــه بجمــــالـــكَ الفتّـــانِ

لا زلْتَ في درس العلوم مواصلاً ... ختمــاً لــدرس بـابتـداءٍ ثـانـي

واسلـمْ ودمْ فـي عـزّة ومكـانـة ... فـــي ذروة العليـــا بكـــل زمـــانِ

وعليـكَ مـن ربِّ الأنـام تحيـة ... مـا غـردت ورْقٌ علـى الأغصـانِ

* * *

سنة إحدى وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وثمانين : فُقِدَ مركب سيّدي الشّيخ الوالد المسمى بالعيدروسي وهو مسافر من الشِّحر إلى الدّيو ، وكان فيه جماعة من الأشراف وغيرهم ، فحصلت لهم الشّهادة .

● وفيها : قدم الإمام العلامة أبو بكر ابن الإمام برهان الدِّين إبراهيم مطير بندر المخا ، فكتب إليه الشَّريف الفاضل الولي العارف بالله تعالى السَّيِّد حاتم بن أحمد الأهدل هذا السُّؤال ، وهو : [من البحر الكامل]:

يا مَنْ له في النّحْو فهمٌ ثاقبٌ ... ودرايةٌ في الشِّعْر من بين المَلاَ

أوضِحْ بفضلك لي جواباً شافياً ... عن بيْت شِعْر كله قد أشكلا

البيتُ هذا من قصيد قاله ... عبد الرّحيم فصح لنظم قد حلا

ذكرَ المعاهد والزّمان الأولا ... فبكى لأيام العُذَيْب وأعْولا

وبدا له برقٌ بأبرق رامة ... وهناً فبات من الجوى مُتململا

نامتْ عيونُ العالمين فلم ينَمْ ... وسلَت قلوبُ العاشقين وما سلا

إنْ كان فارقه الفريقُ فروحُه ... معهم تسير مع الهوادج في الفَلا

هل إن تراها في الأخير بكسرة ... أو فتحة حقِّق هديت تفضّلاَ

فأجاب : [من الكامل]:

إنْ في الكلام بكسرة شرطيّة ... والفا جواباً جاء بعد مفصّلا

ويريدُ إنْ هم فارقوه فروحه ... معهم ملازمة تساير في الفَلاَ

والفتحُ لم يظهرْ له معنى وإن ... قُلنا به جاء الجواب معطّلا

ولقد أجادَ الشّاعرُ المنطيقُ[1] في ... لفظ بديعٍ مع فصاحته حَلا

---

(١) تحرفت في (ط) إلى : (المنطقَ) .

حـاكـتْ بـلاغتـه القـريـظ فخلتـه وشياً على الحسنا يفوق على الحلا
لا زالـتِ الألفـاظُ طـوْعَ مـرادهِ وفـؤاده بـالـدّرِّ صـار مكلّـلا[1]
ثـمّ الصّـلاة علـى النَّبـيِّ وآلِـهِ وصِحـابـهِ والتّـابعيـن علـى الـوَلا

● وفيها : جاء السّلطان أكبر إلى كجرات ، وذلك أنه بعد أن أخذها ترك فيها بعض الوزراء ورجع ، فحاول من بقي من أمراء كجرات أنْ يستنزعوها من يد ذلك الوزير وحاصروه بجموع عديدة ، وكادوا أنْ يظهروا عليه ، فلما سمع السّلطان بهذا الخبر دهمهم بجنود كثيرة ، ووصل إليها في مدة قليلة ، وحاربهم أشد المحاربة حتى قتلهم عن آخرهم .

● وفيها : وقع بأحمد آباد ريح عاصف عظيم مع غبار كثير حتى أظلمت الأرض ، وعقبه رعد وبرق وقليل مطر .

* * *

---

(١) في (م) : « . . . مكمّلا » .

سنة اثنتين وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وثمانين توفي الفقيه العالمُ العلامةُ المتبحر سراجُ الدِّين **عمر بن عبد الوهاب النّاشري**[1] رحمه الله تعالى بمدينة زَبيد ، وكان سئل عما يعتاده أهل زَبيد من العيد الّذي في أول خميس من رجب هل له أصل ، وهل هو سنّة أم لا؟ فأجاب بهذه الأبيات : [من البسيط]:

وسائل سال عن قوم وعادتهم ... عيد الخميس الّذي في مبتدا رجبِ
أسنّةٌ هو أو لا؟ أو ضحوه لنا ... وما لتمييز هذا اليوم من سببِ؟
فقلتُ ذا مبدأ الإسلام في يمن ... عيد الخميس الّذي في مبتدا رجبِ
أتى معاذ بأمر الله فيه لنا ... بالاتباع إلى منهاج خيْرِ نبي
فصارَ ذلك عيداً عندنا فلذا ... نخصُّه بمزيدِ الحبِّ في القُرَبِ
ولا نقولُ بتخصيص الصِّيام له ... ولا صلاة ولا شيء من القُرَبِ
نعمْ لنا فيه تخصيصُ المحبّة إذ ... كان النّجاة لنا فيه من العَطَبِ
فصارَ إقباله فيه القبول على ... قوابل القابلين الأكل عن إربِ[2]
ثمّ الصّلاة مع التّسليم لا برحا ... على محمّد خيرِ العجْمِ والعربِ
والآل والصَّحب ثمّ التّابعين لهم ... ما انهلّ مُزْنٌ على الأشجار والكثبِ

● وفيها : توفي الشَّيخ الفاضل **عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي**[3] المكي بمكة ، وكان مولده في شهر ربيع الأول من عام عشرين وتسعمائة . وله

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٨٢ـ٥٨٣) .
(٢) في (م) : « . . الكل عن إرب » .
(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٨٢) ، و« معجم المؤلفين » (٥/ ٢٨٣) و« الأعلام » (٤/ ٣٦) .

تصانيف مفيدة منها : شرحان على « البداية » للغزالي أحدهما[1] أكبر من الآخر ، ومصنفاته كثيرة لا تنحصر ، ورأيت منها جملة عديدة في فنون شتى .
ولعَمري إنّه يشبه الجلال السّيوطي في كثرتها بحيث أنه يكتب على كلِّ مسألة رسالةً مع أنّ عبارته ما هي بذاك رحمه الله . وسئل عن حكمة ما يقع أيام الموسم من حدوث الهمِّ والتَّشاغل لمن لا عيال له ولا ديْن يثقله ويهمه ، فقال : إنّ السِّرَّ في ذلك والله أعلم هو اشتغال أكثر النّاس واهتمامهم بمعاشهم ونحوه ، فيسري ذلك منهم ولغيرهم كما جاء في الحديث : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه شكى البعض الآخر »[2] .

ومن شعره : [من الكامل]:

إن كان رفضي في محبّةِ حيدر ... وبنيه[3] قاطبةً فإنّي رافضُ
حسبي اقتدائي بالإمام مقلّدي ... الشّافعي بحرُ العلوم الخائضُ

ومنه في القهوة : [من مجزوء الرمل]:

إشربِ القهوةَ صرفاً ... تجدِ الصَّفْو مزاجا
واذكرِ اللهَ عليها ... تشْهدِ الأنسَ سِراجا

ومنه تاريخ بيت بناه الشريف أبو نمي سلطان مكة : [من الخفيف]:

إنّ بيتاً بناهُ خيرُ مليك ... أسّسَ المجدَ كفُّه وأشادهْ
فاق في وصفه وحُسن بداه ... كلَّ قصرٍ به العلا والسِّيادهْ
جاء تاريخ وصفه في نصيفٍ ... أنا بيتُ الملوك دارُ السّعادهْ

وكان الفقيه الصَّالح محمد بن عبد الرّحيم با جابر رحمه الله قد اجتمع به

---

(١) في (م) : « أهل هما » ، وما أثبتناه في (ط) .
(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٦٠١١) ومسلم رقم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ .
(٣) تحرفت في (ط) إلى : « وبنير . . . » .

بمكة سنة سبعين وتسعمائة وأنشده هذين البيتين من لفظه وذكر أنّهما لجدّه :

[من البسيط]:

بادِرْ إلى طلبِ العِلْمِ العزيز وإنْ ضاقتْ ولم تصفُ أقوات وأوقاتُ

ولا تـؤخِّـرْ لصفـو ورجـا سعَـة فهـم يقـولـون للتّـأخيـر آفـاتُ

● وفيها : توفي العلامة المتفنن القاضي عيسى الهندي بأحمد آباد ، وكان من أعيان العلماء المشهورين وأوحد المشايخ المدرسين ، وله تصانيف نافعة رحمه الله .

● وفيها : **توفي سلطان [الروم]**(١) **العثمانيين السّلطان سليم**(٢) **بن السّلطان سليمان** . وللأديب مامية الانقشاري في تاريخ موته : [من الرمل]:

فـارقَ المُلـك سليـمُ المُجتبـى وغـدا ضيفـاً علـى بـاب الكـريـمِ

وغـدا فـي الشهـدا تـاريخـه رحمـة الله علـى حـيٍّ سليـمِ

وقد وضع لوفاته أيضاً بعضهم تاريخاً مطابقاً إلا أنَّ فيه تجاوزاً من حيث الكتابة ومن حيث اللّفظ أيضاً وهو : « مضا سليماً » قال بعض أصحابنا : وهذا لا بأس به ولو كان ملحوناً فالعلم حاصلٌ . ولمامية الانقشاري تاريخ ابتداء سلطنة سليم نصيف هو « تولى سليم الملك بعد سليمان » وتولّى بعده ولده السّلطان مراد . ولمامية الانقشاري في تاريخ ذلك : [من الكامل]:

بالبخت فوق التّخت أصبح جالساً مَلـكٌ بـه رحـمَ الإلّـه عبـادَهُ

وبـه سـريـرُ المُلـكِ سـرَّ فـأرخـوا حـاز الـزّمـان مـن السّـرور مُـرادَهُ

ولبعضهم أيضاً في مثل ذلك بيتان : [من مجزوء الكامل]:

يـا سـائلـي تـاريـخ مـن ولِـيَ الخـلافـة والحَـرمْ

---

(١) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٨٠ـ٥٨١) و« أخبار الدول وآثار الأول » للقرماني (٣/ ٦٦ـ٧٣) و« الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٦) و« تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص (٢٥٣ـ٨٥٢) و« العقد المنظوم » (٤٥٤ـ٤٥٦) .

فـــاسمعـــــه منِّـــي إنّـــــه هـــذا المـــراد لقـــد حَكَـــمْ

ومولد هذا مراد في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة فأفهم بعض المؤرخين أنّ مراداً هذا من الصّالحين لكون تاريخ مولده يجمعه عدد حروف الذّكر لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، وتوفي السّلطان مراد رحمه الله ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث بعد الألف ، وتولى بعده السّلطان محمد ، وهو السّلطان اليوم .

● وفيها : عمَر الوزير درويش باشا حماماً عظيماً ، فعمل الأديب البارع مامية الانقشاري لذلك تاريخاً لطيفاً وهو « حمام رفع الحدث » ثم نظمه في أبيات وهي : [من السريع]:

فــي دولــةِ السّلطــان عــدلاً مــراد مــن حكمـه شـرقـاً وغـربـاً مكـثْ
درويـــشُ بــاشـــا شـــاد حمّـــامـــه ومـــن قـــديـــم مثلـــه مـــا حَـــدَثْ
يـروي الشّفـا عــن مـائـه والهـوى كـــأنّ روحَ الله فيـــــه نَفَـــثْ
فـاجـزمْ علـى الغُسْـلِ بـه كـي تـرى تــاريخــه « حمّــام رفْــعِ الحَـدَثْ »

● وفيها : أيضاً عمَر الوزير المذكور جامعاً بدمشق المحروسة[1] ، فجعل له مامية الانقشاري أيضاً تاريخاً وضمنه في هذه الأبيات : [من الرجز]:

فــي دولـة السّلطـان بـالعَـدْلِ مـراد مـن قـام بـالفـرض وأحيـا السُّنَّـهْ[2]
درويـشُ بـاشـا قـد أقـام مَعْبَـداً وكـــم لـــه أجـــرٌ بـــه ومنّـــهْ
بنــاهُ خيــر جــامــع تــاريخــه « لله فـــاسجـــد واقتـــرب بجنَّـــهْ »

* * *

(١) انظر الخبر في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٨٠) .
(٢) في (م) و(ط) : « . . واجباً والسنة » وما أثبتناه في « شذرات الذهب » وهو الأصح للمعنى والوزن معاً .

سنة ثلاث وثمانين بعد التسعمائة

● وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين : طلب السّلطان عبد الله بن بدر الكثيري الفقيه الصّالح العلامة محمد بن عبد الرحيم با جابر من بلدة بروم إلى الشِّحر ليوليه تدريس مدرسة أبيه السلطان بدر بها وألزمه بذلك ، ففعل ، وانتفع بتدريسه الأنام واستنارت بذلك وجوه اللّيالي والأيام . وما أحسن ما قاله السَّيِّد الشّريف الفاضل وجيه الدِّين عبد الرّحمن بن أحمد البيض با علوي رحمه الله في ذلك : [من الكامل]:

شمسُ الهدى طلعت وغاب رقيبها ... ونجومُ نحسِ الجهل آن مغيبُها
بظهور مولانا ومالك عصْرنا ... نجلُ الخلافة فحلُها ونجيبُها
مولى ملوكِ الأرض غير مدافع ... ومدفع لبعيدها وقريبها
عبد الله السلطان منصور اللوا ... مردي العداة بكفِّه تعذيبُها[1]
لما أتى للشِّحرِ يصلح أمرها ... وجميع داعية الفساد يذيبُها
ودعى إمام العصر فرد زمانه ... شيخ العلوم فقيهها وأديبها
أعني الفقيه محمد بن مزاحم ... من زاحمَ العلما وحازَ نصيبها
العالمُ الحبرُ المبرّز في العُلا ... سبّاقُ غاياتِ الكرام خطيبُها
جادَ الزمانُ به علينا فاغتدتْ ... أيامه معلومة من طيبها
غُفرتْ ذنوبك يا زمانُ جميعها ... إذ قد برزت إلى القلوب حبيبها
إن كنت ترغب في العلوم ونقلها ... بادِرْ إليه وسَلْه في تهذيبها
فعلى الخبير بها سقطت فسلْه عن ... ما شئت من عزيزها وغريبها[2]

---

(١) لم يستم وزن الشطر الأول من هذا البيت .

(٢) لم يستقم وزن الشطر الثاني من هذا البيت .

فـالله يبقيـه ويصلـح شـأنـه وجميـع أعـداه اللئـام يصيبُهـا

وفيها : في شعبان فرغ والدي رحمه الله من كتابه « الفوز والبشرى في الدنيا والأخرى شرح العقيدة الزهرا » ، وهذا الكتاب من محاسن الدهر لم يسبق إلى مثله فيما علمت ، ولما سمعه بعض العلماء الصلحاء قال : كنت أدور الأشياء من جهة المعتقدات فما شفانا شيء مثله فيها لا من كتب الغزالي ولا اليافعي .

* * *

سنة أربع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي شهر ذي الحجة سنة أربع وثمانين توفي **الشيخ العلامة المفنن عبد الله بن سعد الدين المدني السندي**[1] بمكة رحمه الله تعالى ، وكان من كبار العلماء البارعين وأعيان الأئمة المتبحرين ، وله جملة مصنفات منها « حاشية » على « العوارف » للسهروردي .

● وفيها : **توفي العالم الصّالح الشّريف عبد الله الشّهير بالنّحوي ابن عبد الرحمن بن هارون با علوي** بتريم . ومن كراماته : أنه كان في يوم من الأيّام جالساً وعنده أخي السَّيِّد عبد الله ، فقال له : يا عبدَ الله إنّ معي خاطراً أنَّ فلاناً يفعل كذا وكذا ، وذكر شيئاً من الأفعال المذمومة التي لا يبيحها الشرع وقعد معي أياماً ، وهو من المتعلقين بنا وتجب له منا النّصيحة ، فطلبه إلى عنده وكلمه ، فاعترف بذلك ، وتاب من وقته ، وحسنت توبته ، ثم إنَّ الشَّريف بقي يلوم نفسه على ذلك ، ويقول : أخاف أن يكون هذا من الاستدراج .

● وفيها : **في ليلة السبت ثاني عشر رجب توفي الشَّيخ جمال الدِّين محمد بن الشَّيخ عبد الرّحيم بن محمد ، وهو أخو الشّيخ العلامة أحمد العمودي الّذي** تقدم ذكره ، وهما أبناء الشيخ الكبير العلامة الشهير الفقيه عثمان بن محمد العمودي ـ نفع الله بهم ـ الحضرمي بأحمد آباد ، وكان حسن الأخلاق ، كريم النفس ، كثير التواضع ، محبوباً عند الناس ، ذا وجاهة عظيمة وقبول عند الخاص والعام رحمه الله تعالى .

● وفيها : **في يوم الاثنين ثالث شوال توفي العبد الصالح سيدي سعيد**

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٩٣) ومعجم المؤلفين (٦/ ٥٧) .

سلطاني الحبشي[1] بأحمد آباد ، وكان حنفي المذهب ، وكان يتعصب للإمام أبي حنيفة حتى أنّه ربما حمله ذلك على تنقص الإمام الشّافعي ، وكان فقيهاً مشاركاً في كثير من العلوم ، وكان يحفظ القرآن العظيم ، وكان كثير العبادة ، وكان يختم في رمضان خمس ختمات [في الصلاة][2] وكان أمراء الجيوش يحترمونه أشد الاحترام ويعاملونه بالإجلال والإكرام ، وكانوا جعلوا له معلوماً يوازي خمسة عشر ألف ذهب ، وكان محسناً محباً لأهل العلم ، ولما حج قرأ على الشيخ ابن حجر الهيتمي ، وكان له رغبة في تحصيل الكتب حتى أني سمعت أنه كان يصدر لشرائها إلى مصر المحروسة ، وابتنى بأحمد آباد مسجداً جيد العمارة إلى غير ذلك من أفعال الخير ، إلا أنّه كان فيه كبر ، والكمال لله ـ رحمه الله وإيانا ـ وقبره بمسجده ، ثم قبر إلى جنبه شيخنا الشيخ عبد المعطي با كثير .

● وفيها : كانت وفاة **السلطان عبد الله بن بدر** .

● وفيها كان إتمام الحرم المكي في أيام السّلطان مراد ، وكان ابتدأ في عمارته أبوه السّلطان سليم ، فجاء تاريخه « عمر الحرم سلطان مراد » .

● وفيها : عمَر قاسم الدّابولي مسجداً في بندر المخا ، وجعل جامعاً للحنفية ، فقال السيد حاتم مؤرخاً لذلك في بيتين ، وهما : [من مجزوء الرمل]:

مَسْجِـــدٌ فيــــه جمـــالٌ ... فيـــــه أنـــــوارٌ بهيّـــــهْ
وافـــقَ التّـــاريـــخ منـــه ... (مستقـــــر الحنفيَّـــــهْ)

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٥٩٢) .
(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وما أثبتناه عن (م) .

سنة خمس وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وثمانين : طلع نجم ذو ذؤابة كهيئة الذنب طويلة جداً له شعاع ، ومكث كذلك يطلع نحو شهرين وأكثر .

● وفيها : كان ختم « صحيح البخاري » بحضرة سيِّدي الوالد ، وأنشأ الشَّيخ عبد المعطي في ذلك قصيدة طنانة ، وهي : [من الطويل]:

حديثُ غرامي مسندٌ ومسلسلٌ ... ومطلق دمعي فوق خدي مُرسلُ
وعشقي صحيح والعواذل قولهم ... ضعيفٌ ومتروكٌ هباءٌ منقوَلُ
وما حَسَنٌ إلا الأحاديث عنكم ... وأما حديث عن سواكم فمعضلُ
أحبّتنا طبتم فطابَ حديثكم ... وطابَ سماعي عنكم حينَ يُنْقلُ
خلعتُ عذاري في هواكم أحبّتي ... وقد لذّ لي في، العَ ـا والتّذلّلُ
ولي بين سفحَي لعلع وطويلع ... فؤادٌ كئيبٌ مس هامٌ معلّلُ
مقيمٌ على شطِّ المزارِ كأنَّهُ ... أسيرٌ بهاتيك العِراص موكّلُ
هواه بنجدٍ بل ببطحاء مكّة ... وجثته بالهند كيف التَّحوّلُ
فيا عُرباً بالمنحنى عزّ جارهم ... فجارهم في ذروة العزِّ يحملُ
ويا جيرةَ البيت العتيق ومن لهم ... حطيمٌ وأستارٌ وركنٌ مقبّلُ
مقام عليه للخليل مآثرٌ ... وملتزم فيه الدّعا متقبّلُ
وزمزمُ والحجر المشيّد والصّفا ... ومَروة والمسعى فنسعى ونرملُ
معاهدُ فيها للنَّبيِّ ترددٌ ... مهابط فيها للأمير تنزلُ
عسى عودة يا جيرة الحيِّ عاجلاً ... فنرفل في ثوب السُّرورِ ونحجلُ
ونلقي عصى التّسيار من بعد بعدنا ... فأمُّ القُرى فيها المقامُ مؤمّلُ
إلهي فجدْ للغائبين بأوبةٍ ... يكون لنا فيها الشّفاء معجّلُ

إلٰهي وسيلتنا إليك نبيّنا نبيُّ الهدى المدثّر المزمّلُ

محمّدٌ المبعوث من آل هاشم بشيرٌ نذيرٌ للخلائق مُرْسلُ

وعترته الأشراف من أنجبت بهم لحيدرة الزَّهراء سرٌّ مسلسلُ

أخصص منهم آل علوي من لهم فضائل منها مجمل ومفصَّلُ

فمجملها للمصطفى خير نِسبة وتفصيلها زهد صلاح توكُّلُ

ومن بعض ما خصوا به أنّ عقدهم عن السّنَّة الغرّاء[1] لا يتحولُ

مقدمهم بحر الحقائق سيِّدٌ كذا نجله علوي قطبٌ مدللُ

كذا الفخرُ والسَّقافُ قطبا ولاية فسرهما للعيدروس مكمّلُ

وشيخ بن عبد الله شيخي وقدوتي له باكتساب العِلم مجد مؤثّلُ

إمامٌ عظيمٌ بالمهابة مرتدٍ همامٌ كريمٌ بالوقار مسربلُ

هو البحر في علم الحقيقة زاخرٌ هو الحبرُ في علم الشّريعة فيصلُ

فيا شيخ يا بن العيدروس ومن له على هَامَةِ الجوزا مقامٌ ومنزلُ

سمعت أحاديث البخاري مسنداً بمجلسك العالي وأنت المبجّلُ

حديث نبي الله جدك أحمد وسيرته قول وفعل مفصَّلُ

منقحة جمع البخاري من له لصحّةِ تحرير الحديث توصُّلُ

أصحّ كتابٍ في الحديث لأنّه منقح من حيث الرُّواة مغربلُ

مشايخه عن شرطه ليس يخرجوا جهابذة عدل عن العدل ينقلُ

وزينه قارٍ فصيح مهذّب له مقوَل عذب الأداة مرتّلُ

فيا عيدروس الخيرِ يا أوحدَ الورى ويا أيُهذا السيّد المتفضِّلُ[2]

ويا شيخ يا غوثَ الأنامِ وغيثهم إذا ما تخطى العارض المتهلّلُ

ويا مَن غوادي علمه ونواله ومعروفه تهمي علينا وتهطلُ

تهنّ بختمٍ ثم يهناك مبدأ كعادتك الحُسنى تحل وترحلُ

---

(١) في (ط) : « العزّاء » تصحيف .

(٢) في (ط) : « . . . المتنفّل » .

صحيحُ البخاري والشفاء كلاهما	لـديـن الهـدى أمـن وأصـل ومعقـلُ
فلا زلت يا بن العيدروس تفيدنا	علـومـاً وأحكـامـاً وتعطـي وتجـزلُ
تفيـد علـوم الشَّـرع حينـاً وآونـاً	تبـثُّ علـوم القـوم فينـا وتبـذلُ
وتـرشـد ضـلالاً وتـرفـد معـدمـاً	ففي الدِّين والدُّنيا عليك المعوّلُ
فعش وابقَ واسلم في ذرى المجد راقياً	بعلـم ومعـروف تقـول وتفعـلُ
وأزكـى صـلاة مـغ سـلام معطّـر	يفـوحُ بـريّـاه جنـوب وشمـألُ
على المصطفى من شرَّف الله قدرَه	ومـن جـاءه وحـيٌ مـن الله مُنـزَلُ
وعتـرتـه مـغ آلـه وصحـابـه	وتـابعهـم مـا جـاد غيـثٌ مجلّـلُ

● وفيها : توفي الرَّجل الصَّالح ميان عبد الصمد الهندي ، وكان من الأخيار ، محسناً متواضعاً عالماً فاضلاً . وحُكِيَ أنّه كان إذا لم يكن على طَهارة وثمّ أحدٌ ممن اسمه نبي لم يتلفظ باسمه تعظيماً واحتراماً لذلك الاسم الشّريف . رحمه الله تعالى آمين .

قلت : وفي كتاب « المدخل » لابن الحاج المالكي رحمه الله قال : وقد ورد في الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النَّبيَّ ﷺ قال : « ما منْ أهل بيت فيه اسم نبي إلاّ بعثَ اللهُ تبارك وتعالى ملكاً يقدسهم بالغداة والعشي »(١) انتهى .

* * *

---

(١) ذكره أبو نعيم في « ذكر أخبار أصبهان » (١/ ٢٦٦) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٢٤٠) والشوكاني في « الفوائد المجموعة » ص (٤٦٩) وعزاه للخطيب البغدادي عن عليٍّ ، وابن عباس ، وابن عمر مرفوعاً ، وقال : وفي إسناده من رمي بالكذب ، وقد أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » .

سنة ست وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سادس شوال سنة ست وثمانين : استشهد **الرّجل الصّالح العلامة جمال الدِّين محمد طاهر المُلَقَّب بملك المحدثين الهندي**[1] ـ رحمه الله آمين ـ على يدي المبتدعة من فرقتي الرافضة السبّابة والمهدوية القتالة . وسبب ذلك أنّه كان ينافرهم ويناظرهم ويريدهم يرجعون إلى الحق ويتركون ما هم عليه من الضّلالة والزّندقة ، وكان هذا دأبه أبداً ، وجرى له معهم وقائع كثيرة ، وقهرهم في مجالس عديدة ، وأظهر فضائحهم وكشف خزعبلاتهم ودمغهم وأدحض حجتهم وأبطلها ، وبالغ في الرّدِّ عليهم والتّحذير منهم ، حتّى قال بكفرهم وجزم بخروجهم من الدِّين والمنهج القويم وضلالهم عن الصِّراط المستقيم ، وأراد إعدام هذا المذهب القبيح رأساً ، وسعى في ذلك سعياً بليغاً ، وأراد التّوصل إلى سلطان الزّمان لذلك ، فاحتالوا عليه حتّى قتلوه قبل أن يصلَ إلى ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله . وهو الّذي أشار إليه النّبيُّ ﷺ بالمزية في الرؤيا التي رآها الشّيخ علي المتقي السّابقة ، وناهيك بهامن منقبة عليّة . وكان على قدم من الصّلاح والورع والتّبحر في العلم ، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ، وحفظ القرآن وهو لم يبلغ الحنثَ ، وجَدَّ في طلبِ العلم ومكث كذلك نحو خمسَ عشرةَ سنة ، وبرعَ في فنون عديدة وفاق الأقرانَ حتّى لم يعلم أنّ أحداً من علماء كجرات بلغ مبلغه في فن الحديث . كذا قاله بعض مشايخنا .

وله تصانيف نافعة منها : « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٠١ـ٦٠٢) و« الرسالة المستطرفة » ص (١٥٨) و« معجم المؤلفين » (١٠/ ١٠٠) والأعلام (٦/ ١٧٢) .

وشيوخه كثيرون ، ولمّا حجَّ أخذَ عن الشَّيخ حسن البكري ، والشَّيخ ابن حجر الهيتمي ، والشَّيخ علي بن عراق ، والشّيخ علي المتقي الهندي المكي ، والشّيخ جار الله بن فهد . وأخذ عن جدي السَّيِّد عبد الله العيدروس في التَّصوف بعدن . وورث من أبيه مالاً جزيلاً فأنفقه على طلبة العلم الشّريف ، وكان يُرْسِلُ إلى معلم الصِّبيان ويقول : أيّما صبي حسن ذكاؤه وجيد فهمه أرسله إليَّ ، فيرسل إليه ، فيقول له : كيف حالك؟ فإن كان غنياً يقول له : تعلم ، وإن كان فقيراً يقول له : تعلّم ولا تهتم من جهة معاشك ، أنا أتعهد أمرك وجميع عيالك على قدر كفايتهم ، فكن فارغ البال ، واجتهد في تحصيل العلم ، فكان يفعل ذلك بجميع من يأتيه من الضّعفاء والفقراء ويعطيهم قدر ما وظفه لهم ، حتّى صار منهم جماعة كثيرة علماء ذوي فنون كثيرة ، فأنفق جميع ماله في ذلك .

وحُكِيَ أنّه في أيام تحصيله قاسى من الطَّلبة وغيرهم شدائد ، فنذر إن رزقه الله علماً ليقومن بنشره ابتغاء مرضاة الله ، فلما تمّ له ذلك فعل كذلك ، وقام به احتساباً لله ، فانتفع بتدريسه عوالم لا تُحْصَى ، رحمه الله وأعادَ علينا من بركاته آمين .

* * *

سنة سبع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وثمانين توفي الوليُّ الصّالح الشّريف عمر بن عبد الله بن عمر الهندوان[1] با علوي بتريم . وسبب شهرته بذلك أنه كان فيه قوة لقوته في دينه وبدنه شبيهاً بالحديد الهندوان .

ومن كراماته : أنه أخبر أخي السَّيِّد عبد الله عن شيء يقع من بعض النَّاس قبل وقوعه ، وذكر ذلك الشّخص بعينه ، فكان كما قال بعد موته بيسير[2] .

● وفيها : مات السّلطان حيدر بن حنش[3] صاحب أحور[4] .

● وفيها : توفي الفقيه الفاضل الصَّالح نور الدِّين علي بن صبر اليافعي[5] الشافعي . وحكي أنّه كان قصد الوزير الفخان في آخر الأيام إلى قوارير[6] ، وكان عند الوزير المذكور جماعة من الأشراف آل با علوي وغيرهم ، فلما رأوا إقبال الوزير المذكور عليه حسدوه وتكلموا فيه عنده حتّى أعرض عنه ، فرأى بعض أولئك الأشراف جده القطب الفقيه محمد بن علي نفع الله به وهو يعاتبه من أجله ويقول له : إنّ هذا الرّجل يحبنا وأنت تتكلم عليه ، أو نحو ذلك .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٠٦) .

(٢) علق أستاذنا المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله على هذا الكلام بقوله : « هذا من المبالغات في الكرامات ، فإنّه لا يعلم الغيب إلاّ الله » عن « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٠٦) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٠٥) واسمه فيه : حيدرة .

(٤) أحور : مخلاف في اليمن ، انظر « معجم البلدان » (١/ ١١٨) و« مراصد الاطلاع » (١/ ٣٩) .

(٥) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٠٥) .

(٦) رُسِمَتْ الكلمة في (م) : « كوالير » .

سنة ثمان وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وثمانين : أجريت العينُ إلى مكة المشرفة ، وكان قد سعى في ذلك الشّريف أبو نمي والقاضي حسين ـ شكر الله سعيهما وجزاهما عن المسلمين خيراً ـ وبذلا في ذلك مالاً جزيلاً ، وسبب ذلك أن عين مكة كانت انقطعت عنهم ومكثوا كذلك مدةً من الزمان وتضرر أهلها بسبب ذلك جداً ، وكان الرّمل هو الّذي سد مجرى الماء إليها ، فتوجه الشّريف والقاضي إلى إصلاحها حتى عادت أحسن مما كانت . وما أحسن قول بعض الفضلاء في ذلك مادحاً للقاضي حسين رحمه الله تعالى : [من مخلع البسيط]:

أقضى القضاة الحسينُ أغنى ... سكان أمّ القرى بعينهِ

وجاء بالعين بعد يأس ... فشُكْرُه واجبٌ لعينهِ

● وفيها : توفي علي عادل شاه سلطان بيجافور ، قتله بعض الخصيان من عبيده لأمرٍ ما .

● وفيها : قرأ القرآن العظيم عن ظهر القلب راجا علي خان سلطان برهان فور ، وهو يومئذ سلطان وفي سنِّ الكهولة ، وجعل تاريخ ذلك العام الشّيخ عبد اللّطيف الدّبير « حفظ » .

* * *

سنة تسع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وثمانين توفي **الشّيخ الفاضل المحدث المعمر عبد المعطي بن الشّيخ حسن بن الشيخ عبد الله با كثير المكي ثم الحضرمي**(١) بأحمد آباد ، وكان مولده في رجب سنة خمس وتسعمائة ، وكان من الأدباء الفاضلين والشّعراء المصقعين . ولد بمكة ونشأ بها ، ولقي جماعةً من العلماء الفاضلين ، وشارك في المنقول والمعقول ، وتفنن في كثير من العلوم . ودخل الهند آخراً وأقام بها ، وكان حسن المحاضرة ، لطيف المحاورة ، فكهاً له ملح ونوادر ، ولم يزل على قدم الصّلاح والتّعفف إلى أن مات .

وحكي عنه أنّه قرأ كتاب « الشّفاء » على بعض مشايخه في مجلس واحد ، وذلك بعد صلاة الصّبح إلى أول الظّهر . من شيوخه : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لأنه سمع عليه « صحيح البخاري » بقراءة والده ، فهو يرويه عنه سماعاً كما في اصطلاح أهل الحديث ، والشّيخ زكريا يرويه عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ولهذا اشتهر صاحب التّرجمة في زمنه بالسَّند العالي وتميز عن أقرانه بذلك ، فازدحم النّاس على الأخذ منه وصار له من الحظ بسبب ذلك ما لا مزيد عليه ، وسمعت عليه مجالس من « صحيح البخاري » وأنا صغير ، وتلفظ لي حينئذ بالإجازة ، وكان والدي طلب منه أن يجعلها في أرجوزة حتى يضيفها إلى جنب قصائده ، فلم يقدر الله ذلك .

ومن تصانيفه : كتاب « أسماء رجال البخاري » يذكر فيه كلَّ من اشتمل

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦١٢-٦١٣) .

عليه الكتاب المذكور من شيخ البخاري إلى الصّحابي راوي الحديث ، ولم يتمه ، والقدر الّذي كتبه منه نحو مجلد ضخم ، والظّاهر أنه لو تم يكون في مجلدين ، وهو مفيد في بابه جداً .

ومن شعره : [من الخفيف]:

ضاقَ ذَرْعي مما أُلاقي إلّهي ... وإليك الشّكوى من اللأواء

يا عليماً بما يجنُّ فؤادي ... يا رجائي في شدّتي ورخائي

يا بديعَ السّماء يا مالكَ المُلْـ ... ـكِ ويا ذا الجلالِ والآلاءِ

يا لطيفاً بخلقه ورحيماً ... بالبرايا يا سابغَ النّعماءِ

لكَ مُلكُ السّماء والأرضِ والخَلْـ ... ـقِ لك الأمر يا سميعَ الدُّعاءِ

فأَقِلْ عَثْرتي إلّهي ويسِّر ... كل عُسر يا أرحمَ الرّحماءِ

وأنلني ما أرتجيه ووسِّع ... ليَ رزقي براحةٍ وهَناءِ

ومنه مضمناً للبيت الثاني : [من المنسرح]:

يا ربّ يا مَنْ عليه مُسْتندي ... ومن على فضله العميم مُعْتمدي

« خذ بيدي قبل أن أقولَ لمن ... ألقاه عند القيام خُذ بيدي »

فامنن إلّهي في سمْعي وفي بصري ... بصحّة دائماً وفي جسدي[1]

وما بقي لي من الحياة يكن ... في دَعةٍ سيِّدي وفي رغَدِ

ومنه مضمناً قواعد الإسلام الخمس الّتي جاء [في][2] الحديث : أنّ الإسلام بُني عليها : [من المتقارب]:

هنيئاً لمن صحّ إسلامُه ... ونال من الدّين أوفى نَصيبْ

أقام الصلاة وآتى الزكاة ... وصامَ وحجّ وزارَ الحبيبْ

---

(١) الشطر الأول من البيت لم يستقم وزنه .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) وما أثبتناه عن (م) .

ومنه : [من مجزوء الكامل]:

فَـرِّجْ همـومَ مـن استطعـت ... مـن منجـد أو متهـمِ
فـالخيـر كـلّ الخيـر فـي ... تفـريـجِ هَـمِّ المُسْلِـمِ

ومنه :

يـا مـالكَ المُلكِ يـا فتّاح يـا رزاق ... يا مَنْ تكفل لكل الخلق بالأرزاق
فـرِّج علينـا إلَهـي كـل أمـرٍ ضـاق ... وامنـن بـرزقٍ وسيـعٍ فـائـضٍ دفّـاق

قال : وقد جربتهما فوجدتهما للفرج بعد الشدة مفيدين .

ومنه في الاثني عشر الأئمة :

بالمُصطفى وعلي والبتول وبالسـ ... ـبطيـن ثـم علـي والبـاقـر العلـمِ
جعفر وموسى علي والجواد كذا ... علي الحسن وكذا المهدي ذي الشِّيمِ

ومنه [من البسيط] :

يـا آلَ بيـتِ رسـولِ اللهِ حبّكـم ... فرضٌ وفضلكم قد شاع في الأممِ
يـا آلَ بيـتِ رسـول الله مـدحُكُـم ... في الذّكر جاء فما مدحي وما كلمي ؟

ومنه : [من الوافر]:

وميمـات الـدواةِ تعـدّ سبْعـاً ... وسبعـاً عـدّهـنّ بـلا خطـاءِ[1]
مِـداد ثـمّ محبـرةٌ مقـصٌّ ... ومـرملـةٌ ومصمغـةُ الغِـراءِ
ومكشطـةٌ ومقلمـةٌ مقـطٌّ ... ومصقلـةٌ ومموهـةٌ لمـاءِ
ومحـراكٌ ومسطـرةٌ مِسَـنٌّ ... وممسحـة لختـمٍ وانتهـاءِ

ومنه : [من مجزوء الكامل]:

الـوردُ سلطـانُ الـزُّهـو ... ر ومـا سـواه الحـاشيَـهْ
فللـونـه المحمّـر ينـ ... ـسب حُسْـن خـدٍّ الغـانيَـهْ
وإذا تضـوّع نَشْـره ... يهـدي إليـك الغـاليَـهْ

---

(١) في (م) : « . . . خفاء » وكلا الروايتين صحيح .

ومنه : [من الخفيف]:

قلت إذا أقبل الرَّبيع ووافا … وردُه الغضّ ليت ذاك نصيبي

فخدودُ المِلاحِ تُعزى إليه … وشذاه أربى على كلِّ طِيبِ

ومنه لغزٌ في صالح : [من البسيط]:

وصال حبِّي وبي فقدٌ لرؤيتهِ … أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

ومنه أيضاً في رمضان : [من مجزوء الرمل]:

أنا صادٍ ورِوائي … من لُمَيْ صافي البديدِ

صحّفوني واطرحوني … بين رمّان النُّهودِ

ومنه أيضاً في شمعة : [من الطويل]:

وممشوقةٍ هيفاء لدن قوامها … من البيض تزري بالمثقفة السُّمرِ

إذا أصبحت أمسَتْ تحدّ سنانَها … تفتق درعَ اللّيل من طلعةِ البدرِ

فضوءُ سَنَاها قد محى آية الدُّجى … فصار نهاراً أبيضاً ساطعَ الفَجرِ

تمدّ لساناً طائلاً غير ناطقٍ … ومن غير أجفان مدامعها تجري

وجلبابها يحكي لُجَيْناً بياضه … وأحشاؤها زرت على لهب الجمرِ

إذا جمعت تسمع بتصحيفه ولا … ت حين مناص جاء في محكم الذّكر

فدونك لغزاً واضحاً قد شرحته … وبيّنته لكن بنوعٍ من السِّترِ

ومنه أيضاً في رمضان : [من الخفيف]:

أيُّ إسمٍ إذا خلا القلبُ منه … صار يا صاح قلبه مَلآنا

في زمانِ الصِّبا تجده فخذه … بعد تصحيفه ولا تتوانا

ومضى قلبه بلا طرفيه … وإن هم بالتصحيف تلق أمانا

إن تصحف جمعاً فغير مصُونٍ … ومصان إن زال حرف وبانا

مـتُ تصحيفه خلا أجمعيه … فغدا واضحاً بياناً عيانا

ومنه في القهوة : [من الكامل]:

أهلاً بصافي قهوةٍ كالإثمدِ ... جُلِيَتْ فزانت بالخمار الأسوَدِ
لما أُديرت في كؤوس لُجَيْنها ... بيمين ساقٍ كالقضيب الأملَدِ
يحكي بياض إنائها وسوادها ... طرفاً كحيلاً لا بكحل المرودِ

ومنه : [من الطويل]:

يقولون لي جاء الشتاء ببردهِ ... بماذا تلاقيه وأنتَ عليلُ ؟
فقلت لهم هذا الفخان ماجد ... وجود يديه بالدّفاء كفيلُ

ومنه مؤرخاً لأخذ جنكيز خان أحمد آباد : [من مجزوء الرمل]:

لا تعجبوا لنصرِ جنـ ... ـكزخان في عزّتهِ
نصرٌ من الله له ... والسّعد في غرّتهِ
وقد أتى تاريخه ... « النّصر في طلْعتهِ »

ومنه هذه الأبيات وكتب بها إلى والدي وطلب منه جارية والتزم أن يكون في آخر كل بيت منها هذه الكلمة ، وكل كلمة منها لها معنى : [من مجزوء الرجز]:

يا سيِّداً نِعمتهُ[1] ... فوق الدّراري الجاريهْ
وجُودُ كفّيْه غدا ... مثل الرِّياح الجاريَهْ
تدومُ في عزِّك ما ... جرت ببحرٍ جاريهْ
فكلّما تريده الـ ... أقدار فيه جاريَهْ
أنجز لعبد سيِّدي ... وعد رجوع الجاريَهْ
هباتكم مبرورة ... من الزّمان جاريَهْ
وسيل هامي فضلكم ... كماء عين جاريَهْ
ولطفكم بعبدكم ... كفّ الدُّموع الجاريَهْ

---

(١) في (م) : « ... همته » وما أثبتناه في (ط) .

وله قصيدة عظيمة في أسماء مشايخ طبقات الشّرجي نفعنا الله بهم ، كان اقترحها عليه والدي رحمهما الله ، وله جملة قصائد في مدح والدي تكون قدر عشرة كراريس على القطع الكامل ، وهي مدونة ، من جملتها ثلاث قصائد تتعلق بي : أحدها تهنئة بولادتي ، وثانيهما بعافيتي لأني مرضْتُ وأنا صغير مرضاً أشرفت فيه على الهلاك ثم عافاني الله تعالى منه وله الحمد ، ففرح الوالد بذلك فرحاً كثيراً وعمل ضيافة عظيمة لذلك ، وثالثها أيضاً كان اقترحها عليه الوالد فيما أظن ، ومنها هذه القصيدة الفريدة ، وقد أجاد فيها كل الإجادة ، ولله دره ، ولحسنها أتيت بها بكمالها ، فإنها مما تشهد له بالفضل العظيم والفصاحة الكاملة وهي : [من الكامل]:

قُمْ يا نديمُ فذا الصباحُ قد انْفلق ... ومحى بآية نوره ظُلم الغَسَقْ[1]

قرِّب صبوحك فالزمان مساعدٌ ... وأدِر مروقة حكت لون الشّفقْ

قامت سقاة كؤوسها في حضرة ... والمسْك والكافور فيها قد عَبَقْ

قمرٌ يدير الشمس في كاساته ... وبثغره مثل المدامة بل أرقْ

قدٌّ يحاكي السمهريَّ ومقلة ... كالسيف واللّحظ السهام إذا رشقْ

قوسُ الحواجبِ موترٌ لقتالنا ... ولذا قلوب العاشقين غدتْ درقْ

قَلق الوشاح بخصره وتراه قد ... صمتت خلاخله ودملجه نَطقْ

قرّتْ نواظرُ عاشقيهِ بحبّهِ ... لكنْ من الصدِّ المبرّح في أرَقْ

قرأ المحبُّ على صحيفة خدِّه ... هذا لعَمر الله أحسن من خَلَقْ

قد كنت همْتُ بحسنه وجمالهِ ... إذ كان جفن شبيبتي فيه رمَقْ

قضَّيت أيامي سدًى وسبهللاً ... ترك الخلاعة والصبابة بي أحق

قد آن أن أثني العنان عن الهوى ... وأعود عنه عوْدَ عبدٍ قد أبقْ

قدم المشيب فكان أبلغ زاجرٍ ... ومضى الشّباب كأنه طيف طرَقْ

---

(١) في (ط) : « قم يا نديمُ الصباحُ . . . » وبه يُكسرُ الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

قصرت خُطاي عن التّخطي للخطا ... ولخدمة ابن العيدروس مشت عنقْ
قمرُ الهدى شيخ ابن عبد الله نجـ ... ـلُ العيدروس المجتبى شيخ الفرقْ
قطبُ الزّمان وغوثه وصلاحُه ... كل على هذا المقال قد اتّفَقْ
قداح زند الفضل وارث جدّه ... في العلم والتّقوى وفي النّسب الأحقْ
قرأ العلوم وجدّ في طلب العُلا ... حتّى رقى أفق المعارف واتّسقْ
قالٍ لكلِّ مذمَّةٍ ونقيصةٍ ... وإلى الكمال تراه أكرم من سَبَقْ
قُل ما تشا في مدحه وصفاته ... فلأنت أولى أن يُقالَ له صدقْ
قتلَ الحسود لما رأى في وجهه ... نور النّبوّة في أساريره بَرَقْ
قد حاز من شرف النّبوّةِ نسبةً ... في آل با علوي كالنور ائتلَقْ
قومٌ لهم في كلِّ فضلٍ قِسمةٌ ... ولهم إلى شرفِ المعالي مُسْتبقْ
قاموا بطاعةِ ربِّهم في سنّةٍ ... وجماعةٍ لا يحفلون بمن فَسَقْ
قدمتُ مدحي فيك يا بن المصطفى ... أنجو به في يوم يلجمي العَرَقْ
قصّرتُ في تعداد وصفك إذ غدتْ ... أوصافُ مدحك غايةً لا تُلتحَقْ
قولي بمدحك ما عسى هو بالغٌ؟ ... وبمدحك القرآن حقاً قد نَطَقْ

ومن شعر ولده الفاضل أحمد بن عبد المعطي في القهوة : [من الكامل]:

لله محكم قهوة تجلى لنا ... في أبيض الصّيني طاب شرابُها
فكأنّما هي مقلةٌ مكحولةٌ ... دُخانها منْ فوقها أهدابها

● **فائدة :**

تتعلق بأحمد آباد تشتد الحاجة إليها في بعض الأحيان ، ويتعين ذكرها هنا لأن جماعةً ممن ذكر في هذا التّاريخ ماتوا بها ، فتكرر ذكرها في هذا الكتاب بهذا السّبب ، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الهند .

قال السّخاوي في « ضوئه » : أحمد آباد ، ومعنى آباد عمَر ، وكأنه قال : عمارة أحمد ، والذي اختطها أحمد بن محمد مظفر صاحب كجرات في سنة

خمس وثلاثين وثمانمائة ، وتوفي قريباً من سبع وأربعين ، فاستقر بعده في كجرات ابنه غياث الدّين محمد فأقام إلى سنة أربع وخمسين ، فاستقر بعده ابنه قطب الدّين أحمد ، ومات في رجب سنة ثلاث وستين ، فخلفه أخوه داود وخلع بعد أيام ، فاستقر بعده أخوه أبو الفتح محمود شاه ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وإقامته بأحمد التي اختطها جدّه وهو حيٌّ في سنة تسع وتسعين ابن خمسين سنة . انتهى كلام السخاوي .

قلت : وعاش بعد السّخاوي أربع عشرة سنة ، وقد مرّ تاريخه ، وتولى بعده ولده السّلطان مظفر ، وتولى بعده ولده السّلطان اسكندر وقُتل ، ثم تولّى بعده أخوه السلطان بهادر ، وهو الّذي بنى قلعة سرت على يد وزيره صفر الرّومي ، ثم تولى بعده ابن أخيه السّلطان محمود وقد مر تاريخه أيضاً وسبب مقتله ، ثم تولى بعده السّلطان أحمد شاه ومات مقتولاً ، ثم تولّى بعده السّلطان مظفر بن محمود الشّهيد ، وكانت الوزراء متغلبة عليهما جداً خصوصاً الأخير منهما فما كان له معهم من السّلطنة إلاّ الاسم ، والحلّ والعقد وجميع التّصرفات للوزراء ، نظير ما وقع للخلفاء من بني العباس مع الأتراك حتى آلَ ذلك آخراً إلى تحاسدهم فيما بينهم واختلاف كلمتهم ، فأدّى ذلك إلى انقراض ملكهم وزوال شوكتهم وانتقال الدّولة عنهم إلى غيرهم ، فأخذ البلاد المغول على عهد السّلطان مظفر ، وقد مرّ تاريخ ذلك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فزالوا كأن لم يكونوا ، ولم يبق إلاّ أخبارهم الجميلة ومآثرهم الجليلة : [من الطويل]:

كأنّ لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامِرُ

وحُكِيَ أنَّ يحيى بن خالد البرمكي رحمه الله تعالى سمع رجلاً قائماً ينشد هذا البيتَ فأجابه أحد :

بلى[1] نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا صروفُ اللّيالي والحدوث العواثرُ

---

(١) في (ط) « بلاذُ. . . » تصحيف .

فسبحان من يقلِّب الأمور ولا يتغير بتغير الدهور ، وتعالى من لا يزول ملكه ولا يذهب سلطانه .

● وفيها : توفي قطب شاه سلطان كلكندة ، وكان عادلاً كريماً إلاَّ أنَّه كان غالياً في التشيُّع رحمه الله .

● وفيها : دخل سيِّدي الشَّيخ محمد العيدروس إلى الهند ، وفرح سيِّدي الوالد بوصوله جداً وأنشأ هذه القصيدة : [من الوافر]:

ألاَ يــا مــرحبــاً بــالعيــدروس ... جمــال الــدِّيــن محيــي للنُّفــوسِ
محمــد بــن عبــد الله جئتــم ... إلينــا مــرحبــاً شمــس الشّمــوسِ
فـأهـلاً ألـف سهـلاً ألـف مـرحـب ... ظفــرتــم زال عنكــم كــلُّ بــوسِ
كسيتــم مــن جمــال القــدس وهبــاً ... وجلّلتــم بمحبــوك قــدوسِ
ألاَ فــابْشِــر وبشِّــر كــل حــبٍّ ... ومحبــوبٍ بجــائــزة عــروسِ
ألاَ فــاشــرب هنيئــاً مــن سُــلافٍ ... بنــور الله ديــرَتْ فــي الكــؤوسِ
معتقــة لنــا مــن نــورِ كــرمٍ ... شــربنــاهــا علــى رغــم القســوسِ
شــرابُ القــوم لا يــدريــه فَــدمٌ ... ولا مــن يــدعــي نقــل الــدّروسِ
قــدومــك حــافــظٌ للشّمــلِ فــاجمــع ... بنــا يــا ربّنــا تــاجَ الــرؤوسِ
وعـاف اغفـر وسلـم واعـف واستـر ... بخــاتمــة لنــا مــن غيــر بــوسِ (١)

* * *

(١) بجانب الأبيات كتبت الحاشية الآتية في (م) بخط مغاير : « ولادة سيدنا الشيخ محمد بن عبد الله سنة سبعين بعد التسع مائة ، وتوفي وعليه من الجلال والنور ما يليق بمقامه » .

سنة تسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السَّبت لخمس وعشرين خلت من رمضان سنة تسعين : توفي **الشَّيخ الكبير والعلم الشَّهير الشَّريف القطب العارف بالله ، شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشّيخ عبد الله العيدروس**[1] بأحمد آباد ، ودُفن بها في صحن داره وبني عليه قبة عظيمة . ومن أحسن تواريخ وفاته تاريخ صاحبنا الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي وقد نظمه في بيتين فقال : [مجزوء الكامل]:

أرخـــت نقلـــة سيـــدي شمـــس الشّمـــوس العيـــدروسِ
فـــانظـــر تجـــدْ تـــاريخـــه « القطـب هـو شمـس الشّمـوسِ »

ولفضلاء الآفاق [فيه جملة مستكثرة من المراثي ، ومن غريب الاتفاق][2] أنه قبيل موته بنحو شهرين كان أمرَ بتحصيل رسالةٍ في مناقب الإمام النَّووي رحمه الله ، ثم أمر بمقابلتها بين يديه ، وكان مؤلفها ذكر فيها جملة من المراثي التي قيلت في الإمام ، فقال ذات يوم : إنّ المراثي إذا قرئت لا بدَّ أن يموت أحد ، فاتفق أنْ ماتَ بعد ذلك ، ورُثي بمراثي كثيرةٍ حتّى أنّي لم أر أحداً رُثي بهذا القدر منها سوى الّتي ذكرها في تلك الرّسالة من مراثي الإمام النّووي . وكان مولده سنة تسع عشرة وتسعمائة بتريم .

وروي عن الشيخ الكبير الولي الشهير شهاب الدِّين أحمد بن الشّيخ عبد الرّحمن أنّه كان يقول : عاد أهل حضرموت يودون فيه نظرة ويخصّ به أهل بلد بعيد من أهل المشرق .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٠-٦٢١) و « معجم المؤلفين » (٤/ ٢١٢) و « الأعلام » (٣/ ١٨٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وما أثبتناه عن (ط) .

وكانت مدةُ إقامته بالهند اثنتين وثلاثين سنة لأنه دخلها سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، وكان شيخاً كاسمه ، وكما قال فيه بعض الصّلحاء في وصفه : ولقد صار بحمد الله شيخ زمانهِ باتفاق عارفي وقته ، وقد ألهم الله أهله حيث سموه شيخاً قبل أوانه ووقته وذلك لتحقق وراثته من متبوعه ، كما ألهم الله آل النَّبيِّ المصطفى لتسميته محمداً قبل تجلي صفاته الحميدة ﷺ ، وصار هذا الاسم الشّريف يصدق فيه من أربع حيثيات ، أحدها : أنّه اسمه ، وثانيها : أنه بلغ في السِّن حدَّ الشَّيخوخة ، وثالثها : أنه شيخ أهل التّصوف في زمانه ، ورابعها : أنّه شيخ طلبة العلمِ في العلوم الظاهرة . فهو شيخ اسماً ووصفاً وعلى كل تقدير وبكل وجه واعتبار . وما أحسن قول الأديب الفاضل عبد اللّطيف الدّبير حيث يقول فيه : [من الكامل]:

شيخٌ إلى سُبُلِ الرّشاد مسلك ... وطريقه في العلم ما لا يجهلُ
شيخٌ بحسن أدائه وبيانه ... لعظيم أشكال العويص يسهّلُ
شيخٌ تبحّر في العلوم فمن رأى ... بحراً يسوغ لوارديه المنهلُ
شيخٌ عليه من المهابة رونقٌ ... كالبَدْر لكن وجهه يتهلّلُ
شيخٌ له في الطّالبين مسائلٌ ... صوفيّة إن جئت عنها تسألُ
شيخٌ تقدّم في السّلوك لأنه ... إن عدّ أرباب الكرامة أوّلُ
العيدروس الحبر قدوةُ عصره ... ومن الشّدائد مقصد ومؤمّلُ
قُطْبُ الزمانِ وغوثُه وغياثُه ... مَن يرتجيه لا يضاع ويهملُ
ابنُ العفيف أبو الشّهاب المرتضى ... بحرُ الحقائق مرشد متفضِّلُ
عَذْبُ الموارد من أتاه وارداً ... من فيْضه دَرَن[1] القساوة يغسلُ
ما قيل هذا كامل في ذاته ... إلا وقلت الشّيخ عندي أكملُ
لا زال فيضُ كماله متواصلاً ... ما دام شيخٌ في الطّريقة موصلُ

---

(١) في (م) : « .. دون.. » .

وروي عن الشَّيخ الكبير والعلم الشَّهير القطب شمس الشّموس أبي بكر بن عبد الله العيدروس أنّه قال لأبيه السَّيِّد عبد الله بن شيخ وكان في خدمته وهو ابن أخيه عند وفاته : تمنّ يا عبدَ الله ؟ فقالَ : ما أريدُ إلاّ البركة والدّعاء لي بذريّةٍ صَالحة ، فبشره بذلك ، وقال له : سيأتيك من الولد كذا وكذا وذكرهم بأسمائهم وعدّ من جملتهم سيِّدي الشَّيخ صاحب التَّرجمة ، ثم أثنى عليه ، وأشار بالسِّر المصون إليه وقال له : إنّه ولدي وصاحب سرِّي وأم أمه بنت الشَّيخ علي بن أبي بكر .

وحُكِيَ أنَّ الشَّيخ علي رضي الله عنه كان إذا رأى السَّيِّد عبد الله بن شيخ وهو صغير يقول : أرجو أن يتزوج هذا الولد واحدة من بناتي أو بنات أولادي فتحصل له منهم ذرية صالحة ، فلما عقد السَّيِّد عبد الله بزوجته السَّيِّدة فضل الله التي أمها[1] بنت الشّيخ علي حضر جماعة من الأعيان منهم والده السَّيِّد شيخ ، وخالها الشَّيخ عبد الرّحمن بن الشّيخ علي وغيره من إخوانه ، فقال الشّيخ عبد الرّحمن : أرجو من الله أنَّ لكلام والدي نتيجة فإنّ كلام الصّالحين ما يسقط ، فقال له السَّيِّد شيخ : هذا ثمرة تلك البشارة .

قلت : وكان في اسمها ما يشعر بهذه الموهبة العظيمة الّتي سبقت في الأزل للسيِّد عبد الله بالذريّة الصّالحة ، فظهر بفضل الله من بطن فضل الله هذا السَّيِّد الكريم ، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وروي عن الشَّيخ الكبير والعلم الشَّهير أبي بكر بن سالم با علوي أنّه كان يقول : ما أحد من آل با علوي أولهم وآخرهم أعطي مثله . وروي مثل ذلك عن الولي العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الشهير بالنحوي با علوي وزاد : والله ما هو إلا آية اليوم فهو عديم النّظير ، ولما سمع كتابه « الفوز والبشرى » كان لا يمرُّ بشيء منه إلاّ ويقول : كنت أدور الأشياء من جهة المعتقدات فما شفاني شيء مثله فيها لا من كتب الغزالي ولا اليافعي .

---

(١) في (ط) : « أمهما » تحريف .

وَحُكِي من مجاهداته أنّه كان يعتمر غالباً في رمضان أربع عمرات بالليل ، وأربعاً بالنهار وناهيك بها منقبة ما أجلها[1] ، فقد ورد في الصّحيح : « أنّ عمرةً في رمضان كحجّةٍ »[2] ، وفي رواية : « تقضي حجة أو حجة مع النبي ﷺ »[3] . قال العلامة حميد : وتيسير أربع باللّيل وأربع بالنّهار من الكرامات الخارقة ، ولم يُنقل مثله عن أحد فيما أعلم من الأسلاف السّابقين .

وما أحسن قول الشّيخ عبد المعطي بن حسن با كثير رحمه الله حيث يقول في أثناء بعض قصائده فيه : [من الكامل]:

قد عِشت في أمِّ القرى دهراً على ... تحصيل علْمٍ ثم درس قُرانِ

وعبادة وزهادة في خلوة ... متستراً عن سائر الإخوانِ

وقيام ليلٍ مع صيام هواجرٍ ... متمسكاً بالبيت والأركانِ

وكتبت في الحجّاج والعمّار ... والزوّار والعبّاد منذ زمانِ

متردداً من مكّةَ الغرا إلى ... قبر النبي المصطفى العدنانِ

ما نلْتَ يا بْنَ العيدروس ولايةً ... ومواهباً في رتبة السّلطانِ

إلاّ بلطف عنايةٍ وعبادةٍ ... ومجاهدات في رضا الرّحمنِ

ليس المعالي بالتّماني يا فتى ... لولاالمشقّة شاهدي وكفاني

أنت الوليُّ بن الوليِّ بن الولـ ... ـي إلى الوصيِّ الطّاهر الأردانِ

العيدروس أبوك والسَّقّاف جدّ ... ك والمقدّم ثالث الرّجلانِ

هذي المفاخر إن تعدّ مفاخراً ... بالذات والآباء والإخوانِ

---

(١) علَّقَ أستاذنا المحدِّث الشَّيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله على هذا الخبر بقوله : « أقول : هذا ليس من الكرامات ، بل من التعمق والتشدّد الذي هو خلاف السنة ، وأفضل من ذلك الطواف حول البيت » . انظر « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٠) .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (١٧٨٢) ومسلم رقم (١٢٥٦) (٢٢١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (١٢٥٦) (٢٢٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

ومن شيوخه : شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدّين أحمد بن حجر الهيتمي المصري ، والفقيه الصّالح العلامة عبد الله بن أحمد با قشير الحضرمي ، وله من كل منهما إجازة ، في جماعة آخرين يكثر عددهم ، واجتمع بالعلامة الدَّيبع بزَبيد . وأما مقروءاته فكثيرة جداً .

ومن تصانيفه : « العقد النبوي والسّر المصطفوي » ، و « الفوز والبشرى » وشرحان على قصيدته المسماة « تحفة المريد » أحدهما أكبر من الآخر ، أما الكبير فالمسمى « حقائق التوحيد » ، وأما الصغير فالمسمى « سراج التوحيد » ومولدان كذلك أحدهما أكبر من الآخر ، ومعراج ورسالة في العدل ، وورد اسمه « الحزب النفيس » ، و « نفحات الحكم على لامية العجم » وهو على لسان التّصوف ولم يكمله ، وله ديوان شعر ، ومن شعره هذه الوسيلة التي نظم فيها نسبه إلى النّبيّ ﷺ وهي :

توسّلي بمحمّد خاتمِ الرّسل ... وفاطمة وأمير المؤمنين علي
ثم الحسن والحسين مع زين عابد علي ... مع الباقر السجّاد جعفر علي
ذاك العريضي الإمام محمد نجله ... عيسى الهزبر الهمام يا نِعم من بطلِ
بأحمد بعبيد الله علويهم ... محمد علوي خالع قسمنا علي
محمد صاحب المرباط ثمّ علي ... وبالفقيه محمد علوي وعلي
مولى الدّويلة محمد ثم سقافهم ... والفخر والعيدروس شيخ العفيف ولي
فهؤلا بني الزّهرا صحّ بهم نسبي ... وارثي بالمختار متصلِ
سمط تسلسل من أولاد فاطمة ... نسب كشمس الضحى في دارة الحمل
نسبٌ شريفٌ صريحٌ ضاء مشكاته ... من سيد الرسل والزهرا انحدر من علي
مسلسل كنجوم الزّهر عقدهم ... بدا وختما محمد خاتم الرّسُلِ

ومنه في وصف العارفين رضي الله عنهم : [من البسيط]:

أولئك القومُ سادات فحقّ لهم ... أن يسحبوا الذّيل فخراً باسم منانِ
قومٌ علوا في معالي مجد موجدهم ... فاقوا البرايا حظوا من فيض رحمانِ

جواهرُ السرِّ فاضت من عوالمهم	بسر متبوعهم فضلاً وإحسانِ
شموس معرفة ضاءت لمبتهجٍ	طريقهم حبّذا فتحاً وبرهانِ

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

سارعوا من قبل فوت	واغنموا فرصاً ووقتاً
واقرضوا لله قرضاً	لن تنالوا البرّ حتى

ومنه : [من البسيط]:

يا قارىء الخطِّ أدعو الله يغفر لي	ذنبي وإثمي وعصياني كذا زللي
ويلحظ العبد بالحظّ إنّه قمن	بالاستجابة اللّهم أنت ولي

ومنه : [من البسيط]:

يا آلَ طه طوى الأحشاء حبّكم	طيّ السجل وطهرتم من القذَرِ
القومُ أنتم فلا يشقى جليسكمُ	الناسُ أنتم كفى بالخبْرِ عن خبرِ

ومنه : [من الطويل]:

لنا بالرَّسول المصطفى خير نِسبةٍ	مسلسلة تعلو على كل رتبةِ
أئمة علم الله جوهر سرّه	زواهر حلْمٍ قدوةٌ للطّريقةِ
شموسٌ تجلّتْ والبدورُ طوالع	نجومٌ لنا بالسّعد منه استمدتِ
شموسٌ بدَتْ في عالم الغيب أشرقت	بدورٌ أضت أبدال أوتاد صفوةِ

ومنه : [من الطويل]:

كفاني أنْ أزهو بجد ووالدِ	ولي حسبٌ من فوق هامِ الفراقدِ
ولي نسبٌ بالمصطفى وابن بنْتهِ	حسين علي زين زاكي المحامدِ
أباً فأباً من سيِّد الرسل هكذا	إلى العيدروس المجتبى خير ماجدِ
وراثة خير الخلقِ أحمد جدّنا	ونحن به نعلو العلا في المعاقد
ورِثْنا العُلا أكرم بنا خير سادة	شذا مجدنا يشدو بطيب المحامدِ

ومنه : [من الطويل]:

لنا سادةٌ فاقوا على كلِّ سادةٍ	بتمكين إرث كابراً عن كابرِ
لنا قادةٌ فاقوا الكُماةَ بعزمهم	ففي كلِّ وقتٍ منهمُ كم مظاهرِ
هنيئاً لهم طوبى لهم من عشائرٍ	حقيقٌ لهم ذلك حُظوا بالبشائرِ
هُمُ القوم لا يشقى جليسٌ لهم بهم	خصوصية خُصّوا بنور البصائرِ
وكيف لا يكون الحقّ حشو قلوبهم	وهم بضعة المُختار أهل المفاخرِ(١)

ومنه هذا المفرد والتزم فيه الحروف المقطعة :

زردٌ أرود دانٍ ودود	دواء دائـــــي وادي زرود

ومنه هذه القصيدة العظيمة المشهورة بالبركة ، مطلعها : [من المتقارب]:

حجابٌ منَ الله وحِرزٌ منيع	علينا دواماً وفضلٌ وسيع
وحسبيَ ربِّي لطيفٌ بديع	عليمٌ بحالي بصيرٌ سميع
عيونُ العناية لنا راعِيَهْ	وأسما عظام بنا سامِيَهْ
قطوفُ المعارف هنا دانِيَهْ	فهيا إلى حيِّ مي الرفيع
إذا عزّ ربِّي محيط بنا	فلا تخشَ قاصي ولا من دنَا
فلو كلّ خلقٍ أرادوا بنا	لذلّوا وخابوا وباؤوا الجميع
ألف لام وكاف ها كافيهْ	ويا عين صاد نون نورانيهْ
وطا سين حاميم قاف واقيهْ	هو الله هو هو القريبُ السريع

ومناقبه وكراماته ليس هذا محلها ، وقد أفردها غير واحد من العلماء بالتّصنيف كالشّيخ العلامة حميد بن عبد الله السّندي في رسالة له ، والشّيخ العلامة شهاب الدّين أحمد بن علي البسكري المكي في كتابه « نزهة الإخوان والنفوس في مناقب شيخ بن عبد الله العيدروس » وقد ذكرْتُ كثيراً منها في مقدمة كتابي « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » ، وإنّما قصدنا

---

(١) الشطر الأول مختل الوزن .

الآن الإشارة إلى ذلك إجمالاً ليستَدَلّ به على جلالة قدره وفخامة أمره ، وكفى بالنّفحة دليلاً على الزّهر ، وبالغَرفة معرفةً بعذوبة النّهر ، وبقلامة الهلال تنبيهاً على إقبال شخص الشّهر ، إذْ كتابنا هذا مبني على الإيجاز والاختصار دون الإسهاب والإكثار ، وبالله التّوفيق . ولله درُّ الشّيخ عبد المعطي با كثير حيث يقول فيه من قصيدة : [من الكامل]:

ذاعَتْ فضائلُه وشاعَ ثناؤه ... في الخافقين وجاوزت بغدادا

وما أحسن قول الشّيخ الفاضل عبد اللّطيف الدّبير حيث يقول فيه من قصيدة : [من الكامل]:

شيخُ الأنام مفيدُ كلِّ محقِّق ... بحرُ العلومِ العارف الرّبّاني
ابن العفيف أبو الشِّهاب المجتبى ... قطبُ الزّمان العيدروس الثّاني
شرفُ السِّيادة والزَّهادة والتُّقى ... فخرُ الحُماةِ الغرِّ من عدنانِ
هو كالسفينة من تولاه نجا ... وسواه لم يأمنْ من الطُّوفانِ

● وفيها : توفي العلاَّمة المفنن الصّالح الشّيخ عبد النَّبيِّ الصّدر شهيداً رحمه الله تعالى ، وكان من المتبحرين في العلم ، وكان معظماً عند السّلطان أكبر جداً بحيث يقال : إنّ السّلطان المذكور كان يتولى خدمته بنفسه في بعض الأحيان ، وثباته في الدِّين وصبره على الامتحان مشهور .

وحكي أنَّ السّلطان كان يرسل إليه وهو في السّجن وقد عُذِّبَ بأنواع العذاب : أنْ اترك ما أنت عليه من الصّلابة في الدِّين ، وتكون كما كنت في أوج العظمة ، فيرد عند ذلك من الجواب بما يزداد به غيظ السّلطان عليه .

وحُكِيَ أنّ السّلطان أمر بعض الكفار أن يقتله ، فمكث مدة يحاول ذلك ، وما يجيء إلاّ ويجده في صَلاةٍ أو تلاوةٍ فيتوقف لذلك عن قتله ، وقال للسلطان : أمرك مطاع ، ولو أمرتني بقتلِ مائة نفس من مشايخنا ـ يعني من الكفار ـ لفعلت ، وأما هذا المسلم فما قطُّ جئت لقتله إلاّ وجدته فيه مشغولاً بطاعة ربّه ، وأنا أتحاشى عنه لذلك فاعذرني . وقُرب إليه كأس فيه سمٌّ فأبى أن

يتناوله ، وقال : أنا أعلم بالّذي فيه ولا أعين على قتل نفسي ، أي للمحذور في ذلك من جهة الدِّين . ثم إنَّ السّلطان بعد ذلك أمر بخنقه رحمه الله ، ففعل به ذلك ومات ، وكان ذلك ليلة اثني عشر في شهر ربيع الأول ، وهي ليلة المولد الشّريف فرحمه الله . لقد أبقى ذكراً جميلاً ، وثبت ثباتاً عظيماً قلَّ أن يتفق مثله إلا لمن وفقه الله . أعاد الله علينا من بركاته آمين .

● وفيها : في يوم عاشوراء توفي الشّريف أبو نُمي محمد بن بركات[1] صاحب مكة ، ولبعض الفضلاء من أهل مكّة في تاريخ وفاته :

يا مَنْ به طبنا وطابَ الوجود ... قد كنت بدراً في سماء السّعود
ما صِرْتَ في التّربِ ولكنّما ... أسكنك الله جنّات الخلود

وكان مولده سنة عشر وتسعمائة .

● وفيها : في تاسع صفر توفي الشَّريف الفاضل القاضي حسين المالكي . ومن غريب الاتفاق تاريخ يوم موته كان تاريخاً له ، فتقدم أنه مات في تاسع صفر ، وجاء تاريخه « تسع في صفر » رحمه الله ، وكان من أعيان أهل مكة وفضلائها وأجوادها ورؤسائها ، لم يخلفه مثله ، وحزن الناس على موته ، ولبعض الفضلاء من أهل مكة هذا التخميس على البيتين المشهورين :

لهفي على بدْرِ الوجود وسَعْدِهِ
ومغيبه تحت الثّرى في لَحْدِهِ
مات الحسين المالكي بمجْدِهِ
يا دهرُ بعْ رتب العلا من بعدهِ ... بيعَ الهوان ربحْتَ أمْ لم تربَحِ
وافعلْ مرادك يا زمان كما ترى
وارفع من الغوغا وحطّ ذوي الذّرى
لا تعتذر لذوي النُّهى عمّا جرى
قدِّمْ وأخِّرْ من أردْتَ من الورَى ... ماتَ الّذي قد كنْتَ منه تستحي

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٦١٩) .

وكانت له عقيدة في الصّالحين ، وقيل : سببها أنّ أمّه كانت تعتقد بالولي الشّهير الشّريف عبد الله بن الفقيه با علوي ، فمرض ولدها هذا مرضاً شديداً أشرف منه على الهلاك ، فطلبت من الشّريف حصول الشّفاء له وألحّتْ في ذلك ، وكان عنده الشّيخ الصّالح عبد الرّحمن بن عمر العمودي ، فقال السَّيِّد عبد الله للشيخ عبد الرّحمن : عساك تتحمل عنه ، فإنّ النّاس ينتفعون ببقائه ، فمن ذلك الوقت ابتدأت العافية في القاضي ، ومرض الشّيخ عبد الرّحمن من وقته ومات بعد أيامٍ ، وشهد جنازته القاضي المذكور رحمه الله .

قلت : وحكى الشَّيخ محيي الدِّين بن عربي رحمه الله تعالى في كتابه « الفتوحات المكية » عن بعض شيوخه : أنّ امرأة من بنات الملوك ممن كان النّاس ينتفعون بها ، وكان لها اعتقاد في هذا الشّيخ ، فتوجهت إليه ليدخل عليها والملك الّذي هو زوجها عندها ، فقام إليه ثم نظر إليها وهي في النّزع ، فقال الشّيخ : أدركوها قبل أن تقضي ، فقال له الملك : بماذا ؟ فقال : بديتها اشتروها ، فجيء إليه بديتها كاملة ، فتوقف النّزعُ والكربُ الذي كانت فيه ، وفتحت عينها وسلمت على الشّيخ . فقال لها الشيخ : لا بأس عليك ، ولكن ثمّ دقيقة بعد أنْ حلَّ الموتُ لا يمكن أن يرجع خائباً ، فلا بدَّ له من أثرٍ ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه ، فلا ينصرف إلاّ بروح مقبوضة وأنت إذا عشْتِ انتفع بك النّاسُ ، وأنت عظيمة القدر فلا نفديك إلا بعظيم عندي من هذا الموت ، ولي بنت هي أحبُّ البنات إليَّ أنا أفديك بها ، ثم ردَّ وجهه ملك الموت وقال : لا بد من روح ترجع بها إلى ربِّك ، هذه ابنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلاً من هذه الرّوح ، فإنّي قد اشتريتها من الحقِّ وباعني إياها ، وابنتي جعلك حق مجيئك . ثم قام وخرج إلى بيته ، وقال لابنته وما بها بأس : يا بنية هبيني نفسَكِ ، فإنّك لا تقومين للنّاس مقامَ زينبَ بنت أمير المؤمنين في المنفعة ، فقالت : يا أبتِ أنا بحكمك قد وهبتك نفسي . فقال للموت : خذها ، فأخذها ، فماتت من وقتها . انتهى .

ولمّا ابتنى القاضي حسين بيته وجعل فيه التّخريجة قال صلاح الدِّين القرشي في ذلك أبياتاً[1] منها :

ما عرشُ بلقيس وما مقداره ... ما تختُ كسرى والّذي مثله
أنا نادر والحكم لي ولمالكي ... ومن العجائب نادر والحكم له

وله أيضاً تاريخ بيت أنشأه القاضي : [من مجزوء الكامل]:

شَرَفُ العُلا لك منْزلٌ ... يا بدرُ فيه فاحلُلِ
فالسّعدُ قال مؤرخاً ... « للبدر أشرف منزلِ »

ولما وليَ قضاء المدينة الشريفة قال الأديب مامية الانقشاري في تاريخ ذلك العام :

طيبة مذ طابت بحسامِ الأحكام ... كم ظَلُومٍ خوفاً بات يخفي ريبةْ
والرعايا لما شكروا من عدله ... قلت في عدله دام قاضي طِيْبَةْ

ومدحه بعضهم بأبيات منها : [من السريع]:

إنسانُ عينٍ هو[2] إنسان مَنْ ... سادوا وشادوا المكرمات الطّوال
من جوده والعزم أو حلمه ... أو نسب أو شرف أو خصالْ
كالبحرِ والسّيفِ ووسعِ العَطَا ... والشّمسِ والبدرِ وماءِ الزُّلالْ
لولا الّذي كلمه اختاره ... وزاده في المجد ما لا ينالْ
ما كان قد صيّره ناظراً ... عدلاً على البيت العديم المثالْ
والحرمين البالغيْن النّهى ... أنعمْ بِها مرتبةً لا تزالْ
وهو الحسينُ الحَسنِيُّ الّذي ... فاق الورى في الجودِ نسلُ الرِّجالْ

---

(١) في (م) و(ط) : « أبيات » .

(٢) أضفنا « هو » لإقامة الوزن .

وكتبَ إليه بعضهم يهنئه بقدوم رجب : [من مجزوء الرّمل]:

يــا حُسَينــاً يــا شــريفــاً ... فـــي عُـــلاه لا يشـــاركْ
عِـــشْ ودُمْ واهْـــنَ بشهْـــرٍ ... مـــن فتـــى وافـــا جـــوارِكْ
ذاتـــه قـــد أرختـــه ... « رجـــب شهْـــر مُبـــاركْ »

ومن شعره وقد أهدى إليه القطب الحنفي سمكاً : [من الكامل]:

يــا أيُّهــا القُطْــبُ الّــذي ... بـــوجـــوده دارَ الفلـــكْ
لـــو لـــم تكـــن بحـــرَ النّـــدى ... مـــا جـــاءنـــا منـــك السّمـــكْ

● وفيها : توفي العالم الفاضل المفتي الشّيخ قطب الدِّين الحنفي المكي النّهروالي[1] نسبة إلى نهروالة من أعمال الهند بمكة المشرفة ، وكان من الأعيان المذكورين والفضلاء المشهورين ، مجللاً محترماً . ومن شعره هذه القصيدة : [من الطويل]:

بسيف الحجى عند اهتزاز النّوائب ... تقلّدت فاستغنيت عن كل قاضبِ
وجرّدت من رأسي الشّديد عزائماً ... أفلُّ بها حدّ السّيوف القواضبِ
ولي همّةٌ أسمُو بصارم عزمها ... إذا السّيف قد أعيى صدور الكتائبِ
وما فاتني فضل أردتُ اقتناءه ... وما غربتْ عني صعاب المطالبِ
وكم خطبَ العلياء غيري ولم ينلْ ... ونلت لأني كنْتُ أكرمَ خاطبِ
ولو شئت أدنت لي رقاب كثيرة ... ولكنْ رأيت الدّهر أغدر صاحبِ
فما الدّهر إلا مقبل مع ساعةٍ ... ولا العمرُ مع طول المدى غير ناهبِ
وما النّاس إلاّ حاسدٌ ومعاندٌ ... وما الدّهرُ إلا راجعٌ في المواهبِ
وما شادَ بنيان العُلا متهورٌ ... ولا سادَ من لم يفتكر في العواقبِ
أخالطُ إخوان الزّمان بعقلهم ... لأنظر ما يُبدي به من عجائبِ

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦١٧ـ٦١٩) و « الكواكب السائرة » (٣/ ٤٤/ ٤٨) و « البدر الطالع » (٢/ ٥٧ـ٥٨) و « معجم المؤلفين » (٩/ ١٧ـ١٨) و « الأعلام » (٦/ ٦ـ٧) .

وأظهـرُ أنّـي مثلهـم تستميلنـي ... عِذابُ الثّنايا سود شعرِ الذّوائبِ
وإنَّ أليـم الهجـرِ ممـا يسـوؤنـي ... وإنّ لـذيـذَ الـوصـلِ أسنـى مآربـي
ومـا عِلِمـوا أنّ الهـوى دون رتبتـي ... وأنّ مقـامـي فـوقـه بمـراتـبِ
ألاَ فـي سبيـلِ المجـدِ قـومٌ عهـدتهـم ... يرون اكتساب الفضل أزرى المكاسبِ
وما عندهم فضلٌ سوى كثرة الغنى ... وما المجدُ إلا أخذ بعض المناصبِ
فضـائلُهـم محصـورةٌ فـي ثيـابهـم ... وأورادهـم إتقـان هـذي المنـاكـبِ
زمـانـي زمـانـي بينهـم يستهيننـي ... وليس محلي غير هـام الكـواكـبِ

وله رحمه الله صورة مكتوب منظوم كتبه إلى بعض أصحابه بالمدينة الشّريفة : [من الرجز]:

بعْـدَ أداءِ أطيَـبِ السّـلامِ ... وأبلـغ التمجيـد والإكـرامِ
وبـث شـوق لا يـزال زائـداً ... وذكـر وجـدٍ مفـرط تـزايـدا
مـن كبـدٍ إلـى اللقـاء ظـامِيَـهْ ... ومقلـةٍ مـن الفـراق دامِيَـهْ
ومـن غليـلٍ مهجـة عليـلِ ... إلـى خليـل سيِّـد جليـلِ
شمـس سمـاء الفضـل والإفضـالِ ... وبـدر تـمّ المضـي فـي الكمـالِ
وزهـرةٍ مـن زهـرِ روض الأدبِ ... وزهـرةٍ تسمـو سمـاءَ الـرُّتـبِ
لا زالَ فـي قـلادة الـدروسِ ... واسطـة كـاللـؤلـؤ النّفيـسِ
وبَعْـدُ فـالعبـدُ لـه عِتـابُ ... عليـك إذ لـم يـأتنـي كتـابُ
مـعْ أننـي أرسلـت كُتبـاً عـدّهْ ... ولـم أكـن أنسـى لـك المـودّهْ
فهـل نسيـتَ يـا فتـى ودادي ... أم غيّـرك الـدّهـر بـالبعـادِ
أمِ القـراطيـسُ غـدَتْ ثمينَـهْ ... أمْ هـي لا تـوجـد فـي المـدينـهْ
هـذا وبـالجملـة والتفصيـلِ ... إنِّـي كمـا تعهـد يـا خليلـي
محبتـي مـن كـلِّ غـشٍّ خـالصـهْ ... وخيـلُ ودِّي لا تكـون نـاكصـهْ
فـلا تكـن لكتبـك الكـرامِ ... تقطـع فهـي غـايـةُ المـرامِ
والقصـدُ منـك يـا أخـي البشـارهْ ... أنْ تـدخـلَ المسجـدَ للـزيـارهْ

[فتضع الخدّ على الأرض إذا قابلت ذياك الضريح لائذا][1]
ثم تقول يا نبيّ الرّحمةِ للعالمين وجميع الأمّةِ
أضعف خلق الله قطبُ الدّين . . . .[2]
حمّلني منَ السّلام الجملهْ إليك راجياً سؤال الفضل لهْ
كذا إلى ضجيعه الصِّدِّيقِ وعمَر الشهير بالفاروقِ
وبلِّغ السّلام والإكراما سيِّدنا وشيخنا الهُماما
إمام هذا العصر بل وحيدهْ مَن هو ذو المناقب العديدهْ
شهاب أهلِ الشّرع والحقيقهْ وبدره وشمسه الشّريفة
خلاصة المقربين الأبرارِ الشّيخ أحمد بن عبد الغفّارِ
سلّمه الله تعالى وجمَعْ شملاً به وبعلومه قد نفَعْ
وأنت في دعاك لا تنساني يا سيِّد الإخوان والخلاّنِ
لا سيّما في ساعة القبولِ عسى أفوز بالمنى والسولِ
وآنَ أن أختمَ هذا بالسّلامْ وأجعل الحمدَ لما قلت ختامْ

وله أيضاً نظمة لبعض من في القافلة يذكر بها في الليل : [من: السريع]:

إلى متى يا عينُ هذا الرّقاد ما آنَ أن تكتحلي بالسّهادْ ؟
تنبّهي من رقدة وانْظُري ما فاتَ من خيرٍ على ذي الرّقادْ
يا أيُّها الغافلُ في نَومهِ قُمْ لترى لطف الكريم الجوادْ
مولاك يدعوك إلى بابه وأنت في النَّوم شبيه الجمادْ
ويبسطُ الكفّين هل تائبٌ من ذنبه هل من له في مرادْ ؟
وأنت من جنبٍ إلى جانبٍ تدور في الفرش للين المهادْ
يدعوك مولاك إلى قربه وأنت تختارُ الجفا والبعادْ
كم هكذا التسويف في غفلة ليس على العمر العزيز اعتمادْ

---

(١) هذا البيت من (ط) فقط .
(٢) كذا بياض في (م) و (ط) .

لقد مضى ليلُ الصِّبا مُسْرعاً ... ونير صبح الشّيب فود الفؤادْ
أفِقْ فإنّ اللهَ سبحانه ... رحمته عمّتْ جميعَ العِبَادْ

ومن شعره أيضاً : [مخلع البسيط]:

أَقْبَلَ كالغُصنِ حين يَهْتَزْ ... في حلل دون لُطفها الخزْ
مهفهفُ القدِّ ذو مُحَيّا ... بعارضِ الخدِّ قد تطرّزْ
دارَ بخديه واو صدغ ... والصّاد من لحظِهِ تلوّزْ
الخمرُ والجمرُ في لماه ... وخدّه ظاهر وملغزْ
يشكو له الخصر جور ردفٍ ... أعجزه حمْله وأعجزْ
طلبْتُ منه شفاءَ سقمي ... فقال لحظي لذاك أعوزْ
قد غفرَ الله ذنبَ دهرٍ ... لمثل هذا المليح أبرزْ
جزّ فؤادي بسيف لحظ ... أواه لو دام ذلك الجزْ
أفديه من أغيدٍ مليحٍ ... بالحُسْنِ في عصره تميزْ
كان نديمي فمذ رآني ... أسيره في الهوى تعززْ
حرمٌ من وصله مباحاً ... لما أحلّ القلا وجوّزْ
يا قطبُ لا تسلُ عن هواه ... واثبت وكن في هواه مركزْ

ومنه معارضاً « خذوا قودي من أسير الكلل » : [من المتقارب]:

ألاَ حلّل الله سيف المُقَلْ ... فكم ذا أصاب وكم ذا قَتَلْ ؟
وما منْ قتيلٍ به في الهوى ... سوى ألف راض بما قد فَعَلْ
لقد نصر الله جيش الملاحِ ... ببدرٍ لنا حسنُه قد كَمَلْ
وما بطلٌ في الوغى فارسٌ ... إذا قابل الغِيد إلا بَطَلْ
إذا قتلتني عيون الظبى ... فيا فرحي قد بلغت الأمَلْ
رعى الله ليلة زار الحبيب ... وغاب الرقيب إلى حيث أل
فأجلسته في سواد العيون ... وقد غسّل الدّمع ذاك المحلْ
وألصقتُ خدِّي بأقدامه ... وأذبلت أخمصه بالقُبَلْ

فَــرَقّ ومــالَ بــأعطــافــه | فــديــتُ بــروحــي ذاك الميــلْ
فعــانقتــه وخلعــت العِــذار | ومــزقــت ثــوب الحيــا والخجَــلْ
ومــا زلــت أشغلــه بــالحــديــث | وستــر الظّــلامِ علينــا انْســدَلْ
إلــى أن غفــى جفنــه نــاعسـاً | وعنــي تغــافــلَ أو قــد غفــلْ
فحليْــتُ عــن خصــره بنْــدَه | وأنضيــت عــن معطفيْــه الحلــلْ
وبــتُّ أُشــاهــدُ صنــعَ الإلــه | تبــارك ربُّ البــرايــا وجــلْ
فظــنَّ بــي الخيــر أو لا تظــن | فمــا أنــت تســأل عمــا حصــلْ

ومنه : [من السريع]:

الــدَّنُّ لــي والكــأسُ والقــرقــفُ | وللفقيــه الكُتــب والمصحــفُ
لا تنكــروا حــالــي ولا حــالــه | كــلٌّ بمــا ينفعُــه أعــرفُ
لكنّــه ينكــر أذواقَنــا | ومــا لــه ذوقٌ ولا ينصــفُ
كــم يــزدري الــرّاح وشــرابهــا | أخشــى علــى هــذا الفتــى يقصــفُ
دعنــي وحــالــي يــا فقيــه الــورى | فــأنــت عــن إدراكــه تضعــفُ[1]
هيهــاتَ أنْ يــدركَ طعْــمَ الهــوى | مَــنْ لــم يكــن فــي ذوقــه يلطــفُ
للعشــقِ ســرٌّ لــم يــزلْ غــامضــاً | لغيــرِ أهــل الحــبِّ لا يُكْشــفُ
فيــا نــديمــي اشــربْ علــى رغمــه | ودَعْــه فــي إنكــاره يــرســفُ[2]
واحبسْــه فــي بــابِ الطّهــارات من | كتــابــه لعلّــه ينظــفُ
وبــي غــزالٌ طــابَ مَــرْعــاه فــي | كنــاسِ قلبــي وهــو لا يــألــفُ
بــدرُ كمــالٍ لا يُــرى حُسْنــه | نقصــاً ولا محقــاً ولا يكلــفُ
فــي خــدِّه أنبــت مــاء الحيــا | ورداً بغيــر اللّحــظ لا يقطــفُ
عــارضــه لامٌ وفــي صــدغــه | واوٌ ولكــن آه لــو يعطــفُ
عــزيــز مصــر الحُســن لــو كــان فــي | زمــانــه هــام بــه يــوســفُ

---

(١) في (م) : « . . . تكسف » وما أثبتناه في (ط) .
(٢) في (م) : « . . يوسف » وهو تحريف ، وصوابه في (ط) .

ومنه : [من بحر الرمل]:

لا وفـرع كـدُجـى اللّيـل غسـقْ　　وجبيـن مثلـه تحـت الفلَـقْ
ومحيّـا كلـف البـدر بـه　　وخـدود مـن حـواليهـا شفَـقْ
وعـذار مـذ تبـدّى خـدّه　　يعجـزُ الكـاتـب عنـه إنْ مشَـقْ
مـا أرى الغـزلانَ إلاّ سَـرَقـت　　منـه جِيـداً والتفـاتـاً وحَـدَقْ
ثـمّ خـافَـتْ فتـولّـت شـرّداً　　كيـف لا يشـرد خـوفـاً مَـن سرَقْ

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

شمـسُ الضُّحـى بعـد العشـا　　زارت فـزال تَلَهُّفـي
واستقبلـت بـدر السّمـا　　فنظـرتُ للقمـريـن فـي

ومنه : [من الوافر]:

عـذولـي زادنـي فـي الحـبِّ عـذلاً　　وأكْثَـرَ فـي مغـابتـي وآذا
وصـار يلـوم مـن أهـواه حتّـى　　شكـى مـن لـوم عُـذّالـي وآذا

ومنه : [من مجزوء الكامل]:

بلِّـغ حبيبـي بعـضَ مـا　　ألقـاه إن أبصـرتـهُ
أمـا عـذولـي قـلْ لـه　　دع عنـك مـا أضمـرتـهُ

ومنه معمى في أحمد : [من الوافر]:

لنـا إن دارت الكـأس العقـارُ　　بـأطـراف الـرمـاح دمٌ مُـدارُ

وكتب إليه الأديب الفاضل جمال الدين ابن ملاّ زاده في مستهل شهر رمضان هذين البيتين : [من الكامل]:

يا قُطبَ أهلِ العلمِ في أمِّ القرى　　رمضـانُ هَـلَّ ببهجة لـم تُـوصَـفِ
فتهـنّ وحـدك إنَّ ذاتـك أصبحـت　　هي أشرف في أشرف في أشرفِ

فأجابه قطب الدِّين الحنفي وأرسل إليه ديناراً : [من الكامل]:

يـا أوحـدَ الفُضـلاءِ أنـت جمـالُنـا   فتهـنَّ بـالشِّهـر الشَّـريـف الأشـرفِ
شعـــرٌ بشعـــرٍ لا ربـــا فيـــه وإنْ   زاد العيـــار بـــوزن هـــذا الأشـــرفِ

وكان الشّيخ قطب الدِّين قد سعى لأخيه محب الدِّين في القضاء ببلاد اليمن ، فلما مات المذكور سعى كذلك لابن فيه ، فقُررَ في وظيفة أبيه ، فقال الأديب الفاضل جمال الدِّين ملاّ زاده أيضاً في ذلك : [من الكامل]:

وليت قطبَ الدِّينِ صنْوك قاضياً   ثــم ابنـــه فليـــأمـــن الآفـــاتـــا
مَـــنْ مَـــاتَ بعـــد ولايـــة قطبيّـــةٍ   كـأخيـك عشـت وكـابنـه مـا مـاتـا

من إفادات الشّيخ قطب الدّين رحمه الله تعالى أن لفظ « ابن خلكان » ضبط على صورة الفعلين خلِّ أمراً من خلي أي ترك فعل ماض وكان الناقصة ، وسبب تسميته بذلك أنه كان يكثر أن يقول : كان والدي كذا ، وكان جدي كذا ، فإنه من البرامكة ، فقيل له : خلِّ كان . قال : ورأيت من ضبطه بسكون اللام والباقي على حاله . والله أعلم .

● وفيها : توفي العلامة رضي الدِّين القازاني المخزومي المكِّيّ بمكَّة المشرفة رحمه الله تعالى ، وكان أوحد عصره في الأدب والنظم الحسن . ومن شعره : [من الكامل]:

قُـلْ للـروافـضِ أنتـمُ فـي سبِّكـم   شيـخ التُّقـى وحبيبنـا علـم الهـدى
مِثْـلُ النّصـارى لا نسـبُّ لأجلِهـم   عيسـى وإنْ سبُّـوا النَّبـيَّ محمّـدا

● وفيها : ظهر جراد بنواحي كجرات فقيل للشاه فتح الله : ضع له تاريخاً ، فقال : « منتشر » .

● **لطيفة :**

نزل الجراد قرب قبيلة زيد ونزل الجراد إلى جانب قرية عمرو ، فقام أهل قبيلة زيد قالوا لأهل قبيلة عمرو : ما نحن نصيد جراداً احتمى بكم ، فلما سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت : لا سمع ولا طاعة ولا نمكنه من صيد جوارنا ، فقام القتال بين الفريقين ، ولا زالوا على قتالهم إلى أن قتلوا هاتين الفئتين ، وأنشد بعض قبيلة عمرو يقول : [من الوافر]:

ومنّا مَنْ أجارَ جراد نجدٍ وحرَّمه على المتصيِّدينا

● **غريبة :**

مرض زيد مرضاً شديداً إلى أن تعبت الأطباء من علاجه لقلة ملاقاة أدويته ، فلما أشرف على الهلاك قال الطّبيب لقرابته : أطعموه ما يشتهي وأراد ، فإنّه من الهالكين ، وصار المريض يأكل ما اشتهى وأراد إلى بعض الأيام ، فدار في خاطره الجراد ، فاشترى وأمعن في الأكل منه ، فلما أكثر منه تعافى من مرضه وشاهده الطّبيب فقال له : بالله عليك أخبرني ما تناولت من الدّواء وما شربْتَ من الأشربة وما غذاؤك من المأكل ؟ فقال : الجراد . فقال الطّبيبُ : صدقْتَ ، لأنَّ الجرادَ يكون قد قعد على حشائش أكلَ منها ولم تصل منفعتها إلى فهم مخلوق إلى الآن وافق خاصية تلك الحشائش لدائك برئت ، وكان الجرادُ واسطةً لعافيتك ، والله إنِّي نظرت في جميع كتب الطِّب على أن أعرف لدائك دواءً فما صحَّ لي ذلك ، فقلت بترك الحمية لك ، والله أعلم .

● **نادرة :**

قال الأصمعي : أتيْتُ الباديةَ فإذا أعرابي قد زرع برّاً له ، فلما انتهى إلى سنبله أتاه الجراد ، فجعل ينظرُ إلى الزّرع ولا يدري ما يصنع وأنشأ يقول : [من البسيط]:

مَرّ الجـرادُ علـى زرعـي فقلـت لـه   بـالله لا تشتغـل يـومـاً بـإفسـادِ
فقـال منهـم خطيـب فـوق سنبلـةٍ   أنـا علـى سَفَـرٍ لا بـدَّ مـن زادِ

قلت : وفي بعض السِّنين قدم كجرات بعض مشايخ العجم بقصد الحجّ ، وكان معه مريدون كثيرون ، فقال بعض الأدباء : جاء الملخ من بلخ شبه بهم لكثرتهم بالجراد ، وهم يسمونه بالفارسية : ملخ .

* * *

سنة إحدى وتسعين بعد التسعمائة

وفي سنة إحدى وتسعين : **توفي الفقيه العلامة جمال الدِّين محمد بن أبي بكر الأشخر**[1] ـ بالشين المعجمة السّاكنة والخاء المعجمة بعدها راء مهملة ـ واحد الدهر ، وشافعي العصر ، الفاضل الكامل ، سابق الأوائل ، شيخ الإسلام ، مفتي الأنام ، الفرد الإمام ، الحافظ الحجة ، السّالك بالطّالبين في أوضح المحجة ، إمام الفنون الّذي اغترفَ بتقدمه المفتون ، ذو التصانيف المفيدة ، والتّآليف العديدة ، والشّروح الفائزة من العلوم بالقدح المعلى ، والمناظيم المشحونة بالنكت التي أقمار دقائقها شارقة في كل مجلى .

قرأ على جماعة من الأكابر الجلة ، وحصل له من الجميع الإجازة ، ومنهم : شيخ الإسلام شهاب الدِّين أحمد بن حجر الهيتمي ، وإبراهيم مطير ، والعلامة ابن زياد ، وأوّلُ تخرّجه بأبيه .

وتخرج به جماعة من بلده وغيرها ، منهم : أخوه العلامة أحمد الأشخر[2] ، وناهيك أنه حفظ العُباب للمُزَجَّد ، وكان أخوه يقدمه على سائر الطّلبة ، ولا يكتب شيئاً إلا ويعرضه عليه أولاً ، غير أنه بعد ذلك ظهرت فيه طبيعة السّوداء ، فتأثر لذلك وترك الاجتماع بالنّاس إلا نادراً ، ومع ذلك لما اجتمع به صاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر حصل له عنده الحظوة

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٣ـ٦٢٤) و « البدر الطالع » (٢/ ١٤٦) و « معجم المؤلفين » (٩/ ١٠٦) و « الأعلام » (٦/ ٥٩) .

(٢) ترجم له صاحب « الشذرات » (١٠/ ٦٢٤) وترجمته مماثلة لما ورد هنا ، ويلتبس اسم المُتَرجَمِ له بـ أحمد بن عمر بن محمد السَّيفي المرادي المذحجي الزبيدي ، ترجم له العيدروس ، وابن العماد الحنبلي في أحداث سنة (٩٣٠ هـ) وهما اثنان ، فذاك أحمد المُزَجَّد صاحب « العُباب » وهذا أحمد الأشخر الذي حفظ « العباب » وما أَلَّفَهُ قولاً واحداً ، وانظر النصَّ أعلاه ، وقارنه بترجمة المُزَجَّد .

التّامة ، واختلى به أياماً مدة إقامته عنده ، وأملى عليه شيئاً كثيراً من نظم أخيه ، وبحث معه في مسائل فقهية ، وتعجب النّاس لذلك جداً .

رجعنا إلى ذكر صاحب التّرجمة : وممن قرأ عليه الفقيه محمد بن إسماعيل با فضل ، والفقيه الصّالح جمال الدِّين بن محمد الطيب المكدش . وفتاويه ومؤلفاته شاهدة بشرف مقامه في العلوم . ولد رحمه الله تعالى في اليوم الثّاني عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة خمس وأربعين وتسعمائة .

وله مؤلفات كثيرة منها : « منظومة الإرشاد » ، و « شرح الشذور » ، و « منظومة في أصول الفقه وشرحها » ، و « مختصر المحرر » للسمهودي في تعليق الطلاق ، و « منظومة في أسماء الرجال » ، و « ألفية » في النحو نظمها في مرض موته ، و « شرح حديث أم زرع » وهو آخر مؤلفاته ، وله « فتاوى » في مجلد ضخم ، وله « شرح على بهجة المحافل » ، واختصر « التفاحة في علم المساحة » ، وله غير ذلك من المختصرات ، وله نظم جيد حسن .

ومنه : [من الطويل]:

رأيتك إذْ أوميت للعبد أي إذا ... أتمّ فلانٌ شربه فتوَخَّنا
كأنّك لم تقرأ حديث تيمنُوا ... وتقديم الاعرابي إذْ كان أيمنا

ومنه هذه القصيدة العظيمة وقد بلغه عن بعض الناس تنقصاً لأهل العلم الشريف ، وهي : [من السريع]:

عزَّ على الجُهّال أنْ يطلبوا ... عِلْمَاً فيستهدوا بأنواره
وينهجوا نهجاً به بيِّناً ... ويجتنوا من طِيبِ أثمارِهِ
ويَسْلَموا لو أنّهم فكّروا ... من وصمةِ الجهْلِ ومنْ عارهِ
وينتهوا عمّا نهى الله عَنْ ... إتيانه المُدني إلى نارهِ
واستحقروا طِلابه إذْ همُ ... لم يستطيعوا فضّ أبْكَارهِ
واستكبروا تِيهاً عليهم ولم ... يخشوا من الكِبْرِ وأوزارهِ

وحـــاولـــوا إطفـــاء نـــور الهـــدى | بقـــولهـــم أو طمـــس آثـــارهِ
وحـــاولـــوا إخفـــاء بُـــرهـــانـــه | واللهُ قـــد مـــنّ بـــإظْهـــارهِ
فـاعجـب لحمقـى غـرّهـم جهلهـم | فكـــافحـــوا العلـــم بـــإنكـــارهِ
أضحـــوا مُصـــرِّيـــن علـــى بُغضـــه | وبغـــضِ أهليـــه وأنصـــارهِ
وسبّهـــم والســـبّ شتـــمٌ فمـــن | يـــرد يـــزد فيـــه بـــإكثـــارهِ
وقـــولهـــم هـــذا فقيـــهٌ وذا | يـــزور ذا الفقـــه إلـــى دارهِ
وهـــم بشبّـــابـــة إبليـــس قـــد | أضحـــوا مطيفيـــن ومـــزمـــارهِ
وجـــلُّ مـــا يهـــوون أن يسمعـــوا | صـــوتـــاً مـــن العـــود وأوتـــارهِ
أو يسمعـــوا دفّـــاً فيجـــري بهـــم | داعـــي الهـــوى سعيـــاً إلـــى طـــارهِ
لا بلّـــغَ الله الّـــذي حـــالـــه | هـــذا إلـــى غـــايـــة أوطـــارهِ
تبّـــاً لأعمـــى الجهْـــلِ يهتـــمُّ فـــي | درهمـــه الفـــانـــي وديـنـــارهِ
ويـــرفـــضُ المطلـــوب منـــه وقـــد | يعتـــلّ إذ ذاك بـــأعـــذارهِ
وإنْ سعـــى يـــومـــاً إلـــى مطْلـــبٍ | فـــإنْ نـــزا كـــالجمـــل الفـــارهِ
فحسْبُنـــا الله ومـــا جـــاء عـــن | نبيـــه الهـــادي ومُخْتـــارهِ
صلـــى عليـــه الله ذو العـــرش مـــا | غنّـــى هـــزارٌ فـــوق أشجـــارهِ
مسلّمـــاً مـــا دامـــت الأرض لا | تخلـــو مـــن العلـــم وأقمـــارهِ

وله جامعاً غزوات النبي ﷺ في قوله : [من الرجز]:

غـــزوةُ بَـــدْرٍ أُحُـــدٍ فـــالخنـــدقِ | بنـــي قـــريظـــة بنـــي المُصطلـــقِ
وخيبـــرٍ وطـــائـــفٍ بـــالاتفـــاق | قاتلَ فيها المصطفى أهل الشّقاق
والخُلـف فـي بنـي النُّضيـر ذُكِـرَا | فتـح حُنيـن غـايـة وادي القُـرى

وله فيها مرتباً لها على سني الهجرة الشريفة : [من الطويل]:

فبـدرٌ فـأحْـدٌ بعـد هـذيـن خنْـدقٌ | فـذات رِقـاعٍ والمـريسيـعُ خيبـرُ
وفتـحٌ تبُـوكٌ رُتِّبـت هـذه علـى | سنـي هجـرة كـلٌّ بـذلـك يُخبـرُ

وله في الإجارة :

عقـد إجـارة بمـوت مـا انْعقـد ... لـم ينفسـخْ إلا بصـور وجـد
أخـذت بيـانهـا فـالأولـه ... مـوت مـؤخّـر وقـد أوصـى لَـهْ
بـالنّفـعِ مـا عـاش ومـوت أولِ ... وقـد أجـر للثـانـي الـولـي
وسيّـد أجّـر مـن بمـوتـه ... تستـوجـب العتْـق كـأم بنتـه
ومـن عليـه الـوقـف حيـث النّظـرُ ... لـه بـدون المِثـل لا يـؤجـرُ
وبطـن وقـف حيـث وافـق شـرط ... نَظَـره مـدّة حقّـه فَقَـطْ

وقال أيضاً وهو ضابط ينبغي حفظه : [من الكامل]:

الفـرعُ يتبـعُ أشـرف الأبـويْـن فـي ... ديـن وفـي بَـدل وأخـذ الجـزيـة
والاخسّ في نجس وحـرمـة أكلـه ... ونكـاحـه مـع حـرمـةٍ للـذبحـةِ
وأبـاه فـي نسـب ويتبـع أمـه ... فـي سَـومهـا والـرقّ والحـريـةِ
وأخف في نحو الزكاة وأغلظِ الـ ... أبـويـن فـي بـاب الجزاء وتمتـي

وقال في حقوق الزوجة الواجبة على الزوج : [من الطويل]:

حقـوقُ النّكـاحِ الـواجبـات لـزوجـةٍ ... على الزوج بالتمكين سبعٌ لوازمُ
طعـامٌ وأدمٌ ثـم سُكْنـى وكِسْـوةٌ ... وآلـةُ تنظيـف متـاعٌ وخـادمُ

وقال فيما يقبل فيه قول المميز : [من الرجز]:

ضـابـط مـا يقبـل فيـه القـول مـن ... مميّـزٍ فـي قـولـه زيـدٌ أذِنْ
فـادخـل وإيصـال هـديّـة وفـي ... إخبـاره بطلـب المضيـفِ
كـذاك فـي اختيـار فـي الحِضـانـة ... وفـي ادّعـى استعجـال نبت العـانـة
كـذاك فـي الشّـراء للحقيـر ... عليـه الاجمـاع بنقـل الجُـوري

وقال أيضاً في الهبة : [من الكامل]:

هِبـةٌ لنـا تطلـب بمـوت الـواهـبِ ... مـن قبـل قبْـض صـوّروهـا فـي أبِ
مهمـا يهـب للطفـل ثـمّ يمـت ولـم ... يقبـض فـاستثنـي إذاً مـن غـالـبِ

وقال أيضاً : [من الرجز]:

وجـوّزن لبْـسَ[1] مـورس علـى ... مـا قـالـه الأكثـر لكـن نقـلا
الـزّركشـيُّ حرمتـه عـن ذي القضـا ... أعنـي أبـا الطيـب وهـو المُـرتضـى
عنـد ابـن صبّـاغ وقـالا ذا حـري ... بـأن نقيسـه علـى المـزعفـر

وقال أيضاً : [من الرجز]:

يجـوز بـالحـريـر للمسـاجـدِ ... سترٌ بـإفتـاء أبـي المحـامـدِ
أعنـي الغـزالـي وكـلام الغـرفـي ... فتـواه مـائـل إليـه فـاعـرفِ
وابـن عمـادٍ نسـبَ التّحـريمـا ... إلـى الأصـحِّ كـنْ بـه عليمـا

وقال أيضاً في موانع الإرث : [من الرجز]:

ضِعْـفُ ثـلاثـةٍ هـي المـوانـعُ ... حقيقـة إرثـاً وزيـد سـابـعُ
قتـلٌ ورقٌّ دور اختـلافُ ... ديـنٌ وعهـدٌ ردّة تضـافُ
علـى المجـاز مـا بقـى إذا انتفـا ... إرثٌ لكـون الشّـرط إذ ذاك انتفـا
والسّـابـع المـرء يـدّعـي طـائفـهْ ... بنـوه لكـنّ بهـا مُخـالفـهْ
مـن حيـث أمهـم لهـم فيـورثـوا ... وإنّمـا ممتنـع أن يـورثـوا

ونظم أيضاً الأطفال الذين تكلموا وهم في المهد :

جملـةٌ مـن فـي المهـد قـد تكلّمـوا ... أحمـد والخليـل عيسـى مـريـم
يحيـى مجيـبٌ لجـريـج العـابـدِ ... بقـولـه الـرّاعـي فـلان والـدي
وراجـع لأمـه فـي قـولـه ... لا تجعلنـي سيّـدي كمثلـهِ
وشـاهـد ليـوسـف مـع عـامـرِ ... لأمـه بقـولـه لهـا اصبـري
أنـت لـدى الحـق علـى الأخـدودِ ... وأمـر مـاشطـة الـوليـدِ
ومـن لـه قـال النّبـيُّ مَـنْ أنـا ... قـال رسـول الله محمـود الثّنـا

(١) في (م) : « وجوزن ليس . . . » والمراد « لبس » بالباء لا بالياء ، هو ما أثبتناه عن (ط) .

أعنـــي بـــه مبـــارك اليمـــامـــهْ أعظـــم بهـــا معجـــزة كـــرامَـــهْ
وبعـــدُ صلـــى ذو الجـــلال كلمـــا ســـرى الضِّيـــا ونـــاطـــق تكلّمـــا
علـــى النَّبـــيِّ حبّـــه محبّـــهِ محمـــــد وآلـــــهِ وصحْبـــــهِ

وقال في الذين جمعوا القرآن : [من الرجز]:

وجمـــع القـــرآن حفظـــاً يـــا أُخـــي عثمـــان مـــرتضـــى معـــاذ وأُبَـــيْ
ثـــمّ أبـــو الـــدّرداء وابـــن ثـــابـــتِ ثـــم أبـــو أيـــوب وابـــن الصّـــامـــت
سعـــد أبـــو زيـــد هـــو الأنصـــاري ثـــم تميـــم بـــن أوس الـــدّاري

وقال أيضاً فيما يتعلق بالبروج والمنازل :

وَزَنُـــوا عَقْـــربـــاً بقـــوسٍ شتـــاءً غفـــروا للبليـــدِ لمَّـــا أسَـــاءَ[1]
شَـــرِبَ الجَـــديُ دلـــوَ حـــوت ربيعـــاً فلـــه الـــذّبـــح حيـــث حَـــلّ الـــرشـــاءَ
حمـــل الثّـــور جـــوزةً نحـــو صيـــفٍ شـــارطـــاً للـــذّراع لمّـــا أشـــاءَ
ســـرط اللّيـــث سنبـــلاً بخـــريـــف نـــاثـــراً أنجـــمَ السّمـــاك ثـــراءَ[2]

وله أيضاً هذه القصيدة البديعة أنشأها الشّيخ في ختم صحيحِ البخاري : [من الخفيف]:

حـــدّثـــانـــي عـــن الغـــزال الغـــريـــري بـــأســـانيـــدَ مـــا لهـــا مِـــن نَظيـــرِ
وامـــلاَ مسمعـــي بتلـــك العـــوالـــي أمليـــاهـــا علـــيَّ بـــالتّكـــريـــرِ
مـــع تـــوخيكمـــا مسلسلهـــا بـــا لأوليـــات أو أخيـــر أخيـــرِ
أو فِعَـــال كـــالابتســـام وأخـــذ بيـــدٍ أو بـــاللّفـــظ كـــالتّحـــذيـــرِ
وانتســـابٍ لبلـــدةٍ أو قبيـــل أو بلفـــظِ التّحـــديـــث والتّخبيـــرِ
بمقـــاهـــا هـــديتمـــا حبـــراهـــا حســـب الجهـــد أحســـن التحبيـــرِ
ودعـــانـــي مـــن عـــن وإن ففـــي ذيـ ـــنِ يخـــافُ التّـــدليـــس كـــل خبيـــرِ

---

(1) في (ط) « . . . لمَّا أسنا » وصوابه في (م) و « الشذرات » (١٠/ ٦٢٤) .
(2) في (ط) « . . شرا » تحريف .

فشِفا مُهجتي وبرءُ سِقامي ... في استماعي للفظهِ المأثورِ

ولكسْري في ذاك أي انجبار ... ولعسري تظافر التّيسيرِ

ولقلبي وخاطري أي نزهٍ ... ولسمعي بوادر التّبشيرِ

ولطرفي في ذاك أي جلاءٍ ... فلطرفي إذ ذاك أيُّ قريرِ

ولشأني إذا تَلاهُ لساني ... إغتنائي(1) عن ابتسامِ الثّغورِ

وعن المنِّ ما هو المنُّ والسلو ... ى وأحلى حلوى وفي الطيورِ

سنة الوامق التعلل إن فا ... تَ وصالُ الموموق بالتّشميرِ

كسماعي الآثار أو رؤية الآ ... ثار كالغار من حراء وثَوْرِ

فلهذا تلقى قلوب أولي الفَضْـ ... ـلِ أسارى ما بين ثورٍ وعيرِ

وحديثُ المحبوبِ لا شكّ محبو ... بٌ فَسَلْ عنه كل حبْرٍ خبيرِ

فلهذا قالوا إمارات حبّ الـ ... ـمصطفى المُجتبى البشيرِ النذيرِ

استماع الحديث في كلّ حينٍ ... وابتدار السماع بالتّبكيرِ

ودؤوب الفَتى عليه صباحاً ... ومساءً فذاك خيرُ سميرِ

وارتحالُ الفتى إلى كل حبرٍ ... حافظ فيه بالتّحري شهيرِ

وتوخي الصحيح من ذاك أولى ... كصحيحي محمد والقُشَيري

البخاري ومسلم فبالإجما ... ع كتاباهما أصحّ الزّبورِ

بعد تنزيل ربّنا فلهذا ... سُمِّيا كلّ واحد بالأميرِ

وكتاب الجعفي(2) أصح لدى الجلّ ... ويربو فوائداً للبصيرِ

ولقد فاقَ مسلم صنْعة حا ... ز بها الارتقا لقدر خطيرِ

وله أحسن التّحري لدى اللّفـ ... ـظ فيلغي الرّديف مثل الغير

وترى عنده الكُنى غير الاسما ... ءِ وهذا من أبلغِ التّحبيرِ

---

(1) في (ط) « اعتنائي . . . » بالعين المهملة ، تصحيف .

(2) يقصد « صحيح البخاري » لأن البخاري يقال له الجعفي لولائه إلى الجعفيين . انظر « أنساب السمعاني » (٣/٢٦٨) .

فلـذا لَـذَّ فـي القـراءةِ والسَّمـ ـع لقـاريـه والسميـع القـريـر
فيشنِّـفْ منـه المسـامـع مـن را مَ اصطـلاح الحفـاظ بـالتقـريـرِ
ولقَـد مَـنّ ذو الجـلال علينـا أن قـرأنـاه فـي الثـلاث الشهـورِ
رجـبٌ والـذي يليـه وشهـرُ الصَّـ ـبـر فليهـنَ فيـه كـلّ صَبـورِ
سمـعَ الحـاضـرون منـه بلفـظٍ ولبعـضٍ بلفـظ بعـضِ الحضـور
حسـب الجهـد لا يمـر بمتـنٍ مشكـل غيـر حـلّ بـالتفسيـرِ
والأسـانيـد لا يمـر بشخـصٍ بـاسمـه أو بكنيـةٍ مشهـورِ
أو بنحـو بنُـوّة ونسـاب أو لقـاب كعـالـمٍ وفقيـرِ
غيـر أبـدى مستـورهـا فتـراه ظـاهـراً عنـد ذاك أيَّ ظُهـورِ
وختمنـا والحمـد لله والشكـ ـر لـه فـي يـوم عيـدِ الفطـورِ(١)
حضـر الختـم جمعنـا مترجِّيـ ـنَ نـوالاً مـن المليـكِ القـديـرِ
كلهـم مـرتـج لغفـران ذنـبٍ قـدره فـي جنـابِ غفـر الغفـورِ
لـو كبيـراً قـد كـان أيّ صغيـر فتسـاوى كبيـره بـالصغيـرِ
ولتيسيـر كـلِّ عُسْـرٍ وتسهيـ ـلِ حـزون وجبْـرِ كـل كسيـرِ
ويقـي فتـن الغنـى كـل مثـرٍ وافتتـانـاً بـالفقـر كـلُّ فقيـرِ
ربِّ حقِّـقْ رجـاءَنـا وأنِلْنـا سُـؤْلنـا مِـن نـوالـك المستطيـرِ
وتـولّ الجميـع منـا بتـدبيـ ـرِكَ كيـلا نسـوءَ فـي التّـدبيـرِ
ولسلطـانـنـا وأجنـاده انصـر نصـراءً علـى العـدوِّ الكفُـورِ
وعلـى كـلِّ مـن بغـى قـاصـداً شقَّ عصـانـا بـلا انتظـام الأمـورِ
ولهـم وبهـم إلَهـي فـأصلـح وادفعـن كـل مُهْلـك ومُبيـرِ
وشفيعـي حـديـث خيـر البـرايـا أحمـد المصطفـى السّراج المنيـرِ
يـا نبـي هـذا لكـون الأحـاديـ ـثِ أتـت عنـك ضـوءهـا كـالبـدورِ
قـد رواهـا عنـك النّجـوم وعنهـم تـابعـوهـم بـالجـدِّ والتّشميـرِ

---

(١) في (م) و(ط) : « . . . والشكر لله تعالى في يوم عيد . . . » وهو مختل الوزن .

ثمّ عنهم قوم فقوم هم الحفـ ـــاظ حقّاً على ممرِّ العصورِ
حفوظها حفظاً منيعاً فمن أيـ ـــن إليها وصول أقوال زورِ ؟
وأتتنا كأنها أخرجت من فيك حالاً بغير كرِّ دهورِ
فأجزنا يا أحسنَ الناسِ خلقاً وسجايا بكل فضلٍ وخيرِ
وبك الظنّ ذا فأنت غني يا شفيعَ الورى عن التّذكيرِ
صلواتٌ[1] عليك ثم سلامٌ ليس عدّ لذين بالمحصورِ
بأمورٍ بكلِّ قلب سليمٍ ظاهراتٍ أعظمْ بتلك الأمورِ
وعلى التّابعين ما انشقّ[2] فجرٌ قاطع ضوءه دجى الدّيْجُورِ
ختم كلٍّ من ذيْن كالمسك في كلِّ أمورٍ في بدئها والأخيرِ

وشعره كثير ، ونظم كثيراً من المسائل العلمية والقواعد الفقهية ليقرب ضبطها ويسهل حفظها .

وبالجملة : فكأنّه كان آيةً من آيات الله تعالى ، وخاتمة المحققين ، لم يخلف بعده مثله ، لو وصفه الواصف بما عسى فهو رافل في سرابيل التقصير . وعظمت مصيبته بالإسلام ، وكثر الأسف عليه من الخاص والعام . وبلغني أن الشّيخ الكبير العارف الشهير الشّيخ محمد البكري قدس الله روحه رأى في المنام قبل موته كأن الرّكن اليماني من البيت الشّريف انهدّ ، وما هذا معناه ، فكان تأويلها موت المذكور . ورثاه صاحبنا الأديب الفاضل النّازل من محامد الصّفات في أشرف المنازل حسين بن عبد الباقي الزّاهد الزّبيدي الشّافعي بمرثية عظيمة نونية قرئت في اليوم الثالث من وفاته رحمه الله تعالى وهي : [من الخفيف]:

حسبيَ الله من صُروفِ الزّمانِ ونِكايات أسهم الحدَثانِ
ما لنا في مراتعِ اللّهو نصْبُو في أمان ولات حينَ أمانِ

---

(١) في (ط) «صلاة . . . » .
(٢) في (ط) « . . ما اتسق . . » تحريف ، وبه يكسر الوزن .

ما أضرّ اغتباطنا بالملاهي ... وأشد اغترارنا بالأماني

هذه دارُ نقلةٍ ونفاد ... فتفطن إن كنت ذا عِرْفانِ

هذه بيننا القصورُ العوالي ... شامخات البنا فأين الباني

كم مررنا بدارساتٍ طلُولٍ ... فذكرنا القُطّانَ والأوطانِ

حسبنا منذراً بوقع المنايا ... علمنا أنّنا مِنَ الحيوانِ

فكفانا نصُّ التلاوة وعْظاً ... فاعتبرْ كلُّ من عليها فانِ

معَ هذا العلم اليقين كأنّا ... في وثوقٍ لا شك بالوجدانِ

سفرٌ هذه الحياة لها الـ ... أنفاسُ عِيسٌ تسوقها الملوانِ

والمحطّ الكريم إنْ شاء ذو العر ... ش فراديس عاليات الجِنانِ

أبداً حولها نُدَنْدِنُ بين الـ ... ـقاصرات الحِسان والولدانِ

أيُّها الغافلون ضمّكم النّهـ ... ـج وآن الرّحيل يا إخواني

فأعِدُّوا زاد التُّقى فنياق الـ ... ـموتِ قد أهبت لجذبِ العرانِ

وصقور المنونِ تخطف أروا ... حَ الورى من جوارحِ الأبْدانِ

لا محيداً عنها لروح عزيزٍ ... أو ذليلٍ أو شامخٍ أو داني

فهبوا لفتة إلى الأمم الما ... ضين من آدم إلى ذا الآنِ

من عصيٍّ وطيّعٍ ووضيعٍ ... ورفيعٍ أربى على كيوانِ

من عماليق حِمْير وغطاريـ ... ـف قُريش والشّمّ من قحطانِ

من أباة اللّعنِ الّذين علاهم ... في السّيوف الرّقاق أو في الجفانِ

لبسوا الزاغفات وانتطقوا البيـ ... ـض وهزّوا عوالي المرانِ

صرفتهم صَوارف الموت صرْفَ الشّـ ... ـرب عن مورد النمير الهاني

ما حمتهمْ تلك الحصونُ لعَمْري ... لا ولا استكملوا لثني عنانِ

فهم عِبْرةٌ لنا لو فهمنا ... أينَ أهلُ العقول والعِرْفانِ

يا لهذي الرّزيّة الصّليم الصّمـ ... ـاء والفادح العظيم الشانِ

مغْقلٌ من معاقل الدِّين أودى ... وخضمٌ قد غار في الأكفانِ

حفرةٌ أطبقت على كوكب الشمـ ... ـس فغاب الضِّيا عن الأعيانِ

شق جيب القلوب ناعيه إذ ألـ ... ـقم أفواه الخلْقِ بالصّوانِ

في مقام ما انفكت الناس فيه ... بين دمْع جار وعضّ بنانِ

حين نادى يا للجمال جمال الـ ... ـفضْلِ والدِّين العالم الربّاني

غار إنسان مقلة الفقه فالشحـ ... ـمة من بعده بلا إنسانِ

درست بعده مدارس درس ... وهي كانت أهيلة البنْيانِ

أيُّ قُطبٍ دارت عليه من الطلاّ ... ب أفلاك العلم بالدّورانِ

مضربٌ من مضارب الدّين قد فـ ... ـلَّ لعمري وكان ماضي اللِّسانِ

خلق كالرّياض بلّلها القَطْـ ... ـرُ وصدرٌ خالٍ من الأضْغانِ

وجنان يمدّ كالبحر للطلاّ ... ب والسّائلين بالخلجانِ

راعَ أربابَ الزّيغ بالحجج اللاّ ... تي لعمري تفلّ حدَّ السِّنانِ

حجج تخرسُ احمد بن[1] سريجٍ ... والإمام ابن الطَّيِّب الباقلاني

يا نديمَ العلومِ أبكيكَ إن دا ... رت كؤوس المذاكرين الحسانِ

الحديث الشريف والفقه والتفـ ... ـسير والنّحو مع فنون المعاني

وليوم تحارُ فيه ذوو الأفـ ... ـهامِ في ليلٍ مشكل ظلماني

من يحلّ دجى المسائل من بعـ ... ـدك يا شمسَ أفقِ كلِّ بيانِ

هذه في الورى شموس تصانيـ ... ـفك تُجلى في سائر الأكوانِ

هذه بيننا فوائدك الزّهـ ... ـر كزهر السَّماء في اللّمعانِ

فعلى ذاتك الشريفة من ذي الـ ... ـعرش أزكى السلام والرّضوانِ

عظَّم الله أجركم يا بني الأشـ ... ـخر والتّابعين بالإحسانِ

ربِّ واجبر مصابنا فيه والمـ ... صَدْعنا لا نبوء بالخُسرانِ

ربِّ شيِّد أركان سادتنا البا ... قين واعمرْ[2] بهم حِمى الإيمانِ

---

(١) في (ط) « . . أحمد أبي » وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) « . . . واغمر بهم . . » .

ربِّ وفّقْهُـــم لنصـــرةِ شَـرْعٍ ... ودليـــل يقـــامُ أو بُـــرهـــانِ

وأثِـبْ جمعنـــا بحُسْـنِ قبـولٍ ... وأنِلْهـــم جـــوائـــزَ الغُفْـــرانِ

وصـلاة الصَّـلاة منـك علـى من ... جـاء بـالمعجـزات والقـرآنِ

وعلـى آلـهِ وأصحـابـه مـا ... نـاحَ بـاكِ الهـديل فـي الأغصـانِ

● وفيها : خُتمَ البخاري بقراءة الفقيه شمس الدِّين علي بن الفقيه عبد الرَّحيم بن محمود القيسي على العلامة الحافظ مفيد الطّالبين محدث الدِّيار اليمنية الطّاهر بن الحسين بن عبد الرّحمن الأهدل بِزَبيد بمسجد الولي الكبير عبد الرّحمن بن حسين الأهدل ، فأنشأ في ذلك العلامة حسين بن عبد الباقي الأزهر قصيدة لامية مكسورة في غاية الحسن . وهي : [من الكامل]:

عَنْعِـنْ أحـاديـثَ الحبيـبِ وسَلسِـلِ ... وارفـع أحـاديـث الحبيـب الأوّلِ

واطلق مقيد دفع جفنك ليس من ... شـرْط المحبة وقـف دمعٍ مُرْسَـلِ

وإذا روت لـك نسمـة مـن حـاجـرٍ ... خبـراً فتلـك حـديثهـا لـم يُقْبَـلِ

كم ضَعفتْ بحديثها المعلول من ... جِسْمٍ وكـم أوهَـت بـه مـن مفصـلِ

لـي بـالعقيـق الفَـرد قلـبٌ هـائـمٌ ... بشعـابـه تـرعـى الظبـاء بهـوجَـلِ

بـاكِ يشـوب الـدرّ بـالمـرجـان فـي ... جَـزعِ العقيـق بسفـح خـدّ مخضـلِ

ويحـنّ إن ذكـرت معـاهـد يثـرب ... فأقول « لا تهلك أسى وتجمَّلِ »[1]

إنْ لامَـهُ العُـذّال يطـرب نشـوَةً ... فكـأن فـرط العـذل ضـرب تغـزُّلِ

فنيَ التصبُّرُ وانقضى العمر الذي ... هـو فسحـة لمسـوف ومـؤمّـلِ

كلُّ الّذي يـرضـى الهـوى ويـرومـه ... سهلٌ عليَّ سوى النّوى لم يسهلِ

والله لا أشتـاق « بـرقـة ثهمـد » ... أو منزلاً « بين الدّخول فحوملِ »[2]

لكـنْ بـأكنـاف العقيـق مضـاربٌ ... هـي نـزهـة للنّـاظـر المتـأمّـلِ

---

(١) ضمنه قسماً من بيت امرىء القيس المشهور :

وقـوفـاً بهـا صَحبـي علـيَّ مطيَّهـمْ ... يقـولـون لا تهلـك أسـىً وتجمَّـلِ

(٢) ضمنه كلماتٍ من معلقة طرفة بن العبد ومعلقة امرىء القيس .

هل أمتطي هوجاء مشرفة المطا   شمّاً كأني فوق هامَةِ يذبلِ

تسري النّجابيد الغرام خُزامها   والشوق سائقها لأكرم مَنْزِلِ

يغلي بوطأة خفّها فرق الفلا   كشهاب رجم جوف ليلٍ أليلِ

حتّى ترى أطلال طَيْبة جَهْرة   وترى علينا بهجة المتهلّلِ

وتصيرُ أعينها حيال نخيلها   خوْصاً لتعدل بي لأشرف منزلِ

وأكون أول من يؤمُّ بعزمهِ   باب السّلام مع الطّراز الأوّلِ

أسعى إلى الحَرَمِ المنيع وأنتحي   للروضة الغرا وقبر المُرسَلِ

الفاتح السّبّاق أول مُبْدع   في الكوْن بالنصِّ الجليل الأجلَلِ

أصل الأصول وجوهر للعالم الشّـ   ـكلي نور الواجب الفَرْدِ الولي

سِرّ[١] النُّبوّة جوهر الكونيْنِ من   يوم الحِساب عليه كل مُعوّلِ

إكليل جبهة ذا الوجود طراز حلّـ   ـته البديع جمال كلٍّ مجمّلِ

مخطوب حضرة قدسه ملحوظ دو   رة أنسه ختم المقام الأكملِ

هادي البريّة للهدى فجميعنا   بلوائهِ يوم القيامةِ نَعْتلي

شَرعَ الشّرائع موضحاً سننَ الهدى   للسّالكين فشرعُهُ الشّرع الجلي

فالزم بسنّته الشريفة يا أخا الـ   ـحجرِ المنير ديانة وبه اعملِ

وافزع إلى آثاره الحُسنى فكم   جمعت لنا من مجملٍ ومفصّلِ

ومتى أردت جوامعَ الكلم التزم   بالجامع العالي الصحيح الأفضلِ

فأصحّ كتبٍ بعد كُتبِ الله ما   جمع البُخاري وهو أحسن ما تلي

فأدر مكرره بكأس لِسانك الـ   ـمنطيق للأسماع دور تسلسلِ

وادفعْ به نوبَ الزّمان فكم به   من نَكْبةٍ صُرفت وخَطْبٍ معضلِ

هذي كواكب لفظه أفلاكها   دارت على قطب شريف المنزلِ

العالم العلاّمة الفهّامة الـ   ـحِبْر البليغ العابد المتبتِّلِ

الطّاهر الأثوابِ والأنساب والـ   أسباب والأصحاب عَفّ المقوَلِ

---

(١) في (م) : « أصل النبوة. . . » .

ابن الحسين الأهدلي[1] ابن الحسيـ ـن شهيد طفٍّ ابن سيِّدنا علي
ابـن البتول وتلك بنتُ المصطفى ناهيك من بيت له بابٌ علي
تمت قراءتنا عليه ودونكم مِسْك الخِتام نفضه في المحفلِ
فالحمدُ لله المعين بلطْفِه المسعد المتفضِّل المتطوِّلِ
فجزاه ربّ العرشِ جلّ ثناؤه من فضله أسنى الجزاء الأجزَلِ
وأذاقه تسنيم كأس خِطابه في مقعدِ الصّدق العزيز المُعْتلي
فهو الّذي كَشَف العَمَى عن نور عيـ ـن بصيرتي وبه بلغت مؤمّلي
يا مسبلَ النّعمِ المفاضة غَشِّنا بسوابغ النّعم الجلال وجلِّلِ
واشمل بعين اللطْفِ نادينا ومن ضمته دورته وجد وتقبَّلِ
وعلي القارىء ألا فافتح له في العِلم فضلاً كلَّ بابٍ مقفلِ
واغفر لِنَاظمها الحسينِ وكن له يا ربّ في الدنيا وفي الأخرى ولي
ليعود في أفق السّعادة بدرُه بك زاهراً في برجِ سعدٍ تنجلي
ولوالديه وأهله وشيوخه هذي يدي مبسوطة بتذللِ
ها قد مددت يد السّؤال بذلّةٍ فلأنت تغضبُ ربّ إن لم تُسألِ
فاصلح ولاة المسلمين ولا تَكِل أعمالهم يوماً لمن لم يعدلِ
واختم بخير خواتم أعمالنا يا خيرَ من يُدعى[2] وأكرم موئلِ
وعلى متمِّ الدّور ختم المسك سـ ـرّ النشا تكرار الصلاة من العلي[3]
والآل والأصحاب والأتباع ما لبى الحمام هدير صوت البُلبُلِ

● وفيها : استعاد السّلطان مظفر بن السّلطان محمود كجرات من المغول ، وذلك في آخر شهر شعبان ، وقبض أكثر بلادها مثل أحمد آباد

---

(١) في (ط) : « . . الأهدل » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) .
(٢) في (ط) « . . من يدّعي . . » تصحيف .
(٣) في (ط) : « . متمم . . . » وبه يكسر الوزن وصوابه في (م) . أما الشطر الثاني فهو مختل الوزن في (م) و (ط) .

وبروَج وبرودلة وكنباية[1] ، فهزم عسكر المغول ونهبهم ، وقتل بعض الوزراء الكبار وأخذ ماله . ولم يزل يعظم أمره ويكثر عسكره إلى مستهل المحرم من سنة اثنتين وتسعين ، فاختلف عسكره فيما بينهم ، وكان ذلك هو السبب لهزيمتهم ، واختفى المذكور في بعض الأماكن ، ورجع أمر كجرات إلى المغول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وأما بروج فكانت قلعتها حصينة متغلبة ، وكان فيها جماعة من أصحاب السّلطان مظفر ، فمنعوها مدة وحاصرها جماعة من وزراء المغول إلى أن أخذوها في آخر شهر رمضان من تلك السّنة . ورأى بعض الأخيار في المنام رجلاً فسأله عن مدته ، فكتب له ست واوات . قال الشيخ : فأولتها ستة أشهر ، فكان كذلك ، فدخلها في شعبان وخرج منها في المحرم .



---

(١) في (ط) « كنبايت » وما أثبتناه في (م) والبلاد المذكورة آنفاً من القارة الهندية .

سنة اثنتين وتسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الجمعة رابع شهر صفر سنة اثنتين وتسعين : **توفي الشّيخ الصّالح العلامة شهاب الدّين أحمد بن الشّيخ بدر الدين العباسي المصري الشّافعي**[1] ، بأحمد آباد وعمره نحو التّسعين ، ودُفِنَ بها بتربة العرب بالقرب من تلميذه وصاحبه الشّيخ محمد بن عبد الرّحيم العمودي رحمه الله ، وكان بينهما في حياتهما اتحاد ومحبة عظيمة حتى كأنهما كانا روحين[2] في جسد ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعمائة بمصر ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين .

ومن مشايخه : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشَّيخ العلامة برهان الدّين بن أبي شريف ، والشيخ الإمام نور الدين المحلي ، والشيخ كمال الدين الطّويل ، والشّيخ زين الدّين الغزي ، والشّيخ نور الدّين المليجي ـ بالجيم ـ واجتمع بشيخ الإسلام الشّيخ أبي العباس الطّنْبَداوي البكري بِزَبيد سنة ست وثلاثين وتسعمائة وأخذ عنه . ومن محفوظاته « المنهاج » في الفقه للنووي ، و « الشاطبية » في القراءات ، و « العمدة » في الحديث للمقدسي ، و « الأربعين النّووية » و « الأجرومية » في النحو ، و « مختصر أبي شجاع » . وكانت له اليد الطولى في علم الحرف والفلك والميقات ، وكان شديد الورع قليل الاختلاط بالناس ، متمسكاً بالكتاب والسنة وطريقة السّلف الصّالحين مع التّقوى المفرطة والخمول الزائد .

وحُكِي أنّ والده مرض مرضاً شديداً بالشّام ، فاستغاث بالنّبيِّ ﷺ ، فرآه في المنام وهو يضرب على كتفه ويقول له : قم يا أبا أحمد ، فانتبه معافى من

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٥ـ٦٢٦) .

(٢) في (م) و (ط) : « روحان » .

ذلك المرض ، ولم يكن معه إذ ذاك ولد اسمه أحمد ، وكان قد ترك زوجته بمصر حاملاً به ، فبعد أيام جاء الخبر بأنّها وضعت غلاماً ، فسماه أحمد .

ومن شعره : [من الكامل]:

كان البخاري حافِظاً ومحدِّثاً ... جمع الصَّحيحَ مكمّل التّحريرِ
ميلادُه صِدْقٌ ومدة عُمْرِهِ ... فيها حميد وانقضى في نورِ[1]

ولما وقف على الأبيات الآتية التي نظم فيها بعضهم ما لكل فصل من المنازل على اصطلاح أهل اليمن وهي : [من البسيط]:

شرط البطين ثريا دبر هقعتها ... وهنعة الذرع فصل الصيف قد كملا
فنثرة الطّرف جبهة الزبرة انصرفت[2] ... عوا سماك فذا فصل الخريف خَلا
غفر زبانا تكلل قلب شولتها ... نعائم بلدة فصل الشتا كملا
واذبح بلاعاً سعود واخب فرعهما ... في بطن حوت فذا فصل الربيع تَلا

استحسنها وقال : إنه أجاد فيها ، غير أنه اعتمد في ذلك على حساب المتقدمين في المنازل حيث بدأ بالشرطين ، وعلى حساب المتأخرين يكون الفرع المؤخر . قال : فقفوت أثره في القافية وابتدأت بالفرع المؤخر على حساب المتأخرين فقلْت : [من البسيط]:

مؤخر ورشا شرط البطين ثروا ... دبرا وهقع ففصل الصيف قد كملا
وهنعة الذّرع نثر الطرف جبهتها ... وزبرة الصرف ذا فصل الخريف تَلا
عوى السمّاك وغفر الزّبن كلّله ... قلب وشولة ذا فصل الشّتا ارتحَلا
نعائم البلد ذبح البَلع يسعده ... خبا المقدم ذا فصل الرّبيع تَلا

ثم قال : وترتيب الفصول المذكورة في هذين النظمين على طريقة أهل

---

(١) في (ط) « . . وانقضى نور » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .
(٢) كذا رواية هذا الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .

اليمن . قال : ثم إني رتبتها أيضاً في أبيات على حكم ما قال الحكماء فقلت : [من البسيط]:

مـؤخـر ورشـا شـرط البطيـن ثـروا ... دبـر وهقـع فـذا فصـل الـربيـع خَـلا
وهنعـة الـذّرع نثـر الطّـرف جبهتهـا ... وزبرة الطّرف فصل الصيف قد كَمُلا
عـوى السّمـاك وغفـر الـزّبـن كلّلـه ... قلبٌ وشولةٌ ذا فصل الشّتا ارتحلا

وكان كثيراً ما يتمثل بقول : [من الرمل]:

كـــانَ واللهِ فقيهـــاً عـــالمـــاً ... ولـــه عـــرض مصـــون مـــا اتّهـــمْ
غيـــر لا يـــدري مـــداراة الـــورى ... ومـــداراة الـــورى أمـــر مُهـــمْ

ومما أملاه على بعض الصّالحين من تلامذته من حفظه قبيل موته بمدة يسيرة : [من الكامل]:

بمكـــارمِ الأخـــلاق كُـــن متخلّقـــاً ... ليفوح عرف ثنائك العطر الشّذي
وامنحْ صديقَك ما استطعت صداقةً ... وادفـع عـدوك بـالّتـي فـإذا الّـذي

ومما أملاه عليه أيضاً قال : أنشدني الشّيخ أبو العباس الطَّبْنذاوي هذين البيتين من لفظه : [من الطويل]:

ومُذْ كنت ما أهديت للحبِّ خاتماً ... ومِسْكـاً وكـافـوراً ولابسـت عيْنَـهُ
ولا القلـم المبـري أخشـى عـداوة ... تكـون مـدى الأيـام بينـي وبيْنَـهُ

ومما أملاه عليه أيضاً قال : سمعت الشّيخ الإمام العلامة عبد الله با كثير بمكّة المشرفة في حدود سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة يقول : جاء شخص من علماء مصر إلى مكّة المشرفة فيما تقدم ، وجاور بها ، وجلس في بعض الأيّام على الكرسي ليعظ النّاس في الحرم الشريف ، فكان أول كلامه بعد أن قال الحمد لله والصلاة والسّلام على رسول الله ﷺ : مما أنشدني والدي تهذيباً في أيام الصِّبا : [من الطويل]:

إذا شِئتَ أن تحيا سليماً من الأذى ... وذنبك مغفورٌ وعِرضك صيِّنُ[1]
فلا ينطلق منك اللّسانُ بسوءةٍ ... فللنّاس سوآتٌ وللنّاسِ ألسنُ
وعينُك إن أهدت إليك معايباً ... فغمِّض وقلْ يا عينُ للنّاس أعينُ
وعاشِرْ بمعروف وسامحْ مَنِ اعتدى ... ولا تدفعِ الا بالّتي هي أحْسَنُ

قلت : وقد رُوِيَ عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله أنّه قال : أدركْتُ بهذه البلدة ـ يعني المدينة ـ أقواماً لم تكن لهم عيوبٌ ، فتكلموا في عيوب النّاس فظهرت عيوبهم ، وأدركْتُ أقواماً كانت لهم عيوبٌ ، فسكتوا عن عيوب النّاس فنسيت عيوبهم .

ومما أملاه عليه أيضاً عن الشّيخ عبد الله با كثير المذكور قال : جاء أعرابي إلى النّبيِّ ﷺ فقال : يا محمّد أفي قرآنك مثل هذا ؟ فقال له : إيش ، أو كما قال ﷺ ، فقال الأعرابي[2] : [من الطويل]:

وحيِّ ذوي الأضغان تَسْبِ عُقولَهُمْ ... تَحيَّتكَ القربى فقد تدْفَع النَّغَلْ[3]
فإنْ جهروا بالقول فاعفُ تكرّماً ... وإنْ ستروا عنك المقالة لم تَبَلْ
فإنَّ الَّذي يؤذيك منه استماعه ... وإنّ الّذي قد قيلَ خلفك لم يُقَلْ[4]

قال : فنزلت الآية الشريفة ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]:

---

(١) الأبيات في ديوان الشافعي ، تحقيق محمود بيجو ، طبعة دمشق ، ص (٧٦) وروايتها ثمة تختلف بعض الاختلاف عما ورد ، وفي حاشية التحقيق أن الأبيات تروى لابن الرومي ، ولم نقف عليها في ديوانه ، والبيتان الثاني والرابع مع آخرين في « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ ص (٣٦٢) دون نسبة .

(٢) يُروى الخبر عن العلاء بن الحضرمي في وفادة على النبي ﷺ . انظر « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٢/ ١٨) .

(٣) في (ط) : « . . الأظعان » تحريف ، وفيه الشطر الثاني بآخرة منه « فقد تُرْقع النَّغَلْ » .

(٤) اختلفت رواية البيتين الأخيرين في « عيون الأخبار » عما ورد هنا ، بيد أن المعاني واحدة .

ومما أملاه عليه أيضاً عن الشّيخ عبد الله المذكور :

مَـــنْ لـــم يبكُّـــوه نـــاصِحُـــوه يضحـــك مـــن حـــالـــهِ عِـــدَاهُ
أدّبـــه الأيـــام والليّـــالـــي مَـــن لـــم يـــؤدِّبـــه والـــداهُ

● وفيها : في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى توفي **الشّيخ العلامة أبو السّعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكّي الحنبلي**[1] ، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وكانت له اليد الطّولى في جميع العلوم ، وأنه قرأ في المذاهب الأربعة .

ومن شيوخه : الشّيخ الكبير المحقق العلامة أبو الحسن البكري ، وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي ، والشّيخ محمد الحطاب في آخرين من أهل مكّة وحضرموت وزَبيد يكثر عددهم . ويقال : إنّ الّذين أخذ عنهم يزيدون على التّسعين وأجازوه . ومقروءاته كثيرة جداً لا تنحصر .

ومـن محفـوظـاتـه : « الأربعيـن النـواويـة » ، و « العقـائـد النسفيـة » ، و « المقنع » في فقه الحنابلة ، و « جمع الجوامع » في أصول الفقه ، و « ألفية ابـن مـالـك » فـي النحـو ، و « تلخيـص المفتـاح » فـي المعـانـي والبيـان ، و « الشاطبية » في القراءات ، و « نور العيون » في السِّير لابن سيد الناس . وكان يحفظ القرآن العظيم ويقرأ للسبعة مع التّجويد ، ونظم ونثر ، وألف غير واحدة من الرَّسائل المفيدة منها الّذي تكلم فيها على آية الكرسي وهي مفيدة جداً ، ومنها : « شرح مختصر الأنوار » المسمى « نور الأبصار » في فقه الشافعية ، ومنها « رسالة في اللغة » ، ومنها كتاب جليل جعله باسم بعض السلاطين ، ورزق الحظ في زمانه . وسمعته يقول : الأنسُ بالله نورٌ ساطع ، والأنسُ بالنّاس سمٌّ قاطع ، رحمه الله .

ومن غريب الاتفاق أنّه قالَ : حضرت مجلس بعض الوزراء فوقع الكلامُ في

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٧) و « النعت الأكمل » ص (١٥٤ـ١٥٥) و « معجم المؤلفين » (٨/ ٢٩٢) و « الأعلام » (٦/ ٧) .

الاستفهام الإنكاري فقال بعض أهل العلم : هذا كقوله : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] ، وأشار إليَّ بالتّعريض ، ففهمت منه ذلك ، فاستحضرت حينئذ وقلْتُ مخاطباً له قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، فخجل ذلك الرّجل .

وكان والدي يسميه شيخ الإسلام ، وكان جواداً ، قال بعضهم : ما رأيت أسخى منه ، وقال آخر : ما أظنّ أنّ أحداً من الأشراف والعرب دخل الهند إلاّ وله عليه إحسان ، وكان لا يمسك شيئاً ولذلك كان كثير الاستقراض . وكان تغلب عليه الحدّةُ ، وكان من شدة تواضعه لأصحابه ربما ينسبونه إلى التملق ، وكان له عقيدة مفرطة في السّادة آل با علوي ، وذهب إلى حضرموت لزيارتهم فلقي جماعة من أعيانهم وعادت عليه بركتهم ، ودخل الهند وأقام بها مديدة ، ثم رجع إلى وطنه مكّة المشرفة في سنة سبع وخمسين ، فحجّ ذلك العام وزار النّبيّ ﷺ ، ثم حج في السّنة الّتي تليها ، وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة ، فأقام بها إلى أن توفي بها رحمه الله .

وكان مع جلالة قدره يغضب من ذكر « الفأر » وقيل إنّه لقب أخيه عبد القادر لقّبه به من لا خلاق له من أهل مكّة ، فكان الذين يقصدون أذيته يذكرونه له فيتعب من ذلك ، وكتب إليه بعضهم هذا الاستفتاء :

يـا أيُّهـا الشّيـخ يـا مـن ... هـو بـدينـه فـار
يـا مَـن إذا مـا اشتعـل ... نـارُ الـذّكـاء منـه فـار
مـاذا تقـول لنـا ... فـي بـركـةٍ مـات بهـا فـار ؟
تبـددت منـه أجـزاؤه ... ولـم يبـق فـار
أجـب لنـا مُشْـرعـاً ... المـاء فـي التنـور فـار

وللأديب علي با كثير المكي رحمه الله في المعنى : [من السريع]:

يـا عُلمـاءَ العَصـر مـا قـولكـم ... فـي مشكـلٍ حيّـر كـلَّ الأمَـمْ ؟

رأيــت فــأراً عنــدكــم وهــو لا يقتــل فــي الحــلِّ ولا فــي الحــرمْ

ومن شعره : [من الطويل]:

طبعـت علـى حـبِّ المعـزّة والثّنـا وأرجوهما في طول عمريَ ديدني
وهـا أنـا أوصـي كـلَّ خـلٍّ معـزّزٍ بأن لا يداني للدنا من يدي دني

ومدحه الشّيخ الفاضل عبد اللّطيف الدبير[1] بقصيدة منها : [من الطويل]:

يا علاّمةَ الدُّنيا ويا عالمٌ غدا[2] يقصّر عن غاياته في العُلا البدْرُ
ومن لاح مثل الصبحِ فضلُ كماله فضـاءَ بـه الأقطـار وافتخـر العصـرُ
ويـا أيُّهـا البَحْـرُ الخِضـمُ لعلمـه وللـرفـق بـالطـلاب يـا أيُّهـا البـرُّ
وفـاكهـة الـدُّنيـا يهنـاه ذا الهنـى وجمع علوم فاح من طيبها النشرُ
أبٌ لسعــادات وأصــل محــامــد فمَـن أمّـه بـالنّجـح آل كـذا اليسرٌ
تبـاهـت بـه كجـرات لمّـا ثَـوى بهـا فإنْ فخرتْ يوماً يَحقُّ لها الفخرُ

ومن العجائب : أنَّ المشايخ الثلاثة هو وأخواه الشّيخ عبد الله والشّيخ عبد القادر كانوا كلهم أهل فضل وعلم ، وكل واحد من الثلاثة مات قبل الآخر بعشر سنين ، فكان أولهم موتاً الشّيخ عبد الله وآخرهم صاحب الترجمة ، رحمهم الله تعالى آمين .

● **غريبة :**

ذكر شيخُ الإسلامِ ابنُ حجر العسقلاني في « معجمه » أنَّ الأئمة الثّلاثة وهم العراقي، والبلقيني، وابن الملقن، كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن ، الأول : في معرفة الحديث وفنونه ، والثّاني: في التّوسع في معرفة مذهب الشّافعي ، والثّالث: في كثرة التّصانيف، قال : ومن العجائب أن كلَّ واحدٍ من

---

(١) في (ط) : (الأبير) .
(٢) كذا رواية الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .

الثّلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة ، فأولهم ابن الملقن ، ثم البُلقيني ، ثم العراقي .

وحكى بعض الفقراءِ الصّالحين قال : سمعت الشّيخ أبا السعادات الفاكهي رحمه الله يقول : لما سمع العلامة القاضي ابن أبي عقامة اليمني قول المعري قابله الله بعدله : [من الطويل]:

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله ... وتزويجه بنْتيه بابنيه في الدُّنَا
علمنا بأنّ الخلقَ من أصل زنية ... وأنّ جميعَ الناس من عنصر الزِّنا

قال مجيباً له وراداً عليه : [من الطويل]:

لعَمْرك إنّ القولَ فيك لصادقٌ ... وتكذب في الباقين من شطَّ أو دنا
كذلك إقرار الفتى لازمٌ له ... وفي غيره لغْوٌ بذا جاء شرعنا

قلْتُ : وللمعري أيضاً : [من البسيط]:

يَدٌ بخمس مئين عسْجد وديت ... ما بالها قُطعت في ربع دينارِ

فقال الشّريف الرّضي راداً عليه : [من البسيط]:

صيانةُ النّفس أغلتها وأرخصها ... خيانة المال فانظر حكمة الباري

وله[1] أيضاً وهو مما يدلّ على عدم إيمانه بالبعث والنّشور قبحه الله : [من الطويل]:

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهة ... وحقّ لسكان البسيطة أن يبْكُوا
تُحطِّمُنا الأيّام حتّى كأنّنا ... زجاجٌ ولكنْ لا يُعادُ له سبْكُ

ورد عليه الإمام محمّد بن عتيق التّميمي فقال : [من الطويل]:

كذبت وبيت الله حلفة صادقٍ ... سيسبكنا بعد الثّوى من له المُلْكُ
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمةً ... تعارف في الفردوس ما عندنا شكُّ

---

(١) يعني : للمعري .

وفي « عجائب البلدان » للقزويني قال : وذكر أنّه في آخر عمره تاب عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه .

قال المجد الفيروزابادي صاحب القاموس في كتابه « البلغة في تاريخ أئمة اللّغة » : والنّاس فيه فرقتان ، فمنهم من يكفره ويزعمُ أنّه كان زنديقاً ، ومنهم من هو بضد ذلك ، وفي ظاهر أشعاره زندقةٌ كثيرة ، على أنّ في شعره ما يدلّ على التّوحيد الصّريح والاعتقاد الصّحيح كقوله : [من الخفيف]:

خُلِقَ النّاس للبقاء فضلّتْ أمّةٌ يحسبونها للنّفادِ
إنّما يُنْقلون من دارِ أعما لِ إلى دار شِقْوةٍ أو رشادِ

وذكر عنه أنه أملا « المحكم » و « المخصص » من صدره .

وفي « عجائب البلدان » أنّه كان له سرير يجلس عليه ، فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم تحتَ كلّ قائمة درهماً ، فقال : إنّ الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً ، أو السّماء نزلت . قال : ومن العجب أنه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات الّتي ليست مجسمة كالجواهر الرّوحانية ، فاعتقد أن كلّ موجود يكون مجسماً .

قلت : ولا عجب لأنّ الهداية والضّلال ليسا إلاّ بتوفيق الله وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته ، وأنّ غير العاقل قد يُلهم كثيراً مما يحرمه العاقل ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ولعمري إنّ العقول الّتي لم تستضىء بنور الشّرع هي عقول أضلها باريها وقضى عليها بالشّقاء قاضيها . رزقنا الله تعالى متابعة النّبيّ ﷺ وتعظيمَ شريعته ، وجعلنا من خيار أمته وأنصار ملته بمنّه وكرمه آمين . وما أحسنَ قولَ البوصيري رحمه الله : [من الخفيف]:

ربِّ إنّ الهدى هُداك وآيا تك نورٌ تهدي بها مَنْ تشاءُ
كم رأينا ما ليس يعقلُ قد ألـ ـهم ما ليس يُلْهَمُ العُقلاءُ

ووجدت في بعض التعاليق بخط صاحبنا العلامة الشّيخ أحمد بن علي البسكري : أنّ الشّيخ عبد النّافع بن الشّيخ أحمد بن عراق دعا الشّيخ أبا السّعادات الفاكهي إلى ضيافة مع صاحب له يسمى بابن المجد ، وكتب إليه في الاستدعاء هذين البيتين : [من البسيط]:

أبا السّعادات وابن المجدِ خادمكم ... أخو التضرّع عبد النّافع الدّاعي
يدعوكمُ ساعة تلقاء منزله ... وليس يَخْفى الّذي في الشّرع للدّاعي

ورأيت بخط صاحِبنا العلامة شهاب الدِّين ابن الشّيخ أحمد بن علي البسكري المكي المغربي المالكي رحمه الله تعالى ما صورته : وجدت في تذكرة مولانا العلامة ذي الكمالات الشّيخ أبي السّعادات هذين البيتين وهما : [من الكامل]:

يا أهلَ تدريسِ العلوم جميعه ... وذوي عقول قد صفت من ريبةِ
هل تعلمون محلّة معروفة ... جمعت كمكّة في عدادِ فضيلةِ

فكتبت جوابهما وأنا الفقير إلى عفو الله أحمد البسكري فقلت : [من الكامل]:

لا والّذي برأ الأنامَ بأسرهم ... ما مثل مكّة شُرِّفت من قريةِ
وكذاك ما مثل الحطيم وزمزم ... والمشعرين وركنها في خطةِ
وكذا الصّفا والحجر والميزاب والـ ... ـبيت الشّريف فذاك أعظم نعمةِ
إلاّ على قول الهزبر إمامنا ... شيخ الأنامِ إمام أهل السّنّةِ
إنّ المدينةَ شُرِّفَتْ بمقام مَنْ ... قد حلَّ فيها فهي أشرف بقعةِ
صلّى عليه الله ربِّي سرمداً ... أبداً دواماً ما توالت غَمْضَتي

● وفيها : في ليلة الأحد السّابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام توفي **الولي الكبير والقدوة الشّهير ، الّذي وقع على ولايته الإجماع والاتفاق ، وقصدَ بالزّيارة من الآفاق ، الشّيخ أبو بكر بن سالم با علوي**[1] ، بعينَات ، وكان من

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٥) .

المشايخ الأفراد المقصودين بالزّيارة من أقصى البلاد ، وانتفع ببركته الحاضر والباد ، وانغمرت بنفحات أنفاسه العباد ، واشتهرت كراماته ومناقبه وآياته في الآفاق ، وسارت به الرّكبان والرّفاق ، وحصل له القبولُ التّام عند الخاص والعام . و « عِيْنَات » بكسر المهملة وسكون المثناة من تحت وقبل الألف نون وبعدها مثناة فوقية : قرية بحضرموت على نصف مرحلة من تَريم كانت إقامته بها ، وقصده إليها الزّوار من الأقطار حيّاً وميتاً .

● وفيها : توفي الحكيم شهاب الدِّين محمود بن شمس الدِّين السّندي[1] ، وكان آية في الحكمة والمعالجات . وحكي أنَّ بعضَ السّلاطين أهدى إلى السّلطان محمود صاحب كجرات أشياء نفيسة من جملتها جارية وصيفة ، فأعطاها السّلطان لبعض الوزراء ، فاتفق أنّ الحكيم المذكور جس نبضها قبل أنْ يمَسَّها ذلك الوزير ، فحذره من ذلك وقال : إنّ من يجامعها سيموت . فأرادوا تجربته في ذلك فجاؤوا بعبد وأدخلوه عليها فمات لوقته ، فازداد تعجب الوزير وسأله عن السّبب فيه ، فقال : إنهم أطعموا أمّها في حال حملها أشياء أورثت ذلك ، وإن مهديها قصد هلاك السّلطان .

قلت : فلله درّه من طبيبٍ ماهر ما أحذقه! وقد ذكرَ القزويني في « عجائب البلدان » ما يقرب من هذا ، فقال عند الكلام على عجائب الهند : ومن عجائبها « البيش » وهو نبت لا يوجد إلاّ في الهند ، سمٌّ قاتل ، أيُّ حيوان يأكل منه يموت ويتولد تحته حيوان يقال له فأرة البيش تأكل منه ولا يضرها . ومما ذكرَ أنَّ ملوكَ الهند إذا أرادوا الغدر بأحد عمدوا إلى الجواري إذا ولدْنَ وفرشوا من هذا النبت تحت مهودهن زماناً ، ثم تحت فراشهن زماناً ، ثم تحت ثيابهن زماناً ، ثم يطعموهن منه في اللّبن حتّى تصيرَ الجارية إذا كبرت تتناول منه ولا يضرها ، ثم يبعث بها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به من الملوك فإنه إذا غشيها مات .

* * *

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٨) .

سنة ثلاث وتسعين بعد التسعمائة

وفي ربيع الثّاني سنة ثلاث وتسعين : توفي **الأستاذ الأعظم قطب العارفين الشّيخ محمد بن الشّيخ أبي الحسن محمد**[1] **بن محمد بن عبد الرّحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدِّين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه البكري الصّديقي الشّافعي الأشعري المصري**[2] ، وأمُّ جده الأعلى أحمد بن محمد بن أحمد فاطمة بنت الشّريف تاج الدّين القرشي بن محمد بن عبد الملك بن يرحم بن حسان بن سليمان بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن المثنى ابن حسن السِّبط ، وروي أنّ الشّيخ كان يفتخر بهذه النِّسبة النَّبويَّة ويقول : ما أحب أنَّ لي بها كذا . . وكذا . . .

وكان هذا الشَّيخ من آيات الله في الدَّرس والإملاء ، فكان إذا تكلم فيه تكلم بما يحيِّر العقولَ ويُذْهِلُ الأفكار بحيث لا يرتاب سامعه في أنَّ ما يتكلم به ليس من جنس ما يُنال بالكسب ، وربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه أحد من أهل مجلسه مع كون كثير منهم أو أكثرهم على الغاية من التّمكن في سائر مراتب العلوم الإسلامية والإحاطة بفنونها ، فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس ، فيقول : ليس ذلك بأعجبَ من حال المتكلم به فإنّي فيه مثلهم . وكان إليه النّهاية في العلم حتّى كان بعض أئمة العلوم والمعارف هناك ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الرّبانية يقول : والله لا ندري من أين هذا الكلام

---

(١) في « شذرات الذهب » (علي) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٣٢ـ٦٣٤) و « جامع كرامات الأولياء » (١/ ١٨٧ـ١٩٣) و « معجم المؤلفين » (١١/ ٢٨١) و « الأعلام » (٧/ ٦٠ـ٦١) .

الذي نسمعه من هذا الأستاذ ؟ ولا نعلم له أصلاً يؤخذ منه ، ولولا العلم بسدِّ باب النُّبوَّة لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته[1] .

وأما مجالسه في التّفسير وما يقرره فيها من المعاني الدّقيقة والأبحاث الغامضة مع استيعاب أقوال أئمة التّفسير من السّلف والخلف ، وبيان أولاها بالاعتماد عنده ، وذكر المناسبات بين السّور والآيات ، وبين أسماء الذّات المقدسة والصّفات ومواضعها ، وما قاله أئمة الطَّريق في كلِّ آية من علوم الإشارة ، فإنّ القرآن نزل بها أيضاً ، فذاك مما يُحيّر العقول ويُذْهِشُ الخواطر ، مع كون ما يلقيه من ذلك كله في ألفاظ مخترعة بالغة في الفصاحة والبلاغة والجزالة والإيضاح إلى الغاية الّتي ليس وراءها غاية ، مع كون أكثرها أو جميعها مسجعاً مقفىً معرباً موضوعاً في محله الّذي لا أولى منه به ، ولم يحفظ له أحد هفوة في لفظ من ألفاظه من جهة إعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسنة في تقرير العلوم ، وما من درس من دروسه إلاّ وهو مفتتح بخطبة بديهية أو غير بديهية مشتملة على الإشارة إلى كلِّ ما اشتمل عليه ذلك الدَّرس على طريق براعة الاستهلال .

وهكذا كانت مجالسه في الحديث والفقه ، وكل علم يتصدى لتقريره ، لا يظن سامعه المتمكن في ذلك العلم الحافظ لأصوله وفرعه أنّه ترك في كلِّ بحث كلمةً لأحد من المتكلمين فيه ، مع ما يبديه هو من اختياراته الشّريفة . وكان الشّعراء من فضلاء مصر المتمكنين في علوم اللّغة وقواعد الشّعر ومذاهب الإنشاء يقصدون يوم ختمه ، فيكتبون القصائد البديعة في مدحه ، وبيان ما منّ الله به عليه من سائر النّعم الظّاهرة والباطنة ، فتتلى ـ أو المهم منها ـ على

---

(١) العبارة في « شذرات الذهب » « . . . لولا أنَّ باب النُّبوّة سُدَّ لاستدلينا بما نسمعه على نبوته » وهي أفضل من عبارة « النور » وأدقّ في الدلالة على المُراد .

نقول : وهذا لا يجوز قوله ولا اعتقاده بحال من الأحوال ، فليس بعد رسول الله محمد ﷺ نبي ولا رسول ، فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها .

رؤوس الأشهاد في مجلسه الشّريف وفيه خلائق من الخاصة والعامة ، ويجلس هو نفعنا الله ببركاته لاستماع ما يتلى منها بين يديه ، ويجيز على كلٍّ منها ويظهر السُّرور بها لطفاً منه بأصحابها وجبراً لخواطرهم ومقابلة لحسن ظنهم وعقائدهم ، نفعنا الله ببركاته .

وكان إذا قام من كلِّ مجلسٍ جلسَ فيه للتّدريس في الجامع الأزهر أو غيره يتقدم إليه النّاس لتقبيل يده والتّبرك بدعائه إذ ذاك والقرب من موضعه الشّريف الّذي هو موضع الرّحمة ، ويقع بينهم ازدحام عظيم ، وربما سقط بعضهم تحت أقدام النّاس وحوله إذ ذاك جماعة من جند السّلطان والرّوم وغيرهم قد حلقوا على حضرته بأيديهم خشية عليه من الإيذاء بالازدحام ، وربما أخذ واحد منهم بيده الشّريفة وهي ممدودة لتقبيل النّاس لطول زمن مدها لهم إذ كان يقف لهم بعد درسه نحواً من ساعةٍ زمانية ، ثم يسيرُ إلى جهة دابته والنّاس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها .

ومما يشهد بكونه بالمقام الأعلى من الإحاطة بأنواعِ العلوم وأصناف المعارف ما كان يتكلم به في مجالسه الخاصة والعامة من منظوم الكلام ومنثوره .

ولما مرض والده شيخ الإسلام وفارس ميدان العلوم والمعارف أبو الحسن البكري ـ نفعنا الله ببركاته ـ مرضه الّذي مات فيه اختلى بولده المذكور وخصه من مواهب الله بما خصه الله به ، ثم استدعى بتلامذته ومريديه من شيوخ الإسلام وكبراء الأعلام ممن أفنوا أعمارهم في الاستفادة منه والأخذ عنه ، وأمرهم بالاستفادة منه والأخذ عنه والدّخول تحت حكمه . ثم لما انتقل والده إلى دار الكرامة همّ بعض من عظماء تلامذته بالجلوس في مجلس والده بالجامع الأزهر ظناً منه أن ولده المذكور لم يبلغ رتبة الجلوس في مجلس والده لصغر سنه إذ ذاك ، فإنَّ عمره إذ ذاك كان نحواً من إحدى وعشرين سنة ، مع أنه لم يسبق له قبل ذلك اشتغال بالعلم يترتب عليه التّأهل للجلوس في مجلس والده الّذي هو بالمقام الأعلى من كل علم ومعرفة وإلاّ لم يستبعدوا ذلك منه .

وقد ذكر اليافعي في تاريخه : أنَّ ابن سينا فرغ من العلوم العقلية والنقلية وعمره ثماني عشرة سنة مع ما قيل في ابن سينا من القدح والمدح ، فتقرر الأمر على أن يعقدوا للمذكور مجلساً يكون فيه أكثر علماء مصر من سائر المذاهب أو كلهم ، فحضروا ، وشرع المذكور في تقرير العلوم عن ظهر قلب ، وفي ظني أنَّ كلامه كان شروعاً في تفسير القرآن ، فقرر في ذلك المجلس من أنواع العلوم وأصناف المعارف ما بهر عقولهم وحيّر ألبابهم في ألفاظ لم يسمع السّامعون في زمانهم أفصحَ ولا أبلغَ ولا أمتنَ ولا أجزلَ ولا أجمعَ منها ، فأذعنوا له من ذلك الآن ، وعرفوا أنّه أحقُّ منهم ومن غيرهم من علماء مصر وغيرها بمجلس أبيه ، ولمْ يزل من ذلك الآن الصّدرَ المقدمَ في كلِّ مجلس جلس فيه من مجالس علماء الإسلام وعلماء أركان الدّولة الأعلام ، إلى أنْ توفاه الله تعالى إلى ما منحه الله تعالى ، فضاهى أباه في حاله ومقاله وحذا حذوه في العلوم ، ونسج على منواله وتابعه في أخلاقه الحميدة وآثاره الصّالحة حتى قيل : « ما أشبه الليلة بالبارحة » وقد أشار رحمه الله إلى ما منحه الله من مراتب الكمال في هذا السنِّ فقال : [من المتقارب]:

وصلتُ وسنِّي عشرون ما   تقاصرَ عنه فحول الرجالِ
فما ابن ثمانين إلاّ الوليد   ومجدي يزيد بقومي وآلي

وله جملةُ تصانيف منها : « شرح على مختصر أبي شجاع » في الفقه ، وكتب أيضاً على « أوائل منهج شيخ الإسلام زكريا » شرحاً ولم تساعد القدرة على إتمامه ، وله رسائل في أنواع من العلوم والمعارف والآداب كرسالته في الاسم الأعظم ، ورسالته في الصلاة على النّبيِّ ﷺ ، ورسالته في آداب الشّيخ والمريد ، ورسالته في الزيارة ، وغيرها من الرّسائل الجامعة النّافعة الدّالة على كمال تمكنه في سائر العلوم الإسلامية والمعارف الرّبانية ، وديوان شعر كبير ، وكان على ما قيل بقوله وقت الوارد ، وربما كان بين النّاس بمنزله الشّريف ، أو بين أهله أو وحده ، فورد عليه الوارد ، فاستدعى بالدّواة والقرطاس وكتبه إذ ذاك ، وما من معنى أشار إليه أئمة الطّريق مما يتعلق بالذّات المقدسة أو

الصّفات المنزهة أو بالذّات المحمدية والصّفات النّبوية إلاّ وله فيه القولُ الأبلغُ واللّفظ الأفصحُ .

ومن كلامه : أقلُّ واجب على الفقير أن يتطهر من نجاسة الذّنوب بالتّوبة وهي الإقلاع عن المعصية والنَّدم على فعلها ، والعزم على تركها ، ورد الظّلامة إن كانت وقدر ، وعليه أن يتدارك فوائت صلوات تركها ، وأنْ يبادرَ بالنّظرِ والالتفاتِ لأستاذٍ يخدمه ويمتثل أمره ويؤمره على نفسه ليخرج له خبائثها وينقب له عن دسائسها ، ويستعين بالله ثم به على طَهارته من ذلك ، فإذا صحَّ ذلك للفقير فهو الغنيمة الكبرى والإكسير الأكبر والكبريت الأحمر . وله بعد استنشاق روائح الوصول آداب منها : أن لا يقف عند مرتبة بل يتخطاها بصدق اليقين ، ومنها : أن لا يشهد أنه وصل فذلك حجاب عظيمٌ ، بل يغيب في شهوده وذلك هو المقام الكريم ، ومنها : أن لا ينفذ سهم نقمه عن قوس نفسه لأحد من الخلق ولو بالغ في أذيته ، بل يبالغ في معاملته بالرّحمة حتى يبلغ الإمهال أجله ، ويفعل الله ما يشاء ، والسلام .

وسئل رضي الله عنه : لِمَ كان في أهل مكة قسوة القلب ، وفي أهل المدينة لينها ؟ فقال : لأن أهل مكة جاوروا الحجر ، وأهل المدينة جاوروا البشر .

وأنشد بعضهم بحضور الأستاذ المذكور قول الشّاعر : [من الكامل]:

لله قاموسٌ يطيبُ وروده ... أغنى الورى عن كل معنى أزهرِ
نبذَ الصِّحاح بلفظه والبحرُ من ... عاداته يلقي صِحاح الجوهري

فكسر الصّاد من « صِحاح » فقال الأستاذ : الصَّحاح لا تُكْسر . فتعجب كل من كان في المجلس من هذا الجواب مع سهولة اللّفظ والتورية ، ويُروى عن شيخ الإسلام الطّبلاوي أنّه قال : الصَّحاح بالفتح أفصح وأكثر استعمالاً .

وما ألطف قوله قدس الله روحه إذ يقول[1] : [من الخفيف]:

---

(١) الأبيات في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٣٣) .

مـا أريـض مفتـح الأزهـار وبهيـج مشعشـع الأنـوارِ
ولآلٍ منظّمـات عقـوداً لغـوانٍ عـرائـسٍ أبكـارِ
وشمـوس تضـيء فـي أفق السَّعْـ ـد زهـا ضـوؤُهـا على الأقمارِ
وغصـون بـأيكِهـا تسجعُ الـور ق فتنسـى تـرنُّـمَ الأوتـارِ
مثل قـول الإلـه فـي حـقِّ جـدِّي « ثاني اثنين إذ هما في الغارِ »[1]

ومن نظمه هذه الوسيلة العظيمة ، وهي : [من السريع]:

مـا أرسـلَ الـرَّحمن أو يُـرْسِـلُ مـن رحمـةٍ تَصْعَـدُ أو تَنْـزِلُ
فـي ملكـوت اللهِ أو مُلْكـه مـن كـلِّ مـا يختـصُّ أو يشْمـلُ
إلاّ وطـه المصطفـى عبْـده نبيُّـه مختـاره المُـرسَـلُ
واسطـةٌ فيهـا وأصـلٌ لهـا يعلـم هـذا كـل مـن يعْقـلُ
فَلُـذْ بـه فـي كـلِّ مـا تـرتجي فهـو شفيـعٌ دائمـاً يقبـلُ
وعـذْ بـهِ مـن كـلِّ مـا تختشـي فـإنّـه المـأمـنُ والمعقـلُ
وحـطَّ أحمـالَ الـرّجـا عنـده فـإنّـه المـرجـعُ والمـوئـلُ
ونـادهِ إنْ أزمـةٌ أنشبـتْ أظفـارَهـا واستحكـم المعضـلُ
يـا أكـرمَ الخلْـقِ علـى ربِّـه يـا خيـر مـن فيهـم بـه يسـألُ
قـد مسَّنـي الكَـرْبُ وكـم مـرة فـرجـت كـربـاً بعضـه يـذهـلُ
ولـن يُـرَى أعجـزَ منـي فمـا لشـدةٍ أقـوى ولا أحمـلُ
فبـالّـذي خصَّـك بيـن الـورى بـرتبـة عنهـا العـلا ينـزلُ
عجِّـلْ بـإذهـاب الـذي أشتكـي فـإنْ تـوقفـت فمـن أسـألُ
فحيلتـي ضـاقـت وصبـري انقضـى ولسْـتُ أدري مـا الّـذي أفعـلُ

(١) اقتباس من قول الله تعالى في سورة التوبة الآية (٤٠) : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فــأنــت بــاب الله أيُّ امــرىء   أتــاه مــن غيــرك لا يــدخــلُ
صلــى عليـك الله مـا صـافَحَـتْ   زهــر الــرّوابــي نَسْمــة شمــألُ
مسلِّمــاً مــا فــاح عطــر الحمــى   وطــاب منــه النّــدُّ والمنــدلُ
والآل والأصحــاب مــا غــرّدت   ســاجعــة أملــودهــا مُخْضــلُ

ومنه هذه الأبيات وأنشدها بين يدي الحضرة النّبويّة ، وحكي أنّه سمع المصراع الأخير منها من الحضرة النبوية : [من الطويل]:

ولمــا أتينــا قبـر أشـرف مـرسـلِ   ولاح لنــا ســرُّ العنــايــة ينْجلــي
وغيّـب سـرّ الـروح فـي ملكـوتـه   فصـار عـن الأكـوان فـي أي معـزلِ
وسار مـن الجمـع المحيـط لـرتبـة   تعالت بسرِّ الذَّات عن وصف منزلِ
عَـرَضْـتُ عليـه مـا أريـد فقـال لـي   لســان تجلّـي الحـقّ منـي بمقـولِ
مجيبـاً بمـا أمَّلتـه مـن عطـائـه   سمعنـا وأعطينـاك فـوق المـؤمـلِ

ومنه : [من الطويل]:

أتينـا علـى النُّجـبِ العِتـاقِ لطيبـة   وقد ضاق من نفسي فسيح فضائها
وأنـزلـت حـاجـاتـي ببـاب محمّـد   علـى ثقـةٍ مـن نجحهـا وقضـائهـا

ومنه : [من المنسرح]:

أحســن مــن تنظــر العيــون فتــى   عــــرَّفــــه الله أنّـــــه الله
أبعــد عنــه حظــوظــه فغــدا   فــــي حضــــرة قصــــده الله[1]
فــرَّغــه عــن جميــع عــالمــه   فصــــار بــــالحــــقِّ شغلــه الله
أدخلـــه خلـــوة مقـــدســـة   يـــذكـــره فيهـــا وذكـــره الله
علمـــه مـــا يشـــاء ثـــم عـــلا   بـــه إليـــه فعلّمـــه الله
حقــق فيــه القبــول منــه لــه   فـــإن دعـــاه أجـــابـــه الله
لطفـــه فـــارتقـــى وزجّ بـــه   فـــي النـــور فضـــلاً فنـــوره الله

---

(١) الشطر الثاني مختلٌ وزنه .

بلَّغه المنتهى وأوصله ... فعاد عبداً شهوده الله
ألبسه من ثياب حضرته ... ملابساً رَقَها[1] هو اللهُ
وبعد أن صار مفرداً عَلَماً[2] ... قال له إنَّني أنا الله

ومنه : [من الطويل]:

إذا صح صدقُ العبد في حبِّ مولاه ... ألاحَ له معنى الجمال وأبداهُ
وأغناه عن أوصافه ونعوتهِ ... وللجمع في غيب الحقيقة أبقاهُ
وألبسه تاج المعارف والهدى ... وآنسه بالقرب منه وأدناهُ[3]

ومنه : [من البسيط]:

إذا يعمَّر قلب بالإله غَدا ... مرآة كل شهود كامل الرتبِ
وأودعت فيه بل له أُبرزت[4] ... كلُّ العلوم فلم يحتجْ إلى كُتُبِ
وصار بيتاً يطوف العارفون به ... ويدركون به المأمول من طَلَبِ

ومنه : [من الرمل]:

أيُّ قلب قابل الحقّ فلم ... ينشرح هذا خلاف الواقعِ
أيُّ صدر صار معنى سرّه ... ثمَّ لم يغنَ بفضل واسعِ
أيُّ عين أبصرت أنواره ... ثمَّ تلتاح لأبهى ساطعِ
غير أنّي ضيِّق الصدر فما ... ذاك إلاّ من وجود المانعِ
ثمّ لا حَجْرَ عليكم سادتي ... إن رحمتم أو قطعتم قاطعي
هكذا أبقى كئيباً بائساً ... حاش لله فذلِّي شافعي
إنَّني من تعلمون أنه ... لم يزل في الباب أوفى خاضعِ

---

(١) في (ط) : « . . رقمها . . » وما أثبتناه في (م) .
(٢) في (ط) : « . . . منفرداً عِلما » وما أثبتناه في (م) .
(٣) هذا البيت ، وسبع مقطعات شعرية جديدة مما يليه ليست موجودة في (م) وأثبتناها هنا عن (ط) .
(٤) هذا الشطر مختل الوزن .

لـــم يـــزلْ للعفـــو منكـــم راجيـــاً لـــم يـزلْ فـي العفـو أقـوى طـامـعِ
عجّلـــوا بـــالغـــوث هـــذا وقتـــه وارحمـــوا ذلّ كئيـــب خـــاشـــعِ
عبـــدكـــم فقيـــركـــم كسيـــركـــم مـــالكـــم عـــن جبـــره مـــن دافـــعِ

ومنه : [من المتقارب]:

إذا خطـــبُ ذنـــب علينـــا دجـــا أنـــرنـــا دُجـــاه بنـــور الـــدُّجـــى
فكـــم شـــدّة مـــن ذنـــوب عظـــام لهـــا الله بـــالعفـــو قـــد فـــرّجـــا
وكـــم ضقـــت ذرعـــاً بجـــرمـــي فمـــا وجـدتُ سـوى العفـو لـي مخـرجـا
فللـــــه إلجـــــأ ولا تيـــــأســـــنْ فمـــا خـــابَ عبْـــدٌ إليـــه التَجَـــا

ومنه : [من المتقارب]:

ومـــالـــي شـــيء عليـــه اعتمـــاد ولكـــن إلـــى فضلـــك الإستنـــاد
جعلتـــك ذُخـــري ليـــوم الخُطـــوبِ وغَـــوثـــي وعـــونـــي يـــوْمَ المعـــاد

ومنه : [من المتقارب]:

إذا ضـــاق أمـــر فـــلا تيـــأســـنْ وكـــنْ رَاجيـــاً فضـــلَ ربٍّ مجيـــبْ
فكَـــمْ شـــدّة وأتـــى بعـــدهـــا مـــن الله نصـــرٌ وفتـــحٌ قـــريـــبْ

ومنه : [من السريع]:

استفتـــح الفضـــلَ بخيـــرِ الـــورى رســـول ربِّ العـــالميـــن الحبيـــبْ
ولا تخـــف بـــالله مـــن حـــاســـد فـــإنّ مـــولاك عليـــه رقيـــبْ
واستعِـــنِ الحـــقَّ وخـــل السِّـــوى فأنت في حفظ القريب المجيبْ
واستمنـــحِ الجـــود بـــه واثقـــاً بـــالله فـــالـــرَّأي بهـــذا مصيـــبْ
واجعـــلْ جميـــع العمـــر فـــي طـــاعـــة فطـــاعـــةُ الخـــالـــق أزكـــى نصيـــبْ
فمَـــن يُطـــع الخـــالـــقَ يُـــوْلَـــد لـــه مـــن فيْضِـــهِ البـــاهـــر ســـرٌّ عجيـــبْ
فـــابـــكِ زمـــانـــاً مـــرّ فـــي غفلـــةٍ بـــأدْمُـــعِ هـــاطلـــةٍ كـــالصَّبيـــبْ

وتُبْ إلى الله وخف قهره ... أو عد إليه عود عبدٍ مُنيبْ
عساهُ بالعفو ينيل الرّضا ... ويغفرُ الذّنب وماذا عجيبْ

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

ليس للعبد سوى الله ... فانتهض واصدق مع اللهْ
واترك الأكوان وارحل ... عن سوى الله إلى اللهْ
واحذرِ الأغيارَ واشهد ... كلَّ ذي الأشيا من اللهْ
والزمِ الآدابَ واترك ... حالةَ الخلْقِ إلى الله
هكذا من كان عبداً ... فوّضَ الأمرَ إلى اللهْ
لسْت تخشى قطّ سوءاً ... إنْ توكلت على اللهْ
لا ولا صداً وطرداً ... إن توجهت إلى اللهْ
كم عيوبٍ ستر الله ... كم ذنوبٍ غفر اللهْ

ومنه :)[1] [من: المتقارب]:

إذا ضاق أمرٌ فلا تجزعنْ ... وسلِّم لمولى به قد حكَم[2]
وإيّاكَ إيّاك أن تعترض ... فمعترض الحقِّ يلقى النّدمْ
وراضٍ بأحكامه يرتقي ... من المجدِ فوقَ معالي القممْ
ويؤتيه مطلوبه عاجلاً ... ويسعفه بسجال الكرمْ
ويذهب عنه بتفريجه ... مضايقه والذي قد أهمْ
فما ساد أهلُ الصفا غيرهم ... سوى بالوفا بعهود الذِّممْ
وتسليمهم للإله العزيز ... وتفويضهم لمعيد النّعمْ

ومنه : [من الطويل]:

أمولاي قل لي [هل][3] ترى الدهر باللّقا ... يمنُّ ؟ فلي شوق إليك شديدُ

---

(١) إلى هنا ينتهي ما أثبتناه عن (ط) ولم نقف عليه في (م) .
(٢) في (ط) : « إذا ضاق فلا . . . » بإسقاط « أمر » وبه يُكسر الوزنُ ، وما أثبتناه في (م) .
(٣) سقطت الكلمة من (م) ، وما أثبتناه عن (ط) .

وهـل تتملـى العيـنُ منـك بنظـرةٍ ... ويقْرُب من بَعد الفراق بعيدُ ؟[١]

ومنه : [من الطويل]:

أودُّ مـن الـدّنيـا صَـدِيقـاً مـوافيـاً ... وفيّـاً بمـا أرضـاه يَـرْضَـى وينشـرحْ

فإنْ لم أجدْ أعرضْتُ عن كلِّ كابرٍ ... وقلْتُ لقلبي قد خلا الكون فاسترحْ

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

إنّ فـــي الشَّـــاروخ معنـــى ... يظهـــر العـــرفـــان ســـرّهْ

إنْ تعلّـــى فهـــو وتـــرٌ ... أو تـــدلّـــى فهـــو كثـــرهْ

ومنه : [من الخفيف]:

قل لمن زاد في ارتكاب عظيم الذَّ ... نـب دهـراً وللحـدود تعـدّى

ما جميعُ الذّنوب في جنب عفو اللـ ... ـهِ إلاّ أقـل مـن أن تعـدّا

ومنه : [من البسيط]:

يا قلبُ إن كنت قلبي لا تمل للغيرِ ... واصبر على حكم من تهواه تلق الخير

واسلك ولو كنت في عزٍّ ضعيف السَّير ... واصدق مع الله ترزق مثل رزقِ الطّير

ومنه : [من البسيط]:

يا قلبُ إن كنت قلبي إرض بالأقدار ... وراقـب الله فـي الإعـلانِ والإسـرارْ

واشهدْ بعينِ البصيرة بهجةَ الأنوار ... مستهلكاً لجميع الحجب والأستار

ومنه : [من البسيط]:

يا قَلبُ إن كنْتَ قلبي غب عن الأكوان ... وطـب بنشـوة خمـرٍ مـا لهـا أَدْنـانْ

خمر[٢] قديمة علت عن خبر الحدثان ... هي المدام وساقي القوم والنّدمانْ

---

(١) في (ط) « . . تمتلي . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (م) و (ط) : « خمرة » وبها يُكسر الوزنُ .

ومنه : [من الطويل]:

ولو أفرغوا كلَّ الدّنان بباطني ولم أبتغي سكراً لما مسّني سكرُ
ولو أبتغي سُكراً وقالوا مدامة رأيت فتى طاشت بسكْرتِهِ الخمرُ

ومنه هذا المفرد ، وهو مما أنشده الشَّيخ يحيى الخُزاعي وهو تلميذ والده الشَّيخ أبي الحسن وقال أجزْ يا يحيى : [من الطويل]:

ونفسك دع عنك التّكلُّف واطرح ولا تلتفت إلاّ إلى الله تسترحْ

فقال الشَّيخ يحيى :

ونفسك سرُّ السرِّ إن فقت تسترحْ فَجُلْ في مَجَالِ اللهِ بالله تسترحْ

ومنه وهو مما قاله في مرض موته وهو آخر شعر أنشده : [من الكامل]:

ولقد أقول لطالبي إحسانهم إحسانهم يأتي إليكَ[1] بلا طَلَبْ
كم فرّجوا من كربة عن عبدهم وكذاك همْ أهل لتفريج[2] الكربْ

ووجدت بخط صاحبنا العلامة شهاب الدِّين الشَّيخ أحمد بن العلامة علي البسكري المكي المالكي المغربي قال : أنشدنا شيخنا شيخ الإسلام محمد البكري عند نظره إلى الماء وتكسره وتجعده : [من مجزوء الكامل]:

انظر إلى الماء الذي بيدِ النَّسيم تجعّدا
قد شَبّهوه بِمبْردٍ فلأجل ذا يبري الصَّدَا

وللشَّيخ عبد العزيز الزَّمْزَمِي المكِّي فيه : [من البسيط]:

وإنه قطبُ هذا الوقت دون مِرا به الوجود ازدهى عطفاً وإنتظما
سَميُّ خير البرايا سِبط عترته ونجل صِدّيقه من فضله عظما
قلْ عنه[3] واسمع به وانظر إليه تجد ما قد ملا مسمعاً مع مقلة وفما

---

(١) في (ط) « . . . يأتيك سعياً . . . » ، وما أثبتناه في (م) .
(٢) في (ط) : « . . أهل التفريج . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .
(٣) في (ط) : « قد عنه . . . » وهو تحريف .

حدّث عن البحر إن حدثت عنه ولا عليك من حرجٍ تخشى به التُّهما
بحرٌ يفيض علوماً من جوانبه بالبحث في كل فنٍّ موجه التطما
من حضرةِ القدس فيضاً جا عن الشَّيـ ـخ إذا تلقه بتخصيص له قسما
مواهب باكتساب لا تنال إذا إدراكها أعجز الحفّاظ والفهما

وما أحسن قول الأديب إبراهيم بن المبلط فيه من قصيدة طويلة : [من الخفيف]:

وكراماته غدَتْ بيِّنات ليس تخْفَى على النَّاسِ ظُهورا[1]
من أبي بكر الإمام له جَدٌّ وقد كان للنَّبيِّ نَصيرا
ورفيقاً وصاحباً وأنيساً من عدوٍّ في الغار بات مُغيرا
حاز إسناده عُلوّاً رفيعاً درجات على الأنام وَفورا
أخذ العلمَ عن أبيه عن الصِّدِّ يقِ عن سيِّد الورى مأثورا
لا تجف عين علمه عين ضدٍّ فهي عينٌ قد فُجِّرت تفجيرا

وله أيضاً فيه وقد رجع من الحجِّ ، ومدحَ فيها القهوةَ فقال : [من السريع]:

كفى تشرُّفاً[2] لها أنَّها تُدارُ في الحُجراتِ والحُجْرهْ
وأنّها تُشْرَبُ في حضرة الأ ستاذ شيخِ الوقت والحضْرهْ
محمَّد نجل أبي بكر الصِّدِّ يق أعلى ربّنا قدْرهْ
أهلاً به من قادمٍ قد أتى بعد تمام الحجِّ والعُمْرهْ
مسافرٌ طلعته أسفرت عن طلعةِ الشّمس يا لها سفْرهْ[3]
في كل عامين له حجّة والحجُّ لم يفرض سوى مرهْ
إذا أراد الحجَّ في عامه لا بَرْده يخشى ولا حرّهْ

(١) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
(٢) في (م) و (ط) : « كفى شرفاً . . . » وبه يُكسر الوزن .
(٣) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

مبـــاركُ الطّلعـــةِ ميمـــونهـــا | فمَـــن رأى وجهـــاً لـــه ســـرّهْ
قلْـــتُ إمـــامٌ عـــارفٌ ذاكـــرٌ | لله لا تـــأخـــذه فتـــرهْ
لـــه كـــرامـــاتٌ غـــدتْ للـــورى | ظـــاهـــرة مظهـــرة ســـرّهْ
واعجبـــاً مـــن حـــاسـديـــه فمـــا | ينـــالهـــم شـــيء ســـوى الحســـرهْ
فليـــس فيهـــم مـــن حـــذا حـــذوه | وليـــس فيهـــم مـــن قفـــا أثـــرَهْ
مـــا منهـــم إلا قتيـــل بـــلا | سيـــف ومـــذبـــوح بـــلا شفـــرهْ
يعجـــز عـــن نيـــل عُـــلاه امـــرؤ | ليـــس لـــه قـــدْرٌ ولا قُـــدرَهْ
مـــا اللّيـــثُ كـــالهـــرّ ولا الـــدرُّ كـــالـ | ـحصـــى ولا الصّـــارم كـــالابْـــرَهْ
إنْ كنْـــتَ ذا جهْـــلٍ بعلـــمٍ لـــه | فـــاسـأل أولـــي الإخبـــار والخِبْـــرَهْ

وكان الشَّيخُ يحجُّ في كلِّ عامين مرة . ولابن المبلط في تاريخ مجلس بناه الأستاذ : [من السريع]:

يـــا نـــاظـــراً صـــلِّ علـــى المصطفـــى | وآلـــه الغـــرِّ وأصحـــابـــهِ
واعلـــم بـــأنّ العلـــم كنـــزُ الهـــدى | فمـــا قِـــوَامُ الـــدِّيـــن إلاّ بـــهِ
والـــزمْ حِمـــى البكـــريِّ شمـــس العُـــلا | ومـــرِّغ الخـــدّ بـــأعتـــابـــهِ
أبـــوابـــه بـــالسّعـــد مفتـــوحـــة | يـــا سعْـــد مَـــن لاذ بـــأبـــوابـــهِ
أنشـــأ بيتـــاً جـــاء تـــاريخـــه | « يسْلَـــمُ مـــن يـــدخـــلُ مـــن بـــابـــهِ »

وكان شيخَ أهلِ هذا الطّريق حالاً وعلماً ، وإمام أربابها حقيقة ورسماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلاً وإسماً ، عبابٌ لا تكدّره الدّلاء ، وسحابٌ تتقاصر عنه الأنواء ، مع ما خصّه اللهُ به من العلوم والمعارف والأخلاق وجمال الصّورة والهيبة والعِرْفان والسّكينة والعفة والصّيانة والجود والرّحمة والقيام بحقوق الخاصة والعامة ، ولقد رأيت من أقواله وبلغني من أخلاقه وأحواله ما لا تسعها عبارة ، ولا يهتدىٰ إليها بإشارة ، وذكروا له كراماتٍ كثيرة .

وبالجملة : فإنّه لم يكن له [نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله رحمه الله .

وكان][1] والده من كبار أهل العلم ، بل قيل : إنّه كان مجتهد زمانه ، والمجدد على رأس المائة التاسعة وأحق الناس بالقضاء ، وقد عرض عليه فامتنع منه قولاً باتاً ، [وهو][2] المجمع على أنّه فريد عصره علماً وولاية وحالاً ، أفصح أهلِ زمانه قلماً ومقالاً ، وأعظمهم سؤدداً وجلالة ورفعة وكمالاً ، عالم المسلمين دون نزاع ، وشيخ مشايخ الإسلام الّذي انقطعت عن مضاهاته الأطماع ، وانتشرت مصنفاته كالآخذين عنه إلى سائر البقاع ، واشتهرت كراماته ومكاشفاته حتّى روتها الألسن ووعتها الأسماع ، خاتمة المحققين ، لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، بقية السّلف الصّالحين .

وحكي أنَّ أُمَّه رأت في المنام وهي حامل به كأنَّ الشَّمس أو القمر في سبابتها ، فذهبت إلى عالم بالتعبير وقصتها عليه . فقال لها : حملك هذا ذكر يملأ الشرق والغرب علماً . وكان شيخ الطّريقة وأحفظَ من على وجه الأرض بالحقيقة ، وأفصحَ أهلِ زمانه على الإطلاق ، وأعظمهم نورانية وإنشاءً بالاتفاق . ملك القلوب بعذوبة لفظه ، وخدم السَّعد تحت ركائب حظه ، تعرف لمن شاء بمعارفه فصار من خاصته ، واجتنى ثمر صحبته ، وتنكر على من شاء فمنعه استجلاء عرائس عرفانه وحجبه عن حضرته . سار في منازل السَّائرين سير الجنيد ، وفي منهاج العابدين سير أهل التجريد ، أعماله أغلبها قلبية ، وعلومه أكثرها وهبية ، إنْ تكلم في المعارف أبهر أهل المعرفة ، أو سكت خلت من لم [يره][3] من قبل بأنواره قد عرفه ، لا يتكلم في المحبة إلاّ رأيته ذا شوق شديد ، ولا يذكِّر بالله إلاَّ ألانَ قلوباً في القساوة كالحديد ، تخال من حضر مجلسه من القوم بسماع كلامه سكارى ، وقلوبهم في شهود جماله عند تنزُّلِ التَّجليات عليه والهة حيارى ، لا يرتاب ناظره مع سماع كلامه أنَّه من

---

(1) ما بين الحاصرتين سقط من (م) وأثبتناه عن (ط) .
(2) لم ترد الكلمة في (م) وأثبتناها عن (ط) .
(3) لم ترد الكلمة في (م) وأثبتناها عن (ط) .

أرباب القلوب ، وأن المتنزل عليه من العلم اللّدني قريب عهد بربه بارز من حضرة علام الغيوب ، كيف لا وقد تربَّى في حجر الجلال ، وارتضع من ثدي الكمال ، واتصل نسبه بالذّروة الصِّدِّيقية أو الشَّجرة المحمدية الحسنية باعتبار أنه سِبط آل الحسن ، وحاز كمال الخلق الحسن والفصاحة واللسن ، فهو ربيب أهل تلك الحضرة ، أهل الولاية السّابقين بأول نظرة ، المميز من لدنهم في حال طفوليته تميز الموعود من قبلهم على لسان بعضهم أن يكون في مملكة العرفان ملكاً عزيزاً ، مشاهداً[1] في آخر أمره صدقَ هذا الوعد وإنجازه تنجيزاً ، ألا ترى إلى لبسه خلع الرّئاسة الدّينية وحلل العوارف وصون نفسه عن الذّلة لأبناء الدّنيا مع العلم بأنه جنى[2] ، بل جنى ثمرَ المعارف قبل جولانه في ميدان الرّياضات ، وقبل أن ترسي سفينة قدسه الجارية في بحار أنسه على سواحل الإرشاد لمعالم الدّيانات ، وإلى إبدائه في مجالس إملائه لكلماته الفتحية العطائية وعرائس الحقائق البارزة عن حضرات الفتح المحمدي واللِّسان الصِّدِّيقي ، ولَعَمْري إنَّ النّاظر إليه إذ ذاك يشهد طلعته عند ذلك نوراً محضاً بل ذاته وملابسه[3] كلها كذلك لكنه نور جمال يتمتع النّظر إليه ، ولا بدع[4] من أثر التَّجليات الإلهية عليه ، وكان ما هو عليه من الاشتغال بالتّصنيف والإفتاء لا يزال يتكلم على طريق الإملاء ، وكان يجلس بالمسجد الحرام ، وفي المسجد النّبويِّ ، وفي المسجد الأقصى ، وفي الجامع الأزهر ، وناهيك بهذه المواضع التي كان يجلس فيها ، وكان كأنّما يغترف من بحر ، أعاد الله علينا من بركاته .

وحُكِيَ أنّه كان لا يملي على القرآن والحديث ، حتى يطالع المحل الّذي يتكلم عليه كعادة غيره . قال : فبينما أنا أطالع في الكراس وأنا قاصد إلى

---

(١) في (م) : « الشاهد » وما أثبتناه في (ط) ، ولعله الصواب .

(٢) في (ط) : « ماجناً » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) في (ط) : « وملابسته » والمثبت (م) .

(٤) في (ط) : « ولا يدع » تصحيف ، وصوابه في (م) .

الجامع إذ نوديت[1] في سري : يا أبا الحسن ، أما القرآن والحديث فإلينا ، وأما غيره فإليك ، فمن ذلك العهد إلى تاريخه ما طالعت لإملاء عليهما ، فلي على ذلك تسع وثلاثون ـ أو قال : بضع وعشرون ـ سنة ، وإنما أجيء إلى محل الإلقاء ولا أدري ما يلقى على لساني ، فيجري الله تعالى عليه نحو ما تسمعونه .

وله تصانيف كثيرةٌ لا تُحصَىٰ ، من جملتها : تفسير القرآن العظيم واسمه « تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل » ، و « شرح العباب » الفقهي بشرحين مبسوط ومختصر و « شرح التنزيل » و « شرح روض ابن المقري » في حجم نصف شرح شيخه زكريا وزاد فيه على شيخه اثني عشر ألف فرع على كل فرع منها علامة على الحاشية بصورة « ف » ، و « شرح منهاج النووي » بخمسة شروح منها : « الكنز » و « المغني » و « المطلب » ، و « شرح النفحة الوردية » في النحو ، واختصر « متن إيسا غوجي » في مقدار ورقة صغيرة ، وجمع أربعين أربعين حديثاً كلُّ أربعين منها في نوعٍ ، منها : أربعون في الطّواف ، وأربعون في الصّلاة على النّبيِّ ﷺ ، وأربعونَ في الشَّيب ، وأربعون في السِّواك . إلى غير ذلك من المؤلفات الجامعة النّافعة الدّالة على كمال إحاطته وعلو شأنه ، نفعنا الله ببركاته آمين .

ويقال : إنّ مؤلفاته تنيف على أربعمائة[2] تأليف ، وله حزب عظيم يسمى حزب الفتح ، وقد شرحه العلامة عبد القادر الفاكهي بثلاثة شروح .

ومن كراماته : أنّه لما نقص بحر النيل في بعض السنين ، قال لعبده الحبشي مندل : انزل يا مندل قل للبحر : يقول لك الشّيخ أبو الحسن البكري : زد ، أو نحو هذه العبارة ، فقال العبد كما أمره ، فما مضت ساعة يسيرة إلاّ وقد ظهَرتْ فيه زيادة كثيرة .

---

(١) في (م) : « نويت » تحريف ، وصوابه في (ط) .
(٢) في (م) : « أربعة » تحريف وصوابه في (ط) .

ومنها : ما روي عن الوليّ الصّالح عبد الرَّحمن بن عمر العمودي أنّه وقع له مرتين في صلاته شيء تردد في حكمه ، فلما انتهت صلاته وكان بإزاء الشّيخ التفت إليه قائلاً : يا عبدَ الرَّحمن ما تقول فيما لو وقع لأحد في صلاته كذا. . . ما يظهر لك فيه ؟ فقال : فقلت له : ما ظهر لي فيه مع بيان مأخذه من كلامهم فأستحسنه ، وعلمت أنه اطلع على ما وقع في ضميري[1] .

ومنها : ما أخبر به بعض أعيان مكّة وقضاتها أنّه توجه إلى المدينة الشّريفة في قافلة فيها الشّيخ ، فلماوقع نظر القاضي المذكور على محفة الشّيخ وهو فيها بحيث لا يرى كل منهما الآخر وقع في قلب القاضي المذكور إنكار على الشّيخ في ركوبه المحفة إلى الحضرة الشّريفة ، وقال في نفسه كان اللاّئق بالشّيخ أن يترك المحفة في توجهه للزِّيارة . قال القاضي المذكور : فما أنهيت هذا الخاطر إلا والشّيخ فاتح باب المحفة متبع بصره نحوي تائق إلى الخطاب قائلاً : بعد التّحية المعذرة إليكم من ركوب المحفة ، فإنّي والله لو قدرْتُ على الزِّيارة ماشياً ما ركبت [ولو قدرت على الركوب فبتاً ما تركته][2] ولو قدرت على الركوب في نحو الشّقدف ما ركبْتُ المحفة ، عليَّ أعذار كثيرة في ركوب المحفة الله يعلمها .

ومنها : ما حكاه الشَّيخ الصَّالح محمد الظَّفاري مجاور الحرمين : أنّه كان مرةً بين يديه بعد المغرب ، فغلب الأستاذَ النومُ حتّى غطّ . قال : فوقع في نفسي كيف ينام الأستاذ قبل صلاة العشاء وهو مكروه ، فوالله ما خطر لي ذلك إلا وفتح عينيه قائلاً : كان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فاقشعر جلدي وخجلْتُ .

ومنها : ما أخبرتْ به والدته ـ قدَّس الله سرها وكانت من الصَّالحات ـ أنّه

---

(١) في (ط) « ضميره » والمثبت من (م) .
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة في (م) .

لما مضى له حينٌ من ولادته [شهران][1] وغفلت مرة عن قراءة راتبها رفع بسبابته وطعنها طعنة شديدة قائلاً بلسان طلق فصيح : الله الله ، مراراً مشيراً بسبابته وطرفه إلى السّماء إشارة إلى تذكيرها ، قالت : بحيث أنّ الجمال سمع لفظه فعجب غاية العجب وقال : ما شأن هذا الرَّضيع وكم سنه ؟ فقلت له : هذا ولد مجذوب ، وتجاهلت عليه .

وكان يقول : إنِّي إذا دهمني أمر لا دواء له إلاّ الالتجاء إلى الله تعالى . ولذا لما عجب بعض أركان الدّولة من كثرة توجهي إلى الحضرة الحرمية مع عظيم المشقة والضَّعف في بنيتي ، وعظيم المصرف الّذي يبلغ كل عامٍ ثلاثة آلاف دينار باعتبار المجاورة ، وقال لي : يا سيِّدي أما تتركوا الإكثار من السَّفر إلى الحجاز ؟ فقلت له : أنت إذا عرضت لك حاجات في أمر المملكة ماذا تفعل؟ قال : أسافر إلى باب السّلطان لعرضها ، فقلت له : فأنا تعرض لي حاجات فأسافر إلى باب السّلطان وهو باب الله تعالى .

وما أحسن قوله في كتابه « نتائج الذّكر في حقائق الفكر » في أثناء كلام له : ألا ترى الحداد إذا أدخل حديدة ليحميها في النّار لانت بعدما كانت قاسية ، وبرزت محمرة[2] اللّون بعد أن كانت سوداء مظلمة ، وأضاء نورها ، وقوي إشراقها ، وانقدح شرارها ، فالاستغراق في المذكور بالتّخلي عن السّوى ، والتّجلي بشهود نعوت ذي الجلال والإكرام مستغرقاً فيها ، تذهب أوصاف البشرية ما يكسبه الذّاكر من أنوار المعارف القدسية ، فيتبدل وصفه ويتغير حلاه ، وتشرق أنوار علاه ، فهناك تذهب الرّسوم ويتجلّى الحي القيوم ، وإلى ذلك الإشارة بقولي : [من الكامل]:

أنـوارُ ذاتـك أشـرقـتْ فـي ذاتـي ... فمحيت عن كوني وكلِّ صفاتي
وخرجت عن كلِّ الوجود حقيقة ... فجمـالُ وجهـك فـائـق اللّـذَّاتِ

---

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وما أثبتناه في (م) .
(٢) في (م) : « مجمرة » وما أثبتناه في (ط) .

[ومن شعره أيضاً][(١)] [من البسيط]:

قد كان لي أربٌ قبل الوصول لكمْ ... فمذ تجلَّيتم صِرْنا بلا أربِ
أدهشتموني عن الإحساس قاطبةً ... فصرتُ فرداً لكم في سائر الرُّتبِ

وهو الذي أفتى بحلية القهوة ، حتى قال في ذلك من أبيات : [من السريع]:

كاللبن الخالص في حلّه ... ما فارقته بغير السّوادِ[(٢)]

وله أيضاً فيها هذه الأبيات : [من الطويل]:

أقولُ لمن قد ضاقَ بالهمِّ صدره ... وأصبح من كثر التّشاغل في فكرِ
عليك بشرب الصّالحين فإنه ... شرابٌ طهورٌ سامي الذّكر والقدرِ
فمطبوخ قشْر البنِّ قد شاع ذكره ... عليك به تنجو من الهمِّ في الصَّدرِ
وخلِّ ابن عبد الحق يفتي برأيه ... وخذها بفتوى من أبي الحسن البكري

واجتمع هو وجدّي الشّريف عبد الله بن شيخ عند الحرم الشّريف وتعانقا ، وكان مع الأستاذ ولده صاحب التّرجمة ، فطلب له الدّعاء من جدّي ، وكان والدي مع أبيه حينئذ ، فطلب له مثل ذلك من الشّيخ أبي الحسن فاستجاب الله دعاءهما في الاثنين وصارا كلاهما آيتين ، ففاق كل منهما في عصره الأقران ، وصارا قدوة لأهل الزمان .

وكان مولده سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ولم أطلع على تاريخ وفاته ، وهذا هو الذي منعني من أن أترجم له في هذا التّاريخ بالاستقلال ، وإلا فهو حريٌّ بذلك ، إذ هو أوحد زمانه علماً وحالاً ومقاماً ومعرفة . رحمه الله .

نعم ؛ مات رضي الله عنه في عشر السّتين بلا خلاف ، فإنه توفي وعمر ولده شيخ الإسلام محمد البكري إحدى وعشرون سنة ، ومات المذكور سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وعمره نيف وستون سنة فليعلم ، والله أعلم .

---

(١) مكانه في (م) : « انتهى » .
(٢) لم يستقم وزن الشطر الثاني .

● وخلّف الشَّيخ محمد أولاداً أجلّهم الشّيخ زين العابدين ، مشى على طريقة والده في الإملاء والدَّرس ، والجود والكرم ، ومحاسن الأخلاق والشيم ، مع الجاه العظيم ، والقبول التّام عند الخاص والعام ، وذكروا عنه كراماتٍ ، ولم يزل كذلك حتى مات في سنة ثلاث عشرة بعد الألف . رحمه الله قتله بعض باشوات مصر ظلماً ، لأنَّ الشَّيخ كان أغلظ له بالقول في بعض الأمور ، فغضب وقتله ، ثم إنَّ أهل مصر المحروسة قاموا على ذلك الرَّجل وقتلوه . ومن شعره . [من الخفيف]:

دارَ فكري يا ربِّ في كلِّ خلقك ... لم أجدْ محسناً سواك وحقِّكْ
فأَغِثْني فإنَّني عبدُ رقِّك ... وتعطّف وامنن عليَّ برزقك

● وفيها : **توفي الشّيخُ العلامة محمد بن عبد الحقِّ العقيلي المالكي** بمكة ، وكان قد تربَّى في حجر الشَّيخ الإمام العلامة علي بن محمد البسكري المالكي ، وأخذ عنه وقرأ عليه فهو من أجلّ تلامذته ، ولهذا أوصى إليه وقت وفاته بتربية ولده صاحبنا الشّيخ العلامة أحمد [بن علي][1] البسكري ، فأخذ عنه وقرأ عليه حتى برع ، وانتهى إلى ما انتهى إليه رحمه الله آمين . وسمعْتُ صاحبنا الشَّيخَ العلامة أحمد بن علي البسكري قال : سمعت شيخنا جمالَ الدِّين محمد بن عبد الحق المالكي يقول : إنّ الشَّيخ الكبير الرَّباني العارف بالله محمد بن عراق أرسل إلى الشَّيخ العلامة أحمد بن عبد الغفار المالكي أن يترك شرب القهوة فيما بين النّاس ، ويشربها في خلوة ، وأن يترك السماع ، وأن يترك لعب الشّطرنج ، فقال له الشّيخ أحمد بن عبد الغفار : « أما ما أمرتني به من ترك شرب القهوة فيما بين النّاس وشربها في الخلوة ، فكان الأولى أنْ تأمرني بعكس ذلك ، وأما ما أمَرْتني به من ترك السَّماع فلا سمعَ ولا طاعةَ في ذلك ، وأمّا ما أمرْتَنِي به من تركِ لعبِ الشَّطرنج ، فهو حقٌّ وصدقٌ غير أنِّي قد ابتليت بهذا الدَّاء ، فأسأل الله لي تعجيل الدَّواء والسَّلام » .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .

قلت : وكان تلميذُه سيدنا وصاحبنا الشّيخ أحمد المذكور من أهلِ العلم والصّلاح ، متبعاً للكتاب والسّنة ، سالكاً على نهج السّلف الصّالح ، مُتّصفاً بالعفاف قانعاً بالكفاف لا يرى في أكثر الأوقات إلاّ مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجمالة . له جملة مصنفات ، منها : « رسالة في القهوة » مفيدة جداً ، وكان كُفَّ بصرُه قبل وفاته بقليل ، وكانت وفاته في ليلة السَّبت ثالث عشر شهر ربيع الثّاني سنة تسعٍ بعد الألف بأحمد آباد ، وعمره سبعون سنة رحمه الله .

ومن شعره : [من البسيط]:

أقسمتُ بالله ما حالت مودّتكُمْ ... يوماً ولا حلت عن عهدي وميثاقي

ولا تنفَّست أنفاساً أرددها ... إلاّ وفي ضمنها دمعي وأشواقي

وقد لُسعتُ بحيّات الفراق ولم ... أجِدْ لذاتيَ ترياقاً ولا راقي

غير الدُّعاء بأنّ اللهَ يجمعنا ... في سوحه كرماً من غير عوّاقِ

ومنه أيضاً في صدر رسالةٍ أرسلَ بها إلى بعض أصحابه بمكّة المشرفة : [من الكامل]:

وحياة من حلَّ الحطيم وزمزما ... والمَرْوتيْن ومن بذاك الوادي

ما حلْتُ عن حبِّكُمُ ولو انَّني ... حاولْتُ ذاك لما أطاع فؤادي

ومنه : [من الوافر]:

تدارك أيُّها السّاقي نُفُوساً ... ترقّت والهموم إلى التّراقي

بنغمة شادنٍ توحي يداهُ ... إلى الأوتار آيات اشتياقي

فقُمْ نملأ صحائفنا سروراً ... بشربٍ والتزامٍ واعتناقِ

ومنه : [من الوافر]:

إذا العشرون من شَعبانَ وافَتْ ... تهيّأ للصِّيامِ وللقيامِ

ولا تكسلْ عن الطّاعات فيه ... فهذا الوقتُ وقتُ الإغتنامِ

فشهرُ الصَّومِ قد وافاكَ حقّاً ... بكلِّ المكْرماتِ على الدّوامِ

ومنه : [من الوافر]:

ألا قولوا لمن قد زاد طَغْناً ... وعدْواناً ولا يخشى رقيبَهْ
سهامُ اللّيلِ قد قربتْ مداها ... تنبّهْ إنّها تأتي قريبَهْ
تيقّظْ من مَنامك واخشَ منها ... وحقّقْ إنّها تأتي مُصيبَهْ

ومنه : [من المجتث]:

للهِ مجلس أنسٍ ... حاوي جميع المحاسن
قد تمّ حسناً وظرفاً ... فانظر إليه وعَاين

ومنه معارضاً قولَ من قال مدحاً في صحيح البخاري [من المتقارب]:

صحيحُ البخاريِّ لو أنصفوا ... لما خطّ إلاّ بماء الذّهبْ

فقال رحمه الله : [من المتقارب]:

صحيحُ البخاريِّ لو أنصفوا ... لما خطّ إلا بماء البَصَرْ
وما ذاك إلاّ لضبطِ الأصولِ ... وعدل الرواة بنقل الخبرْ
وفيه علومُ الورى جمّة ... تضمّنها قول خير البشرْ
وقد فاقَ فضلاً على غيره ... فأضحى إماماً لكُتُبِ الأثرْ
هو البحرُ عِلماً فإن خضته ... ظفرتَ بكنز الهدى والدّررْ
فلازِمْه درساً ولا تبتغي ... به غيره في المسا والبُكرْ
فقد قال قومٌ لهم خبرةٌ ... هو البرء من كلّ أمرٍ خطرْ
لدنيا وأُخرى وفي كلّ ما ... ترجي وتبغي به من وطَرْ
لجامعه رحمةٌ دائماً ... كقَطْرِ السّماء ورمش النظرْ
وعدّ الرّمال وماء البحار ... وعدّ الطيور ونبت الشّجرْ
إلى الحَشْرِ والنّشْرِ والمُلْتقى ... بدارِ البقاء وحسن المقرْ
وناظمها يرتجي دعوةً ... من الصَّحب بالخير عند النّظرْ
وصلِّ إلهي على المصطفى ... ومن نوره فاق ضوء القَمَرْ
وآلٍ وصحْبٍ وأتباعهم ... ومن جاءَ من بعدهم في الأثرْ

ومنه تخميس على هذه القصيدة العظيمة ، وهو هذا : [من الكامل]:

يـا مَـن لـديـه العبـد حقـاً يخضـعُ والـرّوح منـه والجـوارح تَضْـرَعُ
يـدعـوك عنـد الكَرْب فضـلاً تـدفـعُ « يا من يرى ما في الضَّميرِ وَيَسْمعُ »
« أنـت المعـدّ لكـلّ مـا يتـوقَّـعُ »

إنِّـي تعبـتُ مـن الـذُّنـوب وثِقلهـا هـي كـالجبـال فـلا أطيـق لنقلهـا
فـامنـن علـيَّ بمحـوهـا وبغسلهـا « يـا مـن يـرجَّى للشـدائـد كلّهـا »
« يـا مَـنْ إليـه المشتكـى والمفـزعُ »

يـا ربّ بـالفـرقـان ثـمّ بلـم يكـن هـوِّن علـيَّ الحـادثـات لكـي تهـنْ
هـا عبـدك العـاصـي يحقـق لا يظـنْ « يا مَن خزائن ملكه في قول كنْ »
« أمنـن فـإنّ الخيـر عنـدك أجمـعُ »

يـا ربّ طـاعـاتـي إليـك قليلـةٌ يـا ربّ أوزاري علـيَّ ثقيلـةٌ
مـا لـي مـلاذٌ لا ولا لـي حيلـةٌ « مالي سوى فقري إليك وسيلةٌ »
« وبـالافتقـار إليـك فقـري أدفـعُ »

كـفُّ السُّـؤال حقيـرةٌ وذليلـةٌ وبضـاعـةُ التّقـوى لـديّ قليلـةٌ
وعـوائـد الإفضـال منـك جـزيلـةٌ « مالي سوى قرعي لبابك حيلةٌ »
« فلئـن رددت فـأيَّ بـابٍ أقْـرعُ »

يـا ربّ عبـدك يشتكـي مـن سقْمـهِ يـاربّ مـن يـرجـو لشـدةِ غمِّـهِ
إنْ أنـت لـم تـدفـعْ عَظيـمَ ملمِّـه « فمن الذي أدعو وأهتف باسمهِ »
« إن كـان فضلـك عـن فقيـرك يمنـعُ »

يـا ربّ هـذا العبـدُ أصبـحَ راجيـا عفـواً عـن المـاضـي ومـا هـو آتيـا
وتكـون عنّـي فـي القيـامـة راضيـا « حاشا لجودك أن تقنِّط عاصيا »
« الفضـلُ أجـزل والمـواهـب أوسـعُ »

● فائدة : ذكر ابن جماعة وابن عساكر والسّهيلي ، أنَّ الأبيات السَّبعة التي أولها « يا من يرى ما في الضّمير ويسمع » في خاصيتها الإجابة ، زاد ابن جماعة ورأى ذلك منقولاً بخط النّووي عن بعض العارفين .

ومنه أيضاً تخميس هذه الأبيات المشهورة البركة . وهو هذا : [من الوافر]:

توسّل بالنبيِّ وبالوصيِّ وبالحسنين والشّهم الزّكيِّ
وكم لله من فضلٍ وفيٍّ « وكم لله من لطف خفيٍّ »
« يَدقُّ خفاه عن فهم الذّكيِّ »

إليه توجّهي في كلِّ دهرٍ عليه توكّلي في كلِّ أمرٍ
فكم من شدّةٍ ذهبت وفقْرٍ « وكم يُسْرٍ أتى من بعد عسرٍ »
« ففرِّج كربة القلب الشّجيِّ »

فشكراً للّذي فلق الصّباحا فكم من أزمةٍ عنّا أزاحا
وكم همٍّ تعاظم ثم راحا « وكم أمر تساء به صباحا »
« وتأتيك المسرةُ بالعشيِّ »

إلى كم يا جهول تزيد لوماً وما لك لا تفيق الدّهر نوماً
دعِ الأوطانَ يا خلِّي وقوماً « إذا ضاقت بك الأحوال يوماً »
« فثِقْ بالواحد الفرد العليِّ »

إذا ضاق الفضاء وكلُّ رحْبِ عليك بكلِّ حادثة وخَطْبِ
ولم تجد الحبيب وكل صحْبِ « توسل بالنَّبيِّ فكل صعبِ »
« يهون إذاً توسّل بالنّبيِّ »

إذا لم تلقَ بالإخوان منْعاً وضاق القلب بالأهوال ذرْعاً
توسّل بالنَّبيِّ تنال نفعاً « وبالصِّدِّيق والفاروق جمْعاً »
« وذي النّورين والمولى عليٍّ »

زمانٌ فيه للأعداء أمرُ وجسمٌ فيه للآلام قَهْرُ
فكن يا قلب ثبْتاً فيك صبرُ « ولا تحزن إذا ما ضاق صدرُ »
« فكم لله من لطف خفيٍّ »

رويْدك يا زمانُ فكمْ تعنّتْ فروحي نحو وادي الخيف حنّتْ
ونفسي نحو خير الرُّسل أنّتْ « عليه صلاة ربّي ما تغنّتْ »
« حمامات على ورقٍ رويِّ »

ومنه تخميس على بيتي شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني :

يـا ربّ كـم مـن نعمـةٍ أسـديتهـا ... يـا ربّ كـم مـن رحمـةٍ أرسلتهـا
شكراً لفضلك كم ذنوبٍ غفرتها ... « يـا ربّ أعضـاء السجـود عتقتهـا »
« من فضلك الوافي وأنت الواقي »

بُشـراكِ أعضـاء السّجـود لـك الهنـا ... بـالعفـو والغفـران جـاء شـرعنـا
ولقــد عتقــت البعــض منـا ربّنــا ... « والعتق يسري بالغنا يا ذا الغنا »
« فامنن على الفاني بعتق الباقي »

ومنه أيضاً تخميس على هذين البيتين وهما للشّيخ عبد المعطي با كثير : [من البسيط]:

أدعوكَ يا ربِّ في الإصباح والإشراق ... تمنن علينـا مـن النيـران بـالإعتـاق
وتبسطُ الرّزق يا وهّاب يا خلاّق ... « يا مالك المُلك يا فتّاح يا رزّاق »
« يا من تكفّلْ لكلِّ الخلقِ بالأرزاق »

فـرِّج علينـا إلهـي كـلَّ أمـرٍ ضـاق ... وامنـن بـرزقٍ وسيـع فـائـض دَفَّـاق
يـاربّ عيشـاً هنيـاً صـافيـاً قـد راق ... « ياربِّ عطفاً علينا منك بالإشفاق »
« من كلِّ هولٍ شديدٍ زائد عوّاق »

وفيه يقول الشّيخ الفاضل النّحرير عبد اللّطيف بن محمد الدّبير أديب عصره وفريد دهره : [من الكامل]:

وافـا الكِتَـابُ مـن المـلاذ البسكـري ... أزرى حــلاوتــه بطعــم السُّكَّــرِ
فغـدوْتُ مـن فـرحـي بـه ومَسـرّتـي ... نشــوان راح فــي ثيــاب تبختــرِ
حصلت بذاك[1] إلى النّسيم مُنوَّراً ... أمنيــة مثــل الصبــاح المُسْفــرِ
يـا سيِّـدي خلِّـي صـديقـي قـدوتـي ... مُســدي إلـيَّ مـواهبـاً لـم تصغـرِ

---

(١) في (ط) : « حصلت به » ولا يستقيم به الوزن .

يـا جـامعـاً للعلـم طـرّاً والعـلا | وجميـل شيـم لا يشنـه مُمْتـري
أنت الذي خضت العلوم بأسرها | وبلغـت قصـواهـا وليـس بمنكـرِ
يـا وارثـاً شـرف الفضيلـة كـابـراً | عـن كـابـرٍ حقـاً بمثلـك مَفْخـري
أعني شهاب الدِّين من فاق الورى | بـالفضـل والأدب الأغـرِّ الأنـورِ
مـذ غبت عنّي لـم أزل لـك ذاكـراً | بمنـاقـبٍ لـك والثّنـاء الأعطـر
هـل عطفـة يـا خـلُّ منـك[1] بـرأفـةٍ | فجـواي نـامٍ والتسلِّـي مـزدري
والله أسـأل جمـع شمـل عـاجـلٍ | فدعاء ظهر الغيب صاح مؤثري
أبقـاك ربِّـي لـلإفـادة دائمـاً | بالمصطفى الهادي الأمين وحيدرِ

وللشّيخ عبد اللّطيف المذكور فيه جملة قصائد ، منها قصيدته الّتي يقول فيها : [من البسيط]:

أعنـي بـه أحمـد المختـار سيرتـه | خَلْقـاً وخُلُقـاً سـواه لا يُسـاويـهِ
شهـابُ نجـل علـيٍّ البسكـري بلـداً | المـالكـي مـذهبـاً مـن ذا يُسـاميـهِ
قـد خصَّـه بجزيـل الفضـلِ خـالقُـه | بسـرٍّ طـيٍّ معـان فـي معـاليـهِ
لـه بـديـع بيـان فـي الخطـاب يـرى | وجيـز لفـظ وقـد جلّـت معـانيـهِ
فكم جلا درراً تسمو الذّراريّ من | أبيات أفكاره المخصوص من فِيهِ
أخباره قد أتت في الحال تخبر عن | مـاضٍ ومستقبـلٍ مـن أمـرِ بـاريـهِ
حـديثُـه الحسـنُ العـالـي روايتـه | أعلـت لسـامعـه شـأنـاً وراويـه

ومنها قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]:

شيـخُ الـزمـان البسكـري المُقْتـدي | فـالله يكفيـه الصـوارف مـا بقـي

● وفيها : في ثاني عشر المحرم توفي **الشَّيخ الفاضل العالم المحدث الفقيه**

(١) في (ط) : « . . منك يا خل . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه عن (م) .

رحمة الله بن عبد الله السندي الحنفي[1] نزيل المدينة المشرفة بمكة ودفن بها ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصّالحين رحمه الله تعالىٰ . وطبق بعض الفضلاء تاريخ موته بحساب الجمل : « رحمه الله قد نال مراده » وزاد في العدد اثنان ، وذلك مسامح فيه عند أهل هذا الفن خصوصاً إذا كان التاريخ فيه مناسبة للحال .

قلت : وأحسن من هذا ما اتفق لوالدي رحمه الله ، فإنه ولد له ولد سماه فضل الله ، وجاء تاريخه أيضاً « فضل الله » وهذا من غريب الاتفاقات ولطيف المناسبات .

قيل : ولما فرغوا من دفنه مُطِروا في تلك السّاعة ، وقد أشار صاحبنا الشّيخ الفاضل محمد بن الشّيخ عبد اللّطيف الجامي المكي الشهير بمخدوم زاده إلى هذا في القصيدة الّتي رثاه بها فقال : [من الخفيف]:

رحمــــةُ الله لا تفــــارقُ مثــــوى رحمــــة الله بــــالحيــــا والغمــــامِ

● وكان له أخ اسمه حميد ، وكان من أهل العلم والصلاح ، حسن الأخلاق ، كثير التواضع ، وافر العقل ، ظاهر الفضل ، جليل القدر ، وحصل له في آخر الأمر جاه عظيم . جاور بمكة المشرفة تسع سنين ، ومات بها سنة تسع بعد الألف ، وقُبر عند أخيه صاحب التّرجمة وعمره نحو تسعين سنة . وبالجملة : فإنه كان بقية السلف الصالح رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الخامس من المحرم توفي **الخان محمد الفخان بن ياقوت الفخان سلطاني** ، وكانت ولادته بأحمد آباد في ليلة الخميس خامس شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، وكان شاباً صالحاً فاضلاً ، حسن الأخلاق والشيم ، مشهوراً بالسّخاء والكرم ، وغير ذلك من الصّفات الحميدة كالحياء والمروءة والعفاف والتّواضع ، مفرطاً في الشّجاعة ، وكان محباً لأهل

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٣١) وكذلك ترجمة أخيه التي سترد بعد قليل .

الفضل مقرباً لهم محسناً إليهم مؤلفاً لهم ، حسن العقيدة في الأولياء والصّالحين ، عظيم الرّأفة بالفقراء والمساكين ، وزرَ بكجرات وخوطب بالفخان بعد موت أبيه ، فحمدت سيرته ، ودام على ذلك برهة من الزّمان ، ولما استولى السّلطان أكبر على كجرات سار معه إلى « أكره » ، وولاه « كوالير » ثم أضاف إليها « بهار » ، وكان من جملة الأمراء الّذين عينهم على « بنكالة » ، ولم يزل كذلك حتى مات بها رحمه الله .

* * *

سنة أربع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وتسعين : توفي العبد الصّالح **أتلخان الحبشي مريد سيِّدي الشَّيخ الوالد** ، وكان مباركاً سليم الصَّدر ، حسن العقيدة في الأولياء والصَّالحين ولا سيما في شيخه سيِّدي الوالد ، فإنّه كان فانياً فيه وفي محبته ، باذلاً روحه وماله في مرضاته ، وكان يحفظ له جملة من الكرامات ، وكان يتصرف به ، وكان يكتب للنّاس التّمائم بخطه فتنفع ، وحُكِيَ أنّه كان لا يُحسن الكتابةَ ولا الاستخراج فذكر ذلك لشيخه المذكور ، فقدر عليهما ببركته . وكان حسن الأخلاق ، ليِّن الجانب ، متواضعاً ، كثير الصّدقة والإحسان ، عفيفاً ، رحمه الله تعالى آمين .

● وفيها : كان جهز السلطان أكبر عسكراً إلى الدَّكن مدداً لبرهان شاه ، فانكسروا ورجعوا .

* * *

سنة خمس وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وتسعين : أحدث السّلطان مراد بن السّلطان سليم بن السّلطان سليمان على باب الصّفا سبيلاً للشّرب ، فجعل الشّيخُ الفاضل علي بن عبد الكبير با حميد الحضرمي أصلاً المكي وطناً لذلك تاريخاً لطيفاً ، ونظمه في أبيات فقال : [من مخلع البسيط]:

أنـــا سبيـــل أشـــاد مجـــدي ... مليـــك كـــل الـــورى مُـــرادُ
مليـــكُ كـــل الملـــوك طـــرّاً ... عُجْمـــاً وعُـــربـــاً لـــه تُقـــادُ
فـــاقَ علـــى قيصَـــر وكســـرى ... بعـــدلـــه قـــرّتِ البـــلادُ
بـــأمنـــه عـــزّ كـــلُّ قُطـــرٍ ... الغـــور والسّهـــل والنّجـــادُ
مـــدّ علـــى الخلـــق فيْـــض بـــرٍّ ... فعـــاش فـــي فضلـــه العبـــادُ
صـــارَ بـــه لـــلإلـــه جـــاراً ... وجـــاره الـــدّهـــر لا يكـــادُ
يعـــمّ كـــلَّ الأنـــام نفعـــاً ... كـــأنّـــه للـــورى عهـــادُ
فكـــان للخلـــقِ مـــن نـــداه ... مـــاء بـــأمّ القـــرى وزادُ
لـــه مـــنَ الله سلسبيـــل ... وكـــوثـــر مـــا لـــه نَفـــادُ
جـــاء بـــلا غـــايـــةٍ لمجـــدٍ ... تـــاريـــخ بنيـــانـــه المُشـــادُ
« أسّسنـــي بـــالصّفـــا سبيـــلاً ... للهِ سلطـــانـــنـــا مُـــرادُ »

* * *

سنة ست وتسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ست وتسعين : توفي **الشريف الفاضل محمد بن الحسين السمرقندي الحسيني**[1] بالمدينة المشرفة ، وكان أهل المدينة إذا أرادوا مكاتبة أحد من الأكابر لا يكتبون ذلك المرسوم إلا بإنشائه ، وكان يعرف كثيراً من اللغات مثل العربية والفارسية والرّومية والهندية والحبشية ، ولمات مات أُحصيت كتبه فكانت ألفاً وتسعين كتاباً ، ووجدت بخطه هذين البيتين :

روحيَ ائتَلَفَتْ بحبِّكم في القِدَم ... من قَبْل وجُودِهَا في القدمِ[2]
ما يجمل بي من بَعْدِ عِرْفَانِكُمْ ... أنْ أنقُلَ عَن طرقِ هَوَاكُم قَدَمي

وذكر أنهما لسيِّدي الشّيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله روحَه ، وأنهما إذا قرئا في أُذن المصروع أفاق البتة .

واجتمع هو والشّيخ عبد الرّؤوف الواعظ تجاه الحرم الشّريف فحصل غيث ، فقال السّيد محمد السّمرقندي : [من السريع]:

لله يومٌ بفنا مكّة ... تجاه بيت الله أقصى الطّلبْ

فقال عبد الرّؤوف :

مُذ نَزَلَ الغيْثُ على سطْحِهِ ... وسالَ من ميزابه وانْسَكَبْ

فقال السّيد محمد :

سُئِلتُ أن أفصحَ عن كُنْهِه ... قلتُ لجينٌ قد جرى من ذهبْ

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٤٢) و « الأعلام » (٦/ ١٠٢) .

(٢) كذا في (م) و (ط) ورواية هذا الشطر في « الشذرات » : « من قبل وجودها وبعد العدم » .

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة ، وهي في مدح الشّريف أحمد بن سعد الحسيني المدني رئيس الأشراف بالمدينة النّبويّة وأولها : [من البسيط]:

عزُّ الدِّيار بطولِ السّمر والقضبِ والأخذ بالثّأر معدودٌ من الحسبِ

ومنها :

هذا بسعدك يا بن الأكرمين أتى وإن أردت فقل سعدي وسعد أبي

● وفيها : في يوم الخميس السَّابع والعشرين في شهر ربيع الأول توفيت **السَّيِّدة سلمى بنت سيِّدي الشَّيخ الوالد رحمهما الله** ، وخلّفت ستة من الأولاد الذكور ، خمسة منهم أبوهم السَّيِّد محمد بن الشَّيخ أحمد بن حسين العيدروس ، وهم : حسين وعليّ وعبد الرحمن وأبو بكر وعلوي ، والسَّادس أبوه الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب با علوي ، واسمه أحمد ، أصلحهم الله بما أصلح به آباءهم العارفين ، ورزقهم ما رزق أولياءهم المقربين .

● وفيها : في عصر يوم الأربعاء رابع شهر شعبان توفي **الشَّيخ الإمام والحبر الهمام الرَّحالة المحقق المُعَمَّر العلامة جمال الدِّين محمد بن الصِّدِّيق الخاص الحنفي الزَّبيدي**[1] ، ودفن صبيحة الخميس بباب سِهام وعمره نحو التِّسعين ، وكان من كبار علماء زَبيد ، وأعيان المدرسين بها ، وبقيَّة المفتين على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة بقطر اليمن .

وبالجملة : فإنّه كانَ ليس له نظيرٌ في زمانِه ، ولم يخلف بعده مثله ، وكان الباشوات فمن دونهم يعظمونه جداً ، ويقبلون كلامه ولا يردون شفاعته غالباً . رحمه الله تعالى .

● وفيها : وقعت الزّلزلة بالمدينة الشّريفة ، فقال بعض الفضلاء من أهل مكّة في ذلك : [من المتقارب]:

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٤٣) .

إذا زُلْــزِلَــتْ أرضُ خيــرِ الــورى   فَــزلْــزِلَــتِ الأرضُ زلْــزَالهــا
فشمَّــــر عـــن ســـاقـــه عـــارف   وقـــال عنـــي ذو النُّهَـــى مـــا لهـــا

● وفيها : خُلعَ مرتضى نظام شاه في يوم سادس عشر شهر رجب ، ومات بعد ثلاثةِ أيّام من خلعه ، ثم تسلطن ولده حسين عشرة أشهر ، وقُتِل يوم سادس عشر جمادى الأولى قتله الخراسانيون ، ثم تسلطن بعده إسماعيل بن برهان شاه ، فحكم إسماعيل سنتين وشهرين ، ثم خُلِعَ بوصول أبيه برهان .

* * *

سنة سبع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وتسعين : توفيت الولية الصّالحة السَّيِّدة الخيرة فاطمة بنت السَّيِّد ، وزوجة السَّيِّد ، وأم السّادات ، بنت الشَّيخ عبد الرَّحمن بن علي ، زوجة سيِّدي الشَّيخ الوالد ، وأم أولاده الكبار ، وكانت من العابدات الصّالحات ، وحُكي عنها كثير من الكرامات ، ويكفيها أنّه يصدق فيها ما قيل في بنت الشَّيخ عمر المِحْضَار : بنت القطب ، وزوجة القطب ، وأم القطب .

قلت : وبنت الشّيخ عمر المذكور لم يكن لها أحد من الإخوة ، وأما هذه فأخُوها الشّيخ الكبير شهاب الدّين بن عبد الرّحمن ، وقد قيل فيه : إنّه قطبٌ ، فتكون أختَ القطبِ أيضاً . وهذه والله هي المناقب التي لا تُدْرك بدون المواهب ، فهنيئاً مريئاً لها ذلك ، وطوبى ثم طوبى حيث أنّها كذلك ، رحمها الله تعالى .

وكنت التمسْتُ من ولدها أخي السَّيِّد عبد الله أنْ يطلبَ لي منها الدّعاء ، فأخبر أنها تلفَّظَتْ عند ذلك ـ والحمد لله ـ بألفاظ تشعر بمزيد الاعتناء وكمال السَّعادة بحضور الولي الكبير والعارف الشّهير السيد الجليل جمال الدِّين محمد بن عقيل با علوي ، أرجو من الله تعالى ثمرة ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز .

● وفيها : سافرتُ من أحمد آباد إلى بروَج وأقمتُ بها سنة وشهرين ، وكتبَ إليَّ الشّيخُ محمّدُ بنُ عبد اللّطيف الشّهير بمخدوم زاده في صدر مكتوب : [من الخفيف]:

مُـذْ قـدمتم لبـروجِ وحلَلْتـم   بـرُبـاهـا غـارت جميـع النّـواحي

فـإذا أرض سـورت فـي اغتبـاط لـم تـزلْ مثـل غيـرهـا فـي نـواحِ

وكتب أيضاً : [من الخفيف]:

أنـت شمـسٌ وبـروج لـك بـرجٌ وكذا الشَّمْسُ في أبراجها تتنقلْ[1]

فعسـى سـورة بنـورك تحظـى وعلـى خلقـك العظيـم المعـوّلْ

● وفيها : وقع الشُّروع في عمارة قبة ضريح سيدي الشيخ الوالد شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس با علوي ، ووضع أول لبنة فيها صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى .

● وفيها : في رجب الفرد[2] فرغْتُ من تصنيف كتابي « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » ، ووافق تاريخ ذلك العام بحساب الجمل عدد حروف « لبس خرقة » وكان جعل هذا التّاريخ صاحبنا العلامةُ جمالُ الدِّين محمد بن الشّيخ عبد اللّطيف الجامي المكِّي الشّهير بمخدوم زاده ، قال : ولما كان موضوع هذا الكتاب الشّريف والتأليف المنيف هو لبس الخرقة أتى تاريخ ذلك « لبس خرقة » ، وقلّ أنْ يتفقَ مثلُ هذا التّاريخ ، لكن سر نفس العيدروس سرى فأثّر ، وعلى مثلهم مثل هذا لا يستكثر ولا يستنكر ، وقد نظمت التّاريخ وهو هذا : [من الوافر]:

لمـن حُلَـلُ الكـرامـة مستحقَّـهْ لمـن أدّى لِبـاس الفقـر حقّـهْ

لمحيي الدين نجل شريفِ شيخ ومـن حلّـى بـدرٍّ اللّفـظ نُطْقـهْ

سليـل العيـدروس أبـاً وأمّـاً ومـن بـدر السعـود أنـار أُفْقَـهْ

تفقّـه فـي العُلـوم صغيـر سـنٍّ لقـد نـال السّعـادة مَـنْ تَفَقّـهْ

حبـاه الله عِلْمـاً مـن لَـدُنـه بـلا كـدٍّ أتـاه ولا مَشقّـهْ

فيـا لـك عـالـم علـم إمـام لـه فـي العلـم تحقيـقٌ ودِقّـهْ

---

(1) الشطر الثاني مختل الوزن .

(2) في (م) : « الحرام » وما أثبتناه في (ط) وكلاهما صحيح .

وتـأليـف لـه كـالبحـر وافـا ... أبـان بـه لـدى الفضـلاء حـذْقَـهْ
لمـا قـد نـالَ مـن خلـقٍ وحلـمٍ ... لـه الأحـرار قـد أضحـت أرقّـهْ
فصـدِّق مـا أقـول بـلا نـزاعٍ ... فقـد أبـدى لـك الـرحمـن صـدْقَـهْ
ولمّـا كـان ذا التّـأليـف فيمـن ... تشـرّف فـي الأنـام بلبـس خِـرْقَـهْ
فـلا عجـبٌ ولا بـدعٌ إذا مـا ... أتـى تـاريخ ذلـك « لبس خِـرقَـهْ »

قلت : وعارض هذه القصيدة المباركة صاحبنا الشّيخ العلامة شهاب الدِّين أحمد بن علي البسكري المالكي رَحمَه الله تعالى : [من الوافر]:

تبسّـم فـاتنـي يـومـاً ببـرقـه ... فـذابـت مهجتـي وازددت عشقَـهْ
وحيّـرنـي وصيّـرنـي ذليـلاً ... وأشعـلَ فـي الفـؤاد وقيـد حـرقَـهْ
فقلـتُ لـه تـرفّـق بـي وسِـرْ بـي ... طـريـق الـلاء قـد أضحـوا أرقّـهْ
ولا تمنـع عُبيـدك مـن وصـالٍ ... ولا تقطـع بفضلـك قـطّ رزقَـهْ
فـألـوى معـرضـاً يبـدي دلالاً ... علـى مـن زاد مـن جفنيـه دفْقَـهْ
يـواصـل صـدّه فـي كـلِّ حيـنٍ ... ويمنـع رفـده وكـذاك نُطْقَـهْ
فَلَمّـا أن تمـادى فـي صـدودي ... وأدمـى مقلتـي والعظـم دقّـهْ
وصـرتُ مـولَّهـاً صبّـاً كئيبـاً ... حـزيـنَ القلـبِ مـن بُعْـد وشقَّـهْ
ثنيـتُ عنـانَ شكـوائـي إلـى مـن ... حبَـاهُ الله مغـربَـه وشـرقَـهْ
إمـام العصـر قُطـب الـوقـت حقّـاً ... وأعلمـه وأفضلـه وأفْقَـهْ
هـو الحبـرُ الإمـام ونجـل شيـخٍ ... ومَـنْ نـال العلـوم بـلا مشقّـهْ
هـو الفَخْـرُ المعظّـم مـن تحلّـى ... بكـلِّ المكـرمـات وحـاز سَبْقَـهْ
مُـرقّـي السـالكيـن إلـى مقـامٍ ... بـأدنـى نظـرة منـه وحـدقَـهْ
رعـاهُ الله مـا أحـلا وأغـلا ... جـواهـره وهـذا الـدرّ نُطقَـهْ
فعـاينـه بتصنيـف عظيـمٍ ... يُسمّـى الفتـح فـي إلبـاس خـرقَـهْ
لقـد حلّـى المجـالـس حيـن تقـرا ... جـواهـره بلطـفٍ ثـمّ رقّـهْ
لقـوم قـد علَـوْا عـزاً وشـأنـاً ... بهـم يسقـي الـرحيـم الله خَلْقَـهْ

به أبدى كرامات عظام | وسطّرها بمعرفة ودقّهْ
لذا قد قال ربُّ الفضل قبلي | أبان به لدى الفضلاء حذقَهْ
وضابط عامه والوصف قد جا | بقوليه الكثير النَّفع فافْقَهْ
فلا زالت دراريه توالى | علينا سرمداً ما نال[1] أفقهْ
وعبدك أحمدٌ يرجو دواماً | له وذويه لا ينفك عتْقَهْ
لكم ولآلكم بين البرايا | ويحميه من الأسوا ورفقَهْ
بحقِّ محمد ما نار بدرٌ | وما لمعت بذاك الخيفِ برْقَهْ
كذاك الآل والأصحاب طرّاً | وما ظهر السّحاب وجاد وذْقَهْ

* * *

(١) في (م): «.. زار» وما أثبتناه في (ط).

سنة ثمان وتسعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين : توفي **الوليُّ السّعيد الشّريف العلامة ذو الولاية والإمامة ، الحافظ الضّابط ، مسند الدّنيا ، مالك أزمة الشّرف العليا ، محدِّث الدّيار اليمنية وفقيهها بإجماع البرية الطّاهر بن الحسين بن عبد الرّحمن الأهدل**[1] جمال الدِّين بركة المسلمين مفيد الطالبين ، وصُلي عليه بمسجد الأشاعر بعد صلاة العصر ، ودُفن بمقبرة أهله بباب سِهام قريباً من مشهد الشّيخ الصيّاد .

وُلِدَ سنة أربع عشرة وتسعمائة بقرية المراوغة ، وبها نشأ وتعلّم القرآن ، وقرأ على إمام جامعها الشّيخ الصّالح الفاضل العلامة فخر الدِّين أبي بكر المعلم علوم النّحو والحساب والفقه وغير ذلك وبه تخرّج ، ثمّ انتقل إلى مدينة زَبيد ، ولازم شيخَ الإسلام وعلاّمة الأنام الحافظ أبا الضياء عبد الرّحمن بن علي الدَّيْبَع الشّيباني ، فقرأ عليه وانتفع به انتفاعاً رقيَ به إلى درجة الكمال وساد على الأمثال ، وله مشايخ كثيرة في الحديث وغيره ، منهم : العلاّمة شيخ الإسلام أبو العباس الطّبنذاوي ، ومولانا علامة الدّهر وواحد العصر الشّيخ وحيد الدّين عبد الرّحمن بن زياد ، والسَّيِّد الشَّريف العلاّمة عبد المحسن ابن السَّيد الأهدل ، والشّيخ إمام المحققين وأستاذ المحدثين شيخ الطّريقة وإمام الحقيقة وجيه الدِّين بركة المسلمين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي ، وقرأ على الأستاذ مفتي المسلمين محقق عصره المولى برهان الدِّين إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، وأجاز له ، وأخذ على العلامة الفقيه الفهامة الشَّيخ شرف الدِّين أبي القاسم بن الطّاهر بن جعمان ، وأجاز له أيضاً ، وعلى جماعة آخرين من آل جعمان وغيرهم ، وكل ممن تقدم ذكره أيضاً أجاز له ، وارتحل إلى مكّة

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٤٦) و « معجم المؤلفين » (٥/ ٣٤ـ٣٥) .

المشرفة وجاور فيها ، واجتمع فيها بجماعة من العلماء ، مثل شيخ الإسلام أبي الحسن البكري وقرأ عليه ، والشّيخ الحافظ الأستاذ أبي السّعادات المالكي وأخذ عليه ، وغير هؤلاء من المشايخ . ثمّ إنّه انفرد بعد شيخه ابن الدَّيْبَع برئاسة تدريس الحديث ، واتحد بسؤدد هذا العلم ، وأخذ عليه خلق كثير ، ورحل إليه للأخذ عنه من كلِّ جهةٍ من الأقطار .

أخذ عنه جمع كثير من البلد وغيرها ، فمنهم : العلامة الحافظ الفقيه الفهامة شيخنا محيي الدِّين عبد القادر بن أبي الفتح البزاز الشّافعي ، والسيّد العلامة الفقيه الأصولي المحدِّث محمد بن عبد الرّحمن بن عبد الحفيظ بن عمر البزاز الشّافعي ، والشّيخ العلامة الأستاذ المفنن مفتي المسلمين الصّدِّيق بن الشَّيخ محمد الخاص الحنفي ، والشَّيخ الفقيه الأديب النبيه مفتي الحنفية محمد بن أحمد الصّابوني ، والشّيخ العالم العامل الفاضل الكامل مفتي الإسلام شيخنا برهان الدّين إبراهيم بن محمد بن جَعمان ، وشيخنا الفقيه ابن الفقيه العلامة المفتي محمد بن الوليّ المقرب عبد الرّحمن بن الفقيه شيخ الإسلام أحمد بن موسى الضجاعي ، والقاضي العلامة الأديب الفهامة الرّئيس النفيس أمين الدِّين بن القاضي عبد العليم الأحمر الشّافعي كاتب الخزانة السّلطانية بالمملكة اليمانية ، والشّيخ الفقيه الأديب العالم الأستاذ الصّوفي عبد الله بن محمد المشرع ، وخلق كثير من الطلبة . وتخرج به ابن ابنه العلامة السيد الشريف الحسين بن أبي بكر بن الطاهر وهو من النجباء أبقاه الله ، وهو بحمد الله تعالى مستمر إلى الآن على قراءة البخاري بمسجد جدّه عبد الرّحمن بن حسين الأهدل على سيِّدي الشّيخ العلامة الصِّدِّيق الخاص مدة شهر رجب وشهر رمضان كلَّ سنة على ما كان زمان السَّيِّد الطّاهر المذكور من الفقهاء المحدثين الحفاظ . وفَّقه الله وأدام النفع به وحفظ به هذا البيت ، فإنه لا يخلو من قديم الزّمان من ثلاثة أقسام : فقيه ومحدِّث ومحدَّث . وقد ذكر صاحبنا الأديب الفاضل حسين بن عبد الباقي الزّاهر الزّبيدي هذه الأقسام في قصيدته التي امتدح بها سيدي الشّيخ القطب الرّباني علي بن عمر الأهدل حين زار ضريحه سنة أربع

وتسعين وتسعمائة وأولها : [من مجزوء الرجز]:

مـــا لاحَ بـــرق القليـــل إلاّ وأجـــرى مقلـــي
وشـــاقنـــي بحيـــرة علـــى الكثيـــب الأهيلـــي

والأبيات المشار إليها قوله :

فهـــو أبـــو الآبـــاء خيـ ـــر منجـــبٍ ومنسـلِ
وهـــو أبـــو الأشبـــال حيّـ ـــا قبـــرَه كـــلُّ ولـــي
أولاده الـــزُّهـــر بهـــم يُـــدْفَـــعُ كـــلُّ مُعْضـلِ
فهـــم فـــريقـــان وجمـ ـعهـــم مـــن الفـــرقِ خَلـــي
كـــمْ كـــمْ محـــدّث فقيـ ـــه أو محـــدَّث ولـــي
كـــمْ فيهـــمُ مـــن قطـــبٍ كـــم فيهـــمُ مـــن بَـــدَلِ

وهي طويلة .

وبالجملة : فكان المُتَرجَمُ له أوحد عصره عِلْماً وصَلاحاً ومعرفة تامة ، ذا حفظ وإتقان وضبط ومعرفة بأسماء الرِّجال وجميع علم الحديث ، عَمِيَ آخر عمره بعد أن حصل بخطه كتباً كثيرة ، وصنف واختصر « شرح دعاء أبي حربة » تصنيف جدّه حسين بن عبد الرّحمن اختصاراً حسناً نافعاً في نحو خمس وعشرين كُرَّاساً خلصه مما كان فيه من الإنكارات على أهل الله الصوفية ، وسماه « مطالب أهل القربة في شرح دعاء الولي أبي حربة » .

وقرض على الكتاب المذكور العلامة برهان الدِّين إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، وقال مخاطباً للمؤلف : [من البسيط]:

أحسنت في طيٍّ ما طالت مسافته طيّ السّجلِّ فلم ينقص بلى زادا
جزاك ذو العرش خيرات شملن أباً وأصلهـم ثـمّ أولاداً وأحفـادا

وكتب عليه عمر بن عبد الوهاب النّاشري : [من الطويل]:

تـأمّلـت مصبـاح المطـالـب مـرَّةً فهان محيط الكشف في نقطة القُربِ

مــدارك عــرفــان همــت بمعــارف   على عارفيها مثل مهمل السّحبِ[1]
فشكــراً لمــن آتــاك ذوقــاً وحكْمــةً   وفصلَ خطابٍ يفصل الأمر في الخطْبِ

ورثاه صاحبنا الأديب حسين الزّاهر بقصيدة على روي بيت الرّسالة القشيرية : [من الكامل]:

أمّــا الخيــام فــإنهــا كخيــامهــم   وأرى نســاء الحيِّ غيــر نِســائهــا

وأول المرثية : [من الكامل]:

مــا للنُّفــوس تتيــه فــي غلــوائهــا   لــم يُثْنِهــا التّقــريــعُ عــن أهــوائهــا

وهي طويلة .

أعاد الله علينا من بركته وبركة تبلغه وعلى المسلمين أجمعين ، ورحمه رحمة الأبرار .

وكتبَ إليه صاحبنا الفقيه أحمد بن محمد با جابر يطلب منه الإجازة في علم الحديث خصوصاً صحيح البخاري ، وذلك بعد أن قرأ عليه نبذةً من أوله بهذه الأبيات : [من السريع]:

يــا نــاثــر الــدرِّ علــى مسمعــي   بحضــرة الأنجــاب فــي مجمــعِ
وحــافــظَ العصــرِ ونحــريــره   الفــاضــل الجهبــذ واللّــوذعــي
السَّيِّــدُ الطّــاهــر أزكــى الــورى   نجــلُ الحسيــن الأروع الأورعِ
اسمــع مقــالاً راقَ فــي اللفــظ والــ   ـمعنــى وشــاقَ الأنجــب الألمعــي
الجــابــري الــزّائــر مستمسكــاً   بهــذه الآثــار والأربــعِ
فقــد قــرا الجــامــع مستــأنســاً   بســوحــك المخضــر والممــرعِ
وقصــدُه المعظــم مــن فضلكــم   إجــازة تحلــو علــى المسمــعِ
بمــا لكــم فــي ذاك مــن مسنــد   عــن كــلِّ حبْــرٍ مفصــح مصقــعِ
ومــا رويتــم مسنــداً عــاليــاً   عــن الإمــام الحــافــظ الــدَّيْبَــعِ

---

(١) في (م) « . . . منهل السّحب » .

وما أخذتم عنه من نثره ونَظْمه المعجب والمبدعِ
أبقاك ربُّ العرش[1] في نعمةٍ دائمة في جانب أرفعِ
ما غنّتِ الورقاء في روضةٍ ولَعْلَعَ الرَّعد على لعلعِ

فأجابه بإجازة بخط العلامة الفقيه عبد الله بن محمد المشرع أجلِّ تلامذته .

قال الفقيه أحمد : أنشدني شيخنا الطّاهر مسند البخاري ومسند مسلم في هذه الأبيات حال قراءتي عليه البخاري :

لنا مسندٌ عالٍ سماعاً [ونِسْبةً][2] إلى الحافظ الحبر البخاريّ مسعدي
فجامعه يروي عن الزّين شيخنا عن العلوي البخاري أخي الرّشد[3]
عن العرولي وهو موسى فتى مروي عن المسندِ الحجَّار أحمد ذي السَّعدِ
عن ابن الزَّبيدي عن أبي الوقت شيخه عن الدّاودي عن ابن حموية الفردِ
عن المسند الحبر الفربريِّ وهو عن إمام الورى الثّبت البخاريِّ ذي النَّقدِ
ومسلم يرويه عن الزَّين شيخنا عن الجزري شمس الهدى بصالح القصدِ
عن المتقن العدل الشّهابيّ ذاك عن إمام الهدى الشمس ابن قمّاحٍ المهدي
عن الواسطي ابراهيم الثّبت وهو عن أبي الفتح منصور الفراوي عن الجهدي
عن الفارسيِّ المرتضى عبد غافر عن ابن الجُلودي اضمم لهُ الجيم تستهدي
عن ابنٍ لسفيان الفقيه الّذي روا ه عن مسلمٍ فاحفظه إنْ كنت ذا جهدِ

وقد كنتُ طلبت من الفقيه أحمد رحمه الله أن يخبرني بهذا السند فامتنع عليَّ تأدباً معي ، ثم أجازني ولله الحمد ، وطلب مني أن أجيزه بسندي إلى جامع الصحيح ففعلت ، وكتبت له ذلك مع الإجازة بلبس الخرقة والإجازة بمصنفاتي ومصنفات والدي وسائر رواياتي . ولا بأس أن أذكر هنا إسنادي

---

(١) تصحف في (ط) إلى : « العرض » .
(٢) سقطت هذه اللفظة من (م) .
(٣) رواية الشطر الثاني من البيت في (م) « عن العلومي الثبت أخي الرشد » .

المتصل إلى الإمام البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به في الدّارين آمين .

تتميماً للفائدة فأقول : أخبرني الشّيخ الإمام المسند المعمر عبد المعطي بن حسن بن الشّيخ الإمام عبد الله با كثير قال : أخبرني به شيخ الإسلام مجدد الدِّين خاتمة العلماء والمسند ابن أبي[1] يحيى زين الدِّين زكريا بن محمد بن أحمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشّافعي قال : أخبرنا به حافظ العصر وعلامة الدّهر أبو الفضل شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ثم المصري الشّافعي قال : أخبرنا به النّجم أبو محمد عبد الرّحيم بن عبد الوهاب الحموي المصري قال : أخبرنا به الصّلاح أبو علي محمد بن محمد الزّفتاوي المصري قال : أخبرنا به الشّيخ المسند المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن أبي طالب الحجّار قال : أخبرنا به أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة القلانسي قال : أخبرنا به أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السِّجْزِي[2] الهروي قال : أخبرنا به أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر الدّاودي قال : أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السّرخسي قال : أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري قال : أخبرنا به مؤلفه الحافظ الحجة إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري سماعاً عليه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ، فذكره ، ولما وفقني الله تعالى ـ وله الحمد ـ من بين أهل زماني لخدمة هذا الكتاب الشّريف الّذي ما له في فضله ثاني ، فقرىء بحمد الله تعالى على يدي مراراً عديدة في أوقات مباركة ومجالس سعيدة ، واتخذت ذلك دأبي على مرِّ الشّهور والسّنين ، وبلغ عدد القراءة إلى تاريخ الآن فوق الأربعين ، وشاع ذلك في التّهائم والنجود ،

---

(١) في (م) و (ط) : « ابن أبو . . » .

(٢) في (ط) : « السبخري » وهو تحريف ، وصوابه في (م) وهذه النسبة إلى «سجستان» على غير القياس كما قال ابن ماكولا . انظر «أنساب السمعاني» (٧/ ٣٤، ٧٤) .

وسارت بذكره الرّفاق والوفود ، حتى قال بعضهم من قصيدة امتدحني بها : [من الكامل]:

كم مسلم[1] يروي صحاح حديثه وعليه كم ختموا[2] صحيح بخاري

وقال الآخر : [من الكامل]:

هـذا البخـاري لـم يـزل تـاليـه فـي بَـدْءٍ وختـم فـي مقـامـك شـادي
يـرويـه عنـك عـن الـذيـن رويتـه عنهـم بصحّـة مقتضـى الإسنـاد
فـاشكـر إلـه العـرش جـلّ ثنـاؤه لقـد اصطفـاك فـأنـت أيُّ مـرادِ

وأنشدَ فضلاءُ العصر في ذلك القصائدَ البديعةَ والخطبَ البليغة ، ومن ذلك قصيدةُ الأديب الفاضل النّاظم النّاثر العلامة حسين بن عبد الباقي الزّاهر الزَّبيدي وأرسلها إلى الهند من زَبيد المحروسة ، كان اللهُ له آمين آمين آمين : [من البسيط]:

كأسُ[3] الحديثِ عن الأحباب معسولُ أطلـقْ مُسلسلـه فـالشَّمـلُ مشمـولُ
وهاتِ عن ساكني الجرعاء لي خبراً إسنـاده مـا لقلبـي عنـه تحـويـلُ
عَمري لقد لذّ في سمعي مكرره وكـلُّ شـيء علـى التكـرار مملـولُ
شبِّب لسمعي بناء عن مواصلتي وارفع حديثك عنه فهو موصولُ
فطـالمـا وصـلَ العُـذال مـن طـرق إسنـاد عـذل لسمعـي وهـو معلـولُ
قالوا نرى الحبّ قد أوهاك قلت لهم ذا الضّعف عند حبيب القلب مقبولُ
يا فارغي القلب لي عن لومكم شغل هـل يستـوي فـارغ منّـا ومشغـولُ ؟
لساكني الجزع من وادي العقيق جرى مـن مطلـب العيـن كنـز كلّـه لـولـو
وشهب دمعي حمراً في الخدود جرتْ وطرف طرفي بقيد النَّجم مشكولُ
لكـن مسـانيـد أخبـاري سترفعهـا نصـاً حسـان صحيحـات مـراسيـلُ
سأمتطي في الفلا هوجاً مشرفة فيهـا علـى الأيـن إرقـال وتبغيـلُ

---

(١) تحرفت في (ط) إلى : « مسلسل » .
(٢) سقطت هذه اللفظة من (ط) .
(٣) في (م) : « كان » وهو تحريف .

خفيفة الرّوح لكن في مسامعها وقرٌ إذا قال حادي عيسنا قِيلُوا

لم تكتحلْ بمنامٍ في فراسخها حتّى يلوحَ لها من طيبةٍ ميلُ

يا لهفَ نفسيَ ضاع العمر في لعبٍ وليس عنديَ إلا القال والقيلُ

وواعظ الشّيب فوق الرّأس قال أفِق إلى متى أنت باللّذات مشغولُ ؟

إلامَ يا نفس لا تلوي العنان عن الـ ـعصيان غرّك من ذي البطش تمهيل ؟[1]

لـوذي بباب رسولِ الله واعتذري فالعذرُ عند رسولِ الله مقبولُ

جاه الرَّسولِ عظيمٌ عند خالقه به تهون على الخلق التّهاويلُ

أُعطي مقاماً شريفاً دونه وقفتْ رسلُ الإله وروح القدس جبريلُ

روح من الفيْض منشاه يقوم به من مطلق النُّور تقويم وتشكيلُ

ما كان في ملأ إلاّ ولاح به لمظهر الحقِّ بين الخَلْق تعديلُ

فكم تنقّل من صُلب إلى رحمٍ حتى انتهى لأبيه الطَّول والطُّولُ

وكم لقسٍّ وشقٍّ من سَطيح[2] به بشائر وتخاويف وتأويلُ

وانشقّ إيوان كسرى عند مولده وانحط عن رأسه تاجٌ وإكليلُ

وناره خمدت من بعد ما عُبدت لها قرون وجيل بعده جيلُ

ونكّس الله أصنام الطّغام لدى الـ ـبيت الحرام وعرش الشِّرك مثلولُ

وباءت اللاّت والعزى بذلتها ونالها بعد ذاك العزّ تذليلُ

---

(١) في (ط) : « . . . تهيل ؟ » وما أثبتناه في (م) وهو الصواب .

(٢) هو قُس بن ساعدة الإيادي توفي نحو (٢٣ ق . هـ) . انظر ترجمته في « المعمرون » ص (٨٨) و « البيان والتبيين » (١/ ٥٣ ، ٣٠٨) و « الأغاني » (١٥/ ٢٤٦) و « نهاية الأرب » للنويري (٢/ ١٢٠) و « الأعلام » (٥/ ١٩٦) وغيرها ، وشِقٌّ ، هو الكاهن البجلي الأنماري الأزدي ، جاهلي ، من عجائب المخلوقات ، وهو من معاصري سطيح ، ترجمته في « عجائب المخلوقات » ص (٣١٠) و « بلوغ الأرب » (٣/ ٢٧٨ـ٢٨١) و « الأعلام » (٣/ ١٧٠) وسَطيح ، هو ربيع بن ربيعة ، من بني مازن ، من الأزد كاهن جاهلي ، توفي (٥٢ ق . هـ) ذكره ابن إسحاق في « السيرة النبوية » (١/ ١٥ـ١٨) وذكر ما رُوي عنه وعن شقٍّ من بشارات بقدوم النبي ﷺ . وانظر ترجمته في « الأعلام » (٣/ ١٤) .

ردّ الإله به عن بيته فرقاً ... وافته يقدمها في سيرها الفيلُ

فلا وربِّك ما برّوا ولا ثبتوا ... وصرّعتهم على الأرض الأبابيلُ

وكم له معجزات كالشُّموس سنا ... بها لإشراق وجه الحق تهليلُ

لا حدّ يحصرها لا عدّ يضبطها ... وليس يجهلها إلا المجاهيلُ

ما مسّ بالكفِّ ذا داءٍ أضرّ به ... إلاّ وزَند يمين الدّاء مشلولُ

ومن يسيرٍ سقى جيشاً وأطعمه ... وفاض من بعد مشروبٌ ومأكولُ

والعود أورق والعرجون في يده ... « مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ »[1]

والبدرُ شقَّ له نصفين أي بمنى ... وأشهد النّاس طه وهو مجذولُ

به شرائع كلِّ الرّسل قد نُسِخَتْ ... وما لشرعته نسخٌ وتبديلُ

لذاك لو عاش موسى لم يسعه سوى ... إتباعه عنه هذا القول منقولُ

بخاتم الرّسل صرنا أمّةً وسطاً ... لنا على الأمم الماضين تفضيلُ

وفي القيامة من نور الوضوء لنا ... دون الورى غُررٌ زهرٌ وتحجيلُ

كتابُنا أُحكمت آياته فكذا ... لسان كلِّ بليغٍ عنه مسلولُ

هو القديم فلا يُبلي محاسنه ... مرُّ الجديدين دع ما قال ضلّيلُ

أخبار من قبلنا فيه محررةٌ ... وفيه للدِّين تفريع وتأصيلُ

به الرّسول تحدّى كل ذي لسنٍ ... وهل تقوم مع الحقِّ الأباطيلُ

هل بعث أحمد إلاّ رحمة شملت ؟ ... وظلّها أبداً فيه لنا طولُ

لنا عنِ البوق والنّاقوس أيُّ غنىً ... إذ جا أذانٌ وتكبيرٌ وتهليلُ

ومزّق الله جيشَ الملحدين به ... وكلُّ من حجّه الإسلام مخذولُ

بسيفه دمّر الأعدا فلم يقهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيلُ

وقد أُمدّ بصحبٍ كالنّجوم هم السُّـ ... ـعْرُ المغاوير والصِّيد البهاليلُ[2]

---

(١) تضمين من لامية كعب بن زهير « بانت سعاد » انظر : « شرح ديوان كعب بن زهير » ص (٢٣) طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) السعر : من سَعَر النار والحرب : أوقدها . والصِّيد جمع الأصيد ، وأصله المائل العنق=

همُ اللّيوثُ العبوسُ الشّوسُ ليس لهم سوى القنا السُمرِ أو بيضِ الظُّبا غِيلُ[1]

وبالملائك والرّعب العظيم على شهر[2] وللريح في الأعداء تنكيلُ

يا سيِّدي يا رسولَ الله خُذ بيدي فلي عليك غداً في الحشْر تعويلُ

يا أصدقَ النّاطقين الصّادقين لدى قول وفعل ويا مَن قيله القيلُ

يا مَن علا ورقى السَّبعَ الطِّباق إلى مقام قُربٍ تناءى عنه جبريلُ

كقابِ قوسين أدناه وكلّمه مولاه في حيث لا أين وتمثيلُ

وهذه رتبة ما نالها ملكٌ أو مرسلٌ حبْله بالله موصولُ

هذا حديثك يا فتحَ الوجود[3] قرأ ناه ومسكُ الختام اليوم تكميلُ

ألفاظه كربيعٍ زاهرٍ أنِقٍ زاهٍ بهتّان ماء المُزن مطلولُ

به المعاجم تزهو والجوامع في عقود أبوابها منه قناديلُ

وفي صحيح البخاري غنية لك يا مَنْ سرّ فكرته كالسَّيف[4] مصقولُ

الحافظُ الثقةُ العدلُ الخبير بإجـ ـماع الثقات صدوق القول مقبولُ

فانظمه يا ربّ مع خير الورى فله قلبٌ بسنّته البيضاء مشغولُ

وقد سمعناه من لفظ الخبير به قراءة زانها في الجمع ترتيلُ

حتى ختمناه يا ختمَ المقام فسَلْ حُسنَ الختامِ لنا فالفضلُ مبذولُ

واشفع لنا ولقارينا ومُقرئنا والسّامعين ففيك الخير مأمولُ

= الذي لا يستطيع الالتفات من داء ألم به ، ثم استعير للزهو والتكبر ولكل ذي حول وطول من ذوي السلطان ، وانظر « المعجم الوسيط » (صيد) . والبهاليل : جمع بُهْلول وهو : العزيز الجامع لكل خير ، وهو الحييُّ الكريم أيضاً .

(1) الشّوس جمع الأشوس الذي يُعرفُ في نظره الغضب ، وقيل : الجريء على القتال ، الشديد . والظُّبا : جمع ظُبه السيف ، وهو طرفه وحدّه . والغيل : أراد أسدَ غيل ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه ، وانظر « اللسان » (غيل) .

(2) تحرفت في (ط) إلىٰ : « شهير » .

(3) في (ط) : « الجواد » .

(4) في (ط) : « . . كالسين . . » وما أثبتناه في (م) .

وشيخنا القطب محيي الدين منَّ له بما يـرومُ فلـلإنسـان تـأميـلُ
القادريّ ابن شيخ العيدروس فلي عقيـدة ووداد فيـه مـأمـولُ
ولي فؤادٌ على حُسن الولا لك قد طـويته وعلـى الإخـلاص مجبـولُ
صلنـي عليـك صلاة الله يـا أملـي بوصلة لي بها في الحشر توصيلُ
قـد قيَّـدتني ذنـوبي عنك واظمئي إليـك والقلـبُ بـالأشواق مغلـولُ
وإن وردت عليْك الحوض خذ بيدي فـورده العـذب ذاك اليـوم منهـولُ
وتحت ظل اللوا المعقود قل ليَ قل واشفـع فـإنـك عنـد الله مقبـولُ
وهـاك مـن مـدحي لاميّـة شَـرُفَـت بمجـد مـدحك فـي لامـاتهـا طـولُ
تطفّلـتْ فلهـا يـا بـنَ الكـرام علـى أبيات « بانت سعاد » اليومَ تطفيلُ
خلعـت لابـن زهيـر خلعـة فغـدا لـه بهـا مـن عظيـم الجـاه تجليـلُ
فهل أرى روض حالي زاهراً بك في دار النّعيم وشملي ثـمّ مشمـولُ ؟
صلـى وسلّـم ربّـي دائمـاً أبـداً عليك مـا سـرحـت قـوداء شمليـلُ
والآل والصحب والأتباع أجمعهم ومـن بهـديهـم المـرضـيِّ مشغـولُ
تمّـت فخـذ مِلَحـاً مـن طـيِّ عِـدَّتهـا والحمـد لله تتميـمٌ وتكميـلُ

● وفيها : توفي الرَّجل الصَّالح المشهور المعمر وجيه الدِّين الهندي[1] بأحمد آباد ، وكان من أهل العلم والزّهد ، وحصل له القبول العظيم مع النّاس ، وانتفع به الطّلبة في كثير من الفنون ، واشتهر أمره جداً .

● وفيها : كانت ولادة ولدي شيخ[2] جعله الله من أهلِ ولايته ، وتولاه برعايته وحمايته وكلايته آمين ، وطبق بعض الفضلاء تاريخ ذلك العام بحساب

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٤٦-٦٤٧) وذكر ابن العماد بآخرة من الترجمة : « وتقدمت ترجمة ميان عبد الصمد الهندي أيضاً ، وهذا غيره » .

(٢) في حاشيته في (ط) مايلي : « توفي سيدنا ومولانا وبركتنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا ، ومن عليه بعد الله ورسوله معتمدنا ، شيخ الوجود ، البركة الشاملة لكل موجود ، الشيخ العارف بالله شيخ بن عبد القادر العيدروس في جمادى الأولى سنة ١٠٥٠ هـ بأحمد آباد ، وقُبر بجنب قبر جده شيخ العيدروس نفع الله بهما آمين » .

الجمل على أحرف « سيدي شيخ جاء » ثم نظمه بأبيات فقال : [من المجتث]:

للهِ مـــولـــود سعـــدٍ	عـــمّ الـــوجـــود سنـــاءَ
أكـــرم بـــه مـــنْ هـــلال	فـــاقَ البُـــدور ضِيـــاءَ
ونشْـــره منـــذ تبـــدّى	قـــد عبـــقَ الأرجـــاءَ
تـــاريخـــه إن تـــرُمْـــه	قـــل « سيِّـــدي شيـــخ جـــاءَ »

وكانت ولادته بمدينة بروج من أعمال كجرات .

● وفيها : قدم بروجَ مولانا الشّيخ محمد العيدروس من أحمد آباد ، وأقام بها أشهراً ، ثم رجع إلى أحمد آباد ، وفي مدة إقامته ببروج كتب إليه الشّيخ محمد بن عبد اللّطيف مخدوم زاده بهذه الأبيات وهي : [من الوافر]:

لقـد آنسـتَ يـا شمـسَ الشُّمـوسِ	فـأهـلاً بـالشّـريـف العيـدروسِ
بقطـبِ الـوقـتِ أهـلاً ثـمّ سهـلاً	أيـا زيـنَ المجـالـس والـدُّروسِ
ويـا شمـسَ الشُّمـوس ومـن تجلّـت	بـه الأفـواه منّـا كـالطُّـروسِ
وبـروج عنـدمـا حليـت فيهـا	لقـد أمسـت بيمنـك كـالعـروسِ
وسرتٌ منك ترجو القرب فضلاً	وإلاّ فهـي فـي يـوم عبُـوسِ
فقـربـك سيِّـدي لا شـكّ فيـه	حيـاة للقلـوب وللنُّفـوسِ
فطـالـع مـن يـودّك فـي سعـود	ومن يشناك[1] في نحسِ النُّحوسِ
ولا زالـت بـك العليـاء تسمـو	وأنـت لأفقهـا شمـس الشمـوسِ

● وفيها : توفي الرَّجل الصالح سالم بن علي با موجه . ذكر لي رحمه الله أنه صنع للسَّيِّد الوليّ أحمد بن علوي با جحدب حذاء لطيفاً وقدمه إليه . فقال له : تمنّ الّذي تريدُ (قال :)[2] فقلت له : قد وكلتك يا سيِّدي فاختر لي أنت ، وكان ذلك يوم الجمعة بحضرة النّاس ، ولما كانت الجمعة الأخرى أعاد

---

(١) في (ط) : « من يثناك . . . » .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .

علي السّؤال ، فذكرت له مثل ذلك الجواب ، فأراد أن يختبرني وقال لي : عساك تريد صناديق ذهب . فقلت له : [لا][1] .

● وفيها : فاض وادي عدم بسيل هائل في نجم الثّريا أعظم من سيل الإكليل . فأرخه صاحبنا الفقيه عبد الله بن فلاح كان الله له فقال : [من مجزوء الرمل]:

فـــاضَ فـــي الأحقـــاف سيـــلٌ غـــادر النّخـــل خـــويَّـــا
إنْ تـــرِدْ تـــاريخـــه [قـــل][2] « عـــمّ طـــوفـــان الثـــريّـــا »

● وفيها : وقعت « بسورت » زلزلة .

* * *

(١) لم يرد الحرف في (م) وأثبتناه عن (ط) .
(٢) سقطت هذه اللفظة من (م) .

سنة تسع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وتسعين : كان تمام عمارةِ قبّة سيِّدي الوالد رحمه الله ، وقد جعل صاحبنا الشّيخ محمد بن عبد اللّطيف مخدوم زاده تاريخ ذلك (العام)[1] بعدد حروف « محل الفيض » ثم نظم التّاريخ المذكور في أبيات فقال أبقاه الله تعالى : [من الوافر]:

ألاّ يا قبّةً مُلِئت سروراً ... وأضحتْ مقصداً لذوي الصفاءِ
كأنّ هلالها لمّا تبدّى ... هلالٌ لاحَ في كَبِد السماءِ
ترى السَّاداتِ والقاداتِ تسعى ... إليها بالصّباح وبالمساءِ
يفوحُ الطِّيب منها حين تبدو ... لما ضمّته من طيب الشّذاءِ
بها قبرُ الوليِّ شريف شيخٍ ... سلالة من تسجَّوا بالعَباءِ
وليٌّ سرّه في الخلق سارٍ ... فيا لله من حُسن الثَّناءِ[2]
يفيضُ الفَيْضُ منه لطالبيه ... كفيْضِ البحر في سعةِ الفضاءِ
فيا لكِ قُبَّةً عمرتْ بفيض ... يكاد يراه منها كلّ رائي
لكثرة فيضها قد جاء ضبْطاً ... « محل الفيض » تاريخ البناءِ
وناظمها من السّادات يرجو ... بأن يصلوه منهم بالدعاءِ

● وفيها : سافرت من « سرت » إلى « جيول » بعد أن أقمت بسرت سبعة أشهر كاملة لأنّي كنْتُ دخلتها ثالث شهر رجب سنة ثمان وتسعين ، وخرجت منها ثاني شهر صفر الخير ، وكنْتُ قدمت إليها من « بروج » بعد أن مكثت بها مدة كما قدمت ، ومدة إقامتي ببندر جيول خمسة أشهر ، ثم طلعت منها إلى

---

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وأثبتناها من (م) .
(٢) في (ط) « . . السداء » .

« أحمد نكر » ، ووصلت إليها في شهر شعبان من تلك السّنة ، وعزمت منها في شهر القعدة الحرام سنة ألف بعد أن أقمْتُ بها نحواً من سنة وثلاثة أشهر قاصداً إلى « أحمد آباد » لزيارة الوالد والاجتماع بالوالدة والأولاد ، فدخلت أحمد آباد رابع شهر ربيع الثّاني سنة إحدى بعد الألف ، وكانت طريقي على جيول ، وركبت من جيول إلى « الدّيو » ومن الدّيو إلى قرية تسمى « موربي » من أعمال جوناقر لأمر اقتضى ذلك ، ومنها إلى أحمد آباد ، وفي مدة إقامتي بجيول ونواحيها اجتمعت بشيخنا العلامة المحقق محمد مقري ابن العلامة علي مقري ، وشيخنا العلامة المفنن عبد القادر بن مخدوم الخطيب الكلياني ، وأخذت عنهم واستفدت منهم . وقال صاحبنا الفقيه الفاضل الصّالح عفيف الدِّين عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي لما قدمت إلى تلك الدِّيار : [من الوافر]:

تشرَّفتِ البلاد ومن يليها ... بمقدم شيخنا شمس الشُّموسِ
وأضحت تزدَهي عجباً وتيهاً ... بعبدِ القادر بن العيدروسِ

ومن غريب الاتفاق أنَّ مدة غيبتي عن أحمد آباد كانت أربع سنين كاملة ، فخرجت منها رابع شهر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين ، ودخلتها أيضاً رابع شهر ربيع الثاني سنة إحدى بعد الألف ، وأقمْتُ بها من ذلك التاريخ إلى الآن .

● وفيها : في يوم الأربعاء رابع عشر رجب زالت الدولة المهدوية « بأحمد نكر »[1] . **وقتل الوزير جمال خان** ، وجيء برأسه إلى أحمد نكر ، وطيف به فيها ، ثم علق بعد ذلك أياماً ، وتسلطن برهان شاه ، وقد تقدم أنه قد سار إليها قبل ذلك بعد موت أخيه ، فرجع خائباً ، وكان المذكور منذ هرب من عند أخيه في خدمة السّلطان أكبر ، وهو الذي أعانه على ذلك ، وأمده بالعسكر ونحوه

(١) الخبر مما نقله ابن العماد في « الشذرات » (١٠/٦٤٨) وفيه « أحمد نكر : من بلاد الدكن » .

حتى ملك ، وكانت سيرته غير مرضية ، ومات برهان شاه ثالث شعبان سنة ثلاث بعد الألف .

ومن غريب الاتفاق أنّه كان في تلك السَّنة أمرٌ بهدم أحمد نكر ، فضجت العوالم لذلك ، وأمر أن يجعل مكان دورها باغاً وهو اسم البستان بالفارسي . فقال صاحبنا الأديب الفاضل عبدُ الله بن فلاح لطف الله به مؤرخاً لذلك العام في بيتين هما : [من مجزوء الخفيف]:

هدمُ حمدٍ أنكر غدا ... فيه للناس مُعتبرْ
« باغُ » تاريخهُ وإنْ ... قلْتَ « غاب » فقد حضرْ

فصح « غاب » تاريخاً لهدمها ولموت برهان . ومما جرى في أيامه أنّه في سنة إحدى وألف جهز على دنده رازبور[1] ليأخذها من الإفرنج ، فهلكت في تلك الواقعة عوالم لا تحصى ، وأرّخَ ذلك بعضهم في عدد « ضراً »[2] .

● وفيها : توفي السَّيِّد عبد الرَّحيم الحساوي المكي غريباً بكلكتدة ، وكان حسنَ الأخلاقِ كريمَ النَّفس رحمه الله .

● وفيها : توفي الفقيه الفاضل محمد با شراحيل الحضرمي بكلكتدة أيضاً .

● وفيها : توفي الشّريف يحيى الحوارني[3] المدني بكلكتدة أيضاً ، وكان بارعاً في علم الموسيقى ، إلا أنّه كان منهمكاً في الشّهوات منتهكاً للمحرمات . رحمه الله وإيانا آمين .

● وفيها : قرأ صاحبنا الفقيه الصّالح عفيف الدِّين عبد الله بن فلاح

---

(١) الكلمة في (م) : « رازبوت » .
(٢) في (ط) : « في عد ضراً » ولا يستقيم حسابه على حساب الجمل ، وصوابه في (م) حيث لا بدَّ من جعل الحاصرتين حول كلمة « ضر » فقط ، لأن عدد حروفها (١٠٠٠) أي بفارق رقم واحد ، وهو مسموح به في هذا .
(٣) في (ط) : « الحوراني » .

الحضرمي عليَّ كتابي « الفتوحات القدوسيَّة في الخرقة العيدروسية » من أوله إلى آخره ، وذلك بأحمد نكر من بلاد الدَّكن ، وعمل تاريخ ذلك العام « تجمعه به صحَّ فتوحات » ثم نظمه فقال :

تشــــرّفـــت أوقـــاتـــي بمقـــابلـــة الفتـــوحـــاتِ
وضـــابـــط ذاك تجمعـــه بـــه صـــحّ فتـــوح آتِ

* * *

سنة الألف

● وفي شهر المحرم سنة ألف : توفي الشّيخ الكبير والعلم الشّهير الولي الصّالح العلامة سراج الدّين الشّريف عمر بن عبد الله العيدروس[1] بعدن ، ودُفن بها في قبّة جدّه لأمه سيِّدي الشَّيخ أبي بكر العيدروس ، ملتصقاً به من الجانب الشّرقي ، وكان من المشايخ العارفين والعلماء العاملين ، وكان الشّيخ الكبير الشّريف صائم الدّهرِ القديمي الحسيني ـ الّذي اشتهر عنه أنّه قال : من رآني دخل الجنة ـ يعظمه ويشير إلى أنه بركة ذلك القطر ، حكى ذلك عنه صاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وكان قد اجتمع به .

وأمه السَّيِّدة مزنة بنت الشَّيخ أبي بكر العيدروس ، فهذا الاعتبار يكونُ الشَّيخُ عبدُ الله العيدروس رضي الله عنه جدّه من الطّرفين ، وهو أول من وقع له ذلك فيما علمت ، وقد وقع لأولاد أختي سلمى مثل ذلك ، ولم يكن الآن عقب لسيِّدي الشَّيخ أبي بكر إلاّ من أمِّ صاحب التّرجمة ، ولذا تصدَّر المُشار إليه بمسجد جدّه بعدن بعد أخيه شقيقه السَّيِّد محمد المُتَوَفَّى بمكّة المشرفة في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، فقام بالمقام أتمّ قيام ، ومشى في ذلك على سنن آبائه الكرام ، واشتهر بتلك الجهة شهرة عظيمة ، وكثر اعتقاد النّاس فيه ومحبتهم له ، ولم يزلْ على السِّيرة الحميدة إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وكان قد جمَّله الله تعالى بعقل كاملٍ ، وزينه بفضل شاملٍ ، له أخلاق ألطفُ من نسيم السَّحر ، وأوصاف كالمسك إذا فاح وانتشر ، ذو علم فائض زخّار ، وفضل يتدفق تدفق الأنهار . قد زاحم في الفضل من تقدم ، وارتقى فيه إلى المحل الأقوم ، فصار ممن يُشار إليه بالأصابع ، وممن يعول على رأيه في

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٢٥) .

الأمر الشّاسع . أخذ العلوم عن جماعة لا يحصون من المشايخ ، ومقروءاته كثيرة جداً ، وبرع في علوم شتى .

وحُكي أنّه كانت له في جميع العلوم يدٌ طولى ومهارة تامة ، وإنّما تركَ التّدريس والتّصنيف لشدة خموله ، وكان متبعاً للكتاب والسّنّة سالكاً على طريقة السّلف الصالح ، متسماً بالاستقامة التّامة مع كثرة العبادة ودوام الاجتهاد ، وكان مع جلالة قدره وعظم جاهه كثير التّواضع ، بحيث[1] ينسبونه إلى الإفراط فيه ، ويميل إلى الخمول الكلي ، حتى قيل : إنه أنشد بين يديه بعض المنشدين قصيدة في مدحه فغضب ، وأمر بإقامته من ذلك المجلس ، إلى غير ذلك من المحاسن التي زينه الله بها وشرفها به ، وأنعم بها عليه ، فكان أحق بها وأهلها ، وأجمع على عظم حاله وجلالته وفضله وكماله غير واحد من الأخيار وكافة علماء الأمصار .

ونقل عن بعض العارفين أنّه قال : إذا شاب شعر ذراعيه بلغ رتبة القطبية .

وكانت له كرامات عديدة ، وأحوال سديدة ، وأوصاف حميدة .

وبالجملة : فإنّه كان بقية الشّيوخ الّذين يُقتدى بآثارهم ويهتدى بأنوارهم ، بل ومن عباد الله الذين تستنزل الرّحمة بذكرهم ، وتُرجى من الله المغفرة ببركتهم وسرهم ، كأنما عناه القائل بقوله : [من الطويل]:

لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقْتدى به ... وهذا زمان أنت لا شكَّ واحده

ولو أطنبت كلَّ الإطناب ، وأسهبت غاية الإسهاب ، وأتيت بكلِّ عجاب لعجزت عن وصف شأنه العظيم ، وقصرْتُ عن الإحاطة بقدره الجليل ، ولله درُّ القائل : [من الكامل]:

ما في عُلاه مقالةٌ لمخالفٍ ... فمسائل[2] الإجماع فيه تسطَّرُ

---

(١) الكلمة في (ط) « بل » وما أثبتناه عن (م) .
(٢) في (ط) : « فسائل . . . » تحريف .

رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته آمين . وتاريخ ولادته لم أطلع عليه ، غير أنه مات وقد أناف على السّبعين ، وما أظنه بلغ الثّمانين ، وهكذا كان والده من المعمرين فلم يمتْ حتى جاوز الثّمانين ، ثم أخبرني بعض أصحابي أنّ ولادته كانت في سنة ستٍ وعشرين وتسعمائة ، فعلى هذا يكون عمره حين مات ستاً وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى ونفع به آمين .

● وفيها : في ليلة الأحد سابع عشر شهر ربيع الثاني توفي **الشّيخ الكبير جمال الدِّين محمد بن علي الحُشَيبري**[1] بأحمد آباد ، وكان من المشايخ المشهورين ، ورزق القبول في حركاته وسكناته ، وحصلت له شهرة عظيمة ، ورويت عنه كراماتٌ ، ولا يقدح في جلالته ذمُّ بعض العلماء له وتنقيصهم إياه بحسب ما يظهر لهم من أموره من غير نظر إلى خصوصيته ، فقد قيل : المعاصر لا يُناصر ، ولا زالت الأكابر على هذا ، وفيما يقع منه من التّخريقات والشّطحات له أسوة بغيره من الصّوفية ، كما أنّ للمنكرين أسوة بغيرهم من العلماء ، وحمل ما يصدر منه من الأحوال الغريبة على أحسنِ المحامل أولى ، وحسن الظّن أسلم وأحسن ، رحمه الله تعالى .

● وبنو حشيبر أهل صلاح وولاية ، ونسبهم في بني ذهل بن عامر بطن من عكّ بنِ عدنان ، وهو بفتح الهاء وتشديد اللام ، كذا ضبطه الجندي .

وأما خرقتهم فهي تعود إلى الولي الكبير والعلم الشهير قطب الزّمن وبهجة اليمن ، شمس الشّموس أبي الغيث بن جميل اليمني ، وذكر منهم الشّرجي في الطّبقات جماعة .

● ومنهم عليُّ بن أحمد حُشَيْبر أحد كبار المشايخ المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكان الوليّ الصّالح الفقيه أبو بكر بن أبي حربة يقول : كلُّ المشايخ خلفهم في بركة سلفهم إلاّ بني حشيبر فإنّ سلفهم في بركة خلفهم ، وهو الفقيه علي بن أحمد .

---

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/ ٦٥٢-٦٥٣) .

● ومنهم محمد بن عمر بن أحمد بن حشيبر ، كان فقيهاً عالماً عارفاً كاملاً صاحب كرامات عظيمة .

ويحكى أن والدَه ذهب به إلى الشّيخ أبي الغيث بن جميل يلتمس منه الدّعاء ، وهو إذ ذاك صبي ، فكشف له عن عينين للشّيخ أبي الغيث في قفاه يبصره بهما ، فأعلم والده بذلك وأعلم والده الشّيخ أبي الغيث ، فقال الشّيخ : والله يا ولدي ما رآهما أحدٌ غيرك ، ثم نوَّه باسمه وعظّمه . ومن كلامه : رأس مال الفقير الثّقة بالله تعالى ، وإفلاسه الرّكون إلى خلق الله . ومنه : يا أُسراء الهممِ الأرضية وأرِقّاء النّفوس الّتي غير مرضية ، هذه الجادة فأين السّالكون ، أبعد العين أين ؟ .

وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وسبعمائة ببلده وهي قريبة من « بيت حسين » المدينة المشهورة .

قلت : فلما خرِبَتْ بيت حسين على يد بني حفيص وانتهكت فيها المحارم ونُهبت الزّوايا الّتي فيها وقُتل جماعة من بني عبيدة على جامع بني حفيص ـ وذلك في سنة اثنتين وستين وثمانمائة ـ انتقل غالب سكانها إلى بيت الفقيه ابن حُشَيبر ، وصارت مدينة عظيمةً ، وهي محترمة معظمة يأمن بها الخائف .

● ومنهم محمد بن حسن بن محمد بن عمر بن حشيبر ، كان فقيهاً عالماً شيخاً صوفياً كاملاً ، سئل عن قول الشبلي : [من الطويل]:

أسائل عن ليلى فهل من مخبِّر[1] ؟ يكون له علمٌ بها أين تنزل ؟

فأجابه بقوله : [من الطويل]:

تحلُّ قلوب العارفين إذا صفتْ وليس لها قلبٌ سواهنّ منزل

قلت : وقريب من هذا ما حكاه صاحبنا الشّيخ العلامة شهاب الدِّين أحمد بن الولي العلامة محمد بن عبد الرحيم أبا جابر رحمهم الله قال : كنت

---

(١) في (ط) : « . . . هل من خبر » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

سائراً إلى المدينة الشريفة ، فلما كان في بعض اللّيالي تذكرت في نفسي الأصحابَ ، وعظُمتْ عليَّ مفارقتهم واشتد عليَّ أمر الاغتراب ، فتمثلت وأنا على تلك الحالة من ترادف الهموم والأحزان ، وكنت راكباً على الجمل بهذا البيت : [من البسيط]:

ما في الصِّحاب أخو وَجْدٍ نطارحه حـديـثَ سعـدى ولا خـلٌّ نجـاريـهِ

فأجابني صوت من ناحية القافلة : [من البسيط]:

ما في الرِّكاب سوى صبٍّ أحاوله يروي حديثَ الهوى حقّاً ويدريهِ

فقلت : من المجيز ؟ فقال : فلان بن فلان ، وذكر اسمه واسم أبيه وجده الدّمشقي ، وإذا هو من أهل الفضل والأدب ، وحصلت بيني وبينه معرفة واستأنست به الأنسَ التّام . قال : وبقيت أنا وإياه في مذاكرة ومطارحة سائر الطّريق ، من ذلك أنّ اسم جمّاله كان « قياس » ، واسم جمّالي « عيّاش » وكان مع جمّاله المُسمّىٰ قياس جمال كثيرة ، فكان يشتغل بأمرها مع المكارين ويغيب عنه يوماً كاملاً بحيث أنه يحتاج إلى الماء فلا يجدُ من يسقيه ، وكانَ حاراً فيتأذى بذلك ويتغير مزاجه ، ويرتجل في الحال في هجوه مقطعاتٍ . قال : وأخذ مرةً لحماً ودفعه إلى غلامه ليصلحه ، فأتى به قبل أن ينضج ، فأنشد عند ذلك ارتجالاً يخاطب غلامه ويومىء إلى هجاء الجمّال المذكور : [من مجزوء الرمل]:

أنْـــتَ لا تحســـن شيئـــاً إذ أتيـــت اللحـــم نيّـــا
فـــاسكـــب القـــيء عليـــه واعطـــه الجمّـــال قيّـــا

قال الفقيه أحمد : وقلْتُ أنا في صاحبي المُسمى عيّاش : [من مجزوء الخفيف]:

إنّ عيّـــاشَ قـــد أتـــت مـــن لـــديـــه بـــدائـــعُ
راح عنّـــي وكنـــت فـــي جملـــة الـــرّكـب ضـائـعُ

[كيف يأتي وقلبه   في المكارين شائع][1]

قال : واستهلينا شهر المحرم بالزرقاء ، فلما صلينا المغرب وجلسنا ونحن ننظر إلى الهلال فقال لي : ما تقول في تشبيهه ؟ فقلت : الذي على بالي من ذلك قول ابن المعتز : [من الكامل]:

والبدر في أفق السماء كدرهم   [ملقى على ديباجة زرقاءِ][2]

فقال : هذا التشبيه لا يحسن فيه إلاّ عند طلوعه قبيل الفجر حالة نقصه وانتهائه فهات شيئاً في ابتدائه . قلت قوله أيضاً : [من الكامل]:

انظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ   قد أثقلته حمولة من عَنْبَرِ[3]

قال : فسكت ساعة خفيفة وأنشد لنفسه في ذلك مرتجلاً : [من الخفيف]:

قد رأينا الهلالَ بالزَّرقاء   ظاهراً للأنام وقت العشاءِ

قلت للجابري فهات مثالاً   فيه تزري بأفصح الشّعراءِ

قال قد قيل زورقٌ من لُجَيْنٍ   قد تراءى للنّاظرين بماءِ

ثم سكت نحو نصفِ ساعةٍ ، وأنشد أيضاً مرتجلاً : [من الكامل]:

قال الشِّهابُ الجابريُّ يريد تشـ   ـبيهاً يماثلُ ذا الهلال السّافرِ[4]

فأجبته أنظر إلى دورانه   فلقد حكى في الأرض وقعة حافرِ

ثم قال الفقيه أحمد : لو قال : [من الكامل]:

هو في السّماء مدوّرٌ ولقد حكى   دورانه في الأرض وقعة حافرِ

لكان أحسن .

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وأثبتناه عن (ط) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم أقع عليه في (م) لبياض مكانه ، وأثبتناه عن (ط) . ورواية البيت في ديوان ابن المعتز « ملقى على ياقوتة . . . » انظر « ديوان أشعار الأمير عبد الله بن المعتز » تحقيق الدكتور محمد بديع شريف ، طبعة دار المعارف (٢/ ٤٤٧) .

(٣) البيت مما ورد في « ديوان ابن المعتز » (٢/ ٤٤٢) .

(٤) في (ط) : « . . . الجابري تشبيهاً » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

قلت : ولبعضهم أيضاً في هذا التّشبيه الحسن : [من الكامل]:

والبدرُ في وسط السّماء كأنّه   وجه مضي تحت قباء أزرقِ

● وفيها : أمر الوزير الكبير حسن باشا بعمارة قبّة الشّيخ الكبير والوليّ الشّهير علي بن عمر الشّاذلي صاحب المخا بمباشرة علي شلبي أمير بندر المخا الحلبي ، فعمرها عمارة متقنة ، وجدّد التّابوتين وكساهما كسوة حسنة من الصّوف الأخضر ، وكان ابتداء العمارة وختامها في سنة ألف من الهجرة النبوية ، ثم أمر الوزير حسن باشا بعمارة جامع كبير شرقيَّ القبة وشاميها ، فبنى بناء أكيداً وتمَّ ، ونصب فيه منبراً من الحجر الأخضر ، ثم بنيت له منارة عجيبة في غاية الطّول والنّحافة واللّطف ، ثم صُليت فيه الجمعة واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة والجماعة ، تقبل الله ذلك منه بمنّه وكرمه ويمنه .

● لنختم الكتاب بذكر حبيب الأحباب ، تاج العابدين على الإطلاق ، وأويس زمانه بالاتفاق ، وأسعد السعداء ، وأكرمهم على ربه ، المنقذ من الكروب لمن تعلّق بسببه ، الحري أن تكتب أخباره بماء العيون ، وأن ينال كاتبها من الرحمة ما فوق الظنون ، سعد السويني السعيد ، المتصف بكلِّ خلق حميد ، الذي يحسن بذكره الختام كما حسن بذكر سيد الرسل الكرام الشروع في الكلام :

ختم هذا الكتاب آن   وبسعد يحسن الختام

فاختم لنا منك بخيرٍ   وتوفّنا على الإسلام

كيف ، وفي اسمه ما يشعر ببلوغه مرتبة عظيمة من مراتب السعادة مع أن اسمه ثلاثي الحروف ، وفضل الثلاثي في اصطلاح أهلها عندهم معروف ، فطابق اسمه معناه ، ووافق فحواه ، ولي في المعنى :

يقولُ لنا لسان الحال منه   وقولُ الحقِّ يعذب للمستفيدِ

فاسمي ووصفي ومريدي   سعيدٌ في سعيدٍ في سعيدِ

ولي أيضاً فيه :

ثلاثي به العبد أضحى متصرفاً   اسمٌ شريفٌ قدره كالمصحفا

فسينُ السعادة دليلُ سعادته وعينُ العناية وحسبك ذا كفا
ودالُ الدّلالة على ربّه فيا سعْد من إليه ربّه تعرّفا

هذا ؛ وقد قسموا الحروف إلى نورانية ، وهي التي جاءت في أوائل السُّور من القرآن العزيز بعد حذف المكرر يجمعها قولك : من قطعك صله سحيراً ، وهي : ال ر ك هـ ي ع ص ط س ح م ق ن ، وهي أربعة عشر حرفاً ، ذكروا أن سبعة منها وهي الكبار أشرف من السّبعة الأخرى وهي : ال ر هـ س ع ح ، وظلمانية وهي : ب ت ث ج خ ذ د ر ش ض ظ غ ف ، وهي أربعة عشر أيضاً ، وذكروا أنها تنقسم كذلك إلى فاضل ومفضول ، فذكروا في القسم الأول منها : ب ت د ز غ ف و ، وما عدا هذه السبعة هي الحروف المفضولة ، وهي : ج خ ش ض ظ ث ذ ، وقد جاء في اسمه الشريف حرفين من أشرف الحروف النورانية وهما : السين والعين ، وحرف من الحروف الظّلمانية ، ولكن من القسم الأول منها وهو الدال ، وقد وقع هذا الحرف من آخر اسم النبي ﷺ كذلك ، وذلك مما يدلّ على شدة متابعته له وتحقق وراثته منه ، فهو دال الدّلالة على وحدانية الله تعالى ، وهو دليل على سابق السّعادة بالعناية الأزلية له ، ومن نصب له الدلالة على خالقه فعيشه حميد ، ومن سبقت له العناية في الأزل فهو سعيد .

وذكروا أيضاً أنَّ الحروفَ الّتي بلا نقط أفضل مما عداها من الحروف بدليل أنّ الّذي جاء في أوائل السّور كان أكثره منها ، وما كان فيه من الحروف المنقوطة سوى ثلاثة وهي الياء والقاف والنون ، وكانت حروف اسمه الشريف من هذه الحروف التي بلا نقط ، وقد وقع كذلك في اسم الجلالة واسم النّبيِّ ﷺ .

قلت : ولعلَّ في حروف اسمه الثلاثة إشارة إلى ما منّ الله تعالى به عليه ومنحه من فضله العظيم وجوده العميم ، فالسّين إشارة إلى سعادته ، والعين إشارة إلى عناية الله به ، والدّال إشارة إلى دوام الطاعة له مدة عمره أو إلى الدّلالة بالهداية له إلى معرفة الله تعالى ، إلى غير ذلك من الأسرار العجيبة

والمعاني الغريبة التي لو تتبعنا بعضها لطال بنا الكلام ، وفيما أوردناه منها مقنع ومرام ، وفي الإشارات ما يغني عن التّصريح ، وفي وصف ذلك المقام ما يحير الفصيح : [من البسيط]:

كلُّ الذي قلت بعض من محاسنه ... ما زدت إلا لعلّي زدت نُقصانا

وهذه والله هي المكارم ، وهكذا فلتكن في الله العزائم ، هكذا وإلاّ فلا . وأرجو أن أكون بمحبتي له وخدمتي إياه واشتغالي بأخباره مع انتسابي إلى علياه من سبقت لهم من ربّهم الحسنى وزيادة ، وكانت جائزته إن شاء الله على ذلك الغفران وكمال السّعادة ، ففضل الله مدرار ، وأولياء الله كالبحار ، فهم القوم لا يشقى جليسهم ، ومن أحبَّ قوماً كان منهم وإن لم يعمل بعملهم ، كما جاء في النص الشريف عن صاحب الكرامة والتّشريف ، وإذ قد رزقنا الله محبتهم ووفقنا لخدمتهم فهذا أعظم دليل على الخير إن شاء الله تعالى ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . ولله درّ من يقول : [من الخفيف]:

وإذا حلّتِ الهداية قلباً ... نشطت للعبادة الأعضاءُ

وإذا سخّر الإله أناساً ... لسعيدٍ فإنّهم سعداءُ

وقلت في المعنى :

يا سعْدي إنْ صحّ حبي لسَعْدِ ... يا بختي إن بذلت فيه جُهْدي

يا هَنائي إن فزتُ بذاك وحدي ... يا سروري إن بلغت فيه قصدي

يا مناي إذ صدق فيه وجدي ... يا غنائي إن قبلَ وقال أنت عبدي

وأرجو أن أكون في الدّارين بمحبته سعيداً ، وأن أُحشر إن شاء الله تعالى ببركته في زمرة السعداء ، وأدرك مراتب الشّهداء ، وما ذلك على الله بعزيز ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

قال رسول الله ﷺ : « المرءُ مع من أحبّ »[1] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٦٩) ومسلم رقم (٢٦٤١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً .

قال الإمام النّووي رحمه الله في شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث : ولا يشترط في محبة الصّالحين أنْ يعملَ بأعمالهم إذ لو عمل بأعمالهم كان معهم ومنهم .

وقال البوني : إنَّ الله تبارك وتعالى ينظر إلى قلوب أوليائه كلَّ يومٍ كذا وكذا مرة ، فإذا وجد في قلوبهم محلاً لعبد ورأى همتهم متعلقة بأحد أكرمه وتجاوز عنه وألحقه بهم .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من ذكر طرف من أحوال هذا السَّيِّد العظيم والولي الكريم ، ونغترف قطرة من بحره الغزير ، ليستدل بالقليل من ذلك على الكثير . فكفى بالنّفحة دليلاً على طيبِ الزّهر ، وبالغرفة معرفة بعذوبة النّهر ، ولأنَّ صاحب النّور الّذي قسم له نصيب من سعادته إذا ذُكر له شيء من صفات الأكابر ولو طرفاً من أخبارهم ، أو لاح له لامع من بروق أنوارهم هشّ بقلبه إليها ، وأقبل بالر دِّ عليها ، وذلك لوجود المجانسة الحقيقية ، كما جاء في الحديث : « الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ فما تعارفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف »(١) ، فأهل السعادة يعرف بعضهم صفات بعض بصفاتهم كما قيل :

[من السريع]:

يعــرفــه البــاحــثُ مــن جنســه   وســائــر النــاس لــه مُنْكــرُ

وذلك معلوم عند أهله ، فهو واحد أهل زمانه علماً وحالاً ومعرفة ومقاماً وورعاً وزهداً واجتهاداً وعبادة ، أحد المشايخ الكبار والأولياء الأخيار ، ترتجى الرحمة بذكره ، وتستنزل البركة بحبه ، ويستمطر المسيء سحائب الغفران بالتوسل به .

قال العلامة محمد بن عمر بحرَق الحضرمي : وناهيك بعظيم أحواله اعتناء الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر بالتّصنيف فيها ، فإنّ العظيم لا يعظم في

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) وأبو داود رقم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

عينه إلاّ عظيم ، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل ، وإذا وصف العيدروس في مناقبه الجليلة ، واعتنى بأحواله الجميلة فقد أغنى ثناؤه عن كل وصف ، والشهادة منه خير من شهادة ألفِ ألفِ ، وها أنا أشير إلى بعض ما ذكره رضي الله عنه في ترجمته وسيرته ملخصاً لكلامه فقال ومن خطه الكريم نقلت :

كان شيخنا العارف بالله تاج الأنوار ، وقطب الأحوال سعد بن علي بن عبد الله با مدحج الحضرمي التّريمي عالماً بالله ، وبأمر الله على الشّريعة والطّريقة والحقيقة ، أدركناه وصحبناه ، وحفظنا منه كرامات كثيرة ، ووقائع عظيمة ، لا يمكن شرحها وقد أظهرنا بعضها .

قال : وتعلم القرآن وحفظه ، وقرأ في الفقه « التنبيه » و « المنهاج » ، وفي التفسير « تفسير الواحدي » و « البغوي » و « تأويل القرآن » للسلمي ، وفي الطريقة « بداية الهداية » ، و « منهاج العابدين » و « الأربعين » الأصل ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، وأخذ خرقة الصوفية من الشّيخ عبد الرّحمن ، وأكثر مقروءاته على والده العارف بالله شيخ بن عبد الرّحمن ، وكان شيخه يحبه حباً شديداً ويثني عليه ثناء عظيماً ، ويشهر أحواله غاية ونهاية ، وكان يأمره أن يرفق بنفسه في المجاهدة ، فيعتذر إليه بأنّه لا يجد لها كلفة ولا مشقّة بإعانة الله له .

قال : وأوّلُ شيء بُدِىءَ به أنّه كان نائماً في مسجد سرجيس ـ أي : بسين مهملة مكررة بينهما راء ساكنة ثم جيم مكسورة ثم ياء تحتية ـ فدخل عليه رجلٌ من رجال الغيب ، فأقامه من نومِه وقال له : قم ما لهذا خُلِقْت . فشمّر بعون الله من وقته في المجاهدات والمكابدات والرّياضات والخلوات ، فكان يصوم الدّهر ويقوم اللّيل كلَّه من حين بلغ الحلمَ ، وكان ملازماً لتلاوة القرآن ، وربما قرأ ختمةً باللّيل في صلاة ، وختمة بالنّهار بالتّرتيل ، وكان متورِّعاً إلى الغاية والنّهاية ملتزماً أن لا يأكل إلا الحلال المحض ، وأن لا يأكلَ أيضاً منه إلاّ اليسيرَ ، وغالب قوته من المطعومات المباحة في الأشجار كالبرير وهو ثمر

الأراك ، والعشرق وهو ثمر السّنا ، والنبق وهو ثمر السّدر ، والصَّار وهو ثمر النّخل المقل ، والغاسي وهو ثمر البسر البلح الذابل المتساقط من النّخل . وإذا سافر إلى الشّحر اقتصر على السَّمك الصرف ، هذا كله في بدايته ، ثم كان في آخر عمره يطوي الأربعين فأكثر على الماء وحدَه . ومكث مدة من السِّنين لا ينام ليلاً ولا نهاراً .

قال : وكان كثيراً ما يؤثر الخلوة في شعاب تَريم ، والمجاورة عند قبر النَّبيّ هود عليه السّلام . وكان يظهر له في خلواته ومجاوراته أمور عظيمة ، منها : أنه يظهر له إبليس وجنوده لعنهم الله ، فيرمونه ويرجمونه ويتهددونه بالسّلاح خصوصاً إذا قام للصَّلاة . قال : فأستعين بالله عليهم وألتجىء إليه ، فلا يختلج في باطني خوف منهم أصلاً فيرجعون خائبين .

قال : وظهر لي مرة إبليسُ ، فصارعني فصرعته بمعونة الله تعالى ، وسلبته سلاحه وأسرْتُه فاستطاع لي وانقاد بإذن الله تعالى . قال : وظهرت لي صفات النّفْس المذْمومة في صورِ نساء فذبحتهن بمعونة الله تعالى . قال : ولقيت الخضر عليه السَّلام مراراً فاستفدت منه فوائد كثيرة . قال : واجتمعت بخلقٍ كثيرٍ من رجال الغيب رضي الله عنهم . قال : وكنْتُ أسمع في حال تلاوة القرآن هواتف كثيرة تأمرني بترتيل القرآن وتنهاني عن الهذرمة . قال : وإذا دعوت قيل لي : اثبتوا عند الأمر والنهي يستجب لكم . قال : وكثيراً ما أسمع الهواتف تقول لي عند التّلاوة : قد وهبناك سرَّ هذه السورة ، وسر هذه السورة خصوصاً عند قراءة سورة ياسين والرّحمن والواقعة . ثم قال الشّيخ عبد الله رضي الله عنه : هذا كله في أول عمره ، وأما في آخره قدر نصف عمره فصرنا نحن وإياه كما قيل : [من الرمل]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حَلَلْنا بدَنا

قال الشّيخ : وكثيراً ما كنت أشاهده في حال التلاوة يذوب بحيث يصير جسده كالماء الجامد ، فربما فزع إلى مخالطة العوام وأهل الكثافات الطبعية ، فسألته هل لك في مخالطتهم من فائدة ؟ قال : نعم بل فوائد كثيرة ، منها : أنه

ربما هجم عليَّ الحال من وارد المحبة حتى أخشى على جسمي أن يلتف ، فأقرب من الناس لتعتدل لطافة الحال بكثافتهم ، وأتوله بقضاء حوائجهم ومخاطباتهم .

قال الشيخ : وكنت أنظر إليه في غالب أحواله سكران براح المحبة في ليله ونهاره ، بل كان في جميع لحظاته ممتلئاً بمحبة ربه . قال : وهو من أهل المقام الرابع في التوحيد لأن الغالب عليه فناء الفناء . قال : وقد سألته عن ذلك في مذاكرة جرت بيني وبينه في توحيد الفعل ، فأشار إلى نفسه بذلك ، وكان لشيخ سعد بن علي معرفة تامة في أحوال القوم ، وشرح مقاماتهم ، ودقائق معاملاتهم يشرحها شرحاً حسناً شافياً مع كشف وذوق ومشاهدة ووصول وتخلق وتحقق ، مع دوام الصفاء بدوام الجوع والسهر والذكر والفكر ، وشدة الافتقار والذل والانكسار والتواضع والخمول ، وقطع العلائق بالكلية ، فلم تكن له صبوة في صغره ، ولا تزوج في كبره رضي الله عنه ، حتى توفاه الله تاسع رجب الفرد سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته آمين . ومن غريب الاتفاق أن تاريخ وفاته جاء « منور للجنة » ، وقلت في ذلك :

تـاريـخُ فـوت سيِّـدي قـدوتـي ... سعـد السُّـوَيْنـيّ السَّعيـد قِبلتـي

نـوّر الأنـوار فـلا عجـب إذا ... مـا قيـل فيـه « منـوّر للجنّـةِ »[1]

وقلت أيضاً :

قـد ضـاءت الأكـوان بسعـد سيـدي ... تـاريخـه جـاء « منـورٌ للجنـةِ »

وقد رأيت أن أضيف إلى هذه المناقب الشريفة مالي في شأنه من الأبيات اللطيفة ، فمن ذلك ما قلته فيه مفتخراً بانتسابي إليه ، وكوني من محبيه :

نجـمُ سعـدي قـد طلـع ... مـن أُفـق السُّـويني ونجـمْ

---

(١) لم يرد البيتُ في (م) وما أثبتناه عن (ط) .

شـــرح صـــدري بـــه بـــدا   فيـــه وجـــدي مـــا انكتـــمْ
هـــو روحـــي وخـــاطـــري   بـــه عَلِـــقَ قلبـــي مـــن قِـــدَمْ
هـــو شيخـــي وعمْـــدتـــي   وهـــو قَصْـــدي مـــن الخيَـــمْ
بلغـــت مـــن ســـرّه المنـــى   وحصـــل لـــي العطـــاء الجـــمْ
يـــا عـــذولـــي فيـــه دعنـــي   إن السّعـــادةَ مـــن الله قســـمْ
قـــد ظفـــرت أنـــا بـــالهَنَـــا   وحظّـــك الصـــدود والهـــمْ
إن عظمـــت غيـــره   استسمنـــت ذا ورمْ
ذا مغيـــث لكـــلِّ مكْـــروب   ذا ملجـــأ الأمـــمْ
قطـــب الأحـــوال والمـــوا   هـــب بينهـــم كـــالعَلَـــمْ

ولي فيه أيضاً :

ألا يـــا سعـــدُ أرجـــو منـــك إشـــارهْ   فعجِّـــل لعبيـــدك بـــالبشـــارهْ
واسقنـــي مـــن شـــراب القـــوم حتّـــى   أشـــاهـــدَ ذلـــك النّـــورَ بـــلا ستـــارهْ
ومـــنَّ علـــيَّ وجـــدْ لـــي بمقـــام   رفيـــعٍ تضيـــقُ عـــن شـــرحـــه العبـــاره

ولي أيضاً :

سعـــدُ والله مـــن حبِّـــه   سعـــد طـــول الآبـــادِ

ولي أيضاً :

سعـــد والله مـــن زاره   يُعطـــى مُنـــاهْ
سعـــد والله مـــن حبّـــه   زاد فـــي عطـــاهْ
سعـــد والله مـــن أمّـــه   طـــاب مَسْعـــاهْ
سعـــد والله مـــن فـــازَ   بـــالقُـــرب مـــن مـــولاهْ
سعـــد والله مـــن نظـــره   الخلـــد مـــأواهْ
سعـــد والله مـــن بَغضـــه   النّـــار مَثْـــواهْ
سعـــد عـــاره علـــى العبـــدِ   فقـــد طـــال بلْـــواهْ
سعـــد والله مـــا خـــابَ   مـــن أملـــه ورجـــاهْ

سعــــد والله جـــديـــرٌ يجيـــب مـــن دعـــاهْ
سعــد قــد نــال مــن ربِّــه كـــل مـــا يشـــاهْ

ولي أيضاً :

لـو درى العـاذلـون فـرْط اكتيـابـي ورأوا حـــالتـــي عطفـــوا ورقـــوا
مـــا معـــي زاداً ليـــوم معـــادي أرجـى أعمـالـي إنـي لسعـدون رقٌّ

ومن ذلك مما التزمت فيه بأن يخرج من أوائل السطور اسمه الشريف ويسمى هذا النوع عند أهل هذا الفن المشجَّر ، وفعلت ذلك في مقطعات عديدة ، منها :

(س) ســألــت الله يغفــر زلتــي بجـــاه سعْـــدِ الـــولـــي
(ع) عظيـــم الحـــال حقّـــاً الـــزّاهـــد الـــورع التّقـــي
(د) دليـــلُ الحيـــارى للنَّجـــاةِ ذاك السُّـــوينـــي ابـــن علـــي

ومنها :

سبـــا فـــؤادي الـــرّشـــأ الأشنـــب بمنطـــق منـــه يحلـــو ويعـــذبُ
عذب بما شئت غير الهجر يا فاتني ومـــا عليـــك فيمـــا فعلـــت معتـــبُ
دمـــي حـــلالٌ لـــك يـــا أملـــي وغيـــر حبِّـــك ليـــس لـــي مَـــذهـــبُ

ومنها :

سَلُـــوّ قلبـــي محـــال عـــن حـــبِّ ليلـــى وخِـــذْرهـــا
عـــاذلـــي كـــفّ عنـــي فلســـت أميـــل لغيـــرهـــا
دعْنـــي وشـــأنـــي يـــا غبـــي إنـــي شُغِفْـــت بـــذكـــرهـــا

ومنها :

سلوا عن ودادي يا أحباي قلبكم فيشهد بما عندي لكم من حبكم
عرفتكم في الذَّرِّ فكيف أنسى عهدكم ومـــا مُنيتـــي يـــاســـادتـــي غيـــر قُـــربكُـــم
داووا فـــؤادي بلـــذيـــذ وصـــالكُـــم فحسبي شرفاً أن أكون من حزبكم

ومنها :

سـروري فـي هـواه وبسطـي يـوم لقَـاهْ
عيـدي لـدى رؤيـاه وقَلْبـي واللهِ مَثْـواهْ
دينـي عقْـد ولاه مُنيتـي واللهِ رضَـاهْ

ومنها :

سلمـى بـوصلهـا علـيَّ منّـتْ فـزال عنـي العنـا والصـدود
علـى حـالـي وضعفـي رقّـتْ بختـي بهـذا الهنَـا والـورود
درَتْ بسقمـي وضنـائي فحنَّـتْ يـا مـرحبـاً بـريـم وادي زرود

ومنها :

سفكـت فـي الهـوى دمـي غـزالٌ مـن ظبـي الحـرمِ
علقـت روحـي بحبِّهـا وصبـت مـن سـالـف القـدمِ
درتْ أنّ شغفـي بهـا وبهـاتيـك الخيـمِ

ومنها :

سلـوّ قلبـي محـالٌ عـن حـبِّ سعـدى وأختهـا
علـى ذكـرى بفخـرهـا طـاب وقتـي مـن بختهـا
دامَ عـزِّي بسعـدهـا ليتنـي أكـون عَبْـدهـا

ومن ذلك أنّي لغزت في اسمه الشّريف فقلت :

سـرِّي قـد سَـرَى لخيـر عُـربِ أبـاح دمـي لهـم مـن غيـر ذنْـبِ

وقلت أيضاً في هذا المعنى :

سـألـت الله العظيـم بـاسمـه يشفـي دائـي ويمـنّ بطبِّـهِ
سـرٌّ عـزيـزٌ تمثلْـتُ مـن ذكـره درى عـاذلـي أنّـي شغـفٌ بحبـهِ

ومن ذلك ما قلت فيه وفي صاحبه سيِّدي الشَّيخ عبد الله العيدروس ، مفتخراً بانتسابي إليهما ، وما ساقه الله لي من الخير بسببهما وعلى يديهما :

بالشّيخ عبد الله وسرِّه ... حصل لي كلّ ما أريدْ
وسعدُ السُّويني ذكره ... حلا لي ورده يا مريدْ
والعبدُ بهم وإنْ قلّ قدْره ... فهو في النّاس سعيدْ
وكلما قيل نقص أمره ... ما زلت بهم في مزيدْ

توشيح :

أقسمُ بالله أنهم عَوْني ... ومذْ لُذْتُ بهم ما جفوني
وإذا ضاق أمري أنقذوني
وعاد بسعدٍ وفخره ... بحري وربِّي بسيط مديد

ومثله أيضاً :

بالشّيخِ عبد الله ومجده ... وفتى قد صار رائق
وسعد السُّويني وحده ... أزاح عني العوائق
والعبدُ بهم وإن قلّ جهده ... فهو في النّاس سابق
وكلّما قيل قل حده ... ما زال بهم فخري فائق

توشيح :

لما انتسبت لجنابهم ... جادوا عليَّ بشرابهم
ومن أنا إلاّ بهمْ
وعاد وربي بهم أطول ... وأفخر على كل عاشق

ومثله أيضاً :

بالشيخِ عبد الله وأصله ... نلت المنى والمَقْصُود
وسعد السُّويني وفضْله ... ظاهراً بلا خفاء وجحود

توشيح :

مــت يـــا عـــذولـــي بـــالله   إخســـأ مـــالـــك ولأهـــلِ اللهِ

ويلـــك تـــريـــد إطفـــاء نُـــور اللهِ

مـــا علـى ذا مـن مثلـك وجهلـك   مـــا حظّـك غيـر القَـلا والصّـدودِ

ومثله أيضاً :

بـــالشّيـــخ عبـــد الله ونصيبـــهِ   حصـــل لـــي السّعـــادة

وسعـــد السُّـــوينـــي حبيبـــه   حبّـــه أيّ سيـــادهْ

والعبـــد بهـــم وإن قـــلّ نصيبـــه   صحّـــت لـــه الإرادهْ

وكلمـــا قيـــل هـــانَ بَخْتـــه   مـــا زلْـــتُ والله فـــي زيـــادهْ

حـــاشـــا لا يُضـــام نسيبـــه   أو يحـــرم الـــرّاجـــي الإفـــادهْ

توشيح :

خصصـــت بـــذا فـــي الأزلِ   ومـــذ أملتهـــم مـــا خـــاب أملـــي

وأرجـــو بهـــم أن يختـــم الله عملـــي

ومن ذلك قلت فيهما وفي سيِّدي حاتم بن أحمد الأهدل أعاد الله علينا من بركاتهم آمين :

لـــي مطلـــبٌ مـــا مثلـــه مَطْلَـــبْ   قـــرب مـــولاي وعـــالـــي الـــرّتـــبْ

حـــال أســـلافـــي وطيـــب المشـــربْ   وإن نلـــت ذا مـــا هـــو والله عَجَـــبْ

توشيح :

بـالعيـدروس الجـدِّ أُعطـى السـول   وبسعـد وحـالـه أرتجـي القبـول

وحـاتـم الفـرد الـولـي ليـث الفُحُـول

مـــالـــي ســـوى حبهـــم مـــذهـــبُ   ولا وربـــي عـــن بـــابهـــم أذهـــبُ

ومما قلت فيهم نفع الله بهم :

سعـــد حبِّـــي وحـــاتـــمٌ سيِّـــدي والعيدروسُ القطب شيخي وجدِّي

ليـس يعـــد لهـــم أحـــد عنـــدي لا وربـــي إن ذا مـــن جَـــدِّي

وقلت فيهم أيضاً :

مـا خـابَ مَـنْ بـالعيـدروس تـوسّـلْ وبحـاتـم الـولـيِّ رجـا وأمـلْ

ومـــن مـــن سعـــد رام الإسعـــاد

بـــل حقيـــقٌ بـــأن يعطـــى المُنـــى ويفـــوز بـــالبُشـــرى والهَنـــا

كـــذا ويظفـــر بكـــلِّ المـــراد

وقلت فيهما أيضاً :

مـــا خـــاب مَـــن علـــى الله تـــوكّـــلْ وبـــالهـــادي الـــرســـول تـــوســـلْ

إنـــه لحقيـــقٌ أنْ يُعطـــى المـــراد

ومـــن بحـــاتـــم تـــرجـــى النّـــدا وألـــحّ علـــى العيـــدروس بـــالنّـــدا

ومـــن سعـــدهـــم رام الإسعـــاد

ولنختم هذه التّرجمة العظيمة بحكاية غريبة حسنة سمعتها من الثقات ، وهي جديرة في هذا المحل بالإثبات .

حُكي : أنّ الشّيخ أبا بكر العيدروس صاحب عدن رضي الله عنه كان إذا ذكر الشّيخ سعد ينبسط جداً ، وكان أصحابه بعد أن عرفوا ذلك منه إذا رأوه مقبوضاً يذكرونه له فينبسط عند ذلك ، ففي بعض الأيام دعي بصندوق وفتحه وأخرج منه شيئاً عليه لفائف كثيرة ، كما يجعل على الشيءِ النّفيسِ مبالغة في حفظه وصونه ، فما زال يفتحها بيده الشّريفة واحدة بعد واحدة حتى أخرج منها حذائين عتيقين وأخذ يشمهما ويقبّلهما ، وقال : إنَّ هذه من ملبوسات الشَّيخ سعد رضي الله عنه ، ثم ردَّهما مكانهما فتعجب الحاضرون من ذلك .

قلت : وقد وقع لي بحمد الله قريب من هذا ، وذلك أنَّ بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت : هلاّ أهديت لي من تراب قبر سيدي

الشَّيخ سعد بن علي رضي الله عنه ؟ فإن ذلك عندي من أشرف الهدايا ، وأفخر أنواع الطِّيب ، ثم أنشدت في هذا المعنى :

سألْتُ العرفاءَ عن طبِّ دائي فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس
على الخبير سقطْتَ فاغنم داؤك وربِّي إنه درياق أنْفَس
داوني يا سعد وأدرك قبل تلافي وحقك إنّني لك عبدٌ أكيس

فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضّريح الشّريف في قارورة زجاج ولله الحمد ، وعلمت أن للشيخ نفع الله به بالعبد اعتناء عظيم .

وأخبرني شيخنا الفقيه الصّالح سراج الدّين عمر بن زيد الدوعني قال ومن خطه نقلت :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فيقول العبد الفقير الحقير خويدم العلماء ومحبهم عمر بن زيد غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين :

لما كان بتاريخ ليلة الجمعة ثامن وعشرين شهر شعبان المكرم سنة خمسة عشر وألف رأيت كأنَّ سيِّدنا وشيخنا السَّيِّد العالم العلامة العارف بالله تعالى وحيد عصره وفريد دهره محيي الدِّين الشّيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس ـ مدّ الله في حياته وأعاد علينا من بركاته وبركات علومه ومعارفه وأنفاسه آمين ـ في بيت عظيم وعنده جماعة من أصحابه عرفت بعضهم ، فخرج من ذلك البيت وأشار إليَّ فتبعته ، وفهمت منه أنه يطلب الماء ، فمشى أمامي وأنا وراءه في أماكن معمورة لا أعرفها ، حتى انتهينا إلى مكان واسع ، فإذا بسيدي الشَّيخ سعد بن علي با مدحج أمام سيدي يدله على الماء الذي يطلبه ، وإذا بطائر في الهواء فوق رأس سيِّدي الشَّيخ سعد نفع الله به ، فمشى الشَّيخ أمام سيدي غير بعيد ، فاعترضنا نهر عظيم ، فنزلنا في درج إلى النهر ، وانتبهت قبل أن يصل سيدي إلى النهر وبي من الفرح والسُّرور ما لا عليه مزيد . زاده الله من فضله ورقاه إلى أعلى المقامات بمنه وكرمه وفضله .
فقصصت رؤياي على سيدي فقال : أكتم ما رأيت ولا تخبر بذلك أحداً .

أعاد الله علينا من بركاته وبركات الشَّيخ الوليِّ سعد بن علي ، وبركات الأولياء والصّالحين آمين .

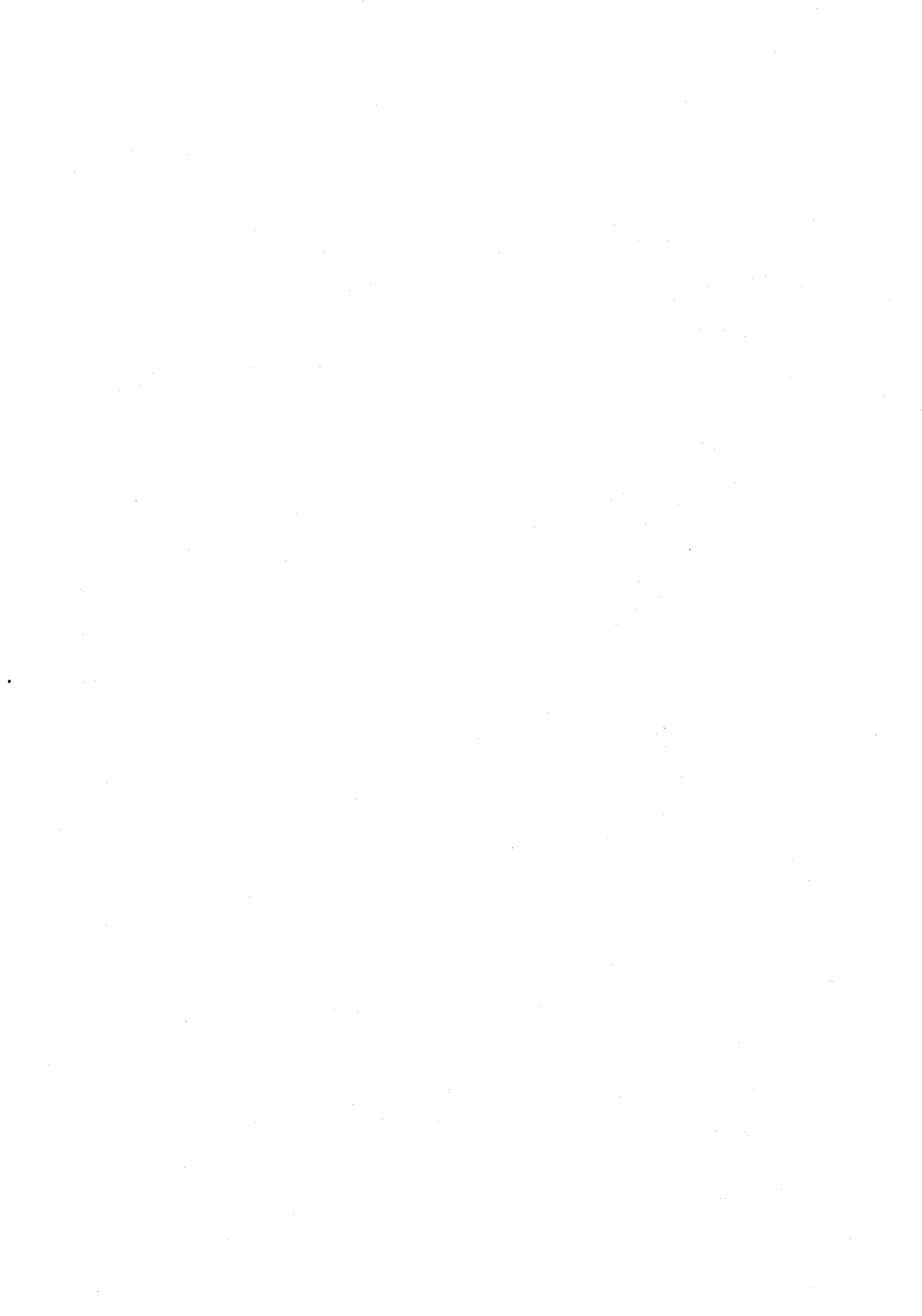
انتهى كلام سيدي الفقيه بحروفه . وهذا آخر ما يسّر الله جمعه من التاريخ المختصر الجامع ، وقد احتوى جرمه الصغير على علم كثير ، ونكت مفيدة ، يحتاج إليها ذوو البصائر ، ويهتدي بها عند الوقوف عليها كل حائر ، وذلك بفضل الله وهدايته ، وتخصيص من معونته ورعايته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قال مؤلفه فسح الله في مدته : وقع الفراغ من تأليف هذا التاريخ اللطيف في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الثاني سنة اثني عشر بعد الألف بأحمد آباد ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) [يونس : ١٠] .

* * *

(١) وكان الفراغ من تحقيقه وتدقيقه وتصحيح تجارب طبعه على قدر الطاقة في الثاني عشر من شهر ذي الحجّة لعام ١٤٢٠ هـ ، الموافق للثامن عشر من شهر آذار لعام ٢٠٠٠ م ، والحمد لله علىٰ ما تكرّم وتفضّل ، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل عملنا فيه يوم العرض عليه ، وأن يدخر أجره لنا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

المحققون



فهرس المترجمين

على نسق حروف المعجم

(أ)

(ب)

(خ)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

* * *

فهرس ما قيَّده أو شرحه المؤلف من الأسماء والبلدان

* * *

فهرس ما قُيِّد أو شرح في الحواشي من الأسماء والبلدان

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة
في تحقيق الكتاب والتعليق عليه

(أ)

ـ أبجد العلوم، تأليف صديق حسن خان، بعناية عبد الجبار زكّار، وزارة الثقافة، دمشق ـ سورية.

ـ إتحاف السادة المتقين، للمرتضى الزبيدي، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ الأحاديث الموضوعة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمود الأرناؤوط، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت.

ـ أخبار الدول وآثار الأول، للقرماني، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت.

ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا، للكلاعي، بيروت، لبنان.

ـ الأنساب، للسمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني وجماعة من المحققين، منشورات محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.

(ب)

ـ البدر الطالع: للشوكاني، مصورة دار المعرفة، بيروت

ـ بغية الوعاة: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.

ـ بلدان الخلافة الشرقية: تأليف كي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ـ البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبع وزارة الإعلام بالكويت، ومصورة لطبعة بولاق القديمة صادرة في بيروت.
- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، مصورة دار الكتب العلمية، ببيروت.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق ١٣٩٧هـ.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية: تأليف محمد فريد وجدي، الطبعة المصرية القديمة دون تحقيق، والطبعة المحققة بعناية إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت.
- تاريخ الطبري (١ـ١١): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، الهيتمي، تحقيق محمد سهيل الدّبس، بإشراف محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية، لابن الجيعان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٤هـ.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي، مطبعة السُنة المحمدية، القاهرة.
- تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا: لتقي الدين الفاسي، تحقيق محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي، دار صادر، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- تقويم البلدان: لأبي الفداء، بعناية المستشرق رينو دومالاكوكين، ديسلان، ١٢٥٦هـ.
- جامع الأصول: لابن الأثير الجزري، (١ـ١١) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاّح، مكتبة دار البيان، دمشق ١٣٨٩ـ١٣٩٣هـ.
- جامع كرامات الأولياء: للنبهاني، دار صادر، بيروت.
- جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة.

(ح)

- حركة التأليف بالعربية في الإقليم الشمالي: لجميل أحمد، وزارة الثقافة، دمشق.
- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.
- در الحبب: لابن الحنبلي، تحقيق محمود حمد الفاخوري، يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢م.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق محمود الأرناؤوط، ومحمد بدر الدين القهوجي، (الطبعة الثانية) مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤١٠هـ.
- ديوان ابن المعتز: دار صادر، بيروت.
- ديوان الشافعي: تحقيق إسماعيل اليوسف، دار الخير، دمشق.
- ديوان المتنبي بشرح البرقوقي: القاهرة.

(ذ)

- ذكر أخبار أصبهان: لأبي نعيم الأصبهاني، ليدن ١٣٥٣هـ.
- ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه، لابن كثير، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمد السوَّاس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٤٠٧هـ.
- الرسالة المستطرفة، للكتاني، تحقيق محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٦هـ.

(س)

- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن أبي داود: تحقيق عزة عبيد الدعّاس وعادل السيد، دار الحديث حمص ١٣٨٨هـ.

ـ سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
ـ السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مصورة مؤسسة علوم القرآن بيروت.

(ش)

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت ١٤٠٦ـ١٤١٤هـ.
ـ شرح ديوان كعب بن زهير: لثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م،
ـ الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبري زاده، ومعه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم للمؤلف نفسه، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٥هـ.

(ص)

ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

(ض)

ـ ضرائر الشعر: تأليف محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.
ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(ط)

ـ طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص، للزبيدي، الدار اليمنية، بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م:
ـ طبقات الصوفية: للسلمي، تحقيق نور الدين شريبة، دار الكتاب النفيس، بيروت ١٤٠٦هـ.
ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(ع)

- عيون الأخبار: لابن قتيبة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.

(غ)

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ابن علي، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية، القاهرة، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وتعليق عبد العزيز بن باز، وعناية محب الدين الخطيب.
- الفصول في سيرة الرسول: لابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار التراث، المدينة المنورة.
- الفوائد المجموعة: للشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، بيروت.

(ق)

- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي: للشماع، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة وخلدون حسن مروة، خرّج أحاديثه وقدم له محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت.

(ك)

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، بعناية أحمد قلاّش، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، بعناية بكري حيّاني وصفوة السقا، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، حلب ١٣٩٥هـ.

ـ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: للغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٢ ١٩٧٩م.

(ل)

لباب الآداب لابن منقذ: تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة.
ـ لسان العرب: لابن منظور، تحقيق جماعة من المحققين، دار المعارف، القاهرة.

(م)

مجالس في سيرة النبي ﷺ: لابن رجب الحنبلي، حققه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط وياسين محمد السوّاس، راجعه وحكم على أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير. دمشق ـ بيروت ١٤٠٨هـ.
ـ المجتبى من السنن: للنسائي، بشرح السيوطي، وحاشية السندي: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٤٨هـ.
ـ مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث، القاهرة.
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت.
ـ المحبَّر: لابن حبيب. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
ـ المدارس النحوية: للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
ـ مراصد الأطلاع: للبغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣هـ.
ـ المعرّب: للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، مصورة دار المعرفة، بيروت.
ـ مسند الإمام أحمد: طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر. بيروت.
ـ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
ـ المعارف، لابن قتيبة، تحقيق ثروة عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي. دار صادر. بيروت.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث للدكتور فنسنك ومجموعة من المستشرقين. دار الدعوة. إستانبول، دار سحنون. تونس.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: تأليف محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث بيروت.
ـ معجم المؤلفين: لكحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ المعجم الوسيط: لجماعة من العلماء، مصورة مكتبة النوري. دمشق.
ـ المعمَّرون والوصايا، للسجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
ـ المغانم المطابة في معالم طابة، للفيروز آبادي، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ.
ـ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لابن طولون، تحقيق محمد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٢٨١هـ.
ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، بعناية عبد الله الصِّدِّيق، وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: للعليمي، تحقيق محمود الأرناؤوط، رياض عبد الحميد مراد، محيي الدين نجيب، إبراهيم صالح، حسن إسماعيل مروة، بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت.
ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي: لبسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ن)

ـ نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، حرره فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٤٦هـ.
ـ النعت الأكمل لتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، للغزي، تحقيق وجمع محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ.
ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس.

(هـ)

ـ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

* * *

فهرس موضوعات

تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة
سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٢
وفاة السيد الجليل عبد الله بن علوي العيدروس	٣٢٢
قتل الأمير الكبير الخواجة صفر سلماني الرومي خداوندخان	٣٢٢
سنة أربع وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٣
وفاة الشيخ جار الله بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي، وترجمته	٣٢٣
سنة خمس وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٥
مجيء آصفخان الكجراتي من مكة إلى كجرات، وترجمته، ورثائه	٣٢٥
سنة ست وخمسين بعد التسعمائة	٣٣١
وفاة الشيخ حسن بن علي	٣٣١
سنة سبع وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٢
وفاة الولي شهاب الدين ابن الشيخ عبد الرحمن باعلوي، وترجمته	٣٣٢
وفاة العلاّمة القاضي أحمد بن شريف بن علي بن علوي	٣٣٢
سنة ثمان وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٤
وفاة الشيخ عبد الله ابن الفقيه محمد باقشير الشافعي الحضرمي وترجمته	٣٣٤
هجوم أمير الحاج علي شريف مكة ليقتله	٣٣٥
سنة تسع وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٧
تعمير بيت الله الحرام	٣٣٧
تعمير السلطان بدر الدين ابن السلطان عبد الله مدرسة بالشحر	٣٣٧
سنة ستين بعد التسعمائة	٣٣٨
وفاة الفاضل جمال الدين محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي	٣٣٨
سنة إحدى وستين بعد التسعمائة	٣٣٩
قتل السلطان محمود شاه صاحب كجرات، وكيفية قتله	٣٣٩
موت السيد أحمد ابن أبي نُمي صاحب مكة	٣٤٠
موت سليم شاه بن شير شاه البتان	٣٤٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *